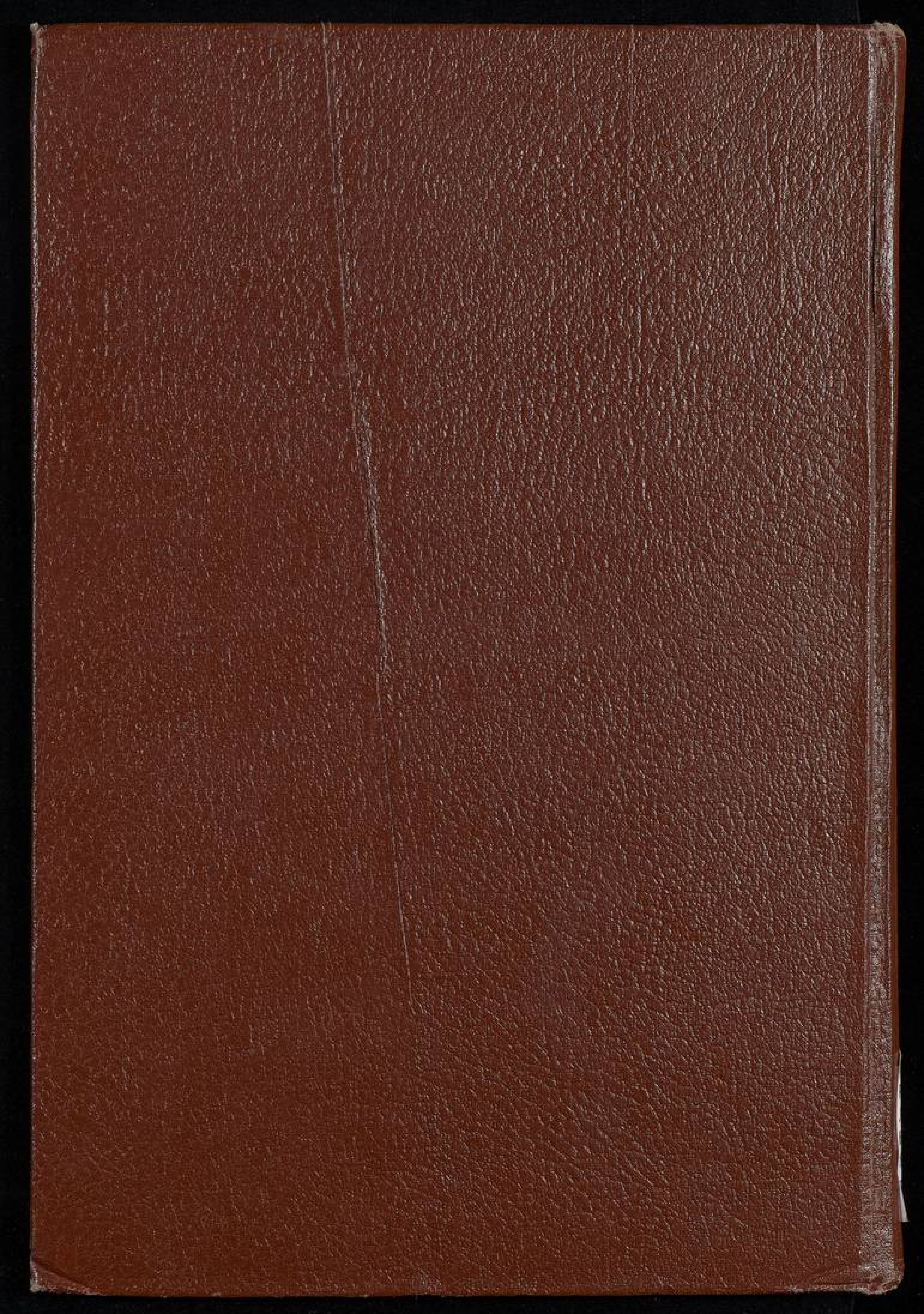
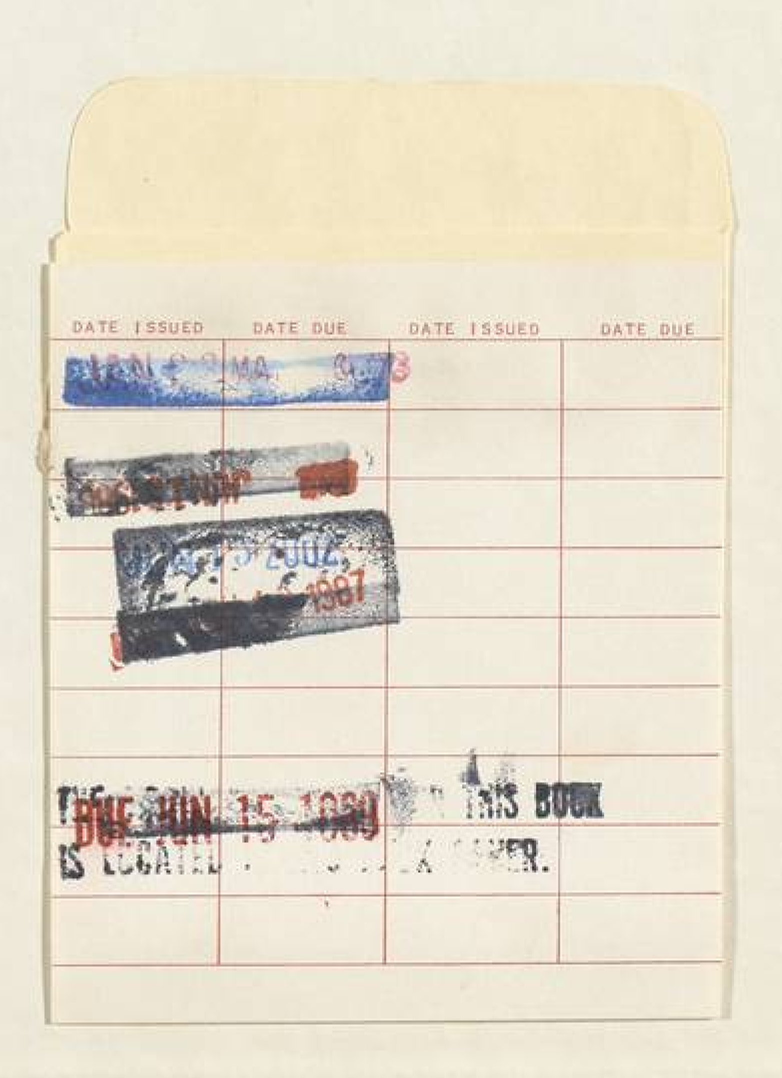



DATE ISSUED
DATE DUE
DATE ISSUED
DATE DUE


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 013955966

Ibn ʿAbd Rabbihi

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب العقد الفريد

al-ʿIqd al-farid

تأليف

أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهارسه

أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأبياري

الجزء الثاني

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

[الطبعة الثانية]

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثانى من العقد الفريد

فرش كتاب الجمانة فى الوفود

تمهيد للمؤلف

قال [الفقيه أبو عُمر] أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه :

قد مَضى قولُنا فى الأجواد والأصفاد على مَراتبهم ومنازلهم ، وما جرَوْا عليه ، وما نَدبوا إليه ، من الأخـلاق الجميلة ، والأفعال الجزيلة ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الوفود الذين وَفدوا على النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، وعلى الخلفاء والملوك ، فإنها مَقامات فَضْل ، ومَشاهد حَفْل يُتخيّر لها الكلام ، وتُستهذب الألفاظ ، وتُستجزل المعانى . ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدَهم وزعيمَهم الذى عن قوّته يَنزِعون ، وعن رأيه يَصْدِرون ؛ فهو واحد يَعْدِل قبيلة ، ولسان يُعرِب عن ألسنة . وما ظنُّك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبىّ صلّى الله عليه وسلم أو خَليفته ، أو بين يدى مَلِك جبّار فى رَغبة أو رَهبة ، فهو يُوَطّد لقومه مَرّةً ، ويتحفّظ ممن أمامه أخرى ؛ أتُراه مُدّخراً نتيجةً من نتائج الحِكمة ، أو مُستبقياً غريبةً من غرائب الفِطْنة ، أم تظنّ القوم قدّموه لفضل هذه الخُطّة إلاّ وهو عندهم فى غاية الحَذْلقة والّلسن ، ومَجمع الشعر والخطابة . ألا ترى أنّ قيسَ بن عاصم المِنقرىّ

لما وَفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بَسط له رداءه وقال : هذا سيّد الوَبَر .

ولما تُوفى قيس بن عاصم قال فيه الشاعر (١) :

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمتُه ما شاء أن يترحّما
تحيّةَ من أَلبستَه منك نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادكَ سلّما
وما كان قيسٌ هُلكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

وفود العرب على كسرى

النعمان بين يدى كسرى

ابن القَطامىّ عن الكلبىّ قال :

قَدِم النعمانُ بن المُنذر على كِسْرَى وعنده وُفود الروم والهند والصِّين ، فذكروا من ملوكهم و بلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارسَ ولا غيرها . فقال كسرى — وأخذته عِزّة المُلْك — يا نُعمان ، لقد فكّرتُ فى أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرتُ فى حال من يَقْدَم علىّ من وُفود الأمم ، فوجدت الروم لها حظٌّ فى اجتماع أُلفتها ، وعِظَم سُلطانها ، وكَثْرة مَدائنها ، وَوَثيق بُنيانها ، وأنّ لها دِيناً يُبيّن حلالها وحَرامها ، ويَرُدّ سَفيهها ، ويُقيم جاهلها ؛ ورأيت الهند نحواً من ذلك فى حِكْمتها وطِبّها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صِناعاتها ، وطيِّب أشجارها ، ودَقيق حِسابها ، وكَثْرة عددها ؛ وكذلك الصين فى اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها فى آلة الحرب وصناعة الحديد ، وفُروسيّتها وهمّتها ، وأنّ لها مُلْكا يجمعها ؛ والتُّركُ والخَزَر على

(١) هو عبدة بن الطبيب . (انظر الأغانى ج ١٢ س ١٥٤ طبعة بلاق ، والشعر والشعراء) .

ما بهم من سُوء الحال فى المَعاش، وقلة الرِّيف والثمار والحُصون ، وما هو رأس عِمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصيَهم ، وتُدبّر أمرَهم ؛ ولم أرَ للعرب شيئاً من خِصال الخَيْر فى أمرِ دِينٍ ولا دُنيا ، ولا حَزْم ولا قوّة ؛ مع[1] أن مما يدلّ على مَهانتها وذُلّها وصِغَر هِمّتها ، مَحلّتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة ، والطَّير الحائرة ؟ يقتُلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضُهم بعضاً من الحاجة ؛ قد خرجوا من مَطاعم الدنيا ومَلابسها ومشاربها ولهوها ولَذّاتها ، فأفضل طعام ظَفِر به ناعمُهم لحومُ الإبل التى يَعافها كثيرٌ من السباع ، لِثقلها وسوء طَعْمها
١٢٥/١ وخَوف دائها ؛ وإنْ قَرَى أحدُهم ضيفاً عدّها مَكْرُمة ، وإن أَطْعم أكلة عدّها غَنِيمة ؛ تَنطق بذلك أشعارُهم ، وتفتخر بذلك رجالُهم ؛ ما خلا هذه التنوخيّةَ التى أسّس جدّى اجتماعَها ، وشدّ مَملكتها ، ومَنعها من عدوّها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ؛ وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبوسا ، وقُرًى وحُصونا ، وأموراً تُشبه بعضَ أمور الناس — يعنى اليمن . ثم لا أراكم تَستكينون على ما بكم من الذلّة والقِلّة ، والفاقة والبؤس ، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مَراتب الناس .

قال النعمان : أصلح الله الملك ، حَقٌّ لأمةٍ المَلِكُ منها أن يَسمو فضلُها ، ويَعظُمَ خَطْبها ، وتَعلو درجتها ، إلا أنّ عندى جواباً فى كل ما نَطق به الملك ، فى غير ردّ عليه ولا تكذيب له ، فإن أمّنى من غَضبه نطقتُ به . قال كسرى : قُلْ ، فأنت آمن .

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك فليست تُنازَع فى الفَضل ، لموضعها الذى

(١) فى الأصول : « ومع » . والواو مقحمة من الناسخ .

هى به من عُقولها وأحلامها ، وبَسطة محلِّها ، و بُحْبوحة عزِّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التى ذكرتَ ، فأىّ أمّة تَقْرِنُها بالعرب إلا فَضَلَتْها . قال كسرى : بماذا ؟

قال النعمان : بعزِّها ومَنَعَتها وحُسن وُجوهها و بأسها وسَخائها وحِكْمة ألسنتها وشدة عقولها وأَنَفتها ووفائها .

فأما عزُّها ومَنَعتها ، فإنها لم تزَل مجاورةً لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطّدوا المُلك ، وقادوا الجُند ، لم يَطمع فيهم طامع ، ولم يَنَلْهُم نائل ، حُصونهم ظُهور خَيلهم ، ومِهادهم الأرض ، وسُقوفهم السماء ، وجُنّتهم السيوف ، وعُدّتهم الصبر ؛ إذ غَيرُها من الأمم ، إنما عِزّها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حُسن وجوهها وألوانها ، فقد يُعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المُنحرفة ، والصِّين المُنْحَفة ، والتّرك المُشوّهة ، والروم المُقشّرة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولَها وكثيراً من أوّلها ، حتى إنّ أحدَهم ليُسأل عمّن وراء أبيه دُنْياً[1] ، فلا يَنسِبُه ولا يَعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يُسمّى آباءه أباً فأباً ، حاطوا بذلك أحسابَهم ، وحَفِظوا به أنسابَهم ، فلا يدخل رجل فى غير قومه ، ولا يَنتسب إلى غير نَسبه ، ولا يُدّعى إلى غير أبيه .

وأما سَخاؤها ، فإنّ أدناهم رجلاً الذى تكون عنده البَكرة والناب[2] ،

(١) دنيا (بضم الدال وكسرها مع التنوين ، وبكسرها بلا تنوين) أى لحًا لاصق النسب .

(٢) الناب : الناقة المسنة .

عليها بلاغُه[1] فى حُموله وشِبَعه وريِّه ، فيَطرُقه الطارق الذى يَكتفى بالفِلْذة و يجتزئ بالشَّربة ، فيعْقِرُها له ، وَيرضى أن يخرج عن دُنياه كلها فيما يُكسِبه حُسنَ الأحدوثة وطِيب الذكر .

وأما حِكمة ألسنتهم ، فإن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ورَونق كلامهم وحُسنه ووَزْنه وقوافيه ، مع مَعرفتهم بالأشياء ، و ضَرْبهم للأمثال ، و إبلاغهم فى الصفات ، ما ليس لشىء من ألسنة الأجناس . ثم خَيْلهم أفضلُ الخيْل ، ونِساؤهم أعفّ النِّساء ، ولِباسهم أفضل اللباس ، ومَعادِنهم الذهب والفضة ، وحجارة جِبلهم الجَزْع[2] ، ومَطاياهم التى لا يَبلغ على مثلها سَفْر[3] ، ولا يُقطع بمثلها بَلد قَفْر .

وأما دِينها وشَريعتها ، فإنهم مُتمسّكون به ، حتى يبلغ أحدُهم من نُسكه بدِينه أنّ لهم أشهراً حُرُما ، وبلداً مُحرّما ، و بيتاً مَحجوجا ، يَنسُكون فيه مناسِكهم ، و يَذبحون فيه ذَبائحهم ، فيَلقى الرجلُ قاتلَ أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره و إدراك رَغْبته منه ، فيَحجِزُه كرمُه ، و يمنعه دينُه عَن تناوله بأذى .

وأمّا وفاؤها ، فإنّ أحدهم يلحظ اللَّحظة و يُومئ الإيماءة فهى وَلْث[4] وعُقدة لا يَحلُّها إلا خُروج نَفْسه . وإنّ أحدَهم ليرفع عوداً من الأرض فيكون رَهْنا بدَيْنه ، فلا يَغلَق رَهْنه[5] ، ولا تُخفر ذِمّته ؛ وإنّ أحدهم ليبلغُه أنّ رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيُصاب ، فلا يَرْضى حتى يُفنِى تلك القبيلة التى

١٢٦ / ١

(١) البلاغ : الكفاية .

(٢) الجزع (بالفتح ويكسر) : خرز يمانى فيه سواد وبياض .

(٣) السفر : المسافرون . والذى فى الأصول : « سفن » . وهو تحريف .

(٤) الولث : العهد

(٥) غلق الرهن : استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك فى الوقت المشروط .

أصابته أو تفنى قبيلتُه ، لما خُفِر من جِواره ؛ وإنه ليَلْجأ إليهم المُجرم المُحْدِث من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفُسهم دون نفسه ، وأموالُهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك : يَئِدون أولادهم ؛ فإنما يفعله مَن يفعله منهم بالإناث أنفةً من العار وغَيْرةً من الأزواج .

أما قولك : إن أفضل طعامهم لحومُ الإبل على ما وصفت منها ؛ فما تركوا مادونها إلا احتقاراً له ، فَعَمَدوا إلى أجلّها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم ؛ مع أنها أكثر البهائم شُحوما ، وأطيبُها لحوما ، وأرقّها ألبانا ، وأقلّها غائلة ، وأحلاها مَضْغة ؛ وإنه لا شيء من اللُّحمان يُعالَج ما يعالَج به لحمها إلا استبان فضلُها عليه .

وأما تحارُبهم وأكْل بعضهم بعضا ، وتركُهم الانقياد لرجل يسوسُهم ويجمعهم ؛ فإنما يفعل ذلك (١) مَن يفعله من الأُمم إذا أَنِست من نفسها ضَعفا ، وتخوّفت نُهوض عدوّها إليها بالزَّحف ، وإنه إنما يكون فى المملكة العظيمة أهلُ بيت واحد يُعرف فضلُهم على سائر غيرهم ، فَيُلقون إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمّتهم ؛ وأما العرب ، فإنّ ذلك كثيرٌ فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا مُلوكا أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج والوَطف (٢) بالعَسْف .

وأما اليمن التى وصفها المَلِك ، فإنما أتى (٣) جدَّ (٤) الملك الذى (٥) أتاه عند غَلبة الحَبَش (٦)

(١) ذلك ، أى الانقياد لرجل يسوسهم .

(٢) الوطف : طردك الطريدة ثم تكون فى اثرها .

(٣) فى الأصول : « فلما » . وهو تحريف .

(٤) فى الأصول : « جد الملك إليها » . وقوله « إليها » زيادة من الناسخ .

(٥) الذى : فاعل « أتى » . ويريد به سيف بن ذى يزن ، الذى استنجد بجد كسرى على الحبش .

(٦) فى بعض الأصول : « الجيش » . وهو تصحيف .

له ، على مُلك متّسق ، وأمر مجتمع ، فأتاه مسلوباً طريداً مُستصرِخا[(١)] . قد تقاصر عن إيوانه ، وصغُر فى عينه ما شيّد من بنائه ؛ ولولا ما وَتَر به مَنْ يَليه من العرب ، لمال إلى مَجال ، ولوَجَد من يُجيد الطعان ، ويَغضب للأحرار ، من غَلَبة العَبيد الأشرار .

قال : فعجب كِسْرى لِما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهلٌ لموضعك من الرّياسة فى أهل إقليمك ولما هو أفضل . ثم كساه من كِسوته ، وسَرّحه إلى موضعه من الحِيرة .

رسل النعمان الى كسرى ووصيته لهم

فلما قَدِمَ النُّعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها ممّا سمع من كسرى من تنقُّص العرب وتَهجين أمرهم ، بعث إلى أكثَمَ بنِ صَيْفِيّ وحاجبِ بن زُرارة ، التميميّين وإلى الحارث بن عُباد[(٢)] وقيس بن مَسعود ، البَكْريّيْن ، وإلى خالد بن جعفر وعَلْقمة ابن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل ، العامريّيْن ، وإلى عمرو بن الشَّريد السُّلَمِيّ ، وعمرو ابن مَعد يكرب الزُّبيدى ، والحارث بن ظالم المُرّى . فلما قَدِموا عليه فى الخَوَرْنق[(٣)] ، قال لهم : قد عَرفتم هذه الأعاجم وقُرْبَ جِوار العرب منها وقد سمعتُ من كِسْرى مقالات تخوّفت أن يكون لها غَوْر ، أو يكونَ إنما أظهرها لأمرٍ أراد أن يتخذ به العربَ خَوَلاً كبعض طَماطمته[(٤)] فى تأدِيتهم الخراجَ إليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين

(١) يلوح لنا هنا كلمة ساقطة من الناسخ ، وهى فاعل تقاصر . فلعل أصل العبارة : « قد تقاصر قصره عن إيوانه » . أو ما يفيد هذا اللفظ . والمراد بقصره غمدان . والقرينة على هذا قوله بعد : « ما شيد من بنائه » .

(٢) فى الأصول هنا : « ظالم » . وهو تحريف .

(٣) الخورنق : قصر كان للنعمان بالحيرة ، بناه له سنمار .

(٤) الطماطمة : من فى لسانهم عجمة . يريد رعيته من الأعاجم .

حولَه ، فاقتصّ عليهم مَقالاتِ كِسرى وما ردّ عليه . فقالوا : أيها الملك ، وفّقك الله ، ما أحسنَ ما رددت ، وأبلغ ما حَجَجْتَه به ! فمُرْنا بأمرك ، وادْعُنا إلى ما شئت. قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما مَلَكتُ وعزَزت بمكانكم ، وما يُتخوّف من ناحيتكم ، وليس شىء أحبَّ إلىّ مما سدّد الله به أمرَكم ، وأصلح به شأنَكم ، وأدام به عزَّكم ؛ والرأىُ أن تَسيروا بجماعتكم أيها الرّهط وتنطلقوا إلى كِسْرى ، فإذا دخلتم نَطق كلُّ رجل منكم بما حَضَره ، ليعلم أنّ العرب على غير ما ظَنّ أو حَدّثته نفسُه ، ولا ينطقْ رجل منكم بما يُغْضِبه ، فإنه مَلِك عَظِيم السلطان ، كثير الأعوان ، مُتْرَف مُعْجَب بنفسه ؛ ولا تَنخزلوا له انخزالَ الخاضعِ الذّليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك تظهر به وثاقةُ حُلومكم ، وفضلُ منزلتكم ، وعظمةُ أخطاركم ؛ وليَكنْ أولَ من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صَيْفِىّ ، لِسَنِىّ[1] محلّه ، ثم تتابعوا على الأمر من مَنازلكم التى وضعتكم بها ؛ وإنما دعانى إلى التّقدمة بينكم عِلْمى ١٢٧/١
بمَيْل[2] كلِّ رجل منكم إلى التقدّم قبل صاحبه ؛ فلا يكوننّ ذلك منكم فيجدَ فى آدابكم مَطْعنا ، فإنه ملك مُترف ، وقادر مُسلَّط . ثم دعا لهم بما فى خَزائنه من طَرائف حُلَل الملوك ، كلَّ رجل منهم حُلّة ، وعمّمه عِمامة وختّمه بياقوتة ، وأمر لكل رجل منهم بنَجيبة مَهْرِية[3] وفرس نَجيبة ، وكتب معهم كتاباً :

« أما بعد ، فإن المَلِك ألقى إلىّ من أمر العرب ما قد عَلِم ، وأجبتُه بما قد فَهِم ، بما أحببتُ أن يكون منه على عِلْم ، ولا يَتلجلج فى نفسه أنّ أمّة من

(١) فى الأصول : « إليكم » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى ب . والذى فى سائر الأصول : « بجميل » . وهو تحريف .

(٣) المهرية : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حى تنسب إليه الإبل النجيبة .

الأمم التى احتجزتْ دونه بمملكتها ، وحَمَت ما يليها بفَضْل قوّتها ، تبلغها فى شىء من الأمور التى يَتعزّز بها ذَوُو الحزْم والقوّة والتدبير والمَكِيدة ، وقد أوفدت أيها الملك رهطاً من العرب لهم فَضْل فى أحسابهم وأنسابهم ، وعُقولهم وآدابهم ، فَلْيسمع الملك ، وليُغْمِض عن جفاء إن ظهر من مَنْطقهم ، وليُكْرمنى بإكرامهم ، وتعجيل سَراحهم ، وقد نسبتُهم فى أسفل كتابى هذا إلى عشائرهم» .

رسل النعمان بين يدى كسرى

فخرج القوم فى أُهْبتهم ، حتى وقفوا بباب كِسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتابَ النُّعمان ، فقرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم . فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مَرازبته ووُجوهَ أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسىّ عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الوَلاء والمَراتب التى وصفهم النعمان بها فى كتابه ، وأقام التَّرْجُمان ليؤدىَ إليه كلامهم ، ثم أذِن لهم فى الكلام .

فقام أكثم بن صَيْفىّ فقال : إن أفضلَ الأشياء أعاليها ، وأعلَى الرجال مُلوكها ، وأفضلَ الملوك أعمُّها نفعاً ، وخيرَ الأزمنة أخصبُها ، وأفضلَ الخُطَباء أصدقُها . الصِّدق مَنجاة ، والكَذِب مَهواة ، والشرّ لَجَاجة[1] ، والحزْم مَركب صَعب ، والعَجْز مَركب وَطِىء[2] . آفة الرأى الهوَى ، والعَجْز مُفتاح الفقر ، وخير الأمور الصَّبر . حُسن الظَّن وَرْطة ، وسُوء الظن عِصْمة . إصلاح فساد الرعية خَير من إصلاح فساد الراعى . مَن فَسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء . شرّ البلاد بلادٌ لا أميرَ بها . شرّ الملوك مَن خافه البرىء . المرء يَعْجِز لا المَحالة[3] .. أفضل

(١) اللجاجة : تماحك الخصمين وتماديهما ، أى أن أصل الشر اللجاجة .

(٢) وطىء : سهل لين .

(٣) المحالة : الحيلة .

الأولاد البَرَرة . خـيرُ الأعوان مَن لم يُراه بالنصيحة . أحقّ الجنود بالنصر مَن حسُنت سَريرته . يكفيك من الزاد ما بلّغك المحلّ . حَسْبك من شرّ سماعُهُ . الصمتُ حُكم[1] وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز . مَن شدّد نفّر ، ومَن تراخى تألّف .

فتعجّب كسرى من أكثم ، ثم قال : ويحك يا أكثم ! ما أحكمك وأوثق كلامَك لولا وَضعك كلامَك فى غير مَوضعه ! قال أكثم : الصدقُ يُنبئ عنك لا الوعيد ؛ قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرُك لكَفَى ؛ قال أكثم : رُبّ قول أنفذُ من صَوْل .

ثم قام حاجب بن زُرارة التميمىّ فقال : وَرَى زَنْدك[2] ، وعَلَت يدك ، وَهِيب سُلطانك ، إنّ العرب أمة قد غَلُظت أكبادها ، واستحْصَدَت مِرّتها[3] ، ومَنعت دِرّتها[4] ؛ وهى لك وامقة ما تألّفتها ، مُسترسِلة ما لا يَنْتها ، سامعة ما سامحتها ؛ وهى العَلْقم مرارة ، والصاب غَضَاضة ، والعَسل حلاوة ، والماء الزُّلال سلاسة ؛ نحن وُفودها إليك ، وألسنتُها لديك ، ذِمّتنا مَحفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعَشائرنا فينا سامعة مُطيعة ، إن نَؤُب لك حامدين خيراً فلك بذلك عُمومُ مَحْمَدتنا ، وإن نَذُم لم نَختص بالذم دونها .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حَجَرَ التلال بألوان صَخْرها ؛ قال حاجب : بل زَئير الأُسْد بصَوْلتها ؛ قال كسرى : وذلك .

---

(١) الحكم : الحكمة

(١) الزند : العود الذى يقدح به النار . وورى : خرجت ناره .

(٣) المرة : طاقة الحبل · واستحصدت : استحكمت . وهذا كناية عن قوتهم .

(٤) الدرة : اللبن ، كالدر (بالفتح) .

ثم قام الحارث بن عُباد البَكْرىّ فقال : دامت لك المملكة باستكمال ١٢٨/١ جزيل حظها ، وعُلوّ سَنائها . مَن طال رِشاؤه كَثُر مَتْحه[1] ، ومن ذهب ماله قلّ مَنْحُه . تناقل الأقاويل يُعْرَف به اللُّب ، وهذا مَقام سيُوجِف[2] بما ينطق فيه الرَّكْب ، وتَعرف به كُنْه حالنا العجمُ والعرب ؛ ونحن جيرانك الأدنَوْن ، وأعوانك المُعِينون ؛ خُيولنا جَمّة ، وجُيوشنا فَخْمة ؛ إن استنجدتنا فغَيْر رُبُض[3] ، وإن استطْرَقتنا فغَيْر جُهُض[4] ، وإن طَلَبتنا فغَيْر غُمُض[5] ؛ لا نَنْثنى لذُعْر ، ولا نَتَنكَّر لدهر ؛ رِماحنا طِوال ، وأعمارنا قِصَار .

قال كسرى : أنفسٌ عزيزة ، [وأمة][6] والله ضعيفة .

قال الحارث : أيها الملك ، وأنّى يكون لضعيف عِزّة ، أو لصَغير مِرّة .

قال كسرى : لو قَصُر عُمرك ، لم تَستول على لسانك نفسُك .

قال الحارث : أيها الملك ، إنّ الفارس إذا حمل نفسَه على الكَتيبة ، مُغرِّراً بنفسِه على الموت ، فهى مَنِيّة استقبلها ، وحياة[7] استدبرها ؛ والعرب تعلم أنى أبعث الحربَ قُدُماً وأحْبِسها وهى تَصَرّف بهم ؛ حتى إذا جاشت نارُها ، وسَعَرت

(١) الرشاء : الحبل : والمتح : نزع الماء من البئر .
(٢) الإيجاف : سرعة السير .
(٣) ربض : جمع ربوض (بالفتح) . من ربضت الشاة ، إذا أقامت مكانها ولزمته .
(٤) استطرقتنا فغير جهض ، أى إذا استعنت بنا لم تخب استعانتك وجاءت بما ترجو . والأصل فى الاستطراق : طلبك الفحل ليضرب فى إبلك . وجهض : جمع جهيض ، وهو سقط الناقة . أى أن لحلنا إذا ضرب النياق لم تأت بجهيض بل تنتج .
(٥) أى لا ننام عن نصرتك .
(٦) زيادة يقتضيها السياق .
(٧) فى الأصول : « وجنان » وهو تحريف لا يستقيم الكلام به .

لَظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلتُ مقادَها رُمحى ، وبَرْقَها سيفى ، ورَعْدَها زَئيرى ، ولم أقصِّر عن خَوْض خُضاخضها[١] ، حتى أنغمس فى غَمرات لُجَجها ، وأكونَ فُلْكاً لفُرسانى إلى بُحْبوحة كَبْشِها[٢] ، فأستمطِرها دماً ، وأترك حُماتها جَزَرَ[٣] السِّباع وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَم[٤] .

ثم قال كسرى لمن حَضره من العرب : أكذلك هو ؟ قالوا : فَعاله أنطق من لسانه . قال كسرى : ما رأيتُ كاليوم وفداً أحشدَ ، ولا شُهوداً أوفد .

ثم قام عمرو بن الشَّريد السُّلمى فقال : أيها الملك ، نَعِم بالُك ، ودام فى السرورِ حالك ؛ إن عاقبة الكلام مُتدَبَّرة ، وأشكالَ الأمور مُعتبرة ، وفى كثير ثَقَلة[٥] ، وفى قليل بُلغة ، وفى الملوك سَوْرة العِزّ . وهذا مَوطن له ما بعده ، شَرُف فيه من شرُف ، وخَمل فيه مَن خَمل . لم نأتِ لضَيْمك ، ولم نَفِدْ لسُخْطك ، ولم نتعرَّض لرِفْدك[٦] ؛ إن فى أموالنا مُرْتفدا ، وعلى عِزِّنا مُعتمَدا ؛ إن أوْرَيْنا ناراً[٧] أثقبنا ، وإن أَوِدَ[٨] دهرٌ بنا اعتدلنا ؛ إلا أنّا مع هذا لجِوارك حافظون ، ولمن رامك مُكافِحون ؛ حتى يُحْمَد الصَّدَر[٩] ، ويُستطاب الخبر .

---

(١) كذا فى بعض الأصول والخضاخض : المكان الكثير الماء . والذى فى سائر الأصول : « خضخاضها » .

(٢) الكبش : سيد القوم .

(٣) أى قطعا .

(٤) القشعم : المسن .

(٥) الثقلة (بالفتح ويحرك) : ما يوجد فى الجوف من ثقل الطعام . شبه رذال الكلام وما لا خير فيه . وسورة العز : سطوته .

(٦) الرفد : العطاء .

(٧) أورى : أوقد . وأثقب : أشعل .

(٨) أود : أعوج .

(٩) الصدر : الرجوع .

قال كسرى : ما يقوم قَصْدُ منطقِك بإفراطك ، ولا مَدْحك بِذَمّك .

قال عمرو : كفى بقليلِ قصدِى هاديا ، و بأيْسر إفراطى مُخْبِرًا . ولم يُلَمْ من عَزَفَتْ نفسُه عما يعلم ، ورَضِى من القصد بما بلغ .

قال كسرى : ما كل ما يَعْرِف المرء ينطق به ، اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكِلابىّ فقال : أَحْضَرَ الله الملكَ إسعاداً ، وأرْشده إرشادا ؛ إنَّ لكل منطق فُرْصة ، ولكل جابة غُصَّة (١) ؛ وعىّ المنطق أشد من عِىّ السكوت ، وعِثار القول أنكى من عِثار الوَعْث (٢) ؛ وما فُرْصة المنطق عندنا إلا بما نَهوى ، وغُصَّة المنطق بما لا نهوى غير مُسْتساغة ، وتَرْكى ما أعلم من نفسى ويَعلم مَن سَمِعنى أننى له مُطيق أحبُّ إلىّ من تكلّفى ما أتخوّف و يُتخوّف منى ؛ وقد أوفَدنا إليك ملكُنا النُّعمان ، وهو لك من خَير الأعوان ، ونِعْم حاملُ المعروف والإحسان . أنفسنا بالطاعة لك باخِعة (٣) ، ورقابُنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رَهينة .

قال له كسرى : نطقتَ بعقل ، وسَموت بفَضْل ، وعَلَوت بنُبْل .

ثم قام عَلْقمة بن عُلاثة العامرىّ فقال : أَنْهجتْ (٤) لك سُبُلُ الرَّشاد ، وخَضعت لك رقاب العباد ؛ إن للأقاويل مَناهج ، وللآراء مَوالج (٥) ، وللعَويص مَخارج ؛

---

(١) فى الأصول : « حاجة » . هو تحريف . والجابة : الإجابة .
(٢) أنكى : أشد نكاية وقهرا . والوعث : المكان السهل الدهث تغيب فيه الأقدام ، وهو أيضا : الطريق العسر .
(٣) باخعة : خاضعة ومقرة .
(٤) أنهجت : وضحت .
(٥) موالج : مداخل .

وخَيْرُ القَوْلِ أصدقه ، وأفضل الطّلب أنجحُه ؛ إنّا وإن كانت المحبّة أحضرتنا ، والوِفادة قرّبتنا ، فليس مَن حَضَرك منّا بأفضلَ ممن عَزَب عنك ، بل لو قِسْتَ كلَّ رجل منهم ، وعلمتَ منهم ما علِمنا ، لوجدتَ له فى آبائه دُنْيا أنداداً وأكفاء ، كلّهم إلى الفضل مَنْسوب ، وبالشرف والسُّودَد مَوْصوف ، وبالرأى ١٢٩/١ الفاضل والأدبِ النافذ معروف ؛ يَحمى حِماه ، ويُرْوِى نَداماه[١] ، ويَذُود أعداه ؛ لا تَخْمَد نارُه ، ولا يَحترز منه جارُه . أيها المَلك ، من يَبْلُ العربَ يَعْرِفْ فضلَهم فاصطنع العرب فإنها الجبال الرواسى عِزّا ، والبحورُ الزواخر طُمِيّا[٢] ، والنجومُ الزواهر شرَفا ، والحَصَى عَدَدا ؛ فإن تَعْرف لهم فضلَهم يُعزّوك ، وإن تَسْتصرخهم لا يَخْذُلوك .

قال كسرى — وخشى أن يأتى منه كلامٌ يَحمله على السّخط عليه — : حَسْبك ، أبلغتَ وأحسنتَ .

ثم قام قيس بن مَسْعود الشّيبانىّ فقال : أطاب الله بك المَراشد ، وجَنَّبك المصائب ، ووقاك مكْروه الشّصائب[٣] ، ما أحقّنا إذ أتيناك بإسماعك ، ما لا يُحْنِق صَدْرَك ، ولا يَزْرَع لنا حقداً فى قلبك . لم نَقْدَم أيها الملك لمُساماة ، ولم نَنْتسب لِمُعاداة ، ولكنْ لتعلم أنت ورعيّتك ومَنْ حضَرك مِن وفود الأمم أنا فى المَنْطق غيرُ محجِمين ، وفى البأس غير مُقصِّرين ، إن جُورِينا فغيرُ مَسْبوقين ، وإن سُومينا فغيرُ مَغْلوبين .

---

(١) نداماه : ندماؤه ؛ الواحد : ندمان .

(٢) طمى البحر طميا : امتلأ وعلا .

(٣) الشصائب : الشدائد ؛ الواحدة شصيبة .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غَيرُ وافِين . وهو يُعرِّض به فى تركه الوَفاء بضمانه السَّواد[١] .

قال قيس : أيها الملك ، ما كنتُ فى ذلك إلاَّ كوافٍ غُدِر به ، أو كخافر[٢] أُخْفِر بذمّته .

قال كسرى : ما يكون لضعيف ضَمان ، ولا لذليل خِفَارة .

قال قيس : أيها الملك ، ما أنا فيما خُفِر من ذِمَّتى ، أحقُّ بإلزامى العارَ منك فيما قُتل من رعيّتك ، وانتهك من حُرْمتك .

قال كسرى : ذلك لأن من ائتمن الخانة[٣] واستنجد الأثمة ناله من الخطأ ما نالنى ، وليس كلّ الناس سواء ؛ كيف رأيت حاجب بن زُرارة ، لم يُحْكِم قواه فيُبْرِم ، ويَعهد فيُوفى ، ويَعِد فيُنجز ؟

قال : وما أحقّه بذلك وما رأيته إلاّ لِى .

قال كسرى : القوم بُزُل[٤] ، فأفضلها أشدّها .

ثم قام عامر بن الطُّفيل العامرىّ فقال : كَثُر فُنون المنطق ، ولبْس القول أعْمَى من حِنْدِس الظَّلْماء[٥] ؛ وإنما الفَخْر فى الفَعَال ، والعِزّ[٦] فى النَّجدة ، والسُّودَد مُطاوَعة القُدرة ، وما أعلمك بِقَدْرنا ، وأبصرك بفضلنا ، وبالحَرَى ، إن أدالت

(١) أى سواد العراق .

(٢) الخافر : المجير .

(٣) الخانة : جمع خائن .

(٤) البزل : جمع بازل ، وهو الجمل المسن .

(٥) حندس الظلماء : ظلمتها .

(٦) فى الأصول : « والعجز » . وهو تحريف .

الأيام وثابت الأحلام ، أن تُحْدِث لنا أموراً لها أعلام[1] .

قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مُجتمع الأحياء من ربيعة ومُضَر ، على أمرٍ يُذكر .

قال كسرى : وما الأمر الذى يُذكر ؟ قال : مالى عِلْم بأكثر ممّا خبّرنى به مُخبّر .

قال كسرى : متى تكاهنتَ يا بن الطُّفيل ؟ قال : لستُ بكاهن ، ولكنى بالرُّمح طاعن . قال كسرى : فإن أتاك آتٍ من جهة عَيْنك العوراء ما أنت صانع ؟ قال ما هَيْبتى فى قفَاى بدون هَيْبتى فى وَجْهى ، وما أذْهَبَ عينى عَيْث[2] ، ولكن مُطاوعة العَبث .

ثم قام عمرو بن معديكرب الزُّبيدىّ فقال : إنما المرء بأصغرَيه : قلبِه ولسانه ؛ فَبلاغ المَنْطق الصَّواب ، ومِلاك النُّجعة الارتياد[3] ، وعَفْو الرأى خَيْر من استكراه الفِكْرة ، وتوَقُّف الخِبْرة خَيْر من اعتساف الخِبْرة ؛ فاجْتَبِذ[4] طاعتنا بلَفْظك ، واكتَظِم بادِرَتنا بحِلْمك ، وأَلِنْ لنا كنفك يَسْلُسْ لك قيادُنا ، فإنا أُناس لم يُوَقِّس[5] صَفاتَنا قِراعُ مَناقير من أراد لنا قَضْمًا ، ولكن منَعْنا حِمَانا من كل مَن رامَ لنا هَضْمًا .

ثم قام الحارث بن ظالم المُرّى فقال : إنّ مِن آفة المَنْطِق الكذب ، ومِن

---

(١) أى مشهورة .
(٢) العيث : الإفساد .
(٣) النجعة : طلب الكلأ .
(٤) اجتبذ : اجتذب .
(٥) لم يوقس : أى لم يخدش .

لُؤم الأخلاق المَلَق ، ومن خطَل الرأى خِفّة المَلِك المُسلَّط ؛ فإنْ أعلمناك أنّ مُواجَهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادَنا لك عن تَصاف ؛ فما أنت لقبُول ذلك منّا بخَليق ، ولا للاعتماد عليه بحَقيق ؛ ولكن الوفاء بالعهُود ، و إحكام ولْث العُقود ؛ والأمر بيننا و بينك مُعتدل ، ما لم يأت من قِبَلك مَيْل أو زَلَل .

قال كسرى : مَن أنت ؟ قال : الحارث بن ظالم ؛ قال : إن فى أسماء آبائك

١٣٠/١ لدليلاً على قِلّة وفائك ، وأن تكون أولى بالغَدر ، وأقربَ من الوِزْر .

قال الحارث : إنّ فى الحق مَغْضبة ، والسَّرْو(١) التغافل ، ولن يَستوجب أحدٌ الحلم إلاّ مع القدرة ، فلتُشْبه أفعالُك مجلسك .

قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسرى : قد فهمتُ ما نَطقتْ به خطباؤكم ، وتفنَّن فيه مُتكلّموكم ، ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يُثقِّف فيه أَوَدَكم ، ولم يُحْكِم أمركم ، وأنه ليس لكم مَلك يَجمعكم فتنطقون عنده مَنطق الرعيّة الخاضِعة الباخِعة ، فنطَقتم بما استولَى على ألسنتكم ، وغَلب على طِباعكم ، لم أُجِزْ لكم كثيراً مما تكلَّمتم به ؛ وإنى لأكره أن أجبَّه وُفودى أو أُحْنِق صُدورهم ، والذى أُحِبّ هو إصلاح مُدَاركم ، وتألّف شواذّكم ، والإعذار إلى الله فيما بينى و بينكم ، وقد قبلت ما كان فى منطقكم من صواب ، وصَفَحت عما كان فيه من خَلل ، فانصرفوا إلى مَلِككم فأحسِنوا مُوازرته ، والتزموا طاعته ، وارْدَعوا سُفهاءكم ، وأقيموا أَوَدهم ، وأحسِنوا أدبهم ، فإنّ فى ذلك صلاحَ العامة .

---

(١) السرو : المروءة فى شرف .

وفود حاجب بن زرارة على كسرى

العُتْبى عن أبيه :

إن حاجب بن زُرارة وفَد على كِسرَى لما مَنع تَميماً من رِيف العراق ، فاستأذن عليه ، فأوْصَل إليه : أسيّدُ العرب أنت ؟ قال : لا ؛ قال : فسيّد مُضَر ؛ قال : لا ؛ قال : فسيّد بَنى أبيك أنت ؟ قال : لا . ثم أذن له ، فلما دخل عليه ، قال له : من أنت ؟ قال : سيّد العرب ؛ قال : أليس قد أوصلتُ إليك ، أسيّد العرب ؟ فقلت لا ، حتى اقتصرتُ بك على بنى أبيك فقلتَ لا ؟ قال له : أيها الملك ، لم أكُن كذلك حتى دخلتُ عليك ، فلمّا دخلتُ عليك صِرْتُ سيّد العرب ؛ قال كسرى : آه ، املئوا فاه دُرّا . ثم قال : إنكم معشر العَرب غُدُر ، فإن أذِنتُ لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، وآذيتُمونى . قال حاجب : فإنى ضامن للملك أن لا يَفعلوا ؛ قال : فمن لى بأن تَفِيَ أنت ؟ قال : أرْهنك قَوْسى . فلما جاء بها ضَحِكَ مَنْ حوله وقالوا : لهذه العصا يَفِى ! قال كسرى : ما كان ليسلمها لشىء أبداً ، فقبضها منه ، وأذِن لهم أن يدخلوا الرِّيف .

ومات حاجب بن زُرارة ، فارتحل عُطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوسَ أبيه ؛ فقال له : ما أنت الذى رهنتَها ؟ قال : أجل ؛ قال : فما فعل ؟ قال : هلك ، وهو أبِي ، وقد وَفَى له قومُه ووَفَى هو الملك . فردّها عليه وكساه حُلّةً .

فلما وَفد إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو رئيس تميم ؛ وأسلم على يديه ، أهداها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلم يَقبلها . فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم .

وفود مضر على النبى صلى الله عليه وسلم

ثم إنّ مُضَر أتت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، هلك

قومُك وأكلتهم الضَّبُع ، يريدون الجوع — والعرب يُسمّون السنة الضَّبُع والذِّئب . قال جرير :

من ساقه السَّنة الحَصّاء والذِّيبُ[1] —

فدعا لهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأُحيوا ؛ وقد كان دعا عليهم ، فقال : اللهم اشدُد وطأتك على مُضر ، وابعث عليهم سنين كسِنى يوسف .

وفود أبى سفيان إلى كسرى

الأصمعىّ قال : حدّثنا عبدُ الله بن دِينار عن عبد الله بن بَكر المُزنى قال : [قال][2] أبو سفيان :

أهديتُ لكِسرى خَيلاً وأَدَما ، فقَبِل الخيلَ وردَّ الأدم ، وأُدخلت عليه ، فكان وجهُه وجهين من عِظَمه ، فألقى إلىّ مِخدّة كانت عنده ، فقلت : واجوعاه! أهذه حظّى من كسرى بنِ هُرمز ؟ قال : فخرجتُ من عنده ، فما أمُرّ على أحد من حَشمه إلا أعطيها ، حتى دُفِعتْ إلى خازن له ، فأخذها وأعطانى ثمانمائة إناء من فِضّة وذهب .

قال الأصمعى : فحدّثت بهذا الحديث النَّوْشَجان[3] الفارسىّ ، فقال :

(١) كذا فى ديوان جرير واللسان (مادة حص) . وهذا عجز بيت ، وصدره :
يأوى إليكم بلا منّ ولا جحد
والسنة الحصاء : الجرداء التى لا خير فيها . قال ابن منظور : « كأنه أراد أن يقول : والضبع ، وهى السنة المجدبة ، فوضع الذئب موضعه لأجل القافية » . والذى فى الأصول : * من ساقت السنة الشهباء والذيب * وفيه تحريف ظاهر .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) فى بعض الأصول : « أبا البورستان » .

كانت وظيفة المِخدَّة ألفاً إلاّ أنّ الخازن اقتطع منها مائتين .

١٣١/١ وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر

قال : وَفَدَ حسّان بن ثابت على النعمان بن المُنذر قال : فلَقيت رجلاً ببَعْض الطريق ، فقال لى : أين تُريد ؟ قلت : هذا الملك ؛ قال : فإنك إذا جئْتَه مَتروك شهراً ثم تُترك شهراً آخر ، ثم عسى أن يأذن لك ، فإن أنت خلوْتَ به وأعجبته فأنت مُصيب منه خيراً ، وإن رأيت أبا أُمامة النابغة فاظْعَن ، فإنه لا شىء لك . قال : فقَدِمْت عليه ففعل بى ما قال : ثم خلوتُ به وأصبتُ مالا كثيراً ونادمتُه . فبينما أنا معه إذا رجل يرتجز حول القُبّة ويقول :

أنامَ أم يَسْمع رَبُّ القُبَّه(١) ... يا أوْهب الناس لعُنْس(٢) صُلْبَهْ

ضَرّابةٍ بالمِشْفر(٣) الأَذِبّه ... ذات نَجَاء فى يدَيها جَذْبه(٤)

فقال النعمان : أبو أُمامة ! ائذنوا له . فدخل فحيّاه وشَرِب معه ، ووَرَدَت النَّعم السُّود ؛ ولم يكن لأحد من العرَب بعيرٌ أسوَدُ غيره ، ولا يَفتحل أحدٌ فحلاً أسوَد . فاستأذنه النابغة فى الإنشاد فأذِن له ، فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

فإنّكَ شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

فأمر له بمائة ناقة من الإبل السُّود برعاتها . فما حسدتُ أحداً قطُّ حسدى له فى شِعره وجَزيل عطائه .

---

(١) كذا فى الشعر والشعراء . والذى فى الأصول : « تنام أم تسمع » .

(٢) العنس (بالضم) . جمع عنس (بالفتح) ، وهى الناقة القوية شبهت بالصخرة لصلابتها .

(٣) المشفر : من البعير بمنزلة الشفة للإنسان . والأذبة : الذبان .

(٤) كذا فى الشعر والشعراء . والنجاء : السرعة فى السير . والذى فى الأصول : « ذات عباب فى يديها خلبة » والخلبة : الحلقة أو الحبل من ليف .

وفود قريش على سيف بن ذى يزن بعد قتله الحبشة

نُعيم بن حَمّاد[1] قال : أخبرنا عبدُ الله بن المُبارك عن سفيان الثَّورى قال قال ابن عبّاس :

لما ظَفِر سيف بن ذى يَزَن بالحبشة ، وذلك بعدَ مولد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أتَتْه وفودُ العرب وأشرافُها وشعراؤها تُهنّئه وتمدحه وتذكر ما كان من بَلائه وطَلَبه بثأر قومه . فأتاه وفدُ قريش ، فيهم : عبدُ المطلب بن هاشم ، وأُميّة ابن عبد شمس ، وأسَد بن عبد العُزّى ، وعبدُ الله بن جُدْعان ، فقدِمُوا عليه وهو فى قصر له يُقال غُمدان — وله يقول أبو الصّلْت ، والد أُميّة بن أبى الصلت[2] :

لِيَطْلُب[3] الثأر ، أمثالُ ابن ذى يَزَنٍ لَجَّج[4] فى البَحْر للأعداء أحوالاَ
أتى هِرَقْل وقد شالت نَعامته[5] فلم يجد عِنده القولَ الذى قالاَ
ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعةٍ من السّنين لقد أبعدتَ إيغالاَ
حتى أتى بِبَنى الأحرار يَقْدُمهم إنك عَمْرِى لقد أسرعتَ إرقالاَ[6]

---

(١) فى بعض الأصول : « عماد » وفى بعضها الآخر : « عباد » وهو تحريف . (انظر تهذيب التهذيب) .

(٢) قال ابن هشام : « وتروى لأمية بن أبى الصلت » . انظر السيرة لابن هشام ج ١ س ٦٧ طبعة الحلبى) .

(٣) كذا فى السيرة لابن هشام والأغانى (ج ١٦ س ٦٤) ومعجم البلدان عند الكلام على غمدان والطبرى (ق ٣ س ٩٥٦ طبعة أوربة) والشعر والشعراء فى ترجمة أمية . والذى فى الأصول : لم « يدرك » . وهى رواية فاسدة . وبين رواية القصيدة هنا وروايتها فى هذه المراجع خلاف فى بعض الألفاظ فارجع إليها .

(٤) لجج : خاض اللجة . ويروى : « ريم » ، أى أقام .

(٥) شالت نعامته : غضب وأخذته العزة .

(٦) بنو الأحرار : الفرس . والإرقال : الإسراع .

مَن مِثْلُ كِسْرَى وبَهْرَام[(١)] الجُنود له ... ومِثل وَهْرز يوم الجَيْش إذ جالاَ
لله دَرُّهُم من عُصْبةٍ خَرجوا ... ما إنْ رأينا لهم فى الناس أمثالاَ
صِيداً جَحاجحةً بِيضاً خَضارِمةً ... أُسْداً تُرَبِّب[(٢)] فى الغابات أشبالا
أرسلت أُسْداً على سُودِ الكلاب فقد ... غادرت أَوْجُهَهم فى الأرض أَفلالا[(٣)]
اشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتفِقاً ... فى رَأس غُمدان دَارًا منك مِحْلالا[(٤)]
ثم اُطلِ بالمِسْك إذ شالت نعامتُهُم ... وأَسبِل اليومَ فى بُرْدَيك إسبالا[(٥)]
تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ ... شِيبَا[(٦)] بماء فعادَا بعدُ أبوالا

فطلبوا الإذن عليه ، فأذِن لهم ، فدخلوا فوجدوه مُتضمِّخاً ، بالعَنْبر يلمع وَبِيصُ[(٧)] المِسْك فى مَفْرِق رأسه ، وعليه بُردان أخضران ، قد ائتزر[(٨)] بأحدهما وارتدى بالآخر ، وسيفُه بين يديه ، والملوك عن يمينه وشماله ، وأبناء الملوك والمَقاوِل[(٩)]. فدنا عبدُ المطَّلب فاستأذنه فى الكلام ؛ فقال له : قُل ؛ فقال ؛ إنّ الله تعالى أيُّها ١٣٢/١

(١) فى الطبرى : « مهران » .
(٢) صيدا : ملوكا . وجحاجحة وخضارمة : أى سادة . وتربب : من التربيب ، وهو التربية .
(٣) أفلال منهزمون ؛ الواحد : فل .
(٤) مرتفق . ثابت دائم . وغمدان قصر لليمن معروف ، بناه يشرح بن يحصب ؛ قالوا : أو سليمان بن داود عليهما السلام . وقد هدم فى عهد عثمان رضى الله عنه (انظر معجم البلدان) . ومحلال : تحل كثيرا .
(٥) شالت نعامتهم تفرقوا وهلكوا . والنعامة باطن القدم . وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه فظهرت نعامة قدمه . والعرب تقول : تنعمت ، إذا مشيت حافيا . والإسبال : إرخاء الثوب . ويريد به الخيلاء والإعجاب
(٦) القعبان : مثنى قعب ؛ والقعب : قدح يحلب فيه . وشيبا : مزجا .
(٧) وبيص المسك : بريقه . وفى بعض الأصول : « وبيض » وهو تصحيف .
(٨) فى الأصول : « اتزر » قال صاحب القاموس : « وائتزر به وتأزر به ، ولا تقل اتزر . وقد جاء فى بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة » .
(٩) المقاول : جمع مقول (كمنبر) . وهو دون الملك الأعلى .

الملك أحلّك محلاً رفيعاً ، صَعْباً مَنيعاً ، باذخاً شامخاً ، وأنبتك مَنْبِتاً طابت أرُومته ، وعزّت جُرثومته ، ونَبُلَ أصله ، وبَسق فَرْعه ، فى أكرم مَعدن ، وأطيب موطن ، فأنت — أبيتَ اللعن — رأسُ العرب ، وربيعُها الذى به تُخْصِب ، وملكها الذى له تنْقاد ، وعَمُودها الذى عليه العِمَاد ، ومَعْقِلها الذى إليه يلجأ العِباد ؛ سلفك خير سَلف ، وأنت لنا بعدهم خير خَلف ؛ ولن يَهْلِكَ من أنت خَلَفه ، ولن يَخْمُل من أنت سَلَفه . نحن أيها الملك أهل حَرَم الله وذمّته وسَدَنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أنهجك لكَشْفك[(١)]، الكَرْب الذى فدَحنا ، فنحن وَفْد التهنئة [لا وُفود المَرْزِئة[(٢)]] . قال : مَن أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبدُ المطّلب بن هاشم ؛ قال : ابنُ أختنا ؟ قال : نعم . فأدناه وقرّبه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال : مَرْحباً وأهلا ، وناقة ورَحْلا ، ومُستناخاً سَهْلا ، ومَلِكاً رِبَحْلا[(٣)] ، يُعطى عطاء جَزْلا ؛ فذهبت مثلا . وكان أوّلَ ما تكلّم به : قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قَرابتكم ، وقَبِل وسيلتكم ، فأهل الشرف والنباهة[(٤)] أنتم ، ولكم القُرْبى ما أقمتم ، والحِباء إذا ظعنتم . قال : ثم استُنهضوا إلى دار الضِّيافة والوُفود ، وأُجْرِيت عليهم الأنزال ، فأقاموا ببابه شهراً لا يَصِلون إليه ، ولا يأذن لهم فى الانصراف . ثم انتبه إليهم انتباهةً ، فدعا بعبد المطّلب من بينهم ، فخلا به وأدنى مجلسه ، وقال : يا عبدَ المطلب ، إنى مُفوِّض إليك من [سِرِّ[(٢)]] علمى

(١) فى الأغانى : أبهجك لكشف » . وهو تصحيف .

(٢) التكملة عن الأغانى .

(٣) الربحل : العظيم .

(٤) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « الليل والنهار » مكان « الشرف والنباهة » . ولعل قوله « الليل والنهار » محرف عن « النبل والنباهة » .

أمراً لو غيرك كان لم أبُح له به ، ولكنى رأيتك مَوْضِعه(١) فأطلعتُك عليه ، فليكن مَصُوناً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغُ أمره : إنى أجِد فى العِلْم المخزون ، والكتاب المكنون ؛ الذى ادّخرناه لأنفسنا ، واحتجبناه دون غيرنا ؛ خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ؛ فيه شرفُ الحياة ، وفضيلة الوَفاة ؛ للناس كافة ، ولرهطك عامّة ، ولنفسك خاصّة .

قال عبد المطلب : مِثْلُك يا أيها الملك [مَن(٢)] بَرّ وسَرّ وبَشّر ، ما هو ؟ فِداك أهل الوَبَر ، زُمراً بعد زُمر .

قال ابنُ ذى يزن . إذا وُلد مولود بِتِهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أبيتَ اللعن . لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ به أحد ، فلولا إجلالُ المَلِك لسألتُه أن يَزيدنى فى البِشارة ما أزداد(٣) به سروراً .

قال ابن ذى يزن : هذا حِينُه الذى يُولد فيه أو قد وُلد ، يموت أبوه وأمّه ، ويكْفُله جدّه وعمّه ؛ قد وَلَدْناه(٤) مراراً ، والله باعثه جهاراً ، وجاعلٌ له مِنّا أنصاراً ؛ يُعِزّ بهم أولياءه ، ويُذِلّ بهم أعداءه ، ويَفتتح كرائم الأرض ، ويَضْرب بهمُ الناس عن عُرض ؛ يُخْمِد الأديان ، [ويَدْحر الشيطان](٥) ، ويَكْسِر

(١) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « معدنه » .
(٢) هذه الكلمة عن الأغانى .
(٣) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول « لسألته مما ساره إلى ما أزداد ... الخ » .
(٤) فى الأصول : « وجدناه » . والتصويب عن الأغانى . يريد أنه انتقل بين ظهور الآباء من ظهر إلى ظهر .
(٥) هذه العبارة عن الأغانى .

الأوثان ، ويَعْبُدُ الرحمن ؛ قولُه حُكم وفَصْل ، وأمرُه حَزم وعَدْل ؛ يأمر بالمعروف ويَفعله ، وينهَى عن المنكر ويُبْطله .

فقال عبدُ المطلب : طال عُمرك ، ودام مُلكك ، وعلا جَدُّك ، وعَزّ فخرك ؛ فهل المَلِك يسُرّنى بأن يُوضِح فيه بعضَ الإيضاح ؟

فقال ابن ذى يزن : والبيتِ ذى الطُّنب(1) ، والعَلامات والنُّصب ، إنك يا عبدَ المطلب ، لجدُّه من غير كَذِب . فخرّ عبدُ المطلب ساجداً .

قال ابن ذى يزن : ارفع رَأْسَك ، ثَلِج صدرُك ، وعلا أمرك ، فهل أحسَسْت شيئاً مما ذكرتُ لك ؟

قال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لى ابنٌ كنتُ له محبًّا وعليه حَدِباً مُشْفقاً ، فزوّجته كريمةً من كرائم قومه ، يقال لها آمنةُ بنت وَهْب بن عبد مناف ، فجاءت بغلام بين كتِفَيه شامة ، فيه كلُّ ما ذكرتَ من علامة ؛ مات أبوه وأمه ، وكَفَلتُهُ أنا وعمّه .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلتُ لك كما قلت ، فاحفظ ابنك ، واحذر
١٣٣/١ عليه اليَهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل اللهُ لهم عليه سبيلاً ؛ اُطْوِ ما ذكرتُ لك ، دون هؤلاء الرّهط الذين معك ، فإنى لست آمن أن تدْخلهم النَّفاسة ، من أن تكون لكم(2) الرّياسة ؛ فَيبغون له الغوائل ، ويَنْصبون له(2) الحبائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم . ولولا أنّى أعلم أنّ الموت مُجتاحِى قبلَ مَبْعثه لسِرت بخَيْلى ورَجْلى

(1) كذا فى بعض الأصول . والذى فى الأغانى : « ذى الحجب » . والذى فى سائر الأصول : « ذى الطلب » . وهذا الأخير تحريف .

(2) فى الأصول : « لك » فى الموضعين . وما أثبتناه عن الأغانى .

حتى أصير بيثرب دار مهاجره . فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن يثرب دار هجرته ، وبيت نصرته ، ولولا أني أوقى[1] عليه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنه [أمره[2]] ، وأوطأت أقدام العرب عقبه ؛ ولكني صارف ذلك [إليك[2]] عن [غير[2]] تقصير مني بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد ، وعشر إماء سود ، وخمسة أرطال فضة ، وحلتين من حلل اليمن ، وكرش مملوءة عنبراً . وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك ، وقال : إذا حال الحول فأنبئني بما يكون من أمره .

فما حال الحول حتى مات ابن ذي يزن ، فكان عبد المطلب بن هاشم يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاد ، ولكن يغبطني بما يبقى لي ذكره وفخره لعقبي ؛ فإذا قالوا له : وما ذاك ؟ قال سيظهر بعد حين .

وفود عبد المسيح على سطيح

جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس قال :

لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى ، فسقطت منه أربع عشرة شرفة ؛ فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أوشك أن

(١) في الأصول : « أقيه » مكان قوله « أوقى عليه » . وما أثبتناه عن الأغاني .

(٢) التكملة عن الأغاني .

كتب إليه صاحبُ اليمن يُخبره أنّ بُحَيْرَة[1] ساوةَ غاضتْ تلك الليلةَ ؛ وكتب إليه صاحبُ السَّماوَةِ[2] يُخبره أن وادى السماوة انقطع تلك الليلةَ ؛ وكتب إليه صاحبُ طَبَرِيَّةَ أنَّ الماء لم يَجْرِ تلك الليلةَ فى بُحيرة طَبَرية ؛ وكتب إليه صاحبُ فارس يُخبره أنّ بيوت النيران خَمَدت تلك الليلةَ ولم تَخْمُدْ قبل ذلك بألف سنة . فلما تواترت الكتبُ أبرز سريرَه وظهر لأهل مَمْلكته ، فأخبرهم الخبر ؛ فقال المُوبَذان[3] : أيها الملك ، إنى رأيت تلك الليلةَ رُؤْيا هالتنى ؛ قال له : وما رأيتَ ؟ قال: رأيتُ إبلاً صِعاباً ، تقود خيلا عِراباً ، قد اقتحمت دِجْلَةَ وانتشرت فى بلادنا ؛ قال : رأيتَ عظيما ، فما عندك فى تأويلها ؟ قال : ما عِندى فيها ولا فى تأويلها شىء ، ولكن أرْسِل إلى عاملك بالحِيرة ، يُوَجِّه إليك رجلا من عُلمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحِدْثان ، فَبَعثَ[4] إليه عبدَ المسيح بن نُفَيلة الغَسّانى ، فلما قَدِم عليه ، أخبره كِسرى الخبر ؛ فقال له : أيها الملك ، والله ما عندى فيها ولا فى تأويلها شىء ، ولكن جَهِّزْنى إلى خالٍ لى بالشام ، يقال له سَطِيح ؛ قال : جَهِّزُوه ، فلما قَدِم على سَطِيح وَجَدَه قد احتُضِر ، فناداه فلم يُجبه ، وكلَّمه فلم يَرُدَّ عليه ، فقال عبدُ المسيح :

أصمّ أم يَسمع غِطْريفُ اليمنْ ‏ ‏ ‏ يا فاصلَ الخُطَّة أعيتْ مَنْ ومَنْ
أتاك شيخُ الحىّ من آل سَنَن ‏ ‏ ‏ أبيضُ فَضْفاضُ الرِّداء والبَدَن

(١) فى السيرة الحلبية (ج ١ س ٨٠ : « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالشام) يخبره أن بحيرة شاوة غاضت تلك الليلة » .

(٢) السماوة : بين الكوفة والشام .

(٣) الموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) فبعث ، أى عامل الحيرة .

رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يَهْوِى للوَثَن   لا يَرهب الوَعْد ولا رَيْب الزَّمَنْ (١)

فرفع إليه رأسه ، وقال : عبدُ المسيح ، على جمل مُشيح ، إلى سَطيح ، وقد أوْفى على الضَّريح ؛ بعثك ملكُ بنى ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورُؤْيا المُوبَذَان ؛ رأى إبلاً صِعابا ، تقود خَيْلاً عِرابا ؛ قد اقتحمتْ فى الوَاد ، وانتشرَت فى البلاد . يا عبد المسيح ، إذا ظهرت التِّلاوة ، وفاض وادى السَّماوة ، [وغاصت بُحيرة ساوة] (٢) ، وظهر صاحب الهِرَاوة (٣) ، [وخمدت نار فارس] (٢) ؛ فليست [بابل للفرس مقاما ، ولا] الشام لسَطيح شاما ، يَملك منهم مُلوك ومَلِكات (٤) ، عَدَد سُقوط الشُّرفات ، وكل ما هو آت آت . ثم قال :

إنْ كان مُلْك بَنِى ساسانَ أفرطَهم   فإنّ ذا الدَّهرَ أطوارٌ دَهاريرُ (٥) ١٣٤/١
منهم بنوا الصَّرح بَهْرام و إخوتُه   والهُرْمُزانُ وسابورٌ وسابور
فرُبَّما أصْبَحوا منهم بِمَنْزِلة   يَهاب صَوْلَهم الأُسْدُ المَهاصير (٦)
حَثُّوا المطِىَّ وجدُّوا فى رِحالهمُ   فما يَقوم لهم سَرْحٌ ولا كُور (٧)

(١) روى هذا الشعر فى لسان العرب (مادة سطح) مع زيادة كثيرة على أبياته .
(٢) الزيادة عن السيرة الحلبية والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء (ج ١ س ١١٠) .
(٣) الهراوة : العصا الضخمة . وصاحبها النبى صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه .
(٤) قال صاحب السيرة الحلبية : « لم أقف على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة ، وهى بوران ، ملكت سنة ثم هلكت » .
(٥) أفرطهم : تركهم . ودهارير : شديدة . وقد روى هذا الشعر فى لسان العرب (مادة سطح) مع زيادة فى أبياته وخلاف فى ألفاظه لعبد المسيح لا لسطيح .
(٦) كذا فى السيرة الحلبية والمختصر ولسان العرب . والمهاصير : جمع مهصار أو مهصير ، وهو الأسد ، مأخوذ من الهصر ، وهو الكسر والجذب والإمالة . والذى فى الأصول : « يهاب موتهم الأسد الأهاصير »
(٧) الكور : الرحل بأداته .

والناسُ أولادُ عَلَّاتٍ(١) فمن عَلِموا   أن قد أقلَّ فمَحْقُور ومَهْجورُ
والخير والشَّر مَقْرونان فى قَرَن   فالخيرُ مُتَّبع والشرُّ مَحْذور

ثم أتى كسرى فأخبره، ففهّمه ذلك. ثم تعزّى فقال: إلى من يَملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان. فهَلكوا كلُّهم فى أربعين سنة.

وفود همدان على النبي صلى الله عليه وسلم

قَدِم مالك بن نَمَط فى وَفْد هَمْدان على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلقوه مُقْبلا مِن تَبُوك، فقال مالك بن نَمَط: يا رسول الله، نَصِيّة(٢) من هَمْدان، من كل حاضر وباد، أتوْك على قُلُص نَوَاج(٣)، مُتّصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم فى الله لَوْمة لائم، [من](٤) مِخْلاف(٥) خارف ويام [وشاكر]. عَهْدُهم لا يُنْقض. عن سُنَّة(٦) ماحِل ولا سوداء عَنْقَفِير(٧)، ما أقام لَعْلع، وما جرَى اليَعْفور بصُلَّع(٨).

(١) أولاد علات: أولاد أمهات شى من رجل واحد.
(٢) كذا فى السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٢٤٤ طبعة الحلبى) وشرح المواهب اللدنية (ج ٤ ص ١٦٩). والنصية: خيار القوم: والذى فى الأصول: «تحية». وهو تحريف.
(٣) القلص، الإبل: الفتية. ونواج: مسرعة.
(٤) التكملة عن السيرة وشرح المواهب.
(٥) المخلاف: الناحية، وهو لليمن كالرستاق لغيرهم. وخارف ويام وشاكر: قبائل من اليمن.
(٦) كذا فى شرح المواهب. والسنة: الطريقة. والماحل: الساعى بالنميمة والإفساد؛ ويروى: «عن شية ماحل» أى عن وشاية ماحل. والذى فى الأصول: سبب ماحل». وفى الكلمة الأولى تصحيف ظاهر.
(٧) العنقفير: الداهية؛ أى لا ينقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل بهم.
(٨) لعلع: جبل كانت به وقعة. واليعفور: ولد الظبية. وصلع: الأرض لا نبات فيها.

فكتب إليهم النبىّ صلّى الله عليه وسلم : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مِخلاف خارف ، وأهل جِناب الهَضْب ، وحِقاف[1] الرّمل ، مع وافدها[2] ذى المِشعار[3] ، مالك بن نمَط ، ومن أسلم من قومه أنّ لهم فِراعها ووِهاطها وعَزازها[4] ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون عِلافها ، ويرعون عَفاها[5] ، لنا من دِفئهم وصِرامهم[6] ما سلّموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصّدقة الثِّلْب والناب والفَصِيل والفارض [الداجن] والكبش الحَوَرِىّ[7] ، وعليهم الصالغ والقارح .

(١) كذا فى شرح المواهب . وحفاف الرمل وجناب الهضب وخارف : أسماء بلادهم . والذى فى الأصول : « حقاف » بالقاف ، وهو تصحيف .

(٢) فى الأصول : « وافرها » . والتصويب عن السيرة وشرح المواهب .

(٣) كذا فى شرح المواهب المدنية . والذى فى السيرة : « ذى المشفار » . قال الزرقانى عند الكلام على مالك بن نمط : « ولقبه ذو المشغار ، بميم مكسورة فشين فغين معجمتين أو مهملتين » . ثم قال فى موضع آخر : « المشعار ، بكسر الميم وإسكان الشين المعجمة وعين مهملة فألف فراء ، كما صححه الصغانى فى الذيل قائلا : لقب بذلك لأن المشعار موضع باليمن ينسب إليه ، وتبعه فى القاموس فذكره فى (شعر) ، بالمعجمة بعدها مهملة . وقال التلمسانى . إنه بشين معجمة ومهملة ، وغين معجمة ومهملة » . والذى فى ب : « المشار » والذى فى سائر الأصول : « المثار » وكلاهما محرف .

(٤) الفراع : ما علا من الجبال والأرض ؛ الواحد : فرعة (بالفتح) . والوهاط : المنخفض المطمئن منها : والعزاز : ما صلب من الأرض واشتد وخشن .

(٥) العلاف : جمع علف ، وهو ما تأكله الدواب . وعفاها — ويروى عفاءها — أى المباح الذى ليس لأحد فيه ملك ولا أثر ، من عفا الشىء يعفو ، إذا صفا وخلص .

(٦) من دفئهم ، أى من إبلهم وغنمهم ، سماها دفئا ، لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يستدفأ به . والصرام : النخل .

(٧) الثلب (بالكسر) : الجمل تكسرت أسنانه ؛ الأنثى : ثلبة . والناب : الناقة الهرمة التى طال نابها . والفارض : المسن من الإبل . قال الزرقانى : « لعله من البقر » . والفصيل : ما فصل عن أمه من أولاد النوق ؛ الأنثى : فصيلة . والداجن : التى تألف البيوت . وفى رواية : « والداجن » . وفسرها القلقشندى بأنها الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم . والكبش الحورى : منسوب إلى الحورة ، وهى ما دبغ من الجلود بغير القرظ . والصالغ من الشياه ، كالقارح من الخيل ، وهى التى دخلت فى الخامسة أو السادسة . (انظر النهاية لابن الأثير وشرح المواهب واللسان وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٧٥) .

وفود النخع على النبي صلى الله عليه وسلم

قدم أبو عمرو النَّخَعىّ[1] على النبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، إنى رأيتُ فى طريقى هذه رؤيا ، رأيت أتانا تركتُها فى الحىّ ولدَت جَدْيًا أسفعَ أحْوَى[2] ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : هل لك من أَمَة تركتَها مُصِرَّة[3] حَمْلاً ؟ قال : نعم ، تركت أَمَة لى أظنُّها قد حَملت ؛ قال : فقد ولدت غلاماً وهو ابنُك ؛ قال : فما له أسفع أحوى ؟ قال : ادْنُ مِنّى ؛ فدَنا منه . فقال : هل بك بَرَص تَكتُمه ؟ قال : نعم ، والذى بعثك بالحق [نبيًّا][4] ما رآه مخلوق ولا عَلِم به ؛ قال : فهو ذلك[5] . قال : ورأيتُ النُّعمان بن المُنْذر عليه قُرْطان ودُمْلجان ومَسَكتان[6] ؛ قال : ذلك مُلْك العَرب عاد إلى أفضل زيّه وبهجته . قال : ورأيتُ عجوزاً شَمْطاء تخرج من الأرض ؛ قال : تلك بقيّة الدنيا . قال : ورأيتُ ناراً خرجتْ من الأرض فحالت بينى وبين ابنٍ لى يُقال له عمرو ، ورأيتها تقول : لَظَى لظَى ، بصير وأعمى ، أطعمونى ، آ كلكم آ كلكم ، أهلككم وما لكم . فقال النبىّ

---

(١) فى الإصابة : «أبو عمر» . غير أنها اتفقت مع الأصول بعد فى أن ابنه اسمه «عمرو» . والذى فى شرح المواهب أن القادم هو زرارة بن عمرو .

(٢) اسفع : أسود مشرب حمرة . وأحوى : تأكيد لما قبله ، إذ الحوة (بالضم) : سواد إلى خضرة ، أو حمرة إلى سواد .

(٣) مصرة : اسم فاعل من أصر على الشىء ، إذا أقام عليه . والمراد أن حملها محقق ثابت .

(٤) هذه الكلمة عن شرح المواهب .

(٥) أى اللون الذى فى ولدك أثر ما فيك من البرص .

(٦) الدملج (بضم اللام وفتحها) : شىء يشبه السوار . والمسكة (بفتحتين) : السوار من ذبل أو عاج ، فإذا كانت من غير ذلك أضيفت إلى ما هى منه .

صلّى الله عليه وسلّم : تلك فِتنة فى آخر الزمان ؛ قال : وما الفِتْنة يا رسول الله ؟ قال : يَقْتل الناس إمامهم ثم يَشتجرون اشتجارَ أطباق الرأس (١) — وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه — يَحسب المُسِىء أنه مُحْسن ، ودَمُ المؤمن عند المؤمن أحلَى من شُرب الماء .

وفود كلب على النبى صلى الله عليه وسلم

قَدِم قَطن بن حارثة العُلَيْمىّ (٢) فى وَفْد كَلْب على النبى صلى الله عليه وسلم فذكر كلاماً (٣) ، فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً نُسخته :

هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر (٤) كَلْب وأحلافها ، ومَنْ ظَأَرَهُ (٥) الإسلام من غيرها ، مع قَطَن بن حارثة العُلَيمى ، بإقامة الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة لحقّها ، فى شدّة عَقْدها ، ووَفاء عَهْدها ؛ بمَحْضر شهود من المسلمين : سَعْد بن ١٣٥ عُبادة ، وعبد الله بن أُنَيْس ، ودِحْية بن خليفة الكَلْبى . عليهم فى الهَمولة (٦) الراعية

(١) أطباق الرأس : عظامها ، فإنها متطابقة مشتبكة كما تشتبك الأصابع . أراد التحام الحرب والاختلاط فى الفتنة .

(٢) ذكره ابن سعد باسم : حارثة بن قطن .

(٣) يريد مدح قطن للنبى صلى الله عليه وسلم بشعر منه :

رأيتك يا خير البرية كلها نبت نضارا فى الأرومة من كعب

(انظر شرح المواهب اللدنية ج ٤ ص ١٧٢) .

(٤) العمائر : جمع عمارة (بالفتح والكسر) ، وهى أصغر من القبيلة .

(٥) كذا فى شرح المواهب . وظأره : أى عطفه عليه . والذى فى الأصول : « صاده » .

(٦) الهمولة الراعية : التى أهملت ترعى بأنفسها .

البِسَاط الظؤَار (١)، فى كل خمسين ناقةً غيرُ ذاتِ عَوَار (٢)، والحَمُولة المائرة (٣) لهم لاغية؛ وفى الشَّوِىِّ الوَرِىِّ (٤) مُسِنَّة حامل أو حائل، وفيما سقى الجدول من العَيْن المَعِين (٥) العُشْرُ من ثمرها مما أخرجت أرضُها، وفى العِذْى (٦) شَطره بقيمة الأمين، فلا تُزاد عليهم وظيفة ولا يُفرَّق (٧)، يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله. وكتب ثابت بن قيس بن شمَّاس.

وفود ثقيف على النبى صلى الله عليه وسلم

وفدت ثقيف على النبىّ صلى الله عليه وسلم فكتب لهم كتاباً حين أسلموا: ان لهم ذِمّة الله، وان واديَهم حَرَام عِضَاهه (٨) وَصيْده وظُلْم فيه، وانّ ما كان لهم من

(١) قال ابن الأثير: «البساط، يروى بالفتح والكسر والضم. قال الأزهرى: هو بالكسر جمع بِسط (بالكسر)، وهى الناقة التى تركت وولدها لا يمنع منها ولا تعطف على غيره، وبِسط، بمعنى مبسوطة كالطِّحْن والقِطْف، أى بسطت على أولادها. وقال القتبى: هو بالضم، جمع بسط (بالكسر) أيضا، كظئر وظؤار، وكذلك قال الجوهرى. فأما بالفتح، فهو الأرض الواسعة. فإن صحت الرواية به فيكون المعنى: فى الهمولة التى ترعى الأرض الواسعة، وحينئذ تكون الطاء منصوبة على المفعول. والظؤار: جمع ظئر، وهى التى ترضع».

(٢) العوار: العيب.

(٣) الحمولة: الإبل. والمائرة، أى التى تحمل عليها الميرة، وهى الطعام ونحوه مما يجلب للبيع؛ وهذه لا يؤخذ منها زكاة لأنها عوامل.

(٤) الشوى: اسم جمع للشاة؛ وقيل: جمع لها. والورى: السمين. والحائل: غير الحامل. والذى فى الأصول: «.. الشورى ... حائل». والتصويب عن شرح المواهب والنهاية.

(٥) المعين: الظاهر الجارى على وجه الأرض بلا تعب.

(٦) العذى من الزرع والنخيل: ما لا يسق إلا بماء السماء. والذى فى شرح المواهب: «العثرى» بالفتح، وبالتحريك، وهو بمعناه.

(٧) أى لا يفرق الحق الواجب، كأن يدفع المالك أجزاء من شياه لا تنقص جملتها عن مقدار الواجب. (انظر شرح المواهب).

(٨) العضاه: شجر عظيم له شوك.

دَيْن إلى أجل فبلغ أجله فإنه لِيَاط (١) مُبَرًّا من الله ورسوله ، وانّ ما كان لهم من دَيْن فى رَهْن وراء عُكاظ فإنه يُقْضى إلى رأسِه ويُلاط بعُكاظ [ولا يُؤَخَّرْ] (٢) .

وفود مذحج على النبى صلى الله عليه وسلم

وَفَدَ ظَبْيان بن حَدَّاد فى سَراة مَذْحِج على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : بعد السلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، والثناء على الله عزّ وجلّ بما هو أهله : الحمد لله الذى صَدَع (٣) الأرض بالنبات ، وفَتَق السماء بالرَّجْع (٤) . ثم قال : نحن قوم من سَراة مَذْحِج من يُحابِر بن مالك . ثم قال : فتوقّلت بنا القِلاص ، من أعالى الحَوْف (٥) ورءوس الهِضاب ، ترفعها عُرَرُ الرُّبا (٦) ، وتَخْفِضها بُطْنان الرِّقاق ، وتَلْحَفها دَياجى الدُّجى . ثم قال : وسَرَوات الطائف كانت لبنى مَهْلائيل بن قَيْنان غرسوا وِدْيانه ، وذَلّلوا خِشَانه ، وَرَعَوْا قُرْيانه (٧) . ثم ذكر نُوحا حين خرج من السفينة بمن معه ، قال : فكان أ كثرَ بَنيه بَناتا ، وأسرَعهم نَباتا ، عادٌ وثمود ،

---

(١) أراد بالِلياط : الربا ، لأن كل شىء ألصق بشىء وأضيف إليه فقد أليط به . والربا ملصق برأس المال .

(٢) هذه الكلمة عن النهاية لابن الأثير (مادة ليط) .

(٣) صدع : شق .

(٤) الرجع : المطر بعد المطر .

(٥) توقلت : صعدت . والقلاص : الإبل الفتية ، أو الباقية على السير ؛ الواحدة : قلوص . والحوف : بلد بعمان .

(٦) العرر : جمع عرة (كقبة) . وهى شحمة السنام العليا . تريد ذروة الربوة وأعلاها . والذى فى الأصول : « عرارة » . ولا معنى لها . والرقاق : ما اتسع من الأرض ولان ؛ واحدها : رق (بالكسر) . وبطنان الرقاق : ما غمض منها .

(٧) قريانه ، أى مجارى مياهه ؛ الواحد : قرى (كطرى) .

فرَماهم الله بالدُّمالق[1]، وأهلكهم بالصواعق. ثم قال: وكانت بنو هانئ من ثمود تَسكن الطائف، وهم الذين خطُّوا مَشاربها، وأتَّوْا[2] جداولها، وأحْيَوا غِرامها، ورفَعوا عَريشها. ثم قال: وإنّ حِمْير ملكوا مَعاقل الأرضِ وقرارها، وكهول الناس وأغمارَها، ورءوس المُلوك وغِرارها[3]، فكان لهم البيضاء والسَّوداء، وفارسُ الحمْراء، والجِزْية الصَّفْراء[4]؛ فبَطِروا النِّعم، واستحقّوا النِّقم، فضرب الله بعضَهم ببعض. ثم قال: وإن قبائلَ من الأزْدِ نزلوا على عهد عمرو بن عامر، ففتحوا فيها الشرائع[5]، وبنَوْا فيها المصانع[6]، واتخذوا الدَّسائع[7]، ثم ترامت مَذْحج بأسنّتها، وتنزّت[8] بأعِنَّتها، فغلب العزيزُ أذلَّها، وقتَل الكثيرُ أقلَّها. ثم قال: وكان بنو عمرو بن جَذِيمة يَخْبِطُون عَضِيدها[9]، ويأكلون حَصيدها، ويُرَشِّحون خَضِيدها[10]. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إن نعيم الدنيا أقلّ وأصغر عند الله من خُرْء بُعَيضة، ولو عدَلت عند الله جناح ذُباب لم يكن لكافر منها خَلاق، ولا لمُسلم منها لَحاق.

(1) الدمالق: الأملس المستدير من الحجارة.

(2) أتوا جداولها، أى سهلوا طرق المياه إليها؛ يقال: أتى للماء تأتية، إذا سهله وأصلح مجراه.

(3) الأغمار: جمع غمر (مثلثة الغين)، وهو الحدث الذى لا تجربة له. والغرار جمع غر (بالكسر)، وهو القليل الفطنة.

(4) الصفراء، أى الذهب.

(5) الشرائع: موارد الشاربة؛ الواحدة: شريعة.

(6) المصانع: المبانى من القصور والحصون.

(7) الدسائع: الدساكر؛ الواحدة: دسيعة.

(8) تنزت: توثبت.

(9) العضيد: ما قطع من الشجر، أى يضربونه ليسقط ورقه فيتخذوه علفا لدوابهم.

(10) الخضيد: المقطوع من شجر الثمر. وترشيحهم له: قيامهم عليه وإصلاحهم له إلى أن تعود ثمراته فتطلع، كما يفعل بشجر الأعناب والنخيل.

وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم

وَفَدَ لَقِيطُ بن عامر بن المُنْتَفِق على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعه صاحب له ، يقال له نَهِيك بن عاصم [بن مالك][١] بن المُنْتَفِق . قال لقيط : فخرجتُ أنا وصاحبى حتى قَدِمنا لانسلاخ رجب ، فأتينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغَداة ، فقام فى الناس خَطيباً ، فقال : أيها الناس ، ألاَ إنّى قد خبأت[٢] لكم صَوْتى منذ أربعة أيّام لتسمعوا الآن[٣] ، ألاَ فهل من امرىء قد بَعثه قومه ؟ — فقالوا : أَعْلِمْ لنا ما يقول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — ألاَ ، ثم لعلّه أن يُلْهِيه حديثُ [نفسه أو حديث][٤] صاحبه أو يُلهيه ضَالٌّ ، ألاَ وإنى مَسْئول هل بَلّغت ، ألا اسمعوا ، ألا اجلسوا . فجلس الناس : وقمتُ أنا وصاحبى ، حتى إذا فرغ لنا ١٣٦/١
فؤادَه وبصرَه ، قلت : يا رسولَ الله ، ماعندك من عِلْم الغيب ؟ فضَحِك لعمرُ الله وهزّ رأسَه ، وعَلِم أنى أبتغى سَقَطه ؛ فقال : ضَنَّ ربُّك [عزّ وجلّ][٤] بمفاتيحِ خمس من الغَيْب لا يعلمهن إلا الله . [وأشار بيده . قلت : وما هى][٤] ؟ قال : عِلْم المنيّة ، قد عَلِم متى مَنيّة أحدكم ولا تعلمونه ؛ وعِلْم ما فى غد ، [وما أنت طاعم غدا ، ولا تعلمه][٤] وعِلْم المَنِيّ حين يكون فى الرَّحم ، قد علمه ولا تعلمونه ؛

---

(١) التكملة عن شرح المواهب .

(٢) خبأت صوتى ، أى ادخرته وجعلته لكم عندى خبيئة .

(٣) كذا فى بعض الأصول وشرح المواهب اللدنية (ج ٤ ص ٦٦) . والذى فى سائر الأصول : « إلا لأسمعكم اليوم » . والذي فى البداية والنهاية لابن كثير (ج ٥ ص ٨٠ طبع مطبعة السعادة) ومسند أحمد (ج ٤ ص ١٣) : « إلا لأسمعنكم » .

(٤) التكملة عن النهاية والبداية ومسند أحمد .

وعِلْم الغَيْث ، يُشرف عليكم آزِلين مُسْنِتِين[1] فيَظَلّ يَضْحك ، قد عَلِم أنّ عونكم قريب — قال لَقيط : [قلت][2] : لن نَعْدَم من ربّ يَضْحك خيراً — وعِلْم يوم الساعة ؛ قلت : يا رسول الله ، إنى سائلُك عن حاجتى فلا تُعْجِلْنى ؛ قال : سَلْ عمّا شِئْتَ ؛ قال قلت : يا رسول الله ، عَلِّمْنا ممّا لا يعلم الناس[3] وممّا تَعْلَم[4] ، فإنّا من قَبيل لا يصدّقون تصديقَنا أحداً ، من مَذْحِج التى تَدْنو إلينا وخَثْعم التى تُوالينا وعَشيرتنا التى نحن منها . قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : تَلْبثون ما لَبِثْتم ، ثم يُتوفّى نبيّكم ، ثم تَلْبثون حتى تُبعث الصَّيحة[5] ، فلَعَمْرُ إلهك ما تَدع على ظهرها من شىء إلا مات والملائكة الذين عند ربك ، فيُصْبح ربك يَطوف فى الأرض وقد خَلَت عليه[6] البلاد ، فيُرسل ربُّك [السماء] بهَضْب[7] من عند العَرْش ، فلعمر إلهك ما تَدع على ظهرها من مَصْرع قَتيل ، ولا مَدفن ميّت إلا شقّت القبر عنه حتى تخلقه[8] من قِبَل رأسه ، فيستوى جالسًا . ثم يقول ربك : مَهْيَم[9] — لما كان فيه — فيقول : [يارب][2] ، أمس ! [اليوم !][2] . ولعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله .

(١) كذا فى البداية والنهاية . والآزل : الذى صار فى جدب وقحط . والمسنت : المجدب الذى أصابته السنة . والذى فى الأصول : « أذلين مشفقين » وفيه تحريف ظاهر .
(٢) التكملة عن البداية والمسند .
(٣) كذا فى البداية والنهاية ومسند أحمد . والذى فى الأصول : « ما تعلم الناس » .
(٤) كذا فى البداية والنهاية ومسند أحمد . والذى فى الأصول : « وكما نعلم » .
(٥) فى البداية والمسند : « ثم تلبثون مالبثتم ثم تبعث الصائحة » .
(٦) كذا فى البداية ومسند أحمد والتذكرة فى أحوال الآخرة للقرطبى . والذى فى الأصول : « عليهم » .
(٧) الهضب : المطر .
(٨) كذا فى البداية والمسند والتذكرة . والذى فى الأصول : « تلفيه » .
(٩) مهيم : كلمة يمانية ومعناها : ما الأمر وما الشأن ؟ .

فقلت : يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما قد تُفَرِّقنا (١) الرياح والبِلى والسِّباع ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك فى إلِّ (٢) الله ، أشرفتُ على الأرض وهى مَدرة يابسة ، فقلت : لا تحيا هذه أبداً ؛ ثم أرسل ربُّك عليها السماء فلم تَلْبث إلا أيامًا حتى أشرفتُ عليها وهى شَرَبة (٣) واحدة . ولعَمْرُ إلهك لهوَ أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نباتَ الأرض ، فتخرجون من الأصواء . — قال ابن إسحاق : الأصواء : أعلام القبور — ومن مصارعكم ، فتنظرون إليه ساعة وينظر إليكم . قال : قلت : يا رسول الله ، كيف ونحن مِلء الأرض وهو شَخص واحد ينظر [إلينا] (٤) وننظر [إليه] (٤) ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك فى إلِّ الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ، ترَوْنهما ويريانكم ساعة واحدة . [ولعمر إلهك لهوَ أقدر على أن يراكم وترَوْنه من أن ترَوْنهما ويريانكم لا تضارُّون فى رؤيتهما] (٤) . قال : قلت : يا رسول الله ، فما يفعل بنا ربُّنا إذا لقيناه ؟ قال : تُعرضون عليه باديةً له صفحاتكم لا تخفَى منكم خافية ، فيأخذ ربُّك [عز وجل] (٤) بيده غَرفة من الماء ، فيَنْضح (٥) بها قُبُلكم ،

(١) فى الأصول : « تمزقنا » . وما أثبتناه عن البداية والمسند .

(٢) فى إل الله ، أى فى ربوبيته وإلهيته وقدرته ، ويجوز أن يكون المعنى : فى عهد الله ، من الآل (بالمد) ، وهو العهد . (انظر النهاية لابن الأثير مادة أل) .

(٣) الشربة (بفتحتين) : حوض يكون فى أصل النخلة وحولها يملأ ماء لتشربه . يريد أن الماء قد وقف منها فى مواضع ، فشبهها بالشراب . وتروى بإسكان الراء ؛ ويكون المراد أن الماء قد كثر ، فمن حيث أردت أن تشرب شربت . وتروى : شرية ، بالمثناة التحتية ، والشرية : الحنظلة . والمراد أن الأرض اخضرت بالنبات فكأنها حنظلة واحدة . قال ابن الأثير : « والرواية : شربة ، بالباء الموحدة » .

(٤) التكملة عن البداية والمسند .

(٥) ينضح : يرش .

فلَعمر إلهك ما تُخطئ وجهَ واحد منكم قطرةٌ ، فأما المُسْلم فتَدع وجهَه مثل الرَّيطة(١) البيضاء ، وأما الكافر فتَخطِمه بمثل الحَمَم(٢) الأسود ، ثم يَنصرف نبيّكم ويتفرّق على أثره الصالحون ؛ قال : فتسلُكون جِسْراً من النار ، فيطأ أحدُكم الجَمْر ، فيقول : حَس ؛ فيقول ربك [عز وجل](٣) : أو إنّه ؟ فتطّلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهلُه ، فلعمر إلهك ما يَبْسُط أحدٌ منكم يدَه إلا وقع عليها قَدح يُطَهّره من الطَّوْف(٤) والبَوْل والأذى ، وتُخْبَس(٥) الشمس والقمر فلا تَرَوْن منهما أحداً . قال : قلت : يارسول الله ، فبِم نُبصر يومئذ ؟ قال : بمثل بَصر ساعتك [هذه](٣) ، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال(٦) . قال : قلت : يارسول الله ، فبم نُجْزَى من سيآتنا وحَسناتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها أو يعفو . قال : قلت : يا رسول الله ، فما الجنة وما النار ؟ قال : لعمر إلهك ، إنّ للنار سبعة أبواب مامنها بابان إلا يَسير الراكبُ بينهما سبعين عاما ، [وإنّ للجنّة لثمانية أبواب ، ما منهما بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما](٣) . قال : قلت : يا رسول الله ، فعلام نَطّلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مُصفًّى ، وأنهار من كأس ما بها [من] صُداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمُه ، وماء غير آسِن وفاكهة ،

---

(١) الريطة : كل ملاءة ليست بلفقين ؛ وقيل : هى كل ثوب رقيق لين .
(٢) تخطمه ، أى تصيب خطمه ، وهو أنفه . يعنى تصيبه فتجعل له أثرا مثل أثر الخطام . والحمم : الفحم .
(٣) التكملة عن البداية والمسند .
(٤) الطوف : الحدث من الطعام .
(٥) كذا فى البداية والمسند . والذى فى الأصول : « وتخنس » .
(٦) كذا فى البداية والنهاية . والذى فى المسند : « أشرقت الأرض واجهت به » . والذى فى الأصول : « سفرته ... الخ » . وهو تحريف .

لعمر إلهك ما تعلمون ، وخَيْرٌ مِن مثله معه ، وأزواج مطهّرة . قال : قلت : يا رسول الله ، أو لنا فيها أزواج ، أو منهن صالحات ؟ قال : الصالحات للصالحين ، تَلَذّون بهنّ مثل لذاتكم فى الدنيا ويَلْذَذن بكم ، غير أن لا توالد . قال لقيط : [قلت] : أقصى ما نحن بالغون ومُنْتهون إليه . [فلم يُجِبْه النبى صلّى الله عليه وسلّم](١) . قال : قلت : يا رسول الله ، عَلام أبايعك ؟ قال : فبَسط إلىّ يده وقال : على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وزِيال الشرك ، فلا تُشرك بالله إلٰها غيره . قال : فقلت : وإن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض [النبى صلّى الله عليه وسلّم](١) يدَه وظنّ أنى أشترط عليه شيئاً لا يُعطينيه . قال : قلت : نَحُل منها حيث شئنا ، ولا يجزى عن امرئ إلا نفسُه ؟ فبسط إلىّ يده وقال : ذلك لك : حُلّ حيث شئت ، ولا يَجزى عنك إلا نفسك . [قال](١) : فانصرفنا عنه . ١٣٧/١

وفود قَيْلة على النبى صلى الله عليه وسلم

خرجت قَيْلة بنةُ مَخْرمة التميميّة تبغى الصُّحْبة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عمُّ بناتها ، وهو أثوب بن أزهر ، قد انتزع منها بناتِها ، فبكت جُوَيرِيةٌ منهن حُدَيباء قد أخذتها الفَرْصة(٢) ، عليها سُبَيِّج(٣) من صُوف ،

(١) التكملة عن البداية والمسند .

(٢) الفرصة (بالفتح) ، أى ريح الحدب فيصير صاحبها أحدب . وتروى بالسين المهملة ، وهى بمعناها . (انظر النهاية) .

(٣) السبيج (بتشديد الياء المكسورة) : تصغير سبيج (كنظيف) . وهو معرب « شي » . للقميص بالفارسية ؛ وقيل : هو ثوب صوف أسود .

[فَرَحَتْنِها](١) فذهبتُ بها . فبينما هما تُرْتِكان(٢) الجمل إذا انتفجت(٣) منه الأرنب . فقالت أُحْديباء : الفصْيَة(٤) ، والله لا يزال كَعْبكِ(٥) أعلى من كعب أثوب ، ثم سنح الثعلب ، فسمّته اسماً [غير الثعلب](٦) نسِيَه ناقلُ الحديث . ثم قالت فيه ، مثل ما قالت فى الأرنب ، فبينما هما تُرْتِكان الجملَ إذ بَرك الجملُ وأخذته رِعْدة . فقالت أُحْديباء : أخذتك — والأمانةِ إخْذةَ أثوب . قالت قَيلة : فقلت لها : فما أصنع ؟ وَيحك ! قالت : قلّبى ثيابك ظهورَها لبُطونها ، وادّحرجى ظهرَك لبَطْنك ، واقْلِبى أحلاس(٧) جَملك ، ثم خلعت سُبَيّجها فقلّبته ، ثم ادّحرجت ظهرَها لبطنها ، فلمّا فعلتُ ما أمرَتْنى به انتفض الجمل ، ثم قام فنأَجَ(٨) وبال . فقالت : أعيدِى عليه أداتك . ففعلتُ ، ثم خرجنا نُرْتِك ، فإذا أثوبُ يسعى وراءنا بالسّيف صَلْتا(٩) ، فوألْنا(١٠) إلى حِواء ضخم فداراه ، حتى ألقى الجملُ إلى رُواقه الأوسط [وكان] جَملاً ذلولا ، واقتحمتُ داخله ، وأدركنى بالسيف ، فأصابت

---

(١) هذه الكلمة عن الفائق للزمخشرى (مادة فرس) .

(٢) ترتكان الجمل ، أى تحملانه على السير السريع .

(٣) انتفجت : وثبت .

(٤) كذا فى الفائق والنهاية واللسان . والفصية : اسم من التفصى ، وهو التخلص من الضيق والبلية . أرادت أنها كانت فى ضيق وشدة فخرجت منهما إلى السعة والرخاء . والذى فى الأصول : « الفيصة » . وهو تحريف .

(٥) هو دعاء لها بالشرف والعلو . ورواية هذه العبارة فى الفائق ومجمع الزوائد للهيثمى (ج ٦ ص ١٠) واللسان والنهاية : لا يزال كعبك عاليا » .

(٦) التكملة عن الإصابة .

(٧) الأحلاس : جمع حلس (بالكسر) ، وهو الكساء الذى يلى ظهر البعير تحت القتب .

(٨) نأج : صاح .

(٩) صلتا : مجردا .

(١٠) وأل : لجأ . والحواء : البيوت المجتمعة من الوبر .

ظُبَتُهُ طائفةً من قُرون رأسِيه ، ثم قال : أَلْقِ إلىَّ ابنة أخى يا دفار(١) . فألقيتُها إليه ، فحملها على مِنْكبيه وذهب بها ، وكنتُ أعلمَ(٢) به من أهل البيت . وخرجتُ إلى أخت لى ناكح فى بنى شَيبان أبتغى الصحبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبينما أنا عندها تحسَب أنى نائمة ، إذ جاء زوجُها من السَّامر(٣) ، فقال لها : وأبيك ، لقد وجدتُ لقَيْلةَ صاحبَ صِدْقٍ . قالت أختى : من هو ؟ قال : حُريث بن حسَّان الشَّيبانى ، وافد بكر بن وائل [عاوياً(٤)] ذا صباح . فقالت أختى : [الويل لى(٤)] ! لا تُخبرها ، فتتْبَعَ أخا بكر بن وائل بين سَمْع الأرض وبَصرها ، ليس معها أحدٌ من قومها ؛ [قال : لا ذكرتُه(٤)] . قالت : وسمعتُ ما قالا فغدوتُ إلى جَمَلى فشددتُ عليه ، ثم نَشدتُ عنه فوجدتُه غيرَ بعيد ، فسألته الصُّحبة ؛ فقال : نعم وكَرامة ، ورِكابُه(٥) مُناخة [عنده(٤)] . قالت : فسِرْتُ معه صاحبَ صِدْق ، حتى قَدِمْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلّى بالناس صلاةَ الغداة ، قد أُقيمت حين شقَّ الفجر ، والنجوم شابكةٌ(٦) فى السماء ، والرجال لا تكاد تَعارفُ من ظُلمة الليل فصَفَفْتُ مع الرجال ، وأنا(٧) امرأةٌ قريبةُ عهد بجاهليّة . فقال الرجل الذى يَليني من الصفّ : امرأة أنتِ أم رجل ؟ فقلت :

---

(١) يا دفار ، أى منتنة .
(٢) كذا فى الإصابة ومجمع الزوائد . والذى فى الأصول : « وكانت » .
(٣) كذا فى الفائق والإصابة والنهاية . والسامر : القوم الذين يسمرون بالليل . والذى فى الأصول : « الشام » . وهو تحريف .
(٤) التكملة عن الإصابة .
(٥) فى الأصول : « وركابهم » . وما أثبتناه عن الإصابة .
(٦) شابكة ، أى ظهرت جميعها واختلط بعضها ببعض حتى كانت كأنها مشتبك بعضها ببعض .
(٧) كذا فى الإصابة . والذى فى الأصول : « وكانت » . وهو تحريف .

لا ، بل امرأة ؛ فقال : إنك كِدت تَفْتنينى ، فصلِّى فى النساء وراءك . فإذا صَفٌّ من نساء قد حَدث عند الحُجرات لم أكن رأيتُه إذا دخلتُ ، فكنتُ فيهنّ ، حتى إذا طلعت الشمس دنوتُ ، فجعلت إذا رأيتُ رجلا ذا رُواء وقِشْر[١] طَمح إليه بصرى لأرى رسولَ الله فوق الناس ، حتى جاء رجلٌ ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ؛ فقال : وعليك السلام ورحمة الله ؛ وعليه — تعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم — أسمالُ مُلَيَّتين ، كانتا بزَعْفران قد نفضتا[٢] ، ومعه عُسَيِّب

١٣٨/١ نَخلة مَقْشُوّ[٣] غير خوصتين من أعلاه ، وهو قاعد القُرفصاء ، فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتخشعاً فى الجِلسة أُرْعِدت من الفَرَق ؛ فقال جليسُه : يارسول الله ، أُرعدت المِسْكينة . فقال رسول الله ، ولم ينظر إلىّ وأنا عند ظَهره : يا مِسْكينة عليك السَّكينة . قالت : فلما قالها صلّى الله عليه وسلم أذهبَ الله ما كان دخل فى قلبى من الرُّعب ، وتقدّم صاحبى أولَ رجل فبايعه على الإسلام ، عَلَيْه وعلى قَوْمه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، اكتُب بيننا وبين تَميم كتاباً بالدَّهْناء لا يُجاوزها إلينا منهم إلا مُسافر أو مُجاوز . قال : يا غلام ، اكتب له بالدَّهناء . قالت : فلما رأيتُه أمر بأن يُكتَب له ، شُخِص بى[٤] ، وهى وطنى ودارى ، فقلت : يارسول الله ، إنه لم يسألك السويّة من الأرض إذ سألك ، إنما هذه الدَّهناء مقيّد الجمل[٥] ومَرْعى الغنم ، ونساء بنى تميم وأبناؤها وراء ذلك ؛

---

[١] كذا فى الأصول والنهاية والإصابة . والقشر (بالكسر) : اللباس . والذى فى مجمع الزوائد : « بشر » .

[٢] نفضتا ، أى نصل لون صبغهما ولم يبق إلا الأثر .

[٣] مقشو ، أى مقشور عنه خوصه .

[٤] يقال للرجل إذا أتاه ما يقلقله : قد شخص به ، كأنه رفع من الأرض لقلقه وانزعاجه .

[٥] أرادت أنها مخصبة ممرعة ، فالجمل لا يعدو مرتعه فيها .

فقال : أمسِك يا غلام ، صدقت المِسْكينة : المُسْلم أخو المسلم ، يَسَعهما الماء والشجر ، ويتعاونان على الفُتَّان (١). فلما رأى حُرَيث أن قد حِيل دون كتابه ، قال : كنت أنا وأنت كما قال فى المَثَل : حَتْفَها تحمل ضأنٌ بأظلافها ؛ فقلت : أما والله [ما علمت] (٢) إن كنت لدليلاً فى الظلماء ، جواداً لدى الرَّحل ، عفيفا عن الرفيقة [حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٢) ، ولكن لا تَلُمْنى [أن أسأل] (٢) حظّى إذ سألتَ حظّك ؛ قال : وأى حظ لك فى الدهناء لا أبالك ؟ قلت : مُقَيَّد جَملى تريده لجمل امرأتك ؛ فقال (٣) : لا جَرَم ، إنى أشهد رسول الله أنى لك أخ ما حييتُ إذ أثنيتِ علىّ عنده ؛ فقلت : إذ بدأتَها فلن أضيّعها . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيُلام ابن هذه أن يَفصل الخُطَّة ، وينتصر من وراء الحَجَزة (٤) ؛ [فبكيت ثم] قلت : فقد والله ولدتُه يارسولَ الله حراما ، فقاتل معك يوم الرَّبذة (٥) ، ثم ذهب يَمتَرى من خَيبر ، فأصابته حُمَّاها ومات (٦) ، فقال : [لو لم

(١) كذا فى الفائق والإصابة ومجمع الزوائد والنهاية . قال الزمخشرى : « والفتان : الشياطين ؛ والتعاون على الشيطان أن يتناهيا عن اتباعه والافتتان بخدعه . وقيل : الفتان : اللصوص » . وقال ابن الأثير : « يروى بضم الفاء وفتحها ، فالضم جمع فاتن ، أى يعاون أحدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم ، وبالفتح ، هو الشيطان ، لأنه يفتن الناس عن الدين » . والذى فى الأصول : « القتان » . وهو تصحيف :

(٢) التكملة عن الإصابة ومجمع الزوائد .

(٣) فى الأصول : « فقلت » . والتصويب عن الإصابة .

(٤) الخطة : الحال والأمر والخطب . والحجزة : هم الذين يمنعون بعض الناس عن بعض ويفصلون بينهم بالحق ؛ الواحد : حاجز . يقول : إذا أصاب ولد هذه خطة ضيم فاحتج عن نفسه وعبر بلسانه ما يدفع به الظلم عنه لم يكن ملوما .

(٥) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال . (عن معجم البلدان) .

(٦) كذا فى الإصابة . والذى فى الأصول : « وترك على النساء » مكان قوله « ومات » . والذى فى مجمع الزوائد : « ومات وترك على النساء » .

تكونى مسكينة لجرزناك على وجهك(١)] . أيُغلب أُحَيدكم على أن يصاحب صُوَيحبه فى الدنيا معروفاً [فإذا حال بينه و بينه من هو أوْلى به استرجع ثم قال : رب آسِنى(٢) لما أمضيت ، وأعِنِّى على ما أبقيت(١)] . فوالذى نفسُ محمد بيده إنّ أحدكم ليبكى فيَسْتَعْبِر(٣) له صُوَيحبه ، فياعباد الله لا تُعذِّبوا إخوانَكم . ثم كتب لها فى قطعة أدم أحمر : اقَيْلة والنِّسوة من بنات قيلة أن لا يُظلَمن حقا ، ولا يُكْرَهن على منكح ، وكل مؤمن ومُسْلم لهن نَصِير ، أحْسِنّ ولا تُسِئْن .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة

من محمد رسول الله لأكَيْدِر دُومة(٤) حين أجاب إلى الإسلام ، وخَلَع الأنداد(٥) والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيفِ الله فى دُوْمة الجَندل وأكنافها : إنّ لنا الضاحية من الضَّحْل والبَوْرَ ، والمَعامِىَ وأغفالَ الأرض ، والحَلْقة(٦) ، والسِّلاحَ(٧)

---

(١) التكملة عن الإصابة ومجمع الزوائد .

(٢) آسنى ، أى اجعل لى أسوة بما تعلق به . (عن مجمع الزوائد) .

(٣) كذا فى مجمع الزوائد . واستعبر : بكى . والذى فى الأصول والإصابة : « فيستعيذ » . وهو تحريف .

(٤) دومة (بضم الأول وفتحه . وأنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين) : هى دومة الجندل من أعمال المدينة .

(٥) الأنداد جمع ند (بالكسر) ، وهو ضد الشىء الذى يخالفه فى أموره . والمراد : ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى .

(٦) الضاحى : البارز الظاهر من الأرض ؛ وقيل : الضاحية : أطراف الأرض . والضحل : الماء القليل . والبور : الأرض التى لم تزرع ؛ والمعامى : الأرض المجهولة . وأغفال الأرض : ما لا أثر فيه من عمارة أو نحوها . والحلقة : الدروع .

(٧) فى الأصول : « ولكم والسلاح » . وقوله « لكم » زيادة من الناسخ .

و [الحافرَ[١]] والحِصْن[٢] ؛ ولكم الضامِنة من النخل والمعِينُ[٣] من المَعْمور[٤] ، ولا تُعْدَل سارحتُكم ولا تُعدّ فاردتُكم ، ولا يُحظَر عليكم النبات[٥] ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتُؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، [ولكم به الصدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين[٦]] .

كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الحضرمى

من محمد رسول الله إلى الأقيال العَباهِلة[٧] [والأرواع المَشابيب[٨]] من أهل حضرموت ، بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فى التِّيعة شاة ، [لا مُقْوَرَّة الألْياط ولا ضِناك ، وأَنْطُوا الثَّبَجة[٩]] ؛ والتِّيمة[١٠] لصاحبها ، وفى السُّيوب الخُمس ، لا خِلاط

(١) التكملة عن الروض الأنف للسهيلى وشرح المواهب (ج ٣ ص ٤٦٢ ، ومعجم البلدان عند الكلام على دومة الجندل) وصبح الأعشى (ج ٦ ص ٣٧٠) . والحافر : الخيل والبراذين والبغال والحمير .

(٢) الحصن : دومة الجندل .

(٣) الضامنة : النخل الذى معهم فى الحصن . والمعين من المعمور : الماء الذى ينبع من العين فى العامر من الأرض .

(٤) زادت الأصول بعد قوله « المعمور » : « بعد الخمس » .

(٥) لا تعدل سارحتكم ، أى لا تصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى ؛ وقيل : أى لا تحشر إلى المصدق . والفاردة : ما لا تجب فيه الصدقة . ولا يحظر عليكم النبات ، أى لا تمنعون من الرعى حيث شئتم .

(٦) التكملة عن شرح المواهب .

(٧) الأقيال العباهلة ، أى الملوك القار ملكهم .

(٨) هذه العبارة عن شرح المواهب . والأرواع : الحسان الوجوه . والمشابيب السادة الرؤساء ؛ الواحد : مشبوب .

(٩) التيعة : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، كالخمس من الإبل والأربعين من الشياه . والاقورار : الاسترخاء فى الجلود . والألياط : جمع ليط (بالكسر) ، وهو العود ، شبه به الجلد لالتزاقه باللحم ؛ أراد : غير مسترخية الجلود لهزالها . والضناك : الكثيرة اللحم . وأنطوا : أعطوا ، بلغة اليمن أو بنى سعد . والثبجة ، أى الوسط .

(١٠) التيمة (بالكسر) : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ؛ =

ولا وِراط ، ولا شِناق ، ولا شِغار ، ومن أَجْبَى فقد أَرْبى[1] ، وكل مُسكر حرام .

حديث جرير بن عبد الله البجلى

قدم جَرير بن عبد الله البَجَلىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن منزله بِبِيشة[2] ، فقال : سَهْل ودَكْدَاك ، وسَلَم وأراك ، وحَمْض وعَلاك ، إلى نخلة ونَخلة ، ماؤها ينبوع ، وجَنابها مَرِيع ، وشتاؤها رَبيع[3] . فقال رسول الله

١٣٩/١ صلى الله عليه وسلم : إن خير الماء الشَّبِم ، وخير المال الغَنَم ، وخير المرعى الأراك ،

= وقيل : هى الشاة التى تكون لصاحبها فى منزله يحلبها وليست بسائمة ، وهى بمعنى الداجن . والسيوب : جمع سيب ، يريد به المال المدفون فى الجاهلية أو المعدن ، لأنه من فضل الله تعالى لمن أصابه . وما جاء فى شرح المواهب تتمة للكتاب بعد قوله « الخمس » يختلف عما هنا ونصه : « ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ، ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام » .

(١) الخلاط : المخالطة ؛ والمراد به أن يخلط إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله منها أو يبخس المصدق فيما يجب له . والوراط : أن تجعل الغنم فى وهدة من الأرض لتخفى عن المصدق ؛ وقيل : هو أن يغيب إبله أو غنمه فى إبل غيره أو غنمه ؛ وقيل : الوراط : أن يقول أحدهم للمصدق : عند فلان صدقة ، وليست عنده . ولا شناق ، أى لا يشنق (لا يخلط) الرجل غنمه أو إبله إلى مال غيره ليبطل الصدقة . والشغار : نكاح كان معروفا فى الجاهلية ، فكان الرجل يقول للرجل : شاغرنى ، أى زوجنى أختك أو ابنتك أو من تلى أمرها حتى أزوجك أختى أو ابنتى أو من إلى أمرها ، ولا يكون بينهما مهر : والإجباء : بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه ؛ وقيل هو أن يغيب إبله عن المصدق ، من أجبأته ، إذا واريته ، والأصل فى هذا اللفظ الهمز ، ولكنه روى هكذا غير مهموز ، فإما أن يكون تحريفاً من الراوى ، أو يكون ترك الهمز للازدواج بأربى ؛ وقيل : أراد بالإجباء : العينة ، وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذى باعها به . (انظر النهاية وشرح المواهب) .

(٢) بيشة : قرية كانت غناء فى واد كثير الأهل من بلاد اليمن . (عن معجم البلدان) .

(٣) الدكداك : ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيراً ، أى أن أرضهم ليست ذات حزونة . والسلم : شجر من العضاه . والأراك : شجر له حمل كعناقيد العنب . والحمض : كل نبت فى طعامه حموضة . والعلاك : شجر ينبت بناحية الحجاز .

والسَّلم إذا أخلف كان لَجِينا [١] ، وإذا سقط كان دَرِينا [٢] ، وإذا أكل كان لَبِينا [٣] .

وفى كلامه عليه السلام : إنّ الله خلق الأرض السُّفلى من الزَّبد الجُفاء ، والماء الكُبَاء [٤] .

حديث عياش بن أبى ربيعة

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عيّاشَ بن أبى ربيعة إلى بنى عبد كُلال ، وقال له : خُذ كتابى بيمينك وادفعه بيمينك فى أيمانهم ، فهم قائلون لك اقرأ ، فاقرأ : « لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ » ، فإذا فرغت منها فقل : آمن محمد وأنا أول المؤمنين ، فلن تأتيك حجّة إلا وقد دُحِضت ، ولا كتاب زُخرف إلا وذهب نُوره ، ومَحَّ لونه [٥] ، وهم قارئون ، فإذا رَطَنوا فقد ترجموا ، فقلْ : حَسَن ، آمنت بالله وبما أُنزل من كتاب الله ، فإذا أسلَموا ، فسَلْهم قُضُبَهم الثلاثة التى إذا تَخصَّروا بها سُجِد لهم [٦] : وهى الأَثْل [٧] ، قَضِيب مُلَمَّع ببياض ، وقَضِيب ذو عُجَر [٨] كأنه من خَيْزُران ، والأَسْود البَهِيم ،

(١) الشم : البارد . وأخلف : أخرج الخلفة ، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول فى الصيف . واللجين : الخبط ، وذلك أن ورق السلم والأراك يخبط حتى يسقط ويجف ثم يدق حتى يتلجن ، أى يتلزج .

(٢) كذا فى النهاية لابن الأثير . والدرين : حطام المرعى إذا تناثر وسقط على الأرض . والذى فى الأصول : « ردينا » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ب والنهاية . ولبينا ، أى مدرا للبن مكثراً له ، يعنى أن النعم إذا رعت الأراك والسلم غزرت ألبانها . والذى فى سائر الأصول : « لينا » . وهو تحريف .

(٤) الكباء ، أى العالى العظيم . أى أنه خلقها من زبد اجتمع للماء وتكاثف فى جنباته .

(٥) مح لونه : درس .

(٦) تخصروا بها ، أى أمسكوها بأيديهم ، لأنهم إنما كانوا يمسكونها إذا ظهروا للناس .

(٧) الأثل : شجر شبيه بالطرفاء .

(٨) العجر : العقد ؛ الواحدة : عجرة .

كأنه من سَاسَمٍ[1] ، اخرُج بها لخرتها فى سُوقهم .

حديث راشد بن عبد ربه السلمى[2]

عبد الله بن الحَكَم الواسطىّ عن بعض أشياخ أهل الشام قال[3] قال :

استعمل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا سُفيان بن حَرْب على نَجْران ، فولاّه الصلاة والحرب ، ووجّه راشدَ بن عبد ربّه أميراً على القضاء والمظالم .

فقال راشد بن عبد ربّه :

صَحَا القلبُ عن سَلْمَى وأَقْصَرَ شأْوُه ... وردّت عليه ما نفتْه[4] تُماضِرُ

وحَكّمه شيبُ القَذال عن الصِّبا ... وَلَلشّيبُ عن بعض الغَوَاية زاجِر[5]

فأَقْصَرَ جَهْلى اليومَ وارتدّ باطِلى ... عن الجهل لمّا أبيضّ منّى الغَدائِرِ

على أنّه قد هاجه بعدَ صَحْوة ... بِمَرِض[6] ذى الآجام عِيسٌ بَواكر

ولمّا دَنَتْ من جانب الغُوط[7] أخصبت ... وحلّتْ ولاقاها سُلَيم وعامر

(١) الساسم : شجر أسود ، أو هو الأبنوس .

(٢) كذا فى الإصابة وفيما سيأتى من العقد (ج ٣ ص ٦٥ طبعة بلاق) . والذى فى الأصول هنا : « راشد بن عبد الله » .

(٣) يلاحظ أن هـذا الحديث لا يتساق مع أخبار الوفود التى أفرد لها المؤلف كتاب الجمانة هذا .

(٤) أقصر : انتهى . والشأو : المدى والغاية .

(٥) القذال : جماع مؤخر الرأس .

(٦) فى الأصول هنا : « به فرض » وهو تحريف . وما أثبتناه عن العقد (ج ٣ ص ٦٥) .

(٧) كذا فيما سيأتى من العقد (ج ٣ ص ٦٥) . والذى فى ب هنا : « العرض » . والذى فى سائر الأصول : « الفرض » .

وخَبّرها الرُّكبان أن ليس بينها وبين قُرى بُصرى ونَجران كافرُ (١)

فألقت عَصاها واستقرّت بها النّوى كما قَرّ عيناً بالإياب المُسافر (٢)

وفود نابغة بنى جعدة على النبى صلى الله عليه وسلم

وفد أبو ليلى نابغةُ بنى جَعدة على النبى صلّى الله عليه وسلّم ، فأنشده شعره الذى يقول فيه :

بَلغنا السماء مجدُنا وسَناؤنا وإنا لَنبغى فوق ذلك مَظْهَرَا

قال له النبى صلى الله عليه وسلم : إلى أين أبا ليلى ؟ قال : إلى الجنة ؛ قال النبى صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله . فلما انتهى إلى قوله :

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم تَكُن له بوادر تَحْمِى صَفْوه أن يُكَدّرَا

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لاَ يَفْضُض الله فاك (٣) ، فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفضّ له سِنّ . و بقى حتى وَفد على عبد الله بن الزُّبير فى أيامه بمكة وامتَدحه ؛ فقال له : يا أبا ليلى ، إنّ أدنى وسائلك عندنا الشّعر ، لك فى مال الله حقّان : حق برُؤْيتك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وحق بِشِرْكتك (٤) أهلَ الإسلام فى فَيْئهم ، ثم أحسن صِلَته وأجازه .

---

(١) بصرى : من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حوران . ونجران : موضع بحوران من نواحى دمشق ، وكانت موضعا مباركا ينذر له المسلمون والنصارى . (عن معجم البلدان) .

(٢) هذا البيت من شعر للمعقر بن أوس بن حمار البارقى . (انظر العقد الفريد ج ٣ ص ٦٤ — ٦٥ طبعة بلاق . والاشتقاق لابن دريد ص ٢٨٢ طبعة أوربة) .

(٣) فى الأغانى (ج ٥ ص ١٢ طبعة دار الكتب المصرية) : أنه عاش مائتين وعشرين سنة .

(٤) فى الأصول : « بشوكتك » . والتصويب عن الأغانى . وفى الخبر زيادة ذكرت فى الأغانى فارجع إليه .

وفود طهفة بن أبى زهير النهدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

لما قَدِمَت وفود العرب على النبى صلى الله عليه وسلم ، قام طِهْفَة بن أبى زُهير (٢) ، فقال : يا رسولَ الله ، أتيناكَ من غَوْرَى تِهامة بأكوار المَيْس (٣) ، تَرْمى بنا العِيس ، نَستحلب الصَّبير ، ونَستخلب الخَبير ، ونَستعضد البَرير (٤) ؛ ونَستخيِل الرِّهام ، ونَستَجيل الجَهام (٥) ؛ من أرض غائلةِ النِّطاء ، غليظة الوِطاء (٦) ؛ قد نَشِفَ المُدْهُن ، ١٤٠/١ وَيَبِس الجِعْثِن (٧) ؛ ومات العُسْلوج ؛ وسَقط الأُملوج (٨) ؛ وهلك الهَدِىّ ، ومات الودىّ (٩) . بَرِئنا يا رسولَ الله من الوَثَن والعَنَن (١٠) ، وما يُحدِث الزمن ؛ لنا دعوة السلام ،

(١) قال الزرقانى فى شرح المواهب (ج ٤ ص ١٩٢) : « هذا لفظ عمران ، ولفظ على : طخفة ، بالخاء المعجمة » .

(٢) فى شرح المواهب اللدنية : « ابن رهم » . وقيل : « ابن زهير » .

(٣) الأكوار : الرحال . والميس : شجر صلب تعمل منه .

(٤) الصبير : سحاب أبيض (متراكب) متكاثف . ونستحلب الصبير ، أى نستدر المطر والخبير : النبات والعشب . واستخلابه احتشاشه بالمخلب ، وهو المنجل . والبرير : ثمر الأراك إذا اسود وبلغ ؛ وقيل : اسم له فى كل حال وإن لم يسود ويبلغ ؛ وكانوا يأكلونه فى الجدب . ونستعضده : نقطعه .

(٥) الرهام : الأمطار الضعيفة ؛ الواحدة : رهمة (بالكسر) . ونستخيل ، أى نتخيل الماء فى السحاب القليل . والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه . ونستجيل (بالجيم) ، أى نراه جائلا تذهب به الريح هاهنا وهاهنا .

(٦) النطاء : البعد . وغائلة النطاء ، أى مهلكة لبعدها .

(٧) المدهن : ما حفره السيل . وهذه العبارة كناية عن جفاف الماء فى جميع نواحيهم . والجعثن : أصل النبات .

(٨) العسلوج : الغصن إذا يبس وذهبت طراوته . والأملوج : ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو .

(٩) الهدى : ما يهدى للبيت الحرام من النعم لينحر ، فأطلق على جميع الإبل . والودى : فسيل النخل .

(١٠) الوثن : الصنم . والعنن : الاعتراض . يريد الشرك والظلم . والذى فى المثل السائر : « الفتن » .

وشريعة الإسلام؛ ما طَمَى البحر وقام تِعَار (١)؛ ولنا نَعَم هُمَّل أغفال، ما تَبِضُّ ببلال (٢)؛ وَوَقِير كثير الرَّسَل، قليل الرِّسْل (٣)؛ أصابتها سُنَيَّة (٤) حمراء، مُؤْزِلة ليس بها عَلَل ولا نَهَل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم بارك لهم فى مَحْضها ومَخْضها ومَذْقها (٥)، وابعث راعيها فى الدَّثْر (٦)، بيانع الثَّمَر؛ وافجُر له الثَّمَد (٧)، وبارك له فى المال والوَلَد؛ مَن أقام الصلاة كان مُسلماً، ومن أتى الزكاة كان مُحسناً، ومن شَهِد أن لا إله إلا الله كان مُخلصاً. لكم يا بنى نَهْد، وَدائع الشرك (٨)، وَوَضائع المِلْك (٩)؛

---

(١) طمى البحر: ارتفع بأمواجه. وتعار (بالكسر): اسم جبل ببلاد قيس.

(٢) همل: مهملة لا رعاء لها؛ الواحد: هامل. وما تبض ببلال، أى ما يقطر منها لبن.

(٣) الوقير: القطيع من الغنم. والرسل (بالفتح): التفرق. والرسل (بالكسر): اللبن.

(٤) سنية: التصغير هنا للمبالغة فى شدتها. والسنة الحمراء: الشديدة الجدب، لأن آفاق السماء تحمر فى سنى الجدب والقحط: ومؤزلة من الأزل، وهو الشدة والضيق والقحط.

(٥) المحض (بالمهملة): خالص اللبن. والمخض (بالمعجمة): ما مخض من اللبن وأخذ زبده مخيضا. والمذق: اللبن الممزوج بالماء.

(٦) الدثر (بإسكان الثاء وفتحها مع فتح الدال). المال الكثير؛ وقيل: الخصب والنبات الكثير.

(٧) الثمد (بإسكان الميم وفتحها مع فتح الثاء): الماء القليل لا مادة له، يدعو لهم بكثرة الماء.

(٨) ودائع الشرك: المراد بها العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار فى المهادنة؛ وقيل: المراد ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا فى دين الإسلام؛ أراد إحلالها لهم لأنها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط.

(٩) الوضائع: جمع وضيعة، وهى الوظيفة تكون على الملك (بالكسر). وهى ما يلزم الناس فى أموالهم من الصدقة والزكاة. أى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لا نتجاوزها معكم ولا نزيد عليكم فيها شيئاً. وقيل: معناها ما كان ملوك الجاهلية يوظفونه على رعيتهم ويستأثرون به فى الحروب وغيرها من الغنم، أى لا نأخذ منكم ما كان ملوككم وظفوه عليكم، بل هو لكم.

لا تُلْطِطْ[١] فى الزكاة ، ولا تُلْحِد فى الحياة ، ولا تَثاقلْ عن الصلاة .

وكتب معه كتاباً إلى بنى نَهد : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى بنى نَهد بن زَيد : السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يابنى نَهد فى الوَظِيفة الفَرِيضة[٢] ، ولكم الفارض والفَرِيش[٣] ، وذو العِنَان الرَّكوب[٤] ، والفَلُو الضَّبِيس[٥] ، لا يُمنع سَرْحكم ، ولا يُعضد طَلْحكم ، ولا يُحبس دَرّكم ، مالم تُضمِروا الإمآق ، وتأكلوا الرِّباق[٦] ، من أقرّ بما فى هذا الكتاب ، فله من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوفاء بالعهد والذمّة ، ومَن أبَى عليه فعليه الرِّبْوَة[٧] .

---

(١) لا تلطط : لا تمنع .

(٢) الوظيفة : النصاب فى الزكاة . والفريضة : الهرمة المسنة : أى لا نأخذ فى الصدقات هذا الصنف كما لا نأخذ خيار المال .

(٣) الفارض : المريضة . ويروى بالعين ، أى التى أصابها كسر ؛ يقال : عرضت الناقة إذا أصابتها آفة أو كسر . والفريش من الإبل : الحديثة العهد بالنتاج ، وهى من خيار المال ، لأنها لبون .

(٤) الركوب ، أى الفرس المذلل للركوب .

(٥) الفلو . المهر : والضبيس : الصعب العسر الركوب .

(٦) السرح : ما سرح من المواشى ، أى لا يدخل عليكم أحد فى مراعيكم . ويعضد : يقطع . والطلح : الشجر لا ثمر له . والمعنى : لا يقطع شجركم طلحا أو غيره ، لأنه إذا نهى عن قطع الطلح الذى لا ثمر له فغيره أولى . والدر : اللبن ، أى لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى إلى أن تجتمع الماشية ليعدها الساعى لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها عنه ؛ والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة بعدم حبسها . والإمآق : الغيظ والبكاء مما يلزمهم من الصدقة . وقال الزمخشرى فى الفائق : « الإمآق : إضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله » . وفى رواية : « الرماق » وهو النفاق . والرباق : جمع ربق ، وهو الحبل يجعل فيه عرى وتشد به البهيمة . وتأكلوا الرباق ، أى تنقضوا العهد . شبه ما يلزم من العهد بالرباق . واستعار الأكل لنقض العهد . لأن البهيمة إذا أكلت الربق خلصت من الشد .

(٧) الربوة (مثلثة الراء) : الزيادة ؛ أى من أبى إعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له .

وفود جبلة بن الأيهم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

العِجْلىّ[١] قال: حدثنى أبو الحسن علىّ بن أحمد بن عمرو بن الأجدع الكوفى بهيت[٢]، قال: حدثنى إبراهيم بن علىّ مولى بنى هاشم، قال: حدّثنا ثِقات شيوخنا: أنّ جبلة بن الأيهم بن أبى شَمِر الغسّانى لمّا أراد أن يُسْلم كتب إلى عمرَ بنِ الخطاب من الشام يُعلمه بذلك ويَستأذنه فى القدوم عليه، فسُرّ بذلك عمرُ والمسلمون، فكتب إليه أن أقدِم ولك ما لَنا وعليك ما علينا: فخرج جبلة فى خمسمائة فارس[٣] من عكّ وجَفْنة، فلما دنا من المدينة ألبَسهم ثيابَ الوَشْى المَنسوج بالذهب والفِضّة، ولبِسَ يومئذ جَبلةُ تاجَه وفيه قُرْط مارية، وهى جدّته، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحدٌ إلا خرج ينظر إليه حتى النّساء والصّبيان، وفَرِح المُسلمون بقدومه وإسلامه، حتى حضر الموسمَ من عامِه ذلك مع عُمرَ بن الخطاب. فبينما هو يطوف بالبيت إذ وَطِئ على إزاره رجلٌ من بنى فَزارة فحلّه، فالتفت إليه جَبلةُ مُغْضبًا، فلَطمه فهشم أنفه، فاستعدَى عليه الفَزارىّ عمرَ بنَ الخطاب، فبعث إليه فقال: ما دعاك يا جبلة إلى أن لطَمت أخاك هذا الفَزارىّ فهشمت أنفه؟ فقال: إنه وَطِئ إزارى فحلّه، ولولا حُرمة هذا البيت لأخذت الذى فيه عَيناه[٤]؛ فقال له عمر: أمّا أنت فقد أقررت، إما أن تُرضيه وإلا أقدتُه منك؛ قال: أتُقِيده منّى وأنا مَلِك وهو سُوقة؟ قال:

---

(١) فى بعض الأصول: «قاسم بن حمزة الغسانى العجلى» مكان قوله «العجلى».
(٢) هيت: بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار؛ وهى أيضاً من قرى حوران من ناحية اللوى من أعمال دمشق. (انظر معجم البلدان).
(٣) فى الأغانى (ج ١٤ ص ٤): «مائتى فارس».
(٤) عبارة الأغانى: «لضربت بين عينيه بالسيف».

يا جبلة ، إنه قد جمعك وإيّاه الإسلام ، فما تفضُله بشىء إلا بالعافية ؛ قال : والله لقد رجوتُ أن أكون فى الإسلام أعزّ منّى فى الجاهليّة ؛ قال عمر : دَعْ عنك ذلك(١) ؛ قال : إذن أتنصّر ؛ قال : إن تنصّرتَ ضربتُ عُنقَك . قال : واجتمع قومُ جَبلةَ وبنو فَزارة فكادت تكون فِتْنة ؛ فقال جبلة : أخِّرنى إلى غدٍ يا أمير المؤمنين ؛ قال : ذلك لك . فلما كان جُنْح الليل خرج هو وأصحابُه ، فلم يَثْنِ حتى دخل القُسطنطينية على هِرَقْل فتنصّر ، وأقام عنده ، وأعظم هرقلُ قدومَ جبلة وسُرّ بذلك ، وأقطعه الأموال والأرَضين والرِّباع . فلما بعثَ عمر بن الخطاب رسولاً(٢) إلى هِرَقْل يدعوه إلى الإسلام أجابه إلى المُصالحة على غير الإسلام ، فلما أراد أن يكتب ١٤١/١ جواب عمر ، قال للرسول : ألقيتَ ابنَ عمّك هذا الذى ببلدنا — يعنى جَبلة — الذى أتانا راغباً فى ديننا ؟ قال : ما لقيتُه ؛ قال : ألْقَه ، ثم ائتنى أُعطِك جوابَ كتابك . وذهب الرسولُ إلى باب جَبلة ، فإذا عليه من القَهارمة والحُجّاب والبَهْجة وكثرة الجَمع مثلُ ما على باب هِرَقْل . قال الرسول : فلم أزل أتلطّف فى الإذن ، حتى أُذِن لى ، فدخلتُ عليه ، فرأيت رجلاً أصهبَ اللّحية ذا سِبَال(٣) ، وكان عَهْدى به أسمرَ أسودَ اللحية والرأس ، فنظرتُ إليه فأنكرتُه ، فإذا هو قد دعا بسُحالة الذهب(٤) فذرّها فى لِحْيته حتى عاد أصهبَ ، وهو قاعد على سرير من قَوارير ، قوائمه أربعة أسود من ذَهب ، فلما عَرفنى رَفعنى معه فى السرير ،

(١) فى الأصول : « هو » مكان قوله « دع عنك » .
(٢) اسم هذا الرسول : جثامة بن مساحق الكنانى .
(٣) السبال : جمع سبلة (محركة) . وهى ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها ، أو مقدمها خاصة .
(٤) سحالة الذهب : ما سقط منه إذا برد .

فجعل يُسائلنى عن المُسلمين، فذكرت خيراً وقلت: قد أُضعِفوا أضعافاً على ماتعرف؛ فقال: كيف تركت عمرَ بن الخطّاب؟ قلت: بخير، فرأيت الغم قد تبيّن فيه، لما ذكرتُ له من سلامة عمر؛ قال: فانحدرت عن السّرير؛ فقال: لِمَ تأبى الكرامة التى أكرمناك بها؟ قلت: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم نهى عن هذا؛ قال: نعم، صلّى الله عليه وسلم، ولكن نَقِّ قلبك من الدَّنس، ولا تُبالِ علام قعدْتَ. فلما سمعتُه يقول: صلّى الله عليه وسلم، طَمِعتُ فيه؛ فقلت له: ويحك يا جَبلة! ألا تُسلم وقد عرفتَ الإسلام وفَضْلَه؟ قال: أبعدَ ما كان منّى؟ قلت: نعم، قد فعل رجلٌ من بنى فَزارة أكثر مما فعلت، ارتدّ عن الإسلام وضرب وُجوه المسلمين بالسّيف، ثم رجع إلى الإسلام، وقُبل ذلك منه، وخلّفته بالمدينة مُسْلماً؛ قال: ذَرْنى من هذا، إن كنت تَضْمن لى أن يزوّجنى عمرُ ابنتَه ويُولّينى الأمر من بعده رجعتُ إلى الإسلام؛ قال: ضمنت لك التّزويج، ولم أضمن لك الإمرة؛ قال: فأومأ إلى خادم بين يديه، فذهب مُسرعاً، فإذا خَدَم قد جاءوا يَحملون الصناديق فيها الطعامُ، فوُضعت ونُصبت موائد الذهب وصِحَاف الفضّة، وقال لى: كُلْ، فقبضت يدى، وقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل فى آنية الذّهب والفِضّة؛ فقال نعم، صلّى الله عليه وسلّم، ولكن نقِّ قلبك وكُلْ فيما أحببت. قال: فأكل فى الذهب والفضة وأكلتُ فى الخَلِيج(١)، فلما رُفع الطعام جيء بِطِساس(٢) الفضّة وأباريق الذهب، وأومأ إلى خادمٍ بين يديه،

(١) الخليج: الجفنة.

(٢) الطساس: جمع طس، وهو الطست.

فَمَرّ مُسرعاً ، فسَمِعت حِسّاً[1] ، فالتفتُّ ، فإذا خَدَم معهن الكراسى مُرَصّعة بالجواهر، فوُضعتْ عشرة عن يمينه وعشرةٌ عن يساره ، ثم سمعت حِسّاً ، فإذا عشر جَوار قد أقبلنَ مَطْمومات الشعر[2] مُتكسّرات فى الحَلْى عليهنّ ثياب الدّيباج ، فلم أرَ وُجُوها قطّ أحسنَ منهنّ ، فأقعدهنّ على الكراسى عن يمينه ، ثم سمعت حسّا ، فإذا عشر جوار أُخرى ، فأجلسهن على الكراسى عن يساره ، ثم سمعت حسّا ، فإذا جارية كأنها الشمس حُسْناً وعلى رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أرَ أحسنَ منه ، وفى يَدها اليُمنى جام[3] فيه مِسْك وعَنْبر ، وفى يدها اليسرى جام[3] فيه ماء وَرْد ؛ فأومأتْ إلى الطائر ، أو قال فصفّرت بالطائر ، فوقع فى جام ماء الوَرْد فاضطرب فيه ، ثم أومأت إليه ، أو قال فصَفرت به ، فطار حتى نزل على صَلِيب فى تاج جَبلة ، فلم يزل يُرفرف حتى نَفَض ما فى ريشه عليه ، وضَحِك جبلة من شدّة السرور حتى بدَتْ أنيابه ، ثم التفت إلى الجوارى اللواتى عن يمينه ، فقال : بالله أطْرِبْنى . فاندفعن يتغنّين يَخْفقن بعيدانهنّ ويَقُلْن :

لله دَرُّ عِصابة نادمتُهم ... يوماً بجِلّق[4] فى الزّمان الأوّلِ

يَسقُون مَنْ وَرَد البريصَ[5] عليهمُ ... بَرَدَى يُصفَّق بالرّحيق السّلسلِ

١٤٢/١ أولاد جَفْنة حولَ قبرِ أبيهمُ ... قبرِ ابن مارية الكريم المُفضِلِ

---

(١) فى الأغانى هنا وفيما سيأتى : « وسوسة » .
(٢) طم شعره : جزأه وعقصه .
(٣) الجام : إناء من فضة .
(٤) جلق : دمشق وغوطتها .
(٥) البريص : نهر بدمشق . وبردى : نهر بدمشق أيضاً ؛ والكلام على حذف مضاف ، أى ماء بردى . والذى فى الأصول : « راحا » . مكان قوله : « بردى » . وتصفيق الشراب : مزجه . والرحيق : الخمر ؛ وقيل صفوتها ؛ وسلسل : لين .

يُغْشَون حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم لا يَسألون عن السَّواد المُقْبِلِ
بيض الوُجوه كريمةٌ أحسابُهم[(١)] شُمُّ الأُنوف من الطِّراز الأوّلِ

قال: فضَحِكَ حتى بَدَت نواجذُه، ثم قال: أتدرِى مَن قائل هذا؟ قلتُ: لا؛ قال: قائلُه حسّان بن ثابت شاعرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم التفت إلى الجوارى اللاتى عن يساره، فقال: باللهِ أبكِينَنا، فاندفعنَ يتغنّين يَخْفِقن بعيدانهنّ ويَقُلْن:

لمن الدارُ أقفرتْ بمَعَانٍ[(٢)] بين أعلى اليَرْمُوك[(٣)] فالخَمّان[(٤)]
ذاك مَغْنًى لآل جَفْنة فى الدّهْـــر مَحَلاًّ لحادث الأزمانِ
قد أرانى هناك دهراً مَكيناً عند ذى التاج مَقْعدى ومَكانى
ودنا الفِصْـح فالوَلائد يَنْظِمْــن سِراعاً أكِلّةَ[(٥)] المَرْجانِ
لم يُعَلّلن بالمَغَـافير والصَّمْـغ ولا نَقْفِ حَنْظل الشِّرْيان[(٦)]

قال: فبكى حتى جعلت الدموع تَسيل على لِحْيته، ثم قال: أتدرى مَن قائل هذا؟ قلتُ لا أدرى؛ قال: حسّان بن ثابت. ثم أنشأ يقول:

---

(١) فى الأصول: «أعفة». وما أثبتناه عن ديوان حسان والأغانى.
(٢) معان: مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء. (عن معجم البلدان).
(٣) اليرموك: واد بناحية الشام.
(٤) كذا فى ديوان حسان ومعجم ما استعجم للبكرى. والخمان: من نواحى الشام. والذى فى الأغانى ومعجم البلدان: «الصمان». قال ياقوت: «والصمان» فيما أحسب من نواحى الشام بظاهر البلقاء. والذى فى الأصول: «فالجمان». وهو تصحيف.
(٥) الأكلة (هنا): جمع إكليل، فلما حذفت الهمزة وبقيت الكاف ساكنة فتحت فصارت إلى اكليل (كدليل)، فجمع على أكلة، كأدلة.
(٦) المغافير: صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط، فيوضع فى ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب. والشريان (بفتح الشين وكسرها): شجر من عضاه الجبال.

تنصّرتِ الأشرافُ من عارِ لَطْمة[1] وما كان فيها لو صَبرت لها ضَررْ
تَكنّفنى منها لَجاجٌ ونَخْوة وبِعْتُ لها العينَ الصحيحة بالعَور
فياليتَ أُمّى لم تَلِدْنى وليتَنى رجَعْتُ إلى الأمر الذى قال لى عُمر
ويا ليتنى أرعى المَخاضَ بقَفرة وكنتُ أسيراً فى رَبيعة أو مُضر
ويا ليتَ لى بالشام أدنَى مَعيشةٍ أُجالس قومِى ذاهبَ السّمْع والبَصر

ثم سألنى عن حسّان : أحىٌّ هو ؟ قلت : نعم ، تركتُه حيًّا . فأمر لى بكسوة ومال ، ونُوق مُوقرة بُرّا ، ثم قال لى : إنْ وجدته حيًّا ، فادفع إليه الهديّة وأقرِئه سلامى ، وإن وجدتَه ميتا فادْفعها إلى أهله ، وأنحرْ الجِمال على قبْره . فلمّا قدمت على عُمر أخبرتُه خبر جَبَلة وما دعوتُه إليه من الإسلام ، والشّرط الذى شَرطه ، وأنّى ضَمنت له التّزويج ، ولم أضمن له الإمرة . فقال : هلاّ ضمنت له الإمرة ؟ فإذا أفاء اللهُ به الإسلام قضى عليه بحُكمه عزّ وجل . ثم ذكرت له الهدية التى أهداها إلى حسان بن ثابت . فبعث إليه ، وقد كُفّ بصره ؛ فأُتِى به وقائدٌ يقوده ، فلما دخل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنى لأجد رياح آل جَفْنة عندكَ ؛ قال : نعم ، هذا رجل أقبل من عنده ؛ قال : هاتِ يابن أخى ، إنه كريم من كِرام مدحتُهم فى الجاهلية فحَلف أن لا يلقى أحداً يعرفنى إلا أهدى إلىّ معه شيئاً . فدفعت إليه الهديّة : المال والثياب ، وأخبرتُه بما كان أمر به فى الإبل إن وُجد ميتاً ؛ فقال : وَدِدْت أنّى كنت مَيتاً ، فنُحرت على قبرى .

قال الزبير[2] : وانصرف حسّان وهو يقول :

(١) كذا فى الديوان والأغانى . والذى فى الأصول : « من أجل » .
(٢) هو الزبير بن بكار . (انظر الأغانى ج ١٤ ص ٧ طبعة بلاق) .

إنّ ابنَ جَفْنة من بقيّة مَعْشر لم يَغْــذُهم آباؤهم باللُّوم ِ
لم يَنْسنى بالشام إذ هو ربُّها مَلِكاً ولا مُتنصّراً بالرُّوم
يُعطِى الجزيلَ ولا يَراه عنده إلاّ كَبعْض عطيّــة المَذْموم

فقال له رجل كان فى مجلس عُمر: أتذكر ملوكا كفَرَة أبادهم الله وأفناهم؟ قال: ممن الرجل؟ قال: مُزَنِيّ؛ قال: أما والله لولا سوابق قومِك مع رسول الله ١٤٣/١ صلى الله عليه وسلم لطوّقتك طَوق الحَمامة. قال: ثمّ جهّزنى عمر إلى قيصر وأمرنى أن أضمن لجبلةَ ما اشترط به، فلما قَدِمت القُسطنطينية وجدتُ الناس مُنصرفين من جِنازته، فعلمت أن الشَّقاء غلب عليه فى أُم الكتاب.

وفود الأحنف على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

المدائنى قال: قَدِم الأحنفُ بن قيس التَّميمى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أهل البصرة وأهل الكوفة، فتكلّموا عنده فى أنفسهم وما ينوب كلَّ واحد منهم، وتكلم الأحنف فقال:

يا أمير المؤمنين، إنّ مفاتيح الخير بيد الله، وقد أتتك وُفود أهل العراق، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزَلوا منازلَ الأمم الخالية، والمُلوك الجَبابرة، ومنازل كسرى وقَيصر، وبنى الأصفر، فهم من المِياه العَذْبة، والجِنان المُخْصِبة[1]، فى مثل حِوَلاَء[2] السَّلى وحَدَقَة البعير؛ تأتيهم ثمارُهم غَضّة لم

(١) كذا فى سرح العيون (ص ٥٤ طبعة بلاق). والذى فى الأصول: «المختلفة».
(٢) الحولاء: غلاف أخضر كأنه دلو عظيم، مملوءة ماء، وتنفقأ حين تقع الى الأرض ثم يخرج السلى. والسلى: الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد. ويكنى بحولاء السلى وحدقة البعير عن الخصب وكثرة الخير.

تنغّر(١) ، وإنا نزلنا أرضاً نشّاشة ، طَرَف فى فلاة ، وطَرَف فى مِلح أُجاج ، جانِبٌ منها منابت القصب ، وجانب سَبخة نشّاشة(٢) ، لا يجفّ ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا مَنافعها فى مثل مَرِيء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يَستعذِب(٣) الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك تَرَنَّق(٤) ولدها تَرْنيق العنز ، تخاف عليه العدوّ والسبع ، فإلاّ تَرْفع خَسيسَتنا(٥) ، وتُنْعِش رَكِيستنا(٦) ، وتَجْبُر فاقتنا ، وتَزِيد فى عِيالنا عِيالا ، وفى رجالنا رجالا ، وتُصَفّر درهمنا(٧) ، وتُكبّر قفيزنا(٨) ، وتأمر لنا بِحَفْر نهر نستعذب به الماء هلكنا

قال عمر : هذا والله السّيّد ! هذا والله السّيد ! قال الأحنف : فما زلت أسمعها بعدها .

فأراد زيد بن جَبلة أن يضع منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس هُناك ، وأُمه باهليّة . قال عمر : هو خير منك إن كان صادقاً . يريد إن كانت له نِيّة . فقال الأحنف :

أنا ابن الباهليّة أرْضعَتنى بثَدْى لا أجدَّ ولا وَخِيم(٩)
أغُضّ على القذَى أجفانَ عينى إذا شرّ السّفيه إلى الحليم

---

(١) كذا فى سرح العيون . والذى فى الأصول : « تخصر » .
(٢) سبخة نشاشة ، أى نزازة تنز بالماء ، لأن السبخة ينز ماؤها فينش ويعود ملحا .
(٣) استعذب : استقى عذبا .
(٤) الترنيق : إدامة النظر .
(٥) أى تفعل فعلا فيه انقلاب حالنا إلى صلاح .
(٦) الركس : قلب أول الشىء على آخره .
(٧) أى تجعل فضتنا ذهبا .
(٧) القفيز : مكيال .
(٩) الأجد : اليابس القليل اللبن .

قال : فرَجع الوفد واحْتبس الأحنفَ عنده حَوْلاً وأشهراً ، ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَذّرنا كل منافق صَنَع اللسان ، وإنى خِفْتك فاحتبسْتُك ، فلم يبلُغنى عنك إلا خيرٌ ، رأيتُ لك جُولاً[1] ومَعْقولا ، فارجع إلى منزلك واتّق الله ربّك . وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : أن يَحْتفر لهم نهراً .

وفود الأحنف وعمرو بن الأهتم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

العتبى عن أبيه قال : وفَد الأحنف وعمرو بن الأهتم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأراد أنْ يقْرع بينهما فى الرِّياسة ، فلما اجتمعت بنو تميم ، قال الأحنف :

ثَوى قَدَحٌ عن قَوْمِه طالما ثَوى ... فلمّا أتاهم قال قُومُوا تناجَزُوا[2]

فقال عمرو بن الأهتم : إنّا كنّا وأنتم فى دار جاهليّة فكان الفَضْل فيها لمن جَهِل ، فسَفَكنا دماءكم ، وسبَيْنا نساءكم ، وإنّا اليوم فى دار الإسلام ، والفَضْلُ فيها لمن حَلِم ، فغفر الله لنا ولك . قال : فغلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف ووقعت القُرْعة لآل الأهتم . فقال عمرو بن الأهتم :

لما دعَتنى للرِّياسة مِنْقَر ... لَدَى مَجْلس أضحَى به النّجْمُ باديا
شَدَدْتُ لها أزْرِى وقد كُنتُ قبلَها ... لأمثالها مما أشُدّ إزاريا

وعمرو بن الأهتم : هو الذى تكلّم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١٤٤/١
وسأله عن الزِّبرقان ؛ فقال عمرو : مُطاع فى أدْنَيه ، شَدِيد العارضة ، مانِع لما

(١) الجول : الرأى .
(٢) تناجز القوم : تسافكوا دماءهم .

وراء ظهره . فقال الزّبرقان : والله يارسول الله ، إنّه ليعلم منى أكثر مما قال ، ولكن حَسدنى . قال : أما والله يارسول الله ، إنه لزَمِر[1] المُروءة ، ضَيِّق العَطَن ، أحمق الولد ، لئيم الخال ، والله ما كذبتُ فى الأولى ، ولقد صدقتُ فى الأخرى ، رضيتُ عن ابن عمّى فقلتُ أحسَن ما علمت ، ولم أكذب ، وسَخِطتُ عليه فقلت أقبح ما علمت ، ولم أكذِب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحراً .

وفود عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أوفده سعد

لما فتحت القادسيّة على يدى سعد بن أبى وقاص ، أبلى فيها عمرو بن معديكرب بلاءً حسنا ، فأوفده سعدٌ على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب إليه معه بالفتحِ وأثنى فى الكتاب على عمرو . فلما قَدِم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد ؛ فقال : أعرابى فى نَمِرته[2] ، أسدٌ فى تأْمورته[3] ، نَبطىٌّ فى جِبايته[4] ، يَقْسِم بالسويّة ، ويَعْدل فى القضيّة ، ويَنْفِر[5] فى السَّرِيّة[6] ، وينقل إلينا حقّنا نقل الذرّة[7] . فقال عمر : لشدّ ما تقارضتُما الثناء . وكان عُمر قد كتب إلى سعدٍ

(١) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . وزمِر المروءة : قليلها . والذى فى الأصول : « زمن » .

(٢) النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب .

(٣) التأمورة : عريسة الأسد .

(٤) كذا فى شرح نهج البلاغة (ج ٣ ص ١٢٨) . والذى فى الأصول : «حبوته» .

(٥) كذا فى شرح نهج البلاغة . والذى فى الأصول : « وينقل » .

(٦) السرية : من خمسة أنفس الى ثلثمائة أو أربعمائة .

(٧) عبارة شرح نهج البلاغة : « هو لهم كالأب يجمع لهم جمع الذرة » .

يوم القادسية أن يُعطَى الناس على قَدر ما معهم من القرآن . فقال سعد لعمرو بن معديكرب : مامعك من القرآن ؟ قال : مامعى شىء ؛ قال : إنّ أمير المؤمنين كتب إلىّ أن أعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن ؛ فقال عمرو :

إذا قُتِلنا ولا يَبْكِى لنا أحدٌ   قالت قريشٌ ألا تِلكَ المَقادِيرُ
نُعطَى السَّوِيّةَ من طَعن له نَفَذ   ولا سويّةَ إذ نُعطَى الدَّنانيرُ

قال : فكتب سعد بأبياته إلى عمر . فكتب إليه أن يُعطى على مقاماته فى الحرب

وفود أهل اليمامة على أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وفَدَ أهلُ اليمامة على أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، بعد إيقاع خالد بهم وقَتْله مُسيلمة الكذّاب؛ فقال لهم أبو بكر : ما كان يقول صاحبُكم ؟ قالوا : أعفِنا ياخليفة رسول الله ؛ قال : لابدّ أن تقولوا ؛ قالوا : كان يقول : ياضِفْدع، كم تَنِقِّين ، لا الشراب تَمنعين ، ولا الماء تُكدِّرين ، لنا نِصفُ الأرض ولقُريش نصفها ، ولكن قريش قوم لا يَعدِلون . فقال لهم أبو بكر : ويْحكم ! ما خرج هذا من إلّ ولا برّ ، فأين ذُهب بكم ؟

قال أبو عُبيد : الإلّ : الله تعالى . والبَرّ : الرجل الصالح .

وفود عمرو بن معديكرب على مجاشع بن مسعود

وَفَدَ عمرو بن معديكرب الزُّبيدىّ على مُجاشع بن مسعود السُّلَمى — وكانت بين عمرو و بين سُلَيم حروبٌ فى الجاهليّة — فقَدِم عليه البصرةَ يسأله الصِّلة ؛ فقال : أذكُر حاجتَك ؛ فقال له : حاجَتى صِلَةُ مِثْلى . فأعطاه عشرةَ آلاف

دِرْهم ، وفرساً من بنات الغَبْراء ، وَسَيْفاً جُرازا[1] ، ودِرعا حَصينة ، وغُلاما خبّازا . فلما خرج من عنـده ، قال له أهل المجلس : كيف وجدتَ صاحبك ؟ قال : لله دَرُّ بنو سُلَيم ، ما أشدَّ فى الهيجاء لِقاءها ، وأكرمَ فى اللأواء[2] عَطاءها ، وأثْبَت فى المَكْرُماتِ بناءها ، والله يا بنى سُلَيم لقد قاتلنا كم فى الجاهليّة فما أجْبَنّا كم ، ولقد هاجينا كم فما أفحَمْنَا كم ، وقد سألنا كم فما أبْخلنا كم .

فلله مَسْـــئولاً نَوالاً ونائلاً وصاحبَ هَيْج يومَ هَيْج مُجاشعُ[3]

وفود الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه

١٤٥ / ١ أبو بكر بن أبى شَيبة قال :

وَفَد الحسن بن علىّ رضى الله عنهما على معاويةَ بعـد عام الجماعة[4] ، فقال له معاوية ، والله لأحبونّك بجائزة ما أجزتُ بها أحداً قبلك ، ولا أجيز بها أحداً بعدك ، فأمر له بمائة ألف .

وفى بعض الحديث أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، دخل على ابنته فاطمة ، فوجد الحسَن طِفْلاً يلعب بين يديها ، فقال لها : إن الله تعالى سيُصلح على يدى ابنك هذا بين فِئتين عظيمتين من المُسلمين .

---

(١) فى الأمالى (ج ٢ ص ١١٤) : « قلعيا » . والقلعى : نسبة إلى القلعة ، وهى موضع بالبادية تنسب إليه السيوف .

(٢) فى الأمالى : « فى الأزبات » . واللزبات : الشدائد ؛ واحدها : لزبة .

(٣) فى الأمالى : « هيجا يوم هيجا » .

(٤) يريد به العام الذى تصالح فيه معاوية والحسن رضى الله تعالى عنهما .

وفود زيد بن منية على معاوية رحمه الله

العُتْبى قال :

قدم زيد بن مُنْيَة[(١)] على معاوية من البَصرة — وهو أخو يَعْلى بن مُنية صاحب جمل عائشة ومتولّى تلك الحروب ، ورأس أهل البصرة ، وكان عُتبة بن أبى سفيان قد تزوج ابنة يَعْلى بن مُنْية — فلما دخل على معاوية ، شكا إليه دَيناً لَزِمه ؛ فقال : يا كعب ، أعْطِه ثلاثين ألفاً ، فلما ولّى قال : وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى : ثم قال له : الْحَقْ بصِهرك — يعنى عُتبة — فقدم عليه مِصْرَ ، فقال : إنى سِرْتُ إليك شهرين أخُوض فيهما المَتالف ، ألْبس أرْدية الليل مَرّة ، وأخوضُ فى [لُجَج] السَّراب أخرى ، مُوقَراً[(٢)] من حُسن الظّن بك ، وهارباً من دَهر قَطِمٍ[(٣)] ، ودين لَزِم ، بعد غِنًى جَدَعْنا به أنوف الحاسدين ، فلم أجِدْ إلا إليك مَهْرَبا ، وعليك مُعوَّلا ؛ فقال عُتبة : مَرْحباً بك وأهلا ، إنّ الدهر أعارَكم غِنًى ، وخَلَطكم بنا ، ثم استرَدّ ما أمكنه أخذُه ، وقد أبقى لكم منّا ما لا ضَيْعَةَ[(٤)] معه ، وأنا واضع[(٥)] يدى ويدك بيد الله . فأعطاه ستين ألفاً ، كما أعطاه معاوية رحمه الله .

(١) فى الأصول : « منبه » . وهو تصحيف . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٩٩ من الجزء الأول من هذه الطبعة) .
(٢) موقرا : مزودا ومحملا .
(٣) قطم : صئول .
(٤) فى صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٥٧) : « ضيقة » .
(٥) فيما مر فى الجزء الأول (ص ٣٠٠) : « رافع » .

وفود عبد العزيز بن زرارة على معاوية رحمه الله

العُتبى عن أبيه قال :

وَفَد عبدُ العزيز بنُ زرارة على معاوية ، وهو سيّد أهل الكوفة ، فلما أُذِن له وَقَفَ بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أزل أهزُّ ذَوائب الرِّحال إليك ، إذ لم أجِد مُعوّلا إلا عليك ؛ أمتطى اللّيل بعد النهار ، وأَسِم المَجاهلَ بالآثار ، يقودنى إليك أَمَل ، وتسوقنى بَلْوى ؛ والمجتهد يُعذَر ، وإذ بلغتك فقطْنِي .

فقال معاوية : احطُط عن راحتك رَحْلها .

وخرج عبد العزيز بن زُرارة مع يزيدَ بن معاوية إلى الصائفة فهلك هناك ، فكتب به يزيدُ بن معاوية إلى مُعاوية ، فقال لزُرارة : أتانى اليومَ نعى سيّد شَباب العرب ؛ قال زُرارة : يا أمير المؤمنين ، هو أبنى أو أبنك ؟ قال : بل ابنُك ؛ قال : للموت ما تَلِد الوالدة .

شعر لسابق البربرى وغيره فى معنى قول زرارة : للموت ما تلد الوالدة

أخذه سابقٌ البَرْبَرىّ(1) فقال :

وللموت تَغْذُو الوالداتُ سِخَالَهَا(2) كما لِخرابِ الدّار تُبْنَى المَساكنُ

وقال آخر :

لِلْموتِ يُولد منّا كلُّ مَوْلودِ لا شىء يَبقَى ولا يَفنَى بمَوْجودِ

---

(1) كذا فى ب والأغانى (ج ٦ ص ٥٧ طبعة دار الكتب) : والذى فى سائر الأصول : « البريدى » .

(2) سخالها : أولادها ، الواحد ، سخلة للذكر والأنثى ؛ وهو فى الأصل ولد الغنم .

وفود عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية

المدائنى قال :

قدم عبدُ الله بنُ جعفر على يزيدَ بنِ معاوية . فقال له : كم كان عَطاؤك ؟ فقال له : ألف ألف ؛ قال : قد أضْعفناها لك ؛ قال : فِدَاكَ أبى وأُمّى ، وما قلتُها لأحد قبلك ؛ قال : أضعفناها لك ثانيةً . فقيل ليزيد : أتُعْطِىَ رجلاً واحداً أربعةَ آلاف ألف ! فقال : ويحكم ! إنما أعطيتُها أهلَ المدينة أجمعين ، فما يدُه فيها إلا عارية . فلما كان فى السنة الثانية قَدِم عبدُ الله بن جعفر ، وقدم مولًى له يقال له نافع (١) ، كانت له مَنْزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قدِمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف ، وقَضى عنه ألفَ ألفٍ ، ثم نظر إلىّ فتبسّم ؛ فقلت : هـذه لتلك الليلة . وكنتُ سامرتُه ليلة فى خِلافة معاوية وأسمعتُه فيها فذكَّرته بها . وقَدِمتُ عليه هدايا من مصر كثيرة ، فأمر بها لعبد الله بن جعفر ، وكانت له مائة ناقة ، فقلت لابن جعفر : لو سألتَه منها شيئاً نَحْتلبه فى طريقنا ؟ ففعل ، فأمر بصَرْفها كلّها إليه . فلما أراد الوَداع أرسل إلىّ فدخلتُ عليـه ، فقال : ويلك ! إنما أخّرتك لأتفرّغ إليك ، هاتِ قولَ جميل : ١٤٦ / ١

خَلِيــلىّ فيما عِشْتما هل رأيتُما قتيلاً بكَى من حُبِّ قاتِله قبْلِى

قال : فأسمعتُه ! فقال : أحسنت والله ؛ هات حاجتك . فما سألته شيئاً

(١) هو نافع الخير . (انظر الأغانى ج ١٤ ص ١٠ طبعة بلاق) .

إلا أعطانيه ؛ فقال : إن يُصْلح الله هذا الأمرَ من قِبَل ابن الزبير تَلْقَنا بالمدينة ، فإنّ هذا لا يَحْسُن إلا هناك . فمنع والله من ذلك شُؤْمُ ابن الزُّبير .

وفود عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان

قال بُدَيْح[(١)] :

وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مَرْوان ، وكان زوّجَ ابنته أم كُلْثوم من الحجّاج على ألفى ألف فى السر وخمسمائة فى العلانية ، وحملها إليه إلى العراق ، فمكثت عنده ثمانية أشهر . قال بُدَيْح : فلما خرج عبدُ الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان ، خرجنا معه حتى دخلنا دِمَشْقَ ، فإنّا لنَحُطّ رحالَنا إذ جاءنا الوليدُ بن عبد الملك على بَغلة وَرْدة ومعه الناس ، فقلنا : جاء إلى ابن جعفر ليُحَيِّيه ويدعوَه إلى منزله . فاستقبله ابنُ جعفر بالترحيب ؛ فقال له : لكنْ أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً ؛ فقال : مهلاً يا بن أخى ، فلستُ أهلاً لهذه المَقالة منك ؛ قال : بلَى ولشرٍّ منها ؛ قال : وفيم ذلك ؟ قال : إنك عَمدت إلى عَقِيلة نساء العرب ، وسيّدة بنى عَبْد مناف ، فَفَرَشْتها عَبْدَ ثَقِيف يتفخّذها ؛ قال : وفى هذا عَتْبٌ علىّ يا بن أخى ؟ قال : وما أكثرُ من هذا ؟ قال : والله إنّ أحقّ الناس أن لا يلومنى فى هذا لأنت وأبوك ، إنْ كان مَن قَبلكم من الولاة لَيَصِلون رَحِمى ، ويعرفون حقّى ، وإنك وأباك مَنَعْتمانى ما عندكما حتى رَكِبنى من الدَّين ما والله لو أنّ عبداً مُجدَّعاً حَبَشيًّا

(١) فى الأصول هنا وفيما سيأتى : « بذيح » بالذال المعجمة . والتصويب عن لسان العرب (مادة بدح) .

أعطانى بها ما أعطانى عبدُ ثقيف لزوّجتها ، فإنما فَديتُ بها رَقَبتى من النار . قال : فما راجعه كلمةً حتى عَطَفَ عِنانَه ، ومضى حتى دخل على عبد الملك — وكان الوليدُ إذا غضب عُرِف ذلك فى وجهه — فلما رآه عبد الملك قال : مالك أبا العبّاس ؟ قال : إنك سَلّطت عبدَ ثقيف ومَلّكْته ورَفعته ، حتى تفخّذ نساء عبد مناف ، وأدركتْه الغَيْرة . فكتب عبدُ الملك إلى الحجاج يَعْزِم عليه أن لا يَضع كتابَه من يده حتى يُطلّقها . فما قطع الحجّاج عنها رزقاً ولا كرامةً يُجْرِيها عليها حتى خرجت من الدنيا . قال : وما زال واصلاً لعبد الله بن جعفر حتى هَلَك .

قال بُدَيح : فما كان يأتى علينا هلالٌ إلا وعندنا عِيرٌ مُقْبلة من الحجّاج ، عليها لُطَفٌ(١) وكُسْوة ومِيرة ، حتى لَحق عبدُ الله بن جعفر بالله .

ثم استأذن ابنُ جعفر على عبد الملك ، فلما دخل عليه استقبله عبدُ الملك بالترحيب ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره ، ثم سأله فألطف المسألة ، حتى سأله عن مَطْعمه ومَشْربه ، فلما انقضت مسألتُه ، قال له يحيى بنُ الحَكَم : أمن خَبِيثة(٢) كان وَجْهك أبا جعفر ؟ قال : وما خَبِيثة ؟ قال : أرضك التى جِئْت منها ؛ قال : سبحان الله ! رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُسَمِّيها طِيبة وتُسَمِّيها خَبِيثةً ! لقد اختلفتما فى الدنيا وأظنّكما فى الآخرة مختلفَين . فلما خرج من عنده هَيّأ له ابنُ جعفر هدايا وألطافا . فقلت لبُدَيح : ما قيمة ذلك ؟ قال : قيمتُه

(١) اللطف : جمع لطفة (بالضم) . وهى الهدية .

(٢) كذا فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٠ طبعة بلاق) . والذى فى الأصول : « خبثة » ، والخبثة (بالكسر) : ما لم يكن طيبة غير حلال ، ولا يستقيم بها المعنى هنا .

مائة ألف ، من وُصَفاء(١) ووصائف وكُسوة وحَرير ولُطَف من لُطَف الحِجاز . قال : فبَعثنى بها ، فدخلتُ عليه وليس عنده أحد ، فجعلت أعرِض عليه شيئاً شيئاً . قال : فما رأيتُ مثل إعظامه لكلّ ما عرضتُ عليه من ذلك ، وجعل يقول كلما أريتهُ شيئا : عافَى الله أبا جعفر ، ما رأيتُ كاليوم ، وما كُنّا نُريد أن ١٤٧/١ يتكلّف لنا شيئاً من هذا ، وإن كنّا لمتذمّمين مُحتشمين . قال : فخرجت من عنده ، وأذِن لأصحابه ، فوالله لبينا أنا أحدّثه عن تعجّب عبد الملك وإعظامه لما أهدى إليه ، إذا بفارس قد أقبل علينا ، فقال : أبا جعفر ، إن أمير المؤمنين يَقرأ السلام عليك ، ويقول لك : جمعت لنا وَخْش(٢) رقيق الحجاز وأَبّاقهم ، وحبستَ عنّا فلانة ، فابعث بها إلينا — وذلك أنه حين دخل عليه أصحابُه جعل يُحدّثهم عن هدايا ابن جعفر ويُعظّمها عندهم ؛ فقال له يحيى بن الحَكَم : وماذا أهدى إليك ابنُ جعفر ؟ جمع لك وَخْش رقيق الحجاز وأبّاقهم وحبس عنك فلانة ؛ قال : ويلك ! وما فلانة هذه ؟ قال : ما لم يَسمع والله أحدٌ بمثلها قطُّ جمالاً وكمالا وخُلقاً وأدباً ، لو أراد كرامتك بعَث بها إليك ؛ قال : وأين تُراها ، وأين تكون ؟ قال : هى والله معه ، وهى نفسه التى بين جنْبيه — فلما قال الرسول ما قال ، وكان ابنُ جعفر فى أُذنه بعض الوَقْر إذا سمع ما يكره تصامّ ، فأقبل علىّ فقال : ما يقول يا بُدَيح ؟ قال : قلت : فإن أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول : إنه جاءنى بَريد من ثغر كذا يقول : إن الله نَصر المسلمين وأعزّهم ؛ قال : اقرأ أمير

---

(١) كذا فى ب . والذى فى سائر الأصول : « وصف » . وهو تحريف .

(٢) الوخش : الردىء من كل شىء ، ورذال الناس وسقاطهم ، للواحد ، والجمع والمذكر والمؤنث .

المؤمنين السلام ، وقل له : أعزّ الله نصْرَك ، وكَبت عدوك ؛ فقال الرسول : يا أبا جعفر ، إنى لست أقول هذا ، وأعاد مقالته الأولى . فسألنى ، نصرفته إلى وجه آخر ؛ فأقبل علىّ الرسول ، فقال : يا ماصّ ، أبرُسُل أمير المؤمنين تَهَكَّمُ ؟ وعن أمير المؤمنين تُجيب هذا الجواب ؟ أما والله لأطِلّن(١) دَمَك ؛ فانصرف . وأقبل علىّ ابنُ جعفر فقال : من تُرى صاحبنا ؟ قال : صاحبك بالأمس ؛ قال : أظنّه ، فما الرأى عندك ؟ قلت : يا أبا جعفر ، قد تكلّفتَ له ما تكلّفت ، فإن منعتَها إياه جعلتَها سبباً لمنعك ، ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بَناتِك ما كنتُ أرى أن تمنعها إيّاه ؛ قال : أدْعُها لى . فلما أقبلت رحّب بها ، ثم أجلسها إلى جَنْبه ، ثم قال : أما والله ما كنتُ أظن أن يُفرّق بينى و بينكِ إلا الموت ؛ قالت : وما ذاك ؟ قال : إنه حَدث أمر وليس والله كائناً فيه إلا ما أحببتِ ، جاء الدهر فيه بما جاء ؛ قالت : وما هو ؟ قال : إن أمير المؤمنين بعث يَطْلبك ، فإن تَهْوِين فذاك ، وإلا والله لا يكون أبدًا ؛ قالت : ما شىء لك فيه هوًى ولا أظن فيه فرجاً عنك إلا فديتُه بنفسى ، وأرسلت عَيْنيها بالبكاء ؛ فقال لها : أما إذا فعلتِ فلا تَرَيِنّ مكروهاً . فسحَتْ عينيها ، وأشار إلىّ فقال : ويحك يا بُدَيح ! استحثّها قبل أن تتقدّم إلىّ من القوم بادرة . قال : ودعا بأربع [وصائف] ودعا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار ، ودعا مَوْلاة له كانت تَلِي طيبه ، فدَحَسَت لها رَبْعَة(٢) عظيمة مَمْلوءة طِيبا ، ثم قال : عَجِّلْها ويلك ! فخرجت أسوقها

(١) كذا فى ب . وأطل دمه : أهدره . والذى فى سائر الأصول : « لأطلين » وهو تحريف .

(٢) دحست : ملأت . والربعة : الجونة ، وهى سليلة مغشاة أدما .

حتى انتهيتُ إلى الباب ، وإذا الفارس قد بَلَغ عنّى ، فما تركنى الحُجّاب أن تمسّ رِجْلاى الأرض حتى أُدخلتُ على عبد الملك وهو يَتلظّى ؛ فقال لى : يا ماصّ ! وكذا أنت المُجيب عن أمير المؤمنين والمُتهكِّم برُسله ؟ قلت : ياأمير المؤمنين ، أتأذن لى أتكلّم ؛ قال : وما تقول يا كذا وكذا ؟ قلت : أتأذن لى يجعلنى الله فداك أتكلّم ؛ قال : تَكلم ؛ قلت : ياأمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً ، وأقلّ خطراً من أن يَبْلغ كلامى من أمير المؤمنين ما أرى ، وهل أنا إلا عَبد مِن عَبيد أمير المؤمنين ، نعم قد قُلت ما بلَغك ، وقد يعلم أميرُ المؤمنين أنا إنما نَعيش فى كَنَف هذا الشيخ ، وأنّ الله لم يزل إليه مُحْسناً ، فجاءه من قِبلك شىء ما أتاه قطُّ مثله ، إنما طلبتَ نفسه التى بين جَنْبيه ، فأجبْتُ بما بَلَغك لاستهوال الأمر عليه ، ثم سألنى فأخبرتُه ، واستشارنى فأشرتُ عليه ،
١٤٨/١ وها هى ذه قد جِئْتُك بها ؛ قال : أدْخِلها ويلك ! قال : فأدخلتها عليه ، وعنده مَسلمة ابنه غلام ما رأيت مثلَه ولا أجمل منه حين اخضرّ شاربُه ، فلما جلستْ وكلّمها أُعجب بكلامها ، فقال : لله أبوك ! أمُسِكُك لنفسى أحبُّ إليكِ ، أم أهبك لهذا الغلام ؟ فإنه ابنُ أمير المؤمنين ؛ قالت : ياأمير المؤمنين ، لستُ لك بحقيقة ، وعَسى أن يكون هذا الغلام لى وَجْها ؛ قال : فقام من مكانه ما راجعها ؛ فدخل وأقبل عليها مَسلمة ، فقال : ياالكاع ، أعلَى أمير المؤمنين تَختارين ؟ قالت : ياعدوّ نفسه ، إنما تلومُنى أن اخترتُك ! لعَمْر الله ، لقد فالَ[1] :

---

(١) كذا فى ب . وفال : أخطأ وضعف ، والذى فى سائر الأصول : « قال » بالقاف بدل الفاء ، وهو تصحيف .

رَأْىُ من اختارتك . قال : فَضَيَّتت والله مجلسه ؛ واطّلع علينا عبدُ الملك ، قد أدّهن بدُهن وارى الشّيب ، وعليه حُلة تتلألأ كأنها الذهب ، بيده مِخصرة يَخْطِرُ بها ، فجلس مجلسه على سريره ، ثم قال : إيها ! لله أبوك ! أُمسكك لنفسى أحبُّ لك ، أم أهبك لهذا الغلام ؟ قالت : ومن أنت أصلحك الله ؟ قال لها الخَصِىّ : هـذا أميرُ المؤمنين ؛ قالت : لست مُختارة على أمير المؤمنين أحداً ؛ قال : فأين قولُك آنفاً ؟ قالت : رأيت شيخاً كبيراً ، وأرى أميرَ المؤمنين أشبَّ الناس وأجملَهم ، ولستُ مختارة عليه أحداً ، قال : دُونكها يا مَسْلمة .

قال بُدَيح : فنشرتُ عليه الكُسوة والدنانير التى معى ، وأريتُه الجوارى والطّيب ؛ قال : عافَى الله ابنَ جعفر ، أخشى أن لا يكون لها عندنا نفقة وطِيب وكُسوة ؟ فقلت : بلى ، ولكنه أحبَّ أن يكون معها ما تكتفى به حتى تستأنس . قال : فقبضها مَسْلمة . فلم تلبث عنده إلا يسيراً حتى هلكت . قال بُدَيح : فوالله الذى ذهب بنفس مَسلمة ، ما جلستُ معه مجلساً ، ولا وقفتُ موقفاً أُنازعه فيه الحديث إلا قال : أبغنى مثلَ فلانة ، فأقول : أبغنى مثلَ ابن جعفر .

قال : فقلت لبُديح : ويلك ! فما أجازه به ؟ قال : قال : حين دَفع إليه حاجَته ودَينه ، لأجيزنّك جائزة ، لو نُشِرَ لى مروان من قبره مازِدْته عليها ، فأمر له بمائة ألف ، وايم الله إنى لا أحسبه أنفقَ فى هديّته ومسيره ذلك وجاريته التى كانت عِدلَ نفسه مائتى ألف .

وفود الشعبى على عبد الملك بن مروان

كتب عبدُ الملك بن مَرْوان إلى الحجاج بن يوسف : أن أبعث إلى رجلا يَصْلح للدِّين والدنيا ، أتخذه سَميراً وجليساً وخَلِيًّا ؛ فقال الحجاج : ماله إلا عامر الشَّعبى ، و بعث به إليه . فلما دخل عليه وَجده قد كَبَا مُهتما ، فقال : ما بالُ أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرتُ قولَ زُهير[1] :

كأنّى وقد جاوزتُ تِسعين[2] حِجّةً ... خَلعتُ بها عَنّى[3] عِذار لِجَامِى
رَمَتنى بَناتُ الدَّهر من حيثُ لا أرَى ... فكيف بمَنْ يُرْمَى وليس بِرَامى
فلو أنّنى أُرْمَى بنَبْل رأيتُها[4] ... ولكنّنى أُرمى بغير سِهام
على الرَّاحتين تارةً وعلى العَصا ... أَنُوء ثلاثاً بعدهنّ قِيَامى

قال له الشَّعبى : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لَبيدُ بن ربيعة وقد بلغ سبعين حِجّة :

كأنّى وقد جاوزتُ سبعين حِجّةً ... خَلعتُ بها عن مَنْكِبيّ رِدَائيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين سنةً قال :

باتت تشكّى إلىّ النفسُ مُوهِنةً[5] ... وقد حملتُكِ سَبْعاً بعد سَبْعِينا

(١) لم نجد هذا الشعر لزهير فى المظان التى بين أيدينا . وقد وجدناه منسوبا لعمرو بن قميئة فى ديوانه . (انظر ديوان عمرو بن قميئة طبعة ليبسك) .
(٢) كذا فى الديوان . والذى فى الأصول : « سبعين » .
(٣) فى الديوان . « يوما » مكان قوله « عنى » .
(٤) رواية هذا الشطر فى الديوان :
فلو أنها نبل إذا لاتقيتها
(٥) فى الأغانى (ج ١٤ ص ٩٣ طبعة بلاق) : « مجهشة » .

فإنْ تَزْدادى ثلاثًا تبلغى أملا   وفى الثّــلاث وفاء للثّمانينا

ولمّا بلغ تِسْعين سنة قال :

ولقد سَئِمْتُ من الحياة وطُولِها   وسُؤال هذا الناسِ كيفَ لَبِيدُ

ولما بلغ عشراً ومائة[1] قال : ١٤٩/١

أليسَ ورائى إن تراخت مَنيّتى   لُزومُ العصا تُحْنى عليها الأصابعُ[2]

أُخبّرُ أخبارَ القُرُون التى خلت   أنوء[3] كأنّى كلّما قُمْتُ راكِع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرتْه الوفاة قال :

تمنّى ابنتاىَ أن يَعيش أبوهما   وهلْ أنا إلا مِنْ رَبيعة أومُضَرْ

فقُوما فقُولا بالذى تَعْلمانه   ولا تَخْمِشا وَجْهًا ولا تَحْلِقا شَعَر

وقُولا هو المَرْء الذى لا صديقَه   أضاعَ ولا خانَ الخليلَ ولا غَدَر

إلى سَنَةٍ ثم الســلامُ عليكما   ومن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

قال الشعبيّ : فلقد رأيت المرور فى وَجه عبد المَلك طَمعاً أن يعيشها .

وفود الحجاج بإبراهيم بن محمد بن طلحة على عبد الملك بن مروان

عمران بن عبد العزيز[4] قال :

---

(١) فى الأغانى بعد هذه العبارة :

ألَيس فى مائة قد عاشها رجل   وفى تكامل عشر بعدها عمر

وبين الحديثين هنا وفى الأغانى بعض خلاف فارجع إليه .

(٢) فى الأصول : «الأضالع» . والتصويب عن الشعر والشعراء .

(٣) فى الشعر والشعراء : « أدب » .

(٤) كذا فى بعض الأصول وميزان الاعتدال للذهبي (ج ٢ س ٢٧٨) . والذى فى سائر الأصول : « عمر » .

لما وَلى الحجّاجُ بن يوسُف الحرَمين بعد قَتْلِه ابن الزبير استخلص إبراهيمَ بن محمد بن طلحة فقرّبه وعظّم منزلته ، فلم تزل تلك حالهُ عنده حتى خرج إلى عبد الملك بن مروان ، فخرج معه مُعادِلاً ، لا يُقصِّر له فى برّ ولا إعظام ، حتى حضَر به عبدَ الملك ، فلما دخل عليه لم يَبدأ بشىء بعد السلام إلا أن قال له : قَدِمتُ عليك أمير المؤمنين برجُل الحجاز ، لم أدَع له بها نظيراً فى الفَضْل والأدب والمُرُوءة وحُسن المَذْهب ، مع قَرابة الرّحم ووُجوب الحق وعِظَم قَدْر الأُبُوّة ، وما بلوتُ منه فى الطاعة والنصيحة وحُسن المُوَازرة ، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وقد أحضرتُه بابَك ليَسْهُل عليه إذنُك ، وتَعرِفَ له ما عَرّفتك ؛ فقال : أذكرتَنا رَحِماً قريبة وحقًّا واجباً ، يا غلام ، ائذن لإبراهيم بن محمد بن طلحة .

فلما دخل عليه أدناه عبدُ الملك حتى أجلسه على فِراشه ، ثم قال له : يا بن طلحة ، إن أبا محمد ذكّرنا ما لم نَزَل نَعرفك به فى الفَضْل والأدب والمُروءة وحُسن المذهب ، مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعِظَم قدر الأبوّة ، وما بَلاه منك فى الطاعة والنصيحة وحُسن الموازرة ، فلا تدعنّ حاجة فى خاصّة نفسك وعامّتك إلا ذكرتَها ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أولَ الحوائج وأحقّ ما قُدِّم بين يدى الأمور ما كان لله فيه رِضا ، ولحقّ نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وعندى نصيحة لا أجد بُدًّا من ذكرها ، ولا أقدر على ذلك إلا وأنا خالٍ ، فأَخْلِنى يا أمير المؤمنين تَرِد عليك نصيحتى ؛ قال : دون أبى محمد ؟ قال : نعم ، دون أبى محمد . قال عبد الملك للحجّاج : قُم . فلما خَطَرَف[1]

---

(١) خطرف الستر ، أى أسدل وأرخى .

السِّترُ أقبل علىّ ، فقال : يابن طلحة ، قُل نصيحتك ؛ فقال : تالله يا أمير المؤمنين ، لقد عَمدَت إلى الحجاج فى تَغطرسه ، وتَعَجْرُفه ، وبُعده من الحق ، وقُربه من الباطل ، فولَّيتَه الحرمين ، وهما ماهما وبهما مابهما من المهاجرين والأنصار والموالى الأخيار يَطؤُهم [بطَغام أهل الشام وَرَعَاعٍ لا رَوِيَّة لهم فى إقامة حَق ولا فى إزاحة باطل] (١) ، ويَسومهم الخسفَ ويحكم فيهم بغير السُّنة ، بعد الذى كان من سَفْك دمائهم ، وما انتُهك من حُرَمَهم ، ثم ظننتَ أنّ ذلك فيما بينك وبين الله زاهق (٢) ، وفيما بينك وبين نَبيّك غداً إذا جاثاك (٣) للخصومة بين يدى الله فى أُمته ، أما والله لا تَنجو هنالك إلا بحُجّة ، فاربَعْ على نفسك (٤) أودَعْ .

فقال له عبد الملك : كذبتَ ومِنْتَ وظنّ بك الحجّاج مالم يجده فيك ، وقد يُظنّ الخير بغير أهله ، قُم فأنت الكاذب المائن . قال : فقمتُ وما أعرف طريقاً ، فلما خَطرف الستر لَحِقنى لاحق ، فقال : احبِسوا هذا ، وقال للحجّاج : ادخل ، فدخل ، فمكث مَلِيًّا من النهار لا أشكّ أنهما فى أمرى ، ثم خرج ١٥٠/١ الآذِن ، فقال : ادخل يابن طلحة ، فلما كُشف لى الستر لَقِيَنى الحجّاج ، وهو خارج وأنا داخل ، فاعتنقنى وقبّل ما بين عينيّ ، وقال : أما إذا جَزَى الله المتواخِيَيْن خيراً بفضل تواصُلهم فجزاك الله عنّى أفضلَ الجزاء ، فوالله لئن سَلِمْتُ

(١) التكملة عن سرح العيون (ص ١١٩) .

(٢) زاهق : هالك .

(٣) المجاثاة للخصومة : أن يجلس كل على ركبتيه مستوفزا .

(٤) اربع على نفسك ، أى كف وارفق .

لك لأرفعنّ ناظرك(١) ، ولأعلينّ كعبك ، ولأتبعنّ الرجال غُبار(٢) قدميك ؛ قال : قلت : يَهزأ بى وحقِّ الكعبة . فلما وصلتُ إلى عبد الملك أدنانى حتى أدنانى [عن] مجلسى الأول ، ثم قال : يابن طلحة ، لعل أحداً شاركك فى نصيحتك هذه ؟ قلت : والله يا أمير المؤمنين ، ما أعلم أحداً أنصعَ(٣) عندى يداً ولا أعظمَ معروفاً من الحجاج ، ولو كنتُ محابياً أحداً لغرض دُنيا لحابيتُه ، ولكنى آثرتُ الله ورسوله وآثرتُك والمؤمنين عليه ؛ قال : قد علمتُ أنك لم تُرد الدنيا ، ولو أردتها لكانت لك فى الحجّاج ، ولكن أردتَ الله والدارَ الآخرة ، وقد عزلتُه عن الحرمين لما كرهتَ من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتَنى له عنهما استقلالاً لهما ، وولّيتُه العراقين ، وما هنالك من الأمور التى لا يَدْحضها إلا مثلُه ، وأعلمته أنك استدعَيْتنى إلى ولايته عليهما استزادةً له ، لأُلزمه بذلك من حقّك ما يؤدّى إليك عنّى أجرَ نصيحتك ، فاخرج معه فإنك غير ذامٍّ لصُحْبته . [فخرجتُ مع الحجّاج وأكرمنى أضعاف إكرامه(٤)]

وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الأزارقة

أبو الحسن المَدائنى قال :

لما هَزم المُهلّب بن أبى صُفرة قَطرىَّ بن الفُجاءة صاحبَ الأزارقة ، بعث

(١) يريد : لأرفعن رأسك .
(٢) كذا فى سرح العيون . والذى فى الأصول : « عثرة » . وظاهر أنه محرف عن « غبرة » بالتحريك ، وهى الغبار .
(٣) كذا فى ب . والذى فى سرح العيون : « أظهر » . والذى فى سائر الأصول : « انضح » . وهو تصحيف .
(٤) التكملة عن سرح العيون .

إلى مالك بن بشير ، فقال له : إنى مُوفدك إلى الحجاج فسِرْ ، فإنما هو رجل مثلك ؛ و بعث إليه بجائزة ، فردّها وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقاق ، وتوجّه . فلما دخل إلى الحجاج ؛ قال له ، ما اسمُكَ ؟ قال : مالك بن بَشير ؛ قال : مُلْك وبِشارة ؛ كيف تركتَ المُهلَّب ؟ قال : أدركَ ما أمّل وأمِّن من خاف ؛ قال : كيف هو بجُنده ؟ قال : والدٌ رءوف ؛ قال : فكيف جُنده له ؟ قال أولادٌ بَررة ؛ قال : كيف رِضاهم عنه ؟ قال : وَسِعهم بالفضل وأقنعهم بالعَدْل ؛ قال : فكيف تصنعون إذا لَقيتم عدوّكم ؟ قال : نَلقاهم بجِدِّنا فنطمع فيهم ، ويَلْقوننا بجدّهم فيطمعون فينا ؛ قال : كذلك الحَدّ إذا لقى الحَدّ ؛ قال : فما حال قَطرىّ ؟ قال : كادَنا ببعض ما كِدْناه ؛ قال : فما منعكم من اتباعه ؟ قال : رأينا المُقام من ورائه خيراً من اتّباعه ؛ قال : فأخبرنى عن ولد المُهلّب ؛ قال : أعْباء القِتال بالليل ، حُماة السَّرح[1] بالنهار ؛ قال : أيهما أفضل ؟ قال : ذلك إلى أبيهم ؛ قال : لتقولَنَّ ؛ قال : هم كحَلْقة مضروبة لا يُعرف طرفاها ؛ قال : أقسمتُ عليك ، هل روّأْت[2] فى هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غَيبه أحداً ؛ فقال الحجاج لجُلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

وفود جرير على عبد الملك بن مروان

لما مَدح جرير بن الخَطفى الحجّاج بن يوسف بشِعْره الذى يقول فيه :

مَن سَدَّ مُطّلع النِّفاق عليكمُ ... أم مَن يَصُول كَصولة الحجّاجِ

---

(١) السرح : المال السائم . ورواية هذه العبارة فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢١) : « حماة السرح نهارا ، فإذا أليلوا ففرسان البيات » . وبين الخبرين هنا وهناك خلاف فارجع إليه .

(٢) روأ فى الأمر : نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب .

أم من يغارُ على النِّساء حَفِيظةً [1] إذ لا يَثِقْن بغَيْرة الأزواجِ

وقوله :

دعا الحجاج مِثْلَ دُعاء نُوح فأسْمعَ ذا المَعارج فاستجابا

قال له الحجاج : إنَّ الطاقة تعجِز عن المكافأة ، ولكنّى مُوفدك على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فسِرْ إليه بِكتابى هـذا . فسار إليه ، ثم استأذنه فى الإنشادِ ، فأذن له ، فقال :

١٥١/١ * أتَصْحو بل فؤادُك غيرُ صاحِى *

قال له عبد الملك : بل فؤادك . فلما انتهى إلى قوله :

تَعزّت أمُّ حَزْرة ثم قالت رأيت الوَاردين ذَوِى امْتياحِ [2]

ثِقِى بالله ليس له شَرِيكٌ ومِن عند الخَلِيفة بالنَّجاح

سأشكر إن رَددتَ إلىَّ رِيشى وأنبتَّ القوادم فى جَناحى

ألستُم خَيْرَ مَن ركب المَطايا وأندَى العالمين بُطونَ راح

ارتاح عبد الملك وكان مُتكئاً ، فاستوى جالساً ، ثم قال : مَن مدحنا منكم فَلْيمدحنا بمثل هذا أو ليسكُت ؛ ثم قال له : يا جرير ، أترى أم حَزْرة تُرويها مائةُ ناقة من نَعَم كَلْب ؟ قال : إذا لم تُروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله . فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب كلّها سُود الحَدقة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنها

---

(١) فى الأصول : « وبشعره الذى يقول فيه » بين هذا البيت والذى قبله . وهذه العبارة مقحمة من الناسخ .

(٢) الامتياح : المنفعة والعطاء . والذى فى الأغانى (ج ٨ ص ٦٩ طبعة دار الكتب المصرية) وديوان جرير : « لقاح » .

أباق ونحن مشايخ ، وليس بأحدنا فضل عن راحلته ، فلو أمرتَ بالرِّعاء ؛ فأمر له بثمانية من الرِّعاء . وكانت بين يدى عبد الملك صِحاف من فِضّة يَقرعها بقضيب فى يده ؛ فقال له جرير : والمِحْلب يا أمير المؤمنين ، وأشار إلى صَحْفة منها ، فنَبذها إليه بالقضيب وقال : خُذْها لا نفعتك . ففى ذلك يقول جرير :

أعطَوْا هُنيدة(١) يَحْدوها ثمانيةٌ ما فى عَطائهم مَنٌّ ولا سَرَفُ

وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قَدِم جرير بن الخَطَفى ، على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، عن أهل الحجاز فاستأذنه فى الشعر ، فقال : مالى وللشعر يا جرير ؟ إنى لفى شُغل عنه ؛ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنها رسالة عن أهل الحجاز ؛ قال : فهاتها إذاً ؛ فقال :

كم من ضَريرٍ أميرَ المؤمنين لَدَى أهل الحِجاز دَهاه البُؤس والضَّررُ
أصابت السنةُ الشّهباء ما ملَكت يمينُه فَحناه الجَهْد والكِبَرُ
ومن قَطيع الحَشا(٢) عاشت مُخبّأةً ما كانت الشمسُ تَلقاها ولا القَمر
لمّا اجتلتْها صُرُوفُ الدهرِ كارهةً قامت تُنادى بأعلى الصوت يا عُمر

وفود دُكَين الراجز على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قال دُكين بن رَجاء الفُقَيْمى الراجز : مدحت عُمر بن عبد العزيز ، وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمسَ عَشرَة ناقة كرائم صِعاباً ، فكرِهت أن أرمى

(١) الهنيدة : اسم للمائة من الإبل ؛ أو لما فوقها ودونها ، أو للمائتين .
(٢) قطيع الحشا ، أى كأن عجزها منقطع من سائر جسدها لضمور خصرها .

بها الفِجاج فَتنْتَشِرَ علىّ ، ولم تَطِب نفسى ببيعها ، فقَدِمَتْ علينا رُفقةٌ من مُضَر[1] ، فسألتهم الصُّحبة ، فقالوا : إن خرجتَ الليلةَ ؛ فقلت : إنى لم أودّع الأمير ولا بدّ من وَداعه ؛ قالوا : فإن الأمير لا يُحْجَب عن طارق ليل ؛ فاستأذنتُ عليه ، فأذِن لى وعنـده شيخان لا أعرفهما ؛ فقال لى : يا دُكين ، إنّ لى نفسًا توّاقة ، فإن أنا صِرْتُ إلى أكثرَ مما أنا فيه فبِعَيْنٍ ما أرينّك[2] ؛ قلت : أَشْهِد لى بذلك أيها الأمير ؛ قال : إنى أُشهد الله ؛ قلت : ومِن خَلْقه ؟ قال : هذين الشيخين ؛ قلت لأحدهما : مَن أنت يَرْحمك الله أعرِفُك[3] ؟ قال : سالمُ بن عبد الله ؛ فقلت : لقد استَسْمنتُ[4] الشاهد ؛ وقلت للآخر : مَن أنت يَرحمك الله ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير، وكان مُزَاحمٌ يُكنَى أبا يحيى . قال دُكَين: فخرجتُ بهنّ إلى بلدى فرَمى الله فى أذنابهنّ بالبركة ، حتى اتخذتُ منهنّ الضياع والرِّباع[5] والغِلْمان ، فإنى لبِصَحْراء فَلْج إذا بَريد يَرْكُض إلى الشام ، فقلت له : هل من مُغْرِبة خَبَر[6] ؟ قال :
١٥٢/١ مات سليمان بنُ عبد الملك ؛ قلت : فمَن القائم بعده ؟ قال : عمرُ بنُ عبد العزيز . قال : فأنختُ قَلُوصى، فألقيت عليها أداتى وتوجّهت عنده ، فلقِيت جريرًا فى الطريق جائيًا من عنده ، فقلت : من أين أبا حَزْرة ؟ قال : من عند أمير يُعْطِى الفقراء

(١) كذا فى الشعر والشعراء . والذى فى الأصول : « مصر » . وهو تصحيف .
(٢) كذا فى الشعر والشعراء . والذى فى الأصول : « فبعين ما رأيتك » . وفيه تحريف ظاهر .
(٣) فى الأصول : « فقال لى » مكان قوله « فقلت » . وما أثبتناه عن الشعر والشعراء .
(٤) كذا فى الشعر والشعراء . يريد : لقد ظفرت بشاهد له خطره . والذى فى الأصول : « استسميت » . وهو تصحيف .
(٥) الرباع : الدور ؛ الواحد : ربع (بالفتح) .
(٦) أى هل من خبر جديد جاء من بلد بعيد . قال أبو عبيد : يقال بكسر الراء وفتحها مع الإضافة فيهما ، وقالها الأموى بالفتح .

ويَمنع الشعراء ؛ قلت : فما ترَى ، فإنى خرجت إليه ؟ قال : عَوِّل عليه فى مال ابن السبيل ، كما فعلتُ . فانطلقت فوجدتُه قاعداً على كرسىّ فى عَرْصة داره قد أحاط الناس به ، فلم أجد إليه سبيلاً للوصول ، فناديتُ بأعلى صوتى :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمْ وعُمَرَ الدَّسائع العظائمْ
إنى أمرؤٌ من قَطَنِ بن دارم أطلُب حاجى من أخى مَكارم
إذ نَنتجِى واللهُ[1] غيرُ نائم [فى ظلمة الليل وليلى عائمِ][2]
عندَ أبى يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى ، ففرَّج لى وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لهذا البدوىّ عندى شهادة [عليك] ؛ قال : أعرفها ، ادنُ منى يا دُكين ، أنا كما ذكرتُ لك أنّ لى نفسًا توّاقة ، وأن نفسى تاقت إلى أشرف منازل الدنيا ؛ فلما أدركتُها وجدتُها تتوق إلى الآخرة ، والله ما رَزَأتُ من أمور الناس شيئاً فأعطيَك منه ، وما عندى إلا ألفا درهم ، أعطيك أحدَها ؛ فأمر لى بألف درهم . فوالله ما رأيت ألفًا كانت أعظمَ بركةً منها .

وفود كثيّر والأحوص على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

حماد الراوية قال :

قال لى كُثيِّر عَزّة : ألا أخبرك عما دعانى إلى ترك الشعر ؟ قلت : نعم ؛ قال : شَخصْتُ أنا والأحوص ونُصيب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكلٌّ واحد منا يُدِلّ عليه بسابقة وإخاء قديم ، ونحن لا نشكّ أنه سَيَشْرَكُنا

---

(١) كذا فى الشعر والشعراء والذى فى الأصول : « والليل » .

(٢) التكملة عن الشعر والشعراء .

فى خلافته ، فلما رُفِعَت لنا أعلامُ خُناصِرة[(١)] ، لقينا مَسلمةُ بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العربِ ؛ فسلّمنا ، فردّ ، ثم قال : أمَا بلغكم أنّ إمامكم لا يقبل الشعر ؟ قلنا : ما توضَّح إلينا خبَرٌ حتى انتهينا إليك ، ووَجَمْنا وَجْمة عرف ذلك فينا ؛ فقال : إن يَكُ ذو دِين بنى مَرْوان قد وَلِى وخَشِيتم حِرمانه ، فإنّ ذا دُنياها قد بَقِى ولكم عندى ما تُحِبون ، وما ألبث حتى أرجع إليكم وأمنحكم ما أنتم أهلُه . فلما قدم كانت رحالُنا عنده بأكرم مَنزل وأكرم مَنزول عليه ؛ فأقمنا عنده أربعةَ أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره فلا يؤذن لنا ، إلى أن قلت فى جمعة من تلك الجمع : لو أنّى دنوتُ من عمر فسَمِعت كلامَه فحفظته كان ذلك رأيا ، ففعلتُ . فكان مما حفظتُ من كلامه : لكلّ سَفَر زادٌ لا محالة ، فتزوّدوا لسَفَركم من الدنيا إلى الآخرة بالتّقوى ، وكونوا كمن عايَن ما أعدّ الله له من ثوابه أو عقابه ، فترغبوا وترهبوا ، ولا يَطُولَنّ عليكم الأمد فتقسوَ قلوبكم وتَنقادوا لعدوّكم ؛ فى كلام كثير لا أحفظه . ثم قال : أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى فتَخسرَ صفقتى ، وتَظهر عَيْلتى ، وتَبدو مَسْكنتى ، فى يوم لا ينفع فيه إلا الحقُّ والصِّدْق . ثم بكى حتى ظننتُ أنه قاضٍ نَحْبه ، وارتجّ المسجدُ وما حوله بالبكاء ، وانصرفتُ إلى صاحبىّ فقلت لهما : خُذا فى شَرْجٍ[(٢)] من الشِّعر غير ما كنّا نقول لعُمرَ وآبائه ، فإن الرجل آخِرىٌّ وليس بِدُنْيَوىّ . إلى أن استأذن لنا مَسلمة فى يوم جُمعة ما أُذن للعامة ، فلما دخلتُ سلّمت

(١) خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية . عن معجم البلدان) .

(٢) كذا فى الشعر والشعراء . والشرج : الضرب واللون . والذى فى الأصول : « شرح » بالحاء المهملة . وهو تصحيف .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، طال الثّواء وقلّت الفائدة وتحدّثت بجفائك إيّانا وفودُ العرب ؛ قال : يا كُثَيِّر (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وفى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ) أفى واحد من هؤلاء أنت ؟ قلت : بَلَى ، ابن سبيل منقطَع به ، وأنا ضاحك(١) ؛ قال : ألستَ ضَيْفَ(٢) أبى سعيد ؟ قلت : بلى ؛ قال : ما أرى ضيفَ أبى سعيد منقطعاً به ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى الإنشاد ؟ قال : نعم ، ولا تقل إلا حقًّا ؛ فقلت :

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عليًّا ولم تُخِفْ ... بَرِيًّا ولم تَقْبَلْ إشارةَ مُجْرِمِ
وصدَّقتَ بالفعل المقالَ مع الذى ... أتيتَ(٣) فأمسى راضيًا كلُّ مُسلمِ
ألا إنما يَكْفى الفتى بعد زَيْغه ... من الأَوَدِ البادى(٤) ثِقافُ المُقَوِّمِ
وقد لَبِستْ لُبْسَ الهَلوك(٥) ثيابَها ... تَراءى لك الدُّنيا بكفٍّ ومِعصمِ
وتُومِضُ أحيانًا بعينٍ مريضةٍ ... وتَبْسِمُ عن مِثْلِ الجُمان المنظَّمِ
فأعرضتَ عنها مُشْمئزًّا كأنما ... سَقتْك مَدُوفًا(٦) من سِمامٍ وعَلْقمِ

(١) كذا فى الأغانى والشعر والشعراء فى ترجمة كثير . والذى فى الأصول : « صاحبك » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى الأغانى والشعر والشعراء : والذى فى الأصول : « صاحب » . وبين سياق الحديث هنا وفى الأغانى والشعر والشعراء خلاف فارجع إليهما .
(٣) فى الأغانى : « وقلت فصدقت الذى قلت بالذى * فعلت فأضحى » .
(٤) كذا فى الشعر والشعراء . والذى فى الأغانى والأصول : « الباقى » .
(٥) كذا فى الشعر والشعراء والهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال . والذى فى الأصول : « الملوك » . وهو تحريف .
(٦) المدوف المخلوط . وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ فى الدواء والطيب . والسمام : السم .

وقد كنتَ من أجبالها فى مُمنَّع ... ومن بحرها فى مُزْبد الموْج مُفْعَم
وما زلتَ تَوّاقاً[1] إلى كل غايةٍ ... بلغتَ بها أعلى البِناء المُقوَّم[2]
فلما أتاك المُلْك عفواً ولم يكن ... لطالبِ دنيا بعْدَه من تكلُّم[3]
تركتَ الذى يَفنى وإن كان مُونِقا[4] ... وآثرْتَ ما يَبْقى برأْى مُصمِّم
وأضررت بالفانى وشمّرت للذى ... أمامك فى يوم من الهَوْل[5] مُظلم
ومالَكَ[6] إذ كنتَ الخليفة مانعٌ ... سوى الله من مال رَغِيب ولا دَم
سَما لك همٌّ فى الفؤاد مُؤرِّقٌ ... بَلغت به أعلى المعالى بسُلَّم
فما بين شرْق الأرض والغرْب كلّها ... مُنادٍ يُنادى من فَصيح وأعْجم
يقول: أميرَ المؤمنين ظلمتَنى ... بأخذٍ لدينار ولا أخْذِ دِرهم
ولا بَسْطِ كفٍّ لامرئٍ غير مُجرم ... ولا السفكِ منه ظالماً مِلء مِحْجَم
ولو يستطيع المسلمون لقسّموا ... لك الشطرَ من أعمارِهم غير نُدَّم
فأرْبِح بها من صَفْقة لمُبايع ... وأعْظِم بها أعظم بها ثم أعظِم

قال: فأقبل علىّ وقال: إنك مَسئول عما قلت. ثم تقدّم الأحوص فاستأذنه فى الإنشاد؛ فقال: قُل ولا تقل إلاّ حقا؛ فقال:

---

(١) فى الأغانى: «سباقا».
(٢) فى الأغانى والشعر والشعراء: «المقدم».
(٣) كذا فى الأغانى والشعر والشعراء. والذى فى الأصول: «تقدم».
(٤) فى الأصول: «رونقاً». وما أثبتناه عن الأغانى والشعر والشعراء.
(٥) فى الأصول والشعر والشعراء: «الشر» وما أثبتناه عن الأغانى.
(٦) كذا فى الأغانى. والذى فى الأصول: «سوى الله مال قد رعيت ودرهم». وفيه تحريف ظاهر.

وما الشِّعر إلا حكمةٌ (١) من مُؤلِّف ... بمنطق حقٍّ أو بمنطِق باطلِ
فلا تقبلنْ إلا الذى وافق الرِّضا ... ولا ترجعنَّا كالنِّساء الأرامل
رأيناك لم تَعدلْ عن الحق يَمنةً ... ولا شأمةً (٢) فِعلَ الظَّلوم المُخاتل
ولكن أخذتَ الحقَّ (٣) جهدك كلَّه ... وتقفو (٤) مثالَ الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نَكْذِب بما قد بدا لنا ... ومن ذا يرُد الحقَّ من قول قائل (٥)
ومن ذا يرُد السهمَ بعد مَضائه (٦) ... على فُوقه إذ عار (٧) من نزعِ نابل
ولولا الذى قد عوَّدتْنا خلائفٌ ... غَطاريفُ كانوا كالليوث البواسل
لما وَخَدتْ شهراً برَحْلى شِمِلَّةٌ (٨) ... تقُد مُتون البِيد بين الرَّواحل
ولكن رجَوْنا منك مثل الذى به ... حُبينا زماناً (٩) من ذَويك الأوائل
فإن لم يكن للشعر عندك مَوْضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُر من نظم قائلِ
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه ... سوى أنه يُبنى بناء المنازل
فإنّ لنا قرْبى ومحضَ مودةٍ ... وميراثَ آباء مَشَوْا بالمَناصل ١٥٤/١
فذادوا عدوّ السِّلم عن عُقْرِ دارهم ... وأرْسَوْا عمودَ الدِّين بعد التمايُل

(١) فى الأغانى والشعر والشعراء : « خطبة » .
(٢) فى الأغانى والشعر والشعراء « يسرة » . وهى بمعناها .
(٣) فى الأغانى والشعر والشعراء : « القصد » .
(٤) فى الأصول والشعر والشعراء : « تقد » . وما أثبتناه عن الأغانى .
(٥) فى الأغانى : « عاذل » .
(٦) فى الأغانى : « مروقه » .
(٧) السهم العائر : الذى لا يدرى من أين أتى .
(٨) الشملة : السريعة . والذى فى الأغانى : « جسرة » .
(٩) فى الأغانى والشعر والشعراء : « صرفنا قديما » .

وقَبلكَ ما أعطى الهُنَيدة جِلّةً على الشِّعر كعباً من سَديس وبازِلِ (١)

رسولُ الإله المُستضاء بنوره عليه سلام بالضُّحى والأصائل (٢)

فقال : إنك مسئول عما قلت . ثم تقدم نُصيب فاستأذنه فى الإنشاد ، فلم يأذن له ، وأمره بالغزو إلى دابِق (٣) ، فخرج إليها وهو مَحْمُوم . وأمر لى بثلثمائة ، وللأحوص بمثلها ، ولنُصيب بمائة وخمسين .

وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

ابن الكلبىّ :

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وفَدت إليه الشعراء كما كانت تَفِد إلى الخلفاء قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول ، حتى قدم عَوْن بن عبد الله بن عُتبة (٤) بن مسعود على عمر بن عبد العزيز ، [وعليه عمامة قد

(١) الهنيدة : اسم للمائة من الإبل ؛ وقيل اسم لها ولغيرها . ويريد بكعب : كعب بن زهير . والسديس من الإبل : ما دخل فى السنة الثامنة . والبازل : الذى فطر نابه ، أى انشق ، وذلك فى السنة التاسعة .

(٢) هذه العطية التى ذكرها الشاعر غير المعروف فى كتب السير . والمعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية : « بانت سعاد » ووصل فيها إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه بردة كانت عليه ، بذل له فيها معاوية عشرة آلاف درهم ، فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً . فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم .

(٣) دابق : قرية قرب حلب بينهما أربعة فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٤) كذا فى الأغانى (ج ٨ ص٤٧) . وديوان جرير . والذى فى الأصول : « عدي بن أرطاة » .

أرخَى طرَفَيْها[1]]، وكانت له منه مكانة ، فصاح به جرير[2] :

يأيها الرَّجلُ المُرْخِى عمامته[3] هذا زمانُكَ إنى قد مضى زَمَنِى
أبلغْ خليفَتنا إن كنتَ لاقِيَهُ أنِّى لدَى الباب كالمَصْفود فى قَرَن
وَحش المكانة من أهلى ومن ولدى نائى المَحَلّة عن دارى وعن وطنى[4]

قال : نعم أبا حَزْرة ونُعمى عين . فلما دخل على عمر ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية وسِنانهم مَسْنونة ؛ قال : يا عَوْن[5] : مالى وللشعراء ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ النبى صلى الله عليه وسلم : قد مُدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مُسلم ؛ قال : ومن مَدحه ؟ قلتُ : عبّاس بن مرداس ، فكساه حُلّة قطع بها لسانه ؛ قال : وتَرْوِى قوله ؟ قلت : نعم :

رأيتُك يا خير البريّة كلِّها نَشرتَ كتاباً جاء بالحق مُعْلَمَا
ونوّرْت بالبُرهان أمراً مُدَمَّسا[6] وأطفأْت بالبُرهان ناراً مُضرَّما
فمن مُبلغ عنِّى النبىَّ محمداً وكلُّ امرئ يُجزى بما قد تكلّما
تعالَى عُلُوًّا فوق عرش إلٰهنا وكان مكانُ الله أعلَى وأعظما

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قلت : ابن عمك عمر بن أبى ربيعة ؛ قال : لا قرّب الله قرابته ولا حيّا وجهه ، أليس هو القائل :

(١) هذه العبارة عن الأغانى .
(٢) كذا فى الأغانى . والذى فى الأصول : « فقال جرير » .
(٣) كذا فى الأغانى وديوان جرير . والذى فى الأصول : « المزجى مطيته » .
(٤) ويروى :
لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى
(٥) فى الأصول : « ياعدى » . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٩١ من هذا الجزء) .
(٦) المدمس : المظلم ، من الدموس ، وهى الظلمة .

ألاَ ليتَ أنى يومَ حانت مَنيَّتى   شمِمْتُ الذى ما بين عيْنَيك والفَمِ
وليتَ طَهورى كان رِيقَك كلّه   وليت حَنوطى من مُشاشك والدم
ويا ليتَ سَلْمى فى القُبور ضَجيعتى   هنالك أو فى جَنّة أو جهنّمِ

فليته والله تمنّى لقاءها فى الدنيا ، ويعمل عملاً صالحاً ، والله لا دخل علىّ أبداً ؛ فمن بالباب غير من ذكرْت ؟ قلت : جبل بن مَعْمر العُذْرىّ ؛ قال : هو الذى يقول :

ألا لَيتنا نَحْيا جميعاً وإن نَمُتْ   يوافى لدى الموتى ضَريحى ضريحُها
فما أنا فى طول الحياة براغب   إذا قيل قد سُوِّى عليها صَفيحُها
أظلُّ نهارى لا أراها ويَلْتقى   مع الليل رُوحى فى المنام ورُوحُها

اعزُب به ، فوالله لا دخل علىّ أبداً ، فمن غير من ذكرت ؟ قلتُ : كُثيِّر عزّة ؛ قال : هو الذى يقول :

رُهْبانُ مَدينَ والذين عَهِدتُهم   يَبكون من حَذَرِ العذاب قُعودا
155/1 لو يَسمعون كما سَمِعْتُ حديثها   خرُّوا لعزّة راكعين سُجودا

اعزُب به ، فمن بالباب غيرُ من ذكرت ؟ قلتُ : الأحوص الأنصارى ؛ قال : أبْعدَه الله ومَحقه ، أليس هو القائل ، وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريةً هرب بها منه :

اللهُ بينى وبينَ سيِّدها   يَفِرّ عنّى بها وأتبعُ

اعزُب به ، فمن بالباب غيرُ من ذكرت ؟ قلتُ : همّام بن غالب الفرزدق ؛ قال : أليس هو القائل يفخر بالزنى :

هما دَلَّتانى من ثمانين قامةً كما انقضّ بازٍ أقتمُ الريش كاسرُه
فلمّا استوت رجْلاى فى الأرض قالتا (١) أحىٌّ يُرَجَّى أم قتيل نُحاذره
وأصبحتُ فى (٢) القوم الجلوس وأصبحت مُغلَّقة دونى عليها دساكرُه
فقلت ارفعا الأسْباب (٣) لا يَشْعروا بنا ووَلَّيتُ فى أعقاب (٤) لَيـلٍ أُبادره

اعزب به ، فوالله لا دخل علىّ أبداً ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قُلْتُ : الأخطل التَّغلبى ؛ قال : أليس هو القائل :

فلستُ بصائمٍ رمضانَ عُمْرِى (٥) ولستُ بآكل لحمَ الأضاحِى
ولستُ بزاجرٍ عنسا بَكوراً إلى بَطْحاء مكّةَ للنَّجاح
ولستُ بقائم كالعَيْر يَدْعو قُبَيْل الصُّبح حىّ على الفلاح (٦)
ولـكنّى سأشرَبها شَمولا وأسجُد عنـــد (٧) مُنبلج الصَّباح

اعزب به ، فوالله لا وَطِىء لى بساطاً أبداً وهو كافر ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : جرير بن الخَطَفى ؛ قال : أليس هو القائل :

لولا مُراقبة العُيون أرينَنا مُقَلَ (٨) المَها وسَوالفَ الآرامِ

---

(١) فى ديوان الفرزدق : « نادتا » .
(٢) كذا فى ديوان الفرزدق . والذى فى الأصول : « لا » مكان قوله « فى » .
(٣) كذا فى الديوان . والذى فى الأصول : « ارفعوا الأحراس » .
(٤) فى الديوان : « فى أعجاز » .
(٥) فى العمدة لابن رشيق (ص ٢٠) : « طوعا » مكان قوله « عمرى » .
(٦) رواية هذا البيت فى العمدة :

ولست مناديا أبدا بليل كمثل العير حى على الفلاح

(٧) فى العمدة : « قبل » مكان قوله « عند » . ولعل قوله : « أسجد » محرفة عن « أجأر » .
(٨) يروى : « حدق » .

هل يَنْهينَّك أن قتلن مُرقَّشا ... أو ما فعلن بعُروةَ بنِ حِزامِ[1]

ذُمَّ المنازل بعد منزلة اللِّوى ... والعيشَ بعد أولئك الأقوام

طرقَتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا ... حينَ الزِّيارة فارْجِعى بسلام

فإن كان ولا بد فهذا ، فأذن له . فخرجتُ إليه ، فقلت : ادخل أبا حَزْرة ؛ فدخل وهو يقول :

إنَّ الذى بعث النبىَّ محمداً ... جعل الخلافة فى إمامٍ عادلِ

وَسِعَ الخلائقَ عدلُه ووفاؤه ... حتى ارعوى وأقام مَيْل المائل

والله أنزلَ فى القُرانِ فَرِيضَةً[2] ... لابن السَّبيل وللفقير العائل

إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً ... والنفسُ مُولعة بحُبِّ العاجل

فلما مَثَل بين يديه ، قال : اتق الله يا جرير ، ولا تقل إلا حقا ؛ فأنشأ يقول :

كَمْ باليمامة[3] من شَعْثاء أرْمَلةٍ ... ومن يَتيمٍ ضَعيفِ الصَّوتِ والنَّظرِ

مِمَّن يَعُدُّك تَكْفِي فَقْدَ والده ... كالفَرْخ فى العُشّ لم يَنْهض[4] ولم يَطِرِ

يَدْعوك دعوة مَلهوف كأنَّ به ... خَبَلا من الجنِّ أو مَسًّا من البَشَر

(١) فى الديوان :

إن المكارم قد سبقت بفضلها ... فالسب أباك لعروة بن حزام

وهذا الشعر يهجو به جرير الفرزدق .

(٢) كذا فى ديوان جرير . والذى فى الأصول : « فضيلة » .

(٣) فى الديوان : « بالمواسم » .

(٤) فى الديوان : « لم يدرج » .

خليفةَ الله ماذا تأمرنَّ[1] بنا   لَسْنا إليكم ولا فى دار مُنتظَر[2]

ما زِلْتُ بعدك فى همٍّ يُؤرِّقنى   قدطال فى الحىِّ إصعادى ومُنْحَدرى[3]

لا ينفع الحاضرُ المجْهود بادينا   ولا يعودُ لنا بادٍ على حَضَر   ١٥٦/١

إنَّا لنَرْجو إذا ما الغيثُ أخْلفَنا   مِن الخليفة ما نرْجو من المَطَر

نال الخلافةَ إذ[4] كانت له قَدَراً   كما أتى ربَّه موسى على قَدَر

هذى الأرامل قد قَضّيتَ حاجَتها   فمَن لحاجةِ هذا الأرمَل الذَّكر

فقال : يا جرير ، والله لقد وَليت هذا الأمر ، وما أملك إلا ثلثمائة ، فمائة أخذها عبدُ الله ، ومائة أخذتها أمُّ عبد الله ، يا غلام ، أعطه المائة الباقية ؛ فقال : والله يا أمير المؤمنين إنها لأحبُّ مالٍ إلىَّ كسبتُه ، ثم خرج ؛ فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : ما يَسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين يُعطى الفقراء ويمنع الشعراء ، وإنى عنه لراضٍ ، ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقَى الشيطان لا تَسْتَفِزُّه   وقد كان شيطانى من الجنّ راقيا

وفود نابغة بنى جعدة على ابن الزبير رحمه الله تعالى

الزبير بن بكّار قاضى الحرمين قال :

أقحمت السنةُ نابغةَ بنى جَعدة ، فوَفد إلى ابن الزبير ، فدخل عليه فى المسجد الحرام ، ثم أنشده :

---

(١) فى الديوان : « ماذا تنظرون بنا » .

(٢) دار منتظر ، أى دار إقامة .

(٣) رواية هذا البيت فى الديوان :

ما زلت بعدك فى دار تعرقنى   قد عى بالحى إصعادى ومنحدرى

(٤) فى الأصول : « أتى الخلافة أو » . وما أثبتناه عن الديوان .

حَكيتَ لنا الصِّدّيقَ لما وَلِيتَنا   وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعْدِمُ
وَسَوّيتَ بين الناسِ فى الحقِّ فاستوَوْا   فعاد صَباحاً حالكُ اللون مُظلِمُ
أتاك أبو لَيلَى يجوب به الدُّجى   دُجَى الليل جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ (١)
لِتَجْبُرَ منه جانباً زعزعت (٢) به   صُرُوفُ الليالى والزّمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابن الزبير: هَوِّن عليك أبا ليلى، فالشِّعر أدنى وسائلك عندنا، أما صَفْوة أموالنا فلآل الزبير، وأما عَفْوته (٣) فإن بنى أسدٍ وتَيْماً (٤) تَشْغلها عنك، ولكن لك فى مالِ الله سهمان، سَهم برؤيتك رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلّم، وسَهم بشركتك [أهل الإسلام] (٥) فى فَيْئهم، ثم أخذ بيده ودخل به دار النَّعَم فأعطاه قَلائص (٦) سَبْعاً، وجملا رَحيلا (٧)، وأوقر له الرِّكابَ بُرّاً وتمراً [وثيابا] (٥).

فجعل النابغة يَستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً؛ فقال ابن الزبير: وَيْحَ أبى ليلى! لقد بلَغ به الجَهد؛ قال النابغة: أشهد أنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما وُلِّيَت قريش فَعدلت، واستُرحِمت فرحِمت، وحَدَّثت فصَدَقت، ووَعدَتْ [خيراً] (٥) فأنجزت، فأنا والنبيّون فُرّاط القاصِفين.

---

(١) العثمثم: الجمل الشديد الطويل.
(٢) كذا فى الأغانى. (ج ٥ ص ٢٨ طبعة دار الكتب المصرية): ويروى: «ذعذعت». وهى بمعناها. والذى فى الأصول: «دغدغت». وهو تحريف.
(٣) كذا فى الأصول. وعفوة المال: خياره وما صفا منه وكثر. والذى فى النهاية: «عفوه». وقيل فيها: «العفو: أجل المال وأطيبه. وقال الجوهرى: عفو المال: ما يفضل عن النفقة، وكلاهما جائز فى اللغة، والثانى أشبه بهذا الحديث».
(٤) بنو أسد: قبيله منها الزبير بن العوام، والد عبد الله هذا. وتيم: قبيلة منها أبو بكر الصديق، جد ابن الزبير لأمه. والذى فى الأصول: «وتيها». والتصويب عن الأغانى.
(٥) التكملة عن الأغانى.
(٦) القلائص: جمع قلوص، وهى الشابة من الإبل، بمنزلة الجارية من النساء.
(٧) الرحيل من الإبل: القوى على السير. والذى فى الأغانى: «رجيلا». وهى بمعناها.

قال الزبير بن بكّار : الفارِط : الذى يتقدّم إلى الماء يُصْلِح الرِّشاء والدِّلاء . والقاصِف : الذى يتقدّم لشراء الطعام .(١)

وفود أهل الكوفة على ابن الزبير رحمه الله تعالى

قال :

لما قتَل مُصعبُ بن الزُّبير المختارَ بن أبى عُبيد خرج حاجًّا ، فقدِم على أخيه عبد الله بن الزُّبير بمكة ، ومعه وُجوه أهل العراق ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، جئتك بوجوه أهل العراق ، لم أدَع لهم بها نظيراً ، لتُعْطِيَهُم من هذا المال ؛ قال : جئتَنى بِعَبيد أهل العراق لأعطيهم مالَ الله ! والله لا فعلتُ . فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسَهم ، قال لهم : يأهل الكوفة ، وَدِدْتُ واللهِ أنّ لى بكم من أهل الشّام صَرْفَ الدّينار والدّرهم ، بل لكل عشرة رجلاً . قال عُبيد(٢) الله بن ظَبْيان : أتدرى يا أمير المؤمنين ما مَثلنا ومَثلك فيما ذكرتَ ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : فإنّ مثلَنا ومثلك ومثلَ أهلِ الشام ، كما قال أعشى بكر بن وائل :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقتْ رجلاً غَيْرى وعُلِّق أخرى غيرَها الرجلُ

أحببناك نحن ، وأحببتَ أنت أهل الشام ، وأحبَّ أهلُ الشام عبد الملك . ١٥٧/١

ثم انصرف القوم من عنده خائبين ، فكاتبوا عبدَ الملك بن مروان وغدَروا بمُصْعب بن الزبير .

---

(١) الذى فى النهاية : « القاصفون : الذين يزدحمون حتى يقصف بعضهم بعضا ، من القصف ، وهو الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام . يريد أنهم يتقدمون الأمم إلى الجنة وهم على أثرهم بداراً متدافعين ومزدحين » .

(٢) فى بعض الأصول هنا : « عبد الله » .

وفود رؤبة على أبى مسلم

الأصمعى قال : حدَّثنا رُؤْبة قال :

قدِمتُ على أبى مُسلم صاحبِ الدعوة ، فأنشدته ، فنادانى : يا رؤبة ؛ فنوديت له من كل مكان : يا رؤبة ، فأجبتُ :

لَبَّيْك إذ دعوتَنى لَبَّيْكَا أحمدُ ربًّا ساقَنى إليكا
الحمدُ والنِّعمة فى يدَيْكا

قال : بل فى يدى الله عزَّ وجلَّ ؛ قلت : وأنت لمّا أنعمتَ حُمِدت . ثم استأذنت فى الإنشاد ، فأذن لى فأنشدته :

ما زال يأتى المُلكَ من أقْطارِه وعن يمينه وعن يَسارِه
مُشَمِّراً لا يُصْطَلَى بناره حتى أقرَّ المُلْك فى قَراره

فقال : إنك أتيتَنا وقد شَفَّ المالُ واستَنْفضه الإنفاق ، وقد أمرنا لك بجائزة ، وهى تافهة يَسيرة ، ومنك العَوْد وعلينا المُعوَّل ، والدهرُ أطرقُ مستتبٌ (١) ، فلا تجْعل بجنبيك الأَسِدَّة (٢) ؛ قال : فقلت : الذى أفادنى الأميرُ من كلامه أحبُّ إلىَّ من الذى أفادنى من ماله .

---

(١) كذا فى الأصول والأغانى (ج ١٨ س ١٢٢ ، ج ٢١ س ٨٧) . ولعله يشبه الدهر بالبعير الأطرق . والبعير الأطرق : البين الطرق . والطرق : ضعف فى الركبة واليدين ، وإذ ذاك يكون ضعيفاً ذليلا . والمستتب : الذليل . والواو فى « والدهر » واو الحال ، أى أن لك العودة حين يذل الدهر على حكمنا ويستذل لأمرنا .

(٢) كذا فى لسان العرب مادة (سـد) . وقيل فى التعليق عليها : « أى لا يضيقن صدرك فتسكت كأن به صمم وبكم » . والذى فى الأصول : فلا تلق بجنبيك إلا شدة » . والذى فى الأغانى : « فلا تجعل بيننا وبينك الأسدة » . وانظر الحاشية (رقم ١ س ٣٦٧) من الجزء الأول .

وفود العتّابى على المأمون

الشّيبانى قال :

كان كُلثوم العتّابى أيامَ هارون الرشيد فى ناحية المأمون ، فلما خرج إلى خُراسان شَيّعه إلى قُومِس حتى وقَف على سِنْداد (١) كِسْرى ، فلما حاوَل وَداعه ، قال له المأمون : لا تَدع زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شىء . فلمّا أفضت الخلافةُ إلى المأمون ، وَفَد إليه العتّابى زائرا ، فحُجِب عنه ، فتعرّض ليحيى بن أكثم ، فقال : أيها القاضى ، إن رأيت أن تُذَكِّر بى أميرَ المؤمنين ؛ فقال له يحيى : ما أنا بالحاجب ؛ قال له : قد علمتُ ، ولكنّك ذو فضل وذو الفضل مِعْوان . فدخل على المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أجِرْنى من العتّابى ولسانه ، فلم يأذن له وشُغِل عنه . فلما رأى العتابى جَفاءه قد تمادى ، كتب إليه :

ما على ذا كنّا افترقنا بسِنْدا ... دَ ولا هكذا رَأَينا الإخاء (٢)
لم أكن أحْسَبُ (٣) الخلافةَ يَزْدا ... دُ بها ذو الصّفاء إلا صَفاء
تَضرِب الناس بالمُثَقَّفة السُّمْـ ... ـرِ على غَدْرهم وتَنسى الوَفاء

فلما قرأ أبياته دعا به ؛ فلما دنا منـه سلّم بالخلافة ووقف بين يديه ؛ فقال : يا عتّابى ، بَلَغَتْنا وفاتُك فغمّتنا ، ثم انتهت إلينـا وِفادُتك فسرّتنا ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، لو قُسِّم هذا البرّ على أهل مِنًى وعَرفات لَوَسِعهم ، فإنّه لا دين

(١) قومس : كورة كبيرة فى ذيل جبل طبرستان بين الرى ونيسابور . وسنداد : نهر فيا بين الحيرة إلى الأبلة ، وكان عليه قصر تحج العرب إليه . (عن معجم البلدان) .
(٢) نسب هذا الشعر فى عيون الأخبار (ج ٣ س ١٠٨) مع اختلاف فى بعض ألفاظه إلى أحمد بن يوسف الكاتب .
(٣) كذا فى ب . والذى فى سائر الأصول : « أحب » . ولا يستقيم بها الوزن .

إلا بك ، ولا دُنيا إلا معك ؛ قال : سَلْ حاجتك ؛ قال : يَدُك بالعطيّة أطلقُ من لسانى بالمسألة . فأحْسنَ جائزته وانصرف .

وفود أبى عثمان المازنى على الواثق

أبو عثمان بكر بن محمد قال :

وفدتُ على الواثق ، فلما دخلتُ وسلّمت قال : هل خلّيت وراءك أحداً يُهمّك أمره ؟ قلت : أُخيّة لى ربّيتها فكأنها بِنتى ؛ قال : ليت شعرى ! ما قالت حين فارقتها ؟ قلتُ : أنشدتنى قولَ الأعشى :

تقُول ابنتى يومَ جَدَّ الرحيلُ أرانا سَواء ومَنْ قد يَتِمْ
أبانا فلا رِمْت مِن عندنا فإنّا نَخاف بأن تُختَرم (١)
أرانا إذا أضمرتك البِلا د نُجْفى وتُقْطع مِنّا الرَّحِم

قال : ليت شعرى ! ما قلتَ لها ؟ قال : أنشدتها أمير المؤمنين قولَ جرير :

١٥٨/١ ثِقِى بالله ليسُ له شريكٌ ومِن عند الخليفة بالنجاحِ

قال : أتاك النّجاح ، وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم . ثم قال : حدّثنى حديثاً تَرويه عن أبى مَهْدِيّة مُسْتَطرفاً ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، حدثنى الأصمعى قال : قال لى أبو مَهْدِيّة : بلغنى أن الأعراب والأعرابَ سواء فى الهجاء ؛ قلت : نعم ؛ قال : فاقرأ : « الأعْراب أشَدُّ كُفرًا ونِفاقا » ولا تقرأ الأعراب ، ولا يغرنّك العَزَب وإن صام وصلّى . فضحك الواثق حتى شَغَر برجله ، وقال : لقد لقى أبو مَهْدِية من العُزْبة شراً ، وأمر له بخمسمائة دينار .

(١) فى الأغانى (ج ٩ ص ٢٣٥ طبعة دار الكتب) :
* فإنا بخير إذا لم ترم *

الوافدات على معاوية

وفود سودة بنة عمارة على معاوية

عامر الشعبى قال :

وفدت سَوْدة بنة عُمارة بن الأشتر الهَمْدانية على معاوية بن أبى سفيان ، فاستأذنت عليه ، فأذِن لها ؛ فلما دخلت عليه سلّمت ؛ فقال لها : كيف أنت يابنةَ الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ؛ قال لها : أنت القائلة لأخيك (١) :

شَمِّرْ كفِعْل أبيك يابنَ عُمارة ... يومَ الطِّعان ومُلتَقَى الأقرانِ
وانصُر عليًا والحُسين ورَهْطَه ... واقصِد لِهنْدٍ وابنها بهَوان
إنّ الإمام أخو النبىّ محمدٍ ... عَلَمَ الهُدَى ومَنارة الإيمان
فقُدِ الجيوشَ وسِرْ أمام لوائه ... قُدُماً بأبيضَ صارم وسِنَان

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأسُ وبُتِر الذَّنب ، فدَع عنك تَذْكار ما قد نُسى ؛ قال : هيهات ؛ ليس مثل مَقام أخيكِ يُنسى ؛ قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان أخى خَفِيّ المَقام ، ذليل المَكان ، ولكن كما قالت الخنساء (٢) :

وإن صخراً لتأتم الهُداة به ... كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

وبالله أسأل أميرَ المؤمنين إعفائى مما استعفيتُه ؛ قال : قد فعلتُ ، فقُولى

(١) كذا فى بلاغات النساء (ص ٣٥) . والذى فى الأصول : «لأبيك» . وهو تحريف .
(٢) بين الخبرين هنا وفى بلاغات النساء خلاف فارجع إليه .

حاجتك ؛ قالت : يا أمير المؤمنين ، إنكَ للناس سـيّد ، ولأمورهم مُقلَّد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تُقدِّم علينا من يَنهض بعزّك ، ويَبْسط سلطانك ، فيَحصدنا حِصاد السُّنبل ، ويَدُوسنا دِياسَ البَقر ، ويَسُومنا الخَسِيسة ، ويسألنا الجَليلة ، هذا ابنُ أرطاة (۱) قَدِم بلادى ، وقَتَل رِجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لـكان فينا عزّ ومَنَعة ، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك ، وإمّا لا فعرفناك ؛ فقال معاوية : إيّاى تُهدّدين بقومك ! والله لقد هممت أن أرُدّك إليه على قَتَب (۲) أشْرَسَ ، فيُنفِّذ حُـكمه فيك ؛ فسكتت ثم قالت :

صَـلّى الإله على رُوح تَضَمّنه ... قَبْرٌ فأصبح فيه العَدْلُ مَدْفونا

قد حالفَ الحقّ لا يَبْغِى به ثَمَناً ... فصارَ بالحقّ والإيمان مَقرُونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : علىّ بن أبى طالب رحمه الله تعالى ؛ قال : ما أرى عليك منه أثراً ؛ قال : بلى ، أتيتُه يومًا فى رَجل ولاّه صَدقاتِنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغَثّ والسَّمين ، فوجدته قائمـا يُصَلِّى ، فانفتل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتعطُّف : ألك حاجة ؟ فأخبرتُه خَبرَ الرجل ، فبكى ثم رفَع يَديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنى لم آمرهم بظلم خَلقك ، ولا تَرْك حقّك ؛ ثم أخرَج من جَيبه قطعة

---

(۱) هو بسر بن أرطاة . وكان معاوية فى أيام علىّ سيره الى الحجاز واليمن ليقتل شيعة على ويأخذ البيعة . فسار الى المدينة ففعل بها أفعالا شنيعة . وسار الى اليمن ، وكان عليها عبيد الله بن العباس من قبل على ، فهرب عبيد الله ، فنزلها بسر وذبح عبد الرحمن وقثم ابنى عبيد الله ، وهما صغيران ، بين يدى أمهما عائشة بنت عبد المدان ، فأصابها من ذلك حزن عظيم .

(۲) القتب : الإكاف الصغير على قدر سنام البعير . وأشرس ، صفة لموصوف محذوف ، وهو البعير . أو الأشرس : الخشن الغليظ ، وتكون صفة القتب .

من جِراب ، فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءتكم بَيِّنة من ربّكم ، فأوفوا الكَيل والميزان بالقِسْط ولا تَبْخَسوا الناس أشياءهم ، ولا تَعْثَوْا فى الأرض مُفسدين ، بقيّةُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاكَ كتابى هذا فاحتفظ بما فى يَديك ، حتى يأتى من يَقْبضه منك ، والسلام . ١٥٩/١

فأخذتُه[1] منه يا أمير المؤمنين ما خَزَمه بخزام ، ولا خَتمه بختام . فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها ؛ فقالت : ألى خاصّةً ، أم لقومى عامّة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله إذاً الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلاّ يَسعنى ما يسع قومى ؛ قال : هيهات ، لَمَظَكم[2] ابنُ أبى طالب الجرأةَ [على السلطان ، فَبَطيئاً ما تُفْطَمون[3]] ، وغرّكم قولُه :

فلو كنتُ بوّاباً على باب جَنّة لقلتُ لهَمدان ادخلوا بسلامِ

وقولُه :

ناديتُ هَمدان والأبوابُ مُغْلقة ومثلُ هَمدان سَنَّى[4] فتحة البابِ
كالهُندوانىّ لم تُفْلل مَضاربه وَجْهٌ جميل وقلبٌ غيرُ وجّاب

اكتبوا لها بحاجتها .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الُخزاعىّ عن الشّعبىّ قال :

استأذنتْ بكّارة الِهلالية على معاوية بن أبى سفيان ، فأَذِن لها ، وهو

(١) كذا فى بلاغات النساء . والذى فى الأصول : « فعزله » . وهو تحريف .
(٢) التلمظ : التذوق ، وتتبع بقية الطعام فى الفم باللسان .
(٣) التكملة عن بلاغات النساء .
(٤) سنى : سهل .

يومئذ بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسَنّت وعَشِى بصرها ، وضَعُفت قُوّتها ، تَرْعَش بين خادمين لها ، فسلّمت وجلست ، فردّ عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت يا خالة ؟ قالت : بخـير يا أمير المؤمنين ؛ قال : غَيَّرك الدهر ؛ قالت : كذلك هو ذو غِيَر ، من عاش كَبر ، ومن مات قُبِر[1] . قال عمرو بن العاص : هى والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيدُ دونك فاسْتَثِر[2] من دارنا سَـيْفاً حُساماً فى التُّراب دَفِينَا
قد كنتُ أذْخَره ليوم كَريهةٍ فاليومَ أبْرَزَه الزّمان مَصُـونا

قال مروان : وهى والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أتَرَى ابنَ هِنْد للخلافة مالكاً هيهات ، ذاك — وإن أراد — بعيدُ
مَنَّتْك نفسُك فى الْخَلاء ضَلالةً أغراك عَمْرو للشـقا وسَـعيد

قال سعيد بن العاصى : هى والله القائلة :

قد كنتُ أطمع أن أموت ولا أرى فوق المَنابر مِن أُميّـة خاطِبا
فالله أخّر مُدّتى فتطاوَلَت حتى رأيتُ من الزّمان عجائبا
فى كلّ يوْم للزّمان خَطِيبُهم بين الجميع لآل أحمدَ عائبا

ثم سكتوا . فقالت : يا معاوية ، كلامُك أعشَى بصرى وقَصَّر حُجّتى ، أنا والله قائلة ما قالوا ، وما خَفِى عليك منّى أكثر ؛ فضحك وقال : ليس يَمنعنا ذلك مِن برّك ، اذكرى حاجتك . قالت : الآن فلا[3] .

---

(١) كذا فى بلاغات النساء . والذى فى الأصول : « فقد » .

(٢) فى الأصول : « فاحتفر » . وما أثبتناه عن بلاغات النساء .

(٣) بين الخبر هنا وفى بلاغات النساء خلاف فارجع إليه .

وفود الزرقاء على معاوية

عُبيد الله بن عمرو الغَسّانى عن الشّعبىّ قال : حدّثنى جماعة من بنى أميّة ممن كان يَسْمُر مع معاوية قالوا :

بينما مُعاوية ذات ليلة مع عمرو وسَعيد وعُتْبة والوليد ، إذ ذكروا الزرقاء بنة عَدِى [بن غالب](١) بن قيس الهَمْدانية ، وكانت شَهِدَت مع قومها صِفِّين ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين ؛ قال : فأشيروا علىّ فى أمرها ؛ فقال بعضُهم : نُشير عليك بقَتْلها ؛ قال : بئس الرأى أشرتم به علىّ ، أيحسُن بمثلى أن يُتحدّث عنه أنه قتل امرأة بعد ما ظَفِر بها ! فكتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثِقةٍ من ذَوى محارمها ، وعدّة من فُرسان قومها ، وأن يُمهِّد لها وِطاء ليِّناً ، ويَسْترها بستر خصيف(٢) ، ويُوسّع لها فى النفقة . فأرسل إليها فأقرأها الكتاب ؛ فقالت : إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلىّ فإنّى لا آتيه ، ١٦٠/١
وإن كان حَتْم(٣) فالطاعة أَوْلَى . فحملها وأحسن جهازَها على ما أمر به . فلمّا دخلت على معاوية ، قال : مرحباً وأهلاً ، قَدِمْتِ خيرَ مَقدم قَدِمه وافد ، كيف حالُك ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النِّعمة ؛ قال : كيف كنت فى مَسيرك ؟ قالت : رَبِيبةَ بيت أو طِفلاً ممهداً ؛ قال : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثتُ إليك ؟ قالت : أنّى لى بعِلْم ما لم أعلم ؛ قال : ألستِ الراكبة الجمل الأحمر ،

---

(١) التكملة عن بلاغات النساء .
(٢) الخصيف : الغليظ .
(٣) فى بلاغات النساء : « حكم » .

والوقفة بين الصَّفّين [يوم صِفّين][1] تحُضّين على القِتال . وتوقِدين الحرب ، فما حَملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبُتر[2] الذنب ، ولم يَعُد ما ذهب ، والدّهر ذو غِيَر ، ومن تَفكّر أبصر ، والأمر يحدث بعد الأمر ؛ قال لها معاوية : [صدقتِ][1] . أتحفَظين كلامك [يوم صفين][1] ؟ قالت : لا والله لا أحفظه ولقد أُنسيته ؛ قال : لكنّى أحفظه ، لله أبوك حين تقولين : أيها الناس ، ارعَوُوا وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم فى فِتنة غشّتكم جلابيبَ الظلم ، وجارت بكم عن قَصْد المحجّة ، فيالها فتنةً عَمياء ، صمّاء بَكماء ؛ لا تَسمع لناعقها ، ولا تَنْساق لقائدها . إن المِصْباح لا يُضىء فى الشمس ، ولا تُنير الكواكب مع القمر ، ولا يَقطع الحديدَ إلا الحديد . ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه . أيها الناس ، إن الحق كان يَطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يامعشر المهاجرين [والأنصار][1] على الغُصص ، فكأن قد اندمل شَعب الشّتات ، والتأمت كلمة العدل[3] ، ودَمغ الحق باطلَه[4] ، فلا يَجهلنّ[5] أحد ، فيقول : كيف [العدل][6] وأنّى ، لِيَقضِ الله أمراً كان مفعولا . ألا وإن خِضاب النساء الحِنّاء وخِضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده . * والصبر خير فى الأمور عواقبا *

(١) التكملة عن بلاغات النساء .

(٢) ويروى : « وبق » . (راجع بلاغات النساء) .

(٣) فى الأصول : « الحق » . وما أثبتناه عن بلاغات النساء . والذى فى صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٥٣) : « التقوى » .

(٤) كذا فى صبح الأعشى وبلاغات النساء . والذى فى الأصول : « بالظلمة » . وهو تحريف .

(٥) فى بلاغات النساء : « فلا يعجلن » .

(٦) هذه الكلمة عن صبح الأعشى .

إيها ، فى الحرب قُدُماً غيرَ نا كصين ولا مُتَشاكسين .

ثم قال لها : والله يا زَرْقاء ، لقد شَرِكت عليًّا فى كل دم سَفكه ؛ فقالت : أحسنَ الله بِشارتك ، وأدام سلامتك ، فمِثلُك بَشَّر بخير وسَرَّ جليسه ؛ قال : أو يَسُرّكِ ذلك ؟ قالت : نعم والله . لقد سُررت بالخبر فأنّى لى[1] بتَصْديق الفِعل ؛ فضَحِك معاوية وقال : والله لوَفاؤكم له بعد موته أعجبُ من حُبِّكم له فى حياته ، اذكرى حاجتك ؛ قالت : يا أمير المؤمنين ، آليتُ على نفسى أن لا أسألَ أميراً أعنتُ عليه أبداً ، ومِثْلُك أعطى عن غير مسألة ، وجاد من غير طِلْبة ؛ قال : صدقتِ ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكُسا .

وفود أم سنان بنت خيثمة[2] على معاوية رحمه الله

سعيد بن أبى حُذافة قال :

حبَس مروان [بن الحَكَم] وهو والى المدينة غُلاماً من بنى لَيث فى جِناية جَناها ، فأتته جدّة الغلام [أم أبيه][3] ، وهى أم سنان بنت خيثمة بن خَرَشة المَذْحِجية ، فكلّمته فى الغلام ، فأغلظ مَرْوان ، فخرجت إلى مُعاوية ، فدخلت عليه فانتسبتْ ، فعرفها ؛ فقال لها : مَرحباً يابنة خيثمة ، ما أقدمك أرضنا ؟ وقد عَهِدْتُك تَشْتُمينا وتَحُضّين علينا عدوّنا ؛ قالت : إن لبنى عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً[4] وافرة ؛

(١) كذا فى صبح الأعشى . والذى فى الأصول : « لك » .

(٢) فى الأصول وصبح الأعشى : « جشمة » . والتصويب عن بلاغات النساء .

(٣) التكملة عن بلاغات النساء .

(٤) فى بلاغات النساء وصبح الأعشى : « وأعلاما طاهرة » .

لا يجهلون بعد حِلم، ولا يَسفَهون بعد حِلْم، ولا يَنتقمون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سَنّ آباؤه لأنت؛ قال: صدقتِ، نحن كذلك، فكيف قولُك:

عَزَب الرُّقادُ فمقلتى لا تَرقُدُ ... والليلُ يُصْدِر بالهموم ويُورِدُ
يا آل مَذْحِجَ لا مُقام فشمِّروا ... إنّ العدوّ لآل أحمدَ يَقصِدُ
هـذا علىٌّ كالهلال تَحُفُّهُ ... وسطَ السماء من الكواكب أسْعُدُ(١)
خيرُ الخلائق وابنُ عمّ محمدٍ ... إن يَهْدِكم بالنّور منه تَهتدُوا
١٦١/١ ما زال مُذ شهِد الحروب مُظفَّرًا ... والنصرُ فوقَ لِوائه ما يُفقَد

قالت: كان ذلك يا أميرَ المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خَلفاً [بعده](٢).

فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين، وهى القائلة:

إمّا هلكتَ أبا الحُسَين فلم تَزَل ... بالحقّ تُعرَف هادياً مَهْـدِيا
فاذهبْ عليك صلاةُ ربِّك ما دعتْ ... فوق الغُصُون حمامةٌ قَمرِيا
قد كنتَ بعد محمد خلفاً كما ... أوصَى إليك بنا فكنْتَ وَفِيّا
[فاليوم لا خَلَفٌ يُؤمَّل بعده ... هيهاتَ نأمُل بعده إنْسِيّا](٣)

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان نطَق، وقول صَدَق. ولئن تحقّق [فيك](٤) ما ظننّا لحظُّك الأوفر؛ والله ما ورّثك الشنآنَ فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فأدْحِض مقالتهم، وأبْعِدْ منزلتهم، فإنك إن فعلت ذلك تَزْدَد من الله قُربا،

(١) سعود النجوم عشرة، أربعة منها من منازل القمر، وست ليست من منازله. (انظر لسان العرب مادة سعد).
(٢) هذه الكلمة عن صبح الأعشى.
(٣) هذا البيت عن بلاغات النساء وصبح الأعشى.
(٤) هذه الكلمة عن بلاغات النساء وصبح الأعشى.

ومن للمؤمنين حبًا ؛ قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله ! والله ما مِثلك مُدِح بباطل ، ولا اعتُذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضَمير قلوبنا ؛ كان والله عليٌّ أحبَّ إلينا منك ، وأنت أحبُّ إلينا من غيرك ؛ قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكَم وسعيد بن العاصى ؛ قال : وبم استحققتُ ذلك عندكِ ؟ قالت : بسَعَة حِلْمك وكريم عفوك ؛ قال : فإنهما يَطْمعان فى ذلك ؛ قالت : هما والله من الرأى على ما كنتَ عليه لعُثمان بن عفّان رحمه الله ؛ قال : والله لقد قاربتِ ، فما حاجتكِ ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، إنّ مروان تَبَنَّك بالمدينة تبنُّك[2] من لا يُريد منها البَراح . لا يحكم بعَدْل ، ولا يَقْضى بسُنَّة ، يَتَتبّع عثَراتِ المسلمين ، ويَكشف عوْرات المؤمنين ، حَبَس ابنَ أبى فأتيته ، فقال : كَيْتَ وكَيْتَ[3] ، فألقَمتُه أخشَن من الحجر ، وألْقَمْته[4] أمَرَّ من الصّاب ، ثم رجعتُ إلى نفسى باللائمة ، وقلتُ : لِمَ لا أصرف ذلك إلى مَن هو أوْلى بالعَفْو منه ، فأتيتُك يا أمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظراً ، وعليه مُعْدِيا[5] ؛ قال : صدقتِ ، لا أسألك عن ذنبه ، ولا عن القِيام بحُجّته ، اكتبُوا لها بإطلاقه ؛ قالت : يا أمير المؤمنين ، وأنّى لى بالرَّجعة ، وقد نفِد زادى ، وكلَّت راحلتى . فأمر لها براحلة [مُوَطَّأة[6]] وخمسة آلاف [درهم] .

(١) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما كنت تأملها بعد عثمان .
(٢) تبنك : أقام .
(٣) فى الأصول : « كنت وكنت » . والتصويب عن بلاغات النساء وصبح الأعشى .
(٤) كذا فى بلاغات النساء وصبح الأعشى . والذى فى الأصول : « فأسمته » و « لقمته » مكان « فألقمته » و « ألقمته » .
(٥) كذا فى بلاغات النساء وصبح الأعشى . ومعديا ، أى معينا وناصرا . والذى فى الأصول : « ناظرا » .
(٦) هذه الكلمة عن بلاغات النساء وصبح الأعشى .

وفود عكرشة بنت الأطرش[(١)] على معاوية رحمه الله تعالى

أبو بكر الهُذلىّ عن عِكْرِمة قال :

دخلت عِكْرِشة بنت الأطْرش بن رَوَاحة على معاوية مُتوكِّئة على عُكّاز لها ، فسلّمت عليه بالخلافة ، ثم جلست ؛ فقال لها معاوية : الآن يا عِكْرِشة صِرْتُ عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إذ لا علىٌّ حىّ ؛ قال : ألستِ المتقلّدة حمائلَ السَّيف[(٢)] بصِفِّين ، وأنت واقفة بين الصَّفّين تقولين : أيها الناس ، عليكم أنفسَكم لا يَضُرُّكم من ضَلّ إذا اهتديتم ، إن الجنّة لا يَرحل [عنها] من قَطَنها ، ولا يَهْرَم من سَكَنها ، ولا يموت من دَخلها ، فابتاعُوها بدار لا يَدُوم نعيمها ، ولا تنصرم هُمومها ، وكُونوا قَوْمًا مستبصرين فى دينهم ، مُسْتظهرين بالصبر على طلب حَقِّهم ؛ إن معاويةَ دلف[(٣)] إليكم بعُجْم العرب غُلْف القلوب ، لا يَفْقهون الإيمان ولا يَدْرون ما الحِكْمة ، دَعاهم بالدُّنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلَبَّوْه ، فاللهَ اللهَ عبادَ الله فى دين الله ، وإيّاكم والتَّوا كلَ ، فإن ذلك يَنْقُض عُرَى الإسلام ، ويُطْفِئُ نورَ الحق ، هذه بَدْر الصُّغرى ، والعَقَبة الأخرى ؛ يا معشرَ المهاجرين والأنصار ، امضُوا على بَصِيرتكم ، واصبروا على عَزِيمتكم ، فكأنى بكم غداً ، وقد لَقِيتم أهلَ الشام كالحُمُر الناهقة تَصْفَع[(٤)] صَفْع البقر[(٥)] [وتَرُوث روث

(١) كذا فى الأصول وصبح الأعشى . والذى فى بلاغات النساء : « الأطش » .
(٢) فى الأصول : « السيوف » . وما أثبتناه عن بلاغات النساء وصبح الأعشى .
(٣) دلف إليكم : مشى .
(٤) يقال : صفع الحمار بضرطة ، إذا جاء بها منتشرة رطبة . والذى فى بلاغات النساء : « يضفع ضفع » . والضفع : الضراط . والذى فى صبح الأعشى : « تقصع قصع » . والقصع : أن ترد الناقة جرتها إلى جوفها .
(٥) كذا فى بلاغات النساء . والذى فى الأصول وصبح الأعشى : « البعير » .

العِتَاق[1]] . فكأنى أراك على عَصاكِ هذه وقد انكفأ عليك العَسْكران ، يقولون : هذه عِكْرِشة بنت الأطرش بن رواحة ، فإن كِدْتِ[2] لتَقْتُلِين[3] أهل الشام لولا قَدَر ١٦٢/١
الله ، وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً ، فما حَمَلك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، [قال الله تعالى : (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم) وإن اللّبيب إذا كره أمراً لا يُحِب إعادته ؛ قال : صدقت ، فاذكرى حاجتك ؛ قالت[4]] : إنه كانت صدَقاتُنا تُؤخذ من أغنيائنا فتُرَدُّ على فقرائنا ، وإنّا قد فقدنا ذلك ، فما يُجبر لنا كَسِير ، ولا يُنْعَش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك ، فمِثْلُك من انتبه عن الغفلة ، وراجَع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما مِثْلك من استعان بالخَوَنة ، ولا استَعْمل الظَّلَمة . قال معاوية : يا هذه ، إنه ينُوبنا من أمورِ رعيّتنا أمورٌ تَنْبثق ، وبُحور تَنْفهِق[5] ، قالت : يا سبحان الله ، والله ما فَرَضَ الله لنا حقّا فجعل فيه ضرراً على غيرنا وهو علّام الغيوب ؛ قال معاوية : [هيهات][4] يأهل العراق ، نَبّهكم[6] علىّ بن أبى طالب فلن تُطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافها .

---

(١) هذه العبارة عن بلاغات النساء . والعتاق : الجمال .
(٢) فى الأصول : « كنت » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى .
(٣) فى صبح الأعشى : « لتفلتين » .
(٤) التكملة عن صبح الأعشى وبلاغات النساء .
(٥) فى صبح الأعشى : « ثغور تنفتق وبحور تندفق » .
(٦) فى صبح الأعشى : « فقهكم » .

قصة دارِمِيّة الحَجُونيّـة مع معاوية رحمه الله تعالى

سَهل بن أبى سهل التميمىّ عن أبيه قال :

حجّ معاوية ، فسأل عن امرأة من بنى كِنانة كانت تنزل بالحَجُون[١] ، يقال لها دارِميّة الحَجُونيّة ، وكانت سوداء كثيرةَ اللحم ، فأُخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجىء بها ، فقال : ما حالُك يابنة حام[٢] ؟ فقالت : لستُ لحام إن عِبْتَنى[٣] ، أنا امرأة من بنى كنانة ؛ قال : صدقت ، أتدرين لِمَ بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيبَ إلا الله ؛ قال : بعثتُ إليك لأسألك علامَ أحببتِ عليًّا وأبغضتِنى ، وواليتِه وعاديتِنى ؟ قالت : أوَ تُعفِينى [يا أمير المؤمنين][٤] ؟ قال : لا أُعفيك ؛ قالت : أمّا إذ أبيتَ ، فإنى أحببتُ عليًّا على عَدْله فى الرّعيـة ، وقَسْمه بالسويّة ، وأبغضتُك على قِتالك مَن هو أولى منك بالأمر ، وطِلْبَتك[٥] ما ليس لك بحقّ ؛ وواليتُ عليًّا على ما عَقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوِلاء[٦] ، وحُبّه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتُك على سَفْكك الدّماء ، وجَورك فى القضاء ، وحُكْمِك بالهوى ؛ قال : فلذلك انتفخ بطْنُكِ ، وعَظُم ثَدْياكِ ،

---

(١) الحجون : جبل بمعلاة مكة .

(٢) كذا فى صبح الأعشى وبلاغات النساء . والذى فى الأصول : « ما جاء بك » . وفيه تحريف ظاهر .

(٣) فى صبح الأعشى : « أدعى » مكان قوله « إن عبتنى » .

(٤) هذه العبارة عن صبح الأعشى وبلاغات النساء .

(٥) الطلبة : الطلب .

(٦) كذا فى الأصول . تشير إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » . والذى فى صبح الأعشى وبلاغات النساء : « الولاية » .

وَرَبَتْ عَجِيزَتك ؛ قالت : يا هذا ، بِهِند(١) والله كان يُضرب المثل فى ذلك لا بِى ؛ قال معاوية : يا هذه أرْبَعِى(٢) ، فإنا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بَطْن المرأة تَمّ خَلْق ولدها ، وإذا عَظُم ثَدْياها تَرَوَّى(٣) رَضِيعُها ، وإذا عَظُمت عَجيزتها رَزُن مجلسها ؛ فرجعت وسكنت . قال لها : ياهذه ، هل رأيتِ علياً ؟ قالت : إى والله ؛ قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيتُه والله لم يَفتنه المُلْك الذى فَتَنك ، ولم تَشْغَله النِّعْمة التى شَغَلَتك ؛ قال : فهل سمعتِ كلامه ؟ قالت نعم والله ، فكان(٤) يَجلو القلبَ من العَمى ، كما يجلو الزيتُ صدأ الطَّسْت ؛ قال : صدقتِ ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أَوَ تفعل إذا سألتُكَ ؟ قال : نعم ؛ قالت : تُعطينى مائة ناقة حَمْراء فيها فَحْلُها وراعيها ؛ قال : تَصْنعين بها ماذا ؟ قالت : أَغْذُو بألبانها الصِّغار ، وأستَحْيِى بها الكبار ، وأكتَسِب بها المكارم ، وأُصْلِح بها بين العشائر ؛ قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أَحُلّ عندك محلّ علىّ بن أبى طالب ؟ قالت : [ماء ولا كصَدّاء ، ومَرْعى ولا كالسَّعْدان ، وفَتًى ولا كمالك ، يا](٥) : سبحان الله ، أوَ دُونه(٦) ؟ . فأنشأ معاوية يقول :

إذ لم أعُـدْ بالحِلْم منّى عليكم فمن ذا الذى بَعْدِى يُؤَمَّلُ للحِلْمِ

(١) هى هند بنت عتبة ، أم معاوية .
(٢) ربع : وقف وانتظر وتحبس .
(٣) تروى : ارتوى .
(٤) فى صبح الأعشى : « والله كان » .
(٥) هذه العبارة عن صبح الأعشى . وصداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . والسعدان : نبت ذو شوك ، وهو أفضل مراعى الإبل ، ولا تحسن على نبت حسنها عليه . ومالك : هو ابن نويرة . وقد قال أخوه متمم هذا فيه لما قتل فى الردة . وهذه أمثلة ثلاثة تضرب للشىء يفضل على أشباهه .
(٦) استفهام إنكارى منها . أى أولى بك أن تطلب دون محله لا أن تطلب مثل محله .

خُذِيها هَنِيئاً واذكرى فعلَ ماجِدِ   جَزَاكِ على حَرْب العداوة بالسِّلْمِ

ثم قال : أما والله لو كان علىٌّ حيًّا ما أعطاكِ منها شيئاً ؛ قالت : لا والله ، ولا وَبرة واحدة من مال المسلمين .

وفود أم الخير بنت الُحرَيش على معاوية

عُبيد(١) الله بن عمر الغسّانى عن الشعبى قال :

كتب مُعاوية إلى وَالِيهِ بالكوفة أن يَحمل إليه أمّ الخير بنت الُحرَيش بن سُرَاقة البارق برَحْلها ، وأعلمه أنه مُجازيه بقولها فيه بالخير خيراً وبالشرّ شرًّا . فلما ورد عليه كتابُه رَكِب إليها فأقرأها كِتابَه ؛ فقالت : أمَّا أنا فغيرُ زائغة عن ١٦٣/١ طاعة ، ولا مُعْتَلّةٌ بكَذب ، ولقد كنتُ أُحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج فى صَدْرى . فلما شيّعها وأراد مُفارقتها ، قال لها : يا أمّ الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلىّ أنه مُجازيني بالخير خيراً وبالشر شراً ، فمالى عندك ؟ قالت : يا هذا لا يُطْمِعَنَّكَ برُّك بى أن أسُرك بباطل ، ولا تُؤيسك معْرِفتى بك أن أقول فيك غيرَ الحق . فسارت خَيْرَ مَسِيرٍ حتى قَدِمَت على معاوية ، فأنزلها مع الحُرَم ، ثم أدخلها عليه فى اليوم الرابع ، وعنده جُلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ؛ فقال لها : وعليك السلامُ يا أمّ الخير ، بحقّ مادَعَوْتِنى بهذا الاسم(٢) ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، [مَه ، فإن بديهة السلطان مَدْحضة لما يُحبّ علمه ، و](٣)

(١) فى الأصول : « عبد » . وما أثبتناه عن بلاغات النساء .

(٢) فى بلاغات النساء وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢٤٩) : « وبالرغم منك دعوتنى بهذا الاسم » .

(٣) هذه العبارة عن صبح الأعشى وبلاغات النساء . تقول : إن مفاجأتك إياى مبعدة لك مما تحب علمه منى .

لكلٍّ أجل كتاب؛ قال: صدقتِ، فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنتِ فى مَسيرِك؟ قالت: لم أزَل يا أميرَ المؤمنين فى خَير وعافية حتى صِرتُ إليكَ، فأنا فى مجلس أنيق، عند مَلِك رَفيق؛ قال معاوية: بحُسْن نيَّتى ظَفِرْتُ بكم؛ قالت: يا أمير المؤمنين، يُعيذك الله من دَحْض المَقال وما تُرْدِى(١) عاقبته؛ قال: ليس هذا أردْنا، أخبِرينا كيف كان كلامك إذ قُتِل عمّار بن ياسر؟ قالت: لم أكن زَوَّرته(٢) قبل، ولا رَوَّيته بعد، وإنما كانت كلماتٌ نفثها لسانى عند الصَّدمة، فإن أحببتُ أن أحدِث لك مقالاً غيرَ ذلك فعلت؛ [قال: لا أشاء ذلك](٣). فالتفت معاوية إلى جلسائه، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين(٤)؛ قال: هات؛ قال: كأنى بها وعليها بُرد زَبيدىّ(٥) كثيف النَّسيج، وهى على جمل أرمك(٦)، [وقد أحيط حولها](٣)، وبيدها سَوط مُنتشر الضَّفيرة، وهى كالفَحْل يَهْدِر فى شِقْشِقته، تقول:

يأيها الناس، اتقوا ربكم، إنّ زَلزَلة الساعة شىء عظيم، إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبانَ الدَّليل، وبيّن السبيل، ورفع العَلَم، ولم يَدَعْكم فى عَمْياء [مُبهمة، ولا سوداء] مُدْلَهِمّة(٣)، فأين تريدون رحمكم الله، أفِراراً عن أمير المؤمنين،

---

(١) فى الأصول: «وما تؤدى». والتصويب عن صبح الأعشى وبلاغات النساء.
(٢) زورته، أى حسنته. والذى فى الأصول: «زودته» والتصويب عن صبح الأعشى وبلاغات النساء.
(٣) هذه العبارة عن صبح الأعشى وبلاغات النساء.
(٤) فى صبح الأعشى وبلاغات النساء: «أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظى سورة الحمد».
(٥) كذا فى صبح الأعشى وبلاغات النساء. والزبيدى: نسبة إلى زبيد، بلد باليمن. والذى فى الأصول: «كأنى بها بين بردين زئبرين كثيفى». وفيه تحريف ظاهر.
(٦) أرمك: رمادى اللون.

أم فِراراً من الزَّحف ، أم رَغْبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحقّ ؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول : (وَلَنَبْلُوَنَّكُم حتى نَعْلَمَ المُجَاهِدِين مِنكم والصَّابِرِين وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكم) . ثم رفعت رأسها إلى السماء ، وهى تقول : اللهم قد عِيل الصبر ، وضَعُف اليقين ، وانتشرت الرَّغبة ، وبيدِك يارب أزِمَّة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألِّف القلوبَ على الهدى ، واردُد الحقَّ إلى أهلِه ، هَلُمُّوا رَحِمكم الله إلى الإمام العادل ، والرَّضىّ التقى (١) ؛ والصِّديق الأكبر ، إنها إحَنٌ بَدْرية وأحقادٌ جاهليّة ، [وضغائن أُحدُية (٢)] ، وَثَب بها واثبٌ (٣) حين الغفلة ، ليُدْرِك ثارات بنى عَبْد شمس . ثم قالت : قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلَّهم يَنْتهون . صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بَصِيرة من ربّكم وثَبات من دينكم ، فكأنى بكم غداً وقد لقِيتم أهلَ الشام ، كحُمُرٍ مُستنفِرة ، فرّت من قَسْورة ، لاتدرى أين يُسلك بها من فِجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشترَوْا الضلالة بالهدى ، [وباعوا البصيرة بالعَمى] (٢) ، وعما قليل ليُصْبِحُنّ نادمين ، حين تَحُلّ بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ولاتَ حين مَناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع فى الباطل ، ألا إنّ أولياء الله استصغروا (٤) عُمْر الدنيا فرَفضُوها ، واستطابوا الآخرة (٥) فسَعَوْا لها ؛ فاللهَ اللهَ أيها الناس ، قَبْلَ أن تَبْطل الحقوق ، وتُعطَّل الحدود ، [ويظهر الظالمون] (٢) ؛ وتَقْوى كلمة الشيطان ، فإلى أين

---

(١) فى صبح الأعشى وبلاغات النساء : « والوصى الوفى » .

(٢) التكملة عن صبح الأعشى وبلاغات النساء .

(٣) فى بلاغات النساء وصبح الأعشى : « معاوية » مكان قوله « واثب » .

(٤) فى بلاغات النساء وصبح الأعشى : « استنصروا » .

(٥) فى بلاغات النساء وصبح الأعشى : « واستبطئوا مدة الآخرة » .

تريدون رَحمكم الله ؟ عن ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم وصِهره وأبى سِبْطَيْه ؟ خُلِق من طينته ، وتفرّع من نَبْعته ، [وخصّه بِسرّه][1] ، وجعله بابَ مدينته[2] ، وأبان ببُغضه المنافقين ، وها هو ذا مُفلّق الهام ، ومُكسِّر الأصنام ، صلّى والناس مُشْرِكون . وأطاع والناس كارهون ، فلم يَزَل فى ذلك حتى قَتَل مُبارزى[3] بدر ، ١٦٤/١ وأفنى أهلَ أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرّق به جَمْع هوازن . فيالها من وقائع زَرَعت فى قلوب نفاقاً[4] ، ورِدّة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيماناً ، قد اجتهدتُ فى القول ، وبالغتُ فى النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قَتْلى ، ولو قتلتُك ما حَرِجتُ فى ذلك ؛ قالت : والله ما يَسُوءنى أن يجرى قَتْلى على يَدَىْ من يُسْعدنى الله بشقائه ؛ قال : هيهات يا كَثيرة الفضول ، ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله ؟ قالت : وما عَسيت أن أقولَ فى عثمان ، استخلفه الناسُ وهم به راضُون ، وقتلوه وهم له كارهون[5] ؛ قال معاوية : يا أم الخير ، هذا أصلُك[6] الذى تَبْنِين

---

(١) التكملة عن صبح الأعشى وبلاغات النساء .

(٢) كذا فى بلاغات النساء وصبح الأعشى . تشير إلى ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » . والذى فى الأصول : « دينه » .

(٣) فى الأصول : « مبارزيه » . والتصويب عن بلاغات النساء وصبح الأعشى .

(٤) فى الأصول : « أهوائهم » . والتصويب عن صبح الأعشى وبلاغات النساء .

(٥) فى بلاغات النساء وصبح الأعشى : « استخلفه الناس وهم له كارهون وقتلوه وهم راضون » .

(٦) كذا فى بلاغات النساء وصبح الأعشى . يريد أن سوء رأيها فى عثمان هو الأصل الذى بنت عليه خذلان معاوية الذى خرج على علىّ مطالبا بدم عثمان . والذى فى الأصول : « ثناؤك الذى تثنين » .

عليه ؟ قالت : لكن الله يَشْهَد وكفى بالله شهيداً ، ما أردتُ بعثمان نَقْصًا ، ولكن كان سابقاً إلى الخير ، وإنه لرَفِيع الدرجة غداً . [قال : فما تقولين فى طلحة ابن عُبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول فى طلحة ، اُغتِيل من مأمنه ، وأُتِىَ من حيث لم يَحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة](١) . قال : فما تقولين فى الزُّبير ؟ قالت : وما أقول فى ابن عَمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريّه ، وقد شهد له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجنّة ، [ولقد كان سبّاقاً إلى كل مَكْرُمة فى الإسلام](١) . وأنا أسألك بحق الله يا معاوية — فإن قرَيشاً تحدّثت أنك أحلمُها — [أن تَسعنى بفضل حلمك ، و](١) أن تُعفينى من هذه المسائل وتَسألنى عما شِئْت من غيرها ؛ قال : نعم ونِعْمة عين ، قد أعفيتُك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردّها مُكرّمة .

وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية رحمه الله

العبّاس بن بكّار قال : حدثنى عبد الله بن سليمان المدنى وأبو بكر الهُذلىّ : أن أرْوَى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية ، وهى عجوز كبيرة ، فلما رآها مُعاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمة(٢) ، فكيف كنتِ بعدنا ؟ فقالت : يا بن أخى ، لقد كَفَرْتَ يدَ النعمة ، وأسأتَ لابن عمك الصحبة ، وتَسمّيت بغير اسمك ، وأخذت غيرَ حقّك ، من غير بَلاء(٣) كان منك ، ولا من

(١) التكملة عن بلاغات النساء وصبح الأعشى .
(٢) فى الأصول هنا وفيما سيأتى : « ياخالة » . وما أثبتناه عن بلاغات النساء .
(٣) فى الأصول : دين » . وما أثبتناه عن بلاغات النساء .

آبائك ، ولا سابقة فى الإسلام ، بعد أن كفرتم برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتعَسَ الله منكم الجُدود ، وأَضْرَع[1] منكم الخدود ، وردّ الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هى العُليا ، ونبيّنا صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فوُلّيتم علينا من بعده ، تحتجّون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحنُ أقربُ إليه منكم ، وأَوْلى بهذا الأمر ، فكُنّا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فِرْعون ، وكان علىّ بن أبى طالب رحمه الله بعد نبيّنا صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى ، فغايتُنا الجنّة وغايتكم النار . فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالّة ، وأقصِرى من قوْلك مع ذهاب عَقْلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك ! فقالت له : وأنت يابن النابغة ، تَتكلم وأمّك كانت أشهر امرأة تغنّى بمكة وآخذَهن لأجرة ؛ ادّعاك خمسة[2] نفر من قريش ، فسُئلت أمّك عنهم ، فقالت : كلهم أتانى ، فانظروا أشبَهم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبهُ العاصى بن وائل ، فلَحِقْت به . فقال مروان : كفى أيتها العجوز ، واقْصدى لما جئت له . فقالت : وأنتَ أيضاً يابن الزّرقاء تتكلم ! ثم التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ما جرّأ علىّ هؤلاء غيرُك ، فإن أمّك القائلةُ فى قتل حمزة :

نحن جَزَيناكم بيوم بَدْرِ والحربُ بعد الحرْب ذات سُعْر
ما كان لى عن عُتْبةٍ من صَبْر وشُكْر وَحْشِىِّ علىّ دَهْرِى
حتى تَرِمَّ[3] أعظُمِى فى قَبْرِى

(١) أضرع : أذل . والذى فى بلاغات النساء : « اصعر » . وأصعر ، أى أذهب صعرها ، أى كبرها .
(٢) فى بلاغات النساء : « ستة » .
(٣) رم العظم (كضرب) : بلى .

فأجابتها بنت عمّى[(١)] ، وهى تقول :

١٦٥/١ خُزِيتِ فى بَدْرٍ وبعد بَدْرِ[(٢)] يابنة جبّار عَظيم الكُفْرِ

فقال معاوية : عفا الله عما سَلَف ، يا عمّة ، هات حاجتك ؛ قالت : مالى إليك حاجة ؛ وخرجت عنه[(٣)] .

---

(١) فى بلاغات النساء : « فأجبتها » مكان قوله : « فأجابتها بنت عمى ، وهى تقول » على أن هذا الشعر لأروى صاحبة الوفادة على معاوية . والذى فى السيرة لابن هشام (ج ٣ ص ٩٧) أن هذا الشعر لهند بنت أثاثة بن عبد المطلب فى الرد على هند بنت عتبة يوم أحد .

(٢) فى بلاغات النساء : « وغير » .

(٣) بين الخبر هنا وفى بلاغات النساء خلاف كثير .

[فرش] كتاب [المرجانة فى] مخاطبة الملوك

قال أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولُنا فى الوُفود والوافدات ومَقاماتهم بين يدى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم و بين يدى الخُلَفاء والملوك ، ونحن قائلون بعَوْن الله وتوفيقه وتأييده وتسديده فى مُخاطبة الملوك والتزلّف إليهم بسِحْر البيان ، الذى يُمازج الرُّوح لطافة ، ويجرى مع النَّفَس رقّة ؛ والكلامُ الرّقيق مَصايد القلوب ، وإن منه لما يَستعطِف المُستَشيط غيظاً ، والمُنْدَمل حِقداً ، حتى يُطْفِىء جَمْرة غيظه ، ويَسُلّ دقائن[1] حِقْده ؛ وإن منه لما يَستَميل قلبَ اللئيم ، ويأخذ بسَمْع الكريم وبصره ؛ وقد جعله الله تعالى بينه و بين خَلْقه وسيلةً نافعةً ، وشافعاً مَقْبولاً ؛ قال تبارك وتعالى : فتَلَقّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فتابَ عَلَيْهِ إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ) .

وسنذكر فى كتابنا هذا إن شاء الله تعالى مَن تخلّص من أُنشوطة الهَلاك وتفلّت من حبائل المنيّة ، بحُسْن التنصّل ، ولَطِيف التوصّل ، ولِين الجواب ، ورَقيق الاستعتاب ، حتى عادت سَيّآته حسنات ، وعِيضَ بالثّواب بدلاً من العِقَاب . وحِفْظ هذا الباب ، أوجب على الإنسان مِن حفظ عِرْضه ، وألزَمُ له من قوَام[2] بدنه .

---

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « دقائق » .

(٢) فى ا : « قيام » .

البيـــان

ماهية البيان

كلُّ شيء كَشَف لك قِناع المَعْنَى الخفىّ حتى يتأدَّى إلى[1] الفهم ويَتَقبَّله العقل ، فذلك البيانُ الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه ، ومَنّ به على عباده ، فقال تعالى : (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) .

كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك

وسُئِل النبىّ صلى الله عليه وسلم : فِيمَ الجمالُ ؟ فقال : فى اللّسان ، يريد البيان .

وقال صلى الله عليه وسلم : إنّ من البَيَان لَسِحْرًا .

العرب فى الكلمة الفصيحة

وقالت العرب : أنفذُ من الرميّة كلمة[2] فصيحة .

شعر فى سحر البيان

وقال الرّاجز :

لقد خَشِيتُ أن تكونَ ساحِرا رِوَايةً طَوْرًا وطَوْرًا[3] شاعِرا

لسهل بن هارون فى العقل والعلم والبيان

وقال سهل بن هارون :

العَقل رائدُ الرُّوح ، والعِلم رائد العَقل ، والبيان تَرْجُمان العِلم .

كلمات فى البيان غير منسوبة

وقالوا : البَيَان بَصر ، والعِىّ عَمى ؛ كما أنّ العِلم بصر ، والجَهْل عَمى . والبَيَان من نِتاج العلم ، والعِىّ من نتاج الجهل .

وقالوا : ليس لِمَنْقوص البَيَان بَهاء ، ولو حَكّ بيافوخه عنَان السماء .

كلام لصاحب المنطق فى ذلك

وقال صاحب المَنْطق : حَدّ الإنسان : الحىُّ الناطق[4] المُبِين . وقال : الرُّوح عِماد البَدَن ، والعِلم عِماد الرُّوح ، والبَيَان عِماد العِلم .

(١) فى ا : « به » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « خفية » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « صبا وصبا » .
(٤) فى ا : « البيان » .

تبجيل الملوك و تعظيمهم

للنبى صلى الله عليه وسلم يوصى بالكرماء

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إذَا أتَاكم كريم قَوْم فأكرِمُوه .

للعلماء فى الأدب مع ذى السلطان

وقالت العلماء :

لا يُؤَم ذوسُلطان فى سُلطانه ، ولا يُجلس على تكرمته إلا بإذنه .

لزياد فى مثل ذلك

وقال زياد [ابن أبيه] :

لا يُسلَّم على قادم بين يدى أمير المؤمنين .

ليحيى بن خالد

وقال يحيى بن خالد بن برمك :

مُسَاءلة الملوك عن حالِها من سجيّة النَّوكى[1] ، فإذا أردتَ أن تقول : كيف أصبَح الأمير ؟ فقل : صَبَّح الله الأميرَ بالنعمة والكرامة ؛ و إذا كان عليلاً ، فأردت أن تسأله عن حاله ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرَّحمة ؛ فإن الملوك لا تُسأل ولا تُشمّت ولا تُكيّف ، وأنشد :

إنّ المُلوكَ لاَ يُخاطَبُونا ولاَ إذَا مَلُّوا يُعَاتبونا
وفى المَقَال لاَ يُنَازَعُونا وفى العُطاس لاَ يُشمَّتونا
وفى الخطاب لا يُكَيَّفونا يُثْنَى عليهم ويُبَجَّلونا ١٦٦/١
فافهمْ وَصَاتى لاَ تَكن مجنونا

بين الفضل بن يحيى وإسماعيل ابن صبيح فى أدب العيادة

اعتلّ الفَضْلُ بن يحيى ، فكان إسماعيل بن صُبَيح الكاتب إذا أتاه عائداً لم يَزِدْ على السلام عليه والدعاء له ، ويُخفّف فى الجلوس ، ثم يَلْقى حاجبه فيسأله

(١) فى ا « تحية » .

عن حاله ومأكله ومَشربه ونومه ، وكان غَيْرُه يُطيل الجلوس . فلمّا أفاق من عِلّته قال : ما عادنى فى عِلّتى هذه إلا إسماعيل بن صُبيح .

لمعاوية ويزيد وعبد الملك فى الإذن لجلسائهم بالانصراف

وقال أصحابُ معاوية له :

إنا ربما جَلَسنا عِنْدك فوق مِقْدار شَهوتك ، فنُريد أن تجعل لنا علامةً نَعْرِف بها ذلك ؛ فقال : علامة ذلك أن أقول : إذا شِئْتم .

وقيل ذلك ليزيد ، فقال : إذا قلتُ : على بَركة الله

وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال . إذا وضعتُ الخَيْزرانة [من يَدِى] .

من آداب خدمة الملوك

ومن تمام خدمة الملوك أن يُقرِّبَ الخادمُ إليه نعلَيه ، ولا يَدَعه يمشى إليهما ، ويجعل النَّعل اليمنى مُقابلة الرِّجل اليُمنى ، واليُسرى مقابلة اليسرى ؛ وإذا رأى مُتَّكأً[(١)] يحتاج إلى إصلاح أصلحه قبل أن يُؤمر ، فلا يَنتظر فى ذلك أمْرَه ؛ ويتفقّد الدّواة قبل أن يَأمره ، ويَنْفُض عنها الغُبار إذا قرّبها إليه ؛ وإن رأى بين يديه قِرْطاساً قد تباعد عنه قرّبه ووَضعه بين يديه على كِسْره .

أدب الشعبى مع الحجاج

ودخل الشَّعبىّ على الحجّاج ، فقال له : كم عطاك ؟ قال : ألفين ؛ قال : ويحك ! كم عطاؤك ؟ قال ألفان ؛ قال : فلم لَحنت فيما لا يَلْحن فيه مثلك ؟ قال : لَحن الأمير فلحنت ، وأعرب الأمير فأعربت ، ولم أكن ليَلْحن الأمير فأعرب أنا عليه ، فأكون كالمُقرِّع له بلحنه ، والمُسْتَطيل عليه بفضل القول قبلَه . فأعجبه ذلك منه ووهبه مالا .

(١) فى ا : « شيئا » .

قبلة اليد

تقبيل يد النبى صلى الله عليه سلم وعمر بن الخطاب

[ذكر] عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال :

كنا نُقبِّل يدَ النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ومن حديث وكيع عن سفيان قال قال :

قَبّل أبو عُبيدة يدَ عمر بن الخطاب [رضى الله عنهما] .

الرسول صلى الله عليه وسلم مع جعفر

ومن حديث الشعبى قال :

لقى النبى عليه الصلاة والسلام جعفر بن أبى طالب [رضى الله عنه] ، فالتزمه وقبّل ما بين عينيه .

أبو نضرة والحسين بن على

قال إياس بن دَغْفل :

رأيتُ أبا نَضْرة (١) يُقبِّل خَدَّ (٢) الحُسين .

الشّيبانى عن أبى الحسن عن مُصعب قال :

على بن الحسين ورجل قبل يده

رأيتُ رجلاً دخل على علىّ بن الحُسين (٣) فى المَسجد فقبَّل يده ووَضعها على عَينيه فلم يَنهَه .

---

(١) هو المنذر بن مالك العبدى . (انظر الطبرى وتهذيب التهذيب) .

(٢) فى ا ، ى : « الحسن » .

(٣) ظاهر أنه هو على زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ . وعلى هذا يظهر أن فى السند نقصا ، إذ المعروف أن أبا الحسن المدائنى توفى سنة ٢٢٥ هـ ومصعب بن عبد الله الزبيرى توفى سنة ٢٣٣ هـ . وهما المعنيان هنا لقرب عهديهما واجتماعهما ببعض كما فى الميزان (ج ٢ ص ٢٣٧) . ومع تقدير أن المراد بمصعب : مصعب بن ثابت الزبيرى ، جد مصعب هذا ، نجد بينه وبين على بن الحسين فترة غير قصيرة ، إذ كانت وفاته سنة ١٧٥ هـ . وقد وجدنا فى ترجمة زين العابدين فى تهذيب التهذيب ذكرا لمصعب الزبيرى يروى عن مالك بن أنس أخبارا تتصل بعلى بن الحسين هذا .

العُتْبى قال :

بين عبد الملك بن مروان ورجل قبل يده ودعا له

دخل رجلٌ على عبد الملك بن مروان فقبّل يدَه ، وقال : يَدك يا أمير المؤمنين أحقُّ يدٍ بالتقبيل ، لعُلوِّها فى المكارم ، وطُهْرِها من المآثم ؛ وإنك تُقِلّ التَّثريب ، وتَصْفَح عن الذنوب ، فمن أراد بك سوءاً جعله الله حَصِيد سَيْفك ، وطريدَ خَوْفك .

بين أبى بكر الهجرى والمنصور

[الأصمعىّ قال :

دخل أبو بكر الهَجَرِىّ على المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نَغَضَ فَمِى (١) ، وأنتم أهلَ البيت بركة ، فلو أذنت فقبلت رأسَك ، لعلّ اللهَ يُمْسِك علىّ ما بقى من أسنانى ؛ قال : أخْتَرْ بينها و بين الجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أَيْسر علىّ من ذَهاب الجائزة أنْ لا تَبقى فى فى حاكّة (٢) ؛ فضَحِك المنصور وأمر له بجائزة] .

بين جعفر بن يحيى وسليمان صاحب بيت الحكمة

ودخل جعفر بن يحيى فى زىّ العامّة وكِتمان النَّباهة على سليمان صاحب بيت الحِكْمة (٣) ، ومعه ثُمامة بن أشرس ؛ فقال ثمامة : هذا أبو الفضل ، فنَهَض إليه سُليمان فقبّل يده ، وقال له : بأبى أنت ، ما دعاك إلى أن تُحمِّل عبدكَ [ثِقَل] هذه المِنّة التى لا أقوم بشُكرها ولا أقدِر أنْ أُكافِئ عليها .

الشعبىّ قال :

بين زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس

رَكِب زيدُ بن ثابت ، فأخذ عبدُ الله بنُ عبّاس بِرِكابه ؛ فقال له : لا تفعل

(١) نغض فمى ، أى تحركت أسنانه وقلقت .
(٢) الحاكة : السن ، لأنها تحك صاحبتها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبة . وقد مر هذا الخبر فى الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٢٩٦) مع اختلاف يسير .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « الحكومة » .

يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال [هكذا] : أُمِرنا[١] أن نفعل بعُلمائنا ؛ فقال له زيد : أرِنى يَدَك ؛ فأخرج إليه يده ، فأخـذها وقبّلها ، وقال : هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل [بَيْت] نبيّنا .

مواضع القبل من الجسم

وقالوا :

قُبلة الإمام فى اليد ، وقُبلة الأب فى الرأس ، وقُبلة الأخ فى الخد ، وقُبلة الأخت فى الصدر ، وقُبلة الزوجة فى الفم .

من كره من الملوك تقبيل اليد

بين هشام ورجل قبل يده

العُتبى قال :

دخل رجلٌ على هشام بن عبد الملك فقبّل يده ؛ فقال : أفٍّ[٢] له ، إن العرب ما قبّلت الأيدى إلا هُلوعًا ، ولا فَعلته العجم إلا خُضوعًا . ١٦٧ / ١

بين المأمون وآخر استأذنه فى تقبيل يده

واستأذن رجل المأمون فى تقبيل يده ، فقال له : إنّ قُبلة اليد من المُسْلم ذِلّة ، ومن الذمّى خديعة ، ولا حاجة بك أن تَذل ، ولا بنا أن نُخْدَع .

أبى دلامة والمهدى فى مثل ذلك

واستأذن أبو دُلامة الشاعر المهدىَّ فى تقبيل يده ؛ فقال : أمّا هذه فدَعْها ؛ قال : ما مَنعتَ عيالى شيئاً أيسَر فقداً عليهم من هذه .

حسن التوفيق فى مخاطبة الملوك

بين الرشيد ومعن بن زائدة

قال هارون الرشيد لِمَعْن بن زائدة : كيف زمانُك يا مَعن ؟ قال :

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٢) فى ا : « أوه » . وفى ى : « مه » مكان قوله : « أف له » .

يا أمير المؤمنين ، أنت الزمان ، فإن صَلُحْتَ صَلُحَ الزمان ، و إن فسدت فسد الزمان .

بين الرشيد وسعيد بن سلم

وهذا نظير قول سَعيد بن سَـلْم[١] ، وقد قال له أميرُ المؤمنين الرشيد : مَن بَيْتَ قَيس فى الجاهلية ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، بنو فَزارة ؛ قال : فَمَن بيتهُمْ فى الإسلام ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، الشريفُ من شرّفتموه ؛ قال : صدقتَ أنتَ وقومُك .

بين معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن بن زائدة على أبى جعفر ، فقال له : كَبِرْتَ يا مَعن ؛ قال : فى طاعتك يا أمير المؤمنين ؛ قال : و إنك لَجَلْد[٢] ؛ قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ؛ قال : و إن فيك لبقيّةً ؛ قال : هى لك يا أمير المؤمنين ؛ قال أىّ الدولتين أحبُّ إليك أو أبغض ، أدولتنا أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، و إن زاد برُّك على برّهم كانت دولتك أحبَّ إلى ، و إن زاد برُّهم على برك كانت دولتُهم أحبَّ إلىّ ؛ قال : صدقت .

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهذا منزلُك ؟ قال : هو لأمير المؤمنين ولى به ؛ قال : كيف ماؤُه ؟ قال : أطْيب ماء ؛ قال : فكيف هواؤه ؟ قال : أصَحّ[٣] هواء .

بين المنصور وجرير بن يزيد

وقال[٤] أبو جعفر المنصور لجرير بن يزيد : إنى أردتُكَ لأمر ؛ قال :

---

(١) فى ا ، ى : « سالم » . والذى فى سائر الأصول : « مسلم » . وكلاهما تحريف . وهو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم . (انظر المعارف لابن قتيبة) : وقد ذكر خطأ فى الجزء الأول باسم سعيد بن سلم بن مسلم بن قتيبة ، بتقديم مسلم على قتيبة .

(٢) كذا فى ا ، ى : والذى فى سائر الأصول : « لتتجلد » .

(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « أفسح » . وهو تحريف .

(٤) فى كتاب التنبيه للبكرى أن هذا الحديث كان بين المنصور ومعن بن زائدة .

يا أمير المؤمنين ، قد أعَدَّ الله لك منّى قلباً معقوداً بطاعتك ، ورَأياً مَوْصولا بنصيحتك ، وسَيْفاً مَشهوراً[1] على عدوك ، فإذا شِئْت فقل .

طاهر ابن الحسين يصف ابنه للمأمون

وقال المأمون لطاهر بن الحُسين : صِفْ لى أبنك عبدَ الله ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إن مدحتهُ عِبْته ، وإنْ ذممْته اغتبته ، ولكنه قِدْح فى كفّ مُثَقِّف ليوم نِضَال فى خِدْمة أمير المؤمنين .

فى الطاعة

وأمر بعضُ الخلفاء رجلاً بأمر ؛ فقال : أنا أطوعُ من الرِّداء ، وأذلّ لك من الحِذاء .

[وهذا قاله الحسن بن وَهْب لمحمد بن عبد الملك الزيات .

وقال آخر : أطوع لك من يدك ، وأذلّ لك من نِعالك]

بين المنصور ومسلم بن قتيبة فى قتل أبى مسلم

وقال المنصور لمُسْلِم[2] بن قُتَيبة : ما ترى فى قتل أبى مُسلم ؟ قال : (لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لَفَسَدتا) . قال : حَسْبك أبا أمية .

بين المأمون ويزيد بن مزيد

وقال المأمون ليزيد بن مَزْيد : ما أكثرَ الخلفاء فى ربيعة ؟ قال : بلى ، ولكنّ منابرهم الجُذوع .

بين المنصور وإسحاق بن مسلم

وقال المنصور لإسحاق بن مُسلم : أفرطتَ فى وَفائك لبنى أمية ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه من وَفّى لمن لا يُرْجى كان لمن يُرْجَى أوْفى .

لعبد الملك بن صالح يصف منبج للرشيد

وقال هارون لعبد الملك بن صالح : صِفْ لى مَنْبِج[3] ؛ قال : رَقيقة الهواء ،

---

(١) فى ا : « مسلولا » . وفى الأمالى وعيون الأخبار (ج ١ ص ٩٢) : « مشحوذا » .

(٢) فى ا ، ى : « سالم » . وهو تحريف . فلم يعرف لقتيبة ولد اسمه سالم . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

(٣) منبج : مدينة كبيرة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . وكان الرشيد أسكنها عبد الملك بن صالح . (عن معجم البلدان) .

لَيِّنَة الوطاء ؛ قال : فصِفْ لى منزلك بها ؛ قال : دون منازل أَهْلى ، وفوق مَنازل أَهْلها ؛ قال : ولِمَ وقَدْرك فوق أقدارهم ؟ قال : ذلك خُلق أمير المؤمنين أتأسّى به وأقفو أثرَه وأحذو مثاله .

بين المأمون والحسن بن رجاء

ودخل المأمون يوماً بيتَ الديوان ، فرأى غلاماً جيلا على أذنه قَلَم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا الناشئْ فى دَوْلتك ، والمُتقلِّب فى نِعْمتك ، والمُؤَمِّل لِخدمتك ، الحسن بن رجاء ؛ قال المأمون : بالإحسان فى البَدِيهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مَرْتبته .

شعر لابن الجهم فى مقتل إسحاق ابن إسماعيل وطرب المتوكل به

علىّ بن يحيى قال :

إنى عند المتوكل حين دخل عليه الرّسول برأس إسحق بن إسماعيل ، فقام علىّ بن الجَهْم يَخْطِر بين يدى المتوكل ، ويقول :

أهلاً وَسهلاً بك من رَسُولِ جئْت بما يَشْفِى من (١) الغَليلِ

* برأس إسحق بن إسماعيلِ *

١٦٨/١ فقال المتوكل : قُوموا التقطوا هذا الجوهر لئلا يَضِيع .

بين عقال بن شبة وأبى عبيد الله

ودخل عَقّال بن شَبّة (٢) على أبى عُبيد الله كاتب المهدىّ ، فقال : يا عَقّال ، لم أَرَكَ منذ اليوم ؛ قال : والله إنى لألقاك بشَوْق ، وأُغيب عنك بتَوْق .

بين عبد العزيز ابن مروان ونصيب

وقال عبد العزيز بن مروان لنُصيب بن رَباح — وكان أسود — [يانُصيب] ، هل لك فيما يثمر المحادثة ؟ يريد المُنادمة ؛ فقال : أصلح الله الأمير ،

---

(١) فى ا . « به » .

(٢) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى ى : « عقال بن أبى شيبة » . والذى فى سائر الأصول : « ابن عقال بن شبة » وفى كلتا الروايتين تحريف .

اللون مُرَمَّد[١] ، والشَّعر مُفَلْفَل[٢] ، ولم أَقْعد إليك بكريم عُنْصر ، ولا بحُسْن مَنظر ، وإنما هو عَقْلِي ولسانى ، فإن رأيتَ أن لا تفرّق بينهما فافعل .

الحسن بن سهل حين ودعه المأمون

ولما ودَّع المأمون الحسنَ بن سهل عند مخرجه من مدينة السلام ، وقال له : يا أبا محمد ، ألك حاجة تعهد إلىّ فيها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أن تحفظ علىّ من قلبك ما لا أستعين على حفظه إلا بك .

بين سعيد بن سلم والمأمون

وقال سعيد بن سَلْم[٣] بن قُتيبة للمأمون : لو لم أشكر الله إلا على حُسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين من قَصْدِه إلىّ بحديثه ، وإشارته إلىّ بطَرْفه ، لكان ذلك من أعظم ما تُوجِبه النعمة[٤] ، وتَفْرضه الصنيعة ؛ قال المأمون : ذلك والله لأن الأمير يجد عندك من حُسن الإفهام إذا حَدَّثتَ ، وحُسن الفَهم إذا حُدِّثت ، ما لا يجده عند غَيْرِك .

مدح الملوك والتزلف إليهم

لبعض الأعاجم يمدح أردشير ابن يزدجرد

فى سِيَر العَجَم[٥] أن أردشير بن يَزْدَجِرْد لما استوثَق له أمرُه ، جمع الناس ، فخطبَهم خُطبة حَضَّهم فيها على الأُلفة والطاعة ، وحَذَّرهم المَعْصية ومُفارقة الجماعة ، وَصَنَّف لهم الناس أربعة [أصناف] ، فخرّوا له سُجَّدا . وتكلّم مُتكلِّمهم ، فقال :

(١) مرمد ، أى لون الرماد .
(٢) شعر مفلفل : مجعد .
(٣) فى ا ، ى « سالم » . والذى فى سائر الأصول : « مسلم » . وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٩ من هذا الجزء) .
(٤) فى ا : « المنة » .
(٥) كذا فى ا . والذى فى ى : « فى خبر الملوك من العجم » . والذى فى سائر الأصول : « فى سيرة العرب » . وهو تحريف .

لا زلت أيها الملك محبُوًّا من الله بعزّ النصر ، ودَرَك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النِّعمة ، وحُسن المَزِيد ؛ ولا زلت تتابعُ لديك المَكرُمات ، وتُشفَع إليك الذِّمامات حتى تبلغَ الغاية التى يُؤمَن زوالها ، ولا تَنقطع زَهرتها ، فى دار القَرار التى أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُّلفى عنده ، والحُظوة لديه ؛ ولا زال مُلكك وسُلطانك باقيَين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البُحور والأنهار ، حتى تستوى أقطارُ الأرض كلّها فى عُلوّك عليها ، ونَفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نُورك ما عمّنا عُموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رَأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصالَ النسيم ، فأصبحت قد جمع الله بك الأيادى بعد افتراقها ، وألّف بين القلوب بعد تباغضها ، وأذهب عنا الإحَن والحَسائف[1] بعد توقّد نيرانها ، بفضلك الذى لا يُدرك بوصف ، ولا يُحَد بنَعْت . فقال أردشير : طُوبَى للممدوح إذا كان للمدح مستحِقًّا ، وللدّاعى إذا كان للإجابة أهلاً .

لحسان بن ثابت يمدح الحارث الجفنى

ودخل حسّان بن ثابت على الحارث[2] الجفنى فقال : أنعِم صباحاً أيها الملك ، السّماء غِطاؤك ، والأرض وِطاؤك ، ووالدى ووالدتى فِدَاؤك ، أنّى يُناوئك المُنذر[3] ، فوالله لقَذَالُك أحسنُ من وَجهه ، ولأمُّك أحسنُ[4] من أبيه ، ولظِلّك خير من

(١) كذا فى ا ، ى . والحسائف : العداوات ؛ الواحدة : حسيفة . والذى فى سائر الأصول : « الحسائد » . وهو تحريف .

(٢) فى الأغانى (ج ١٤ ص ٣ — ٤ طبعة بلاق) : « عمرو بن الحارث » . وفيه زيادة واختلاف فارجع إليه .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والأغانى . ويريد به كما فى الأغانى : المنذر بن المنذر بن ماء السماء اللخمى . والذى فى ا ، ى ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٧٨) : « ابن المنذر » وفى نهاية الأرب ما يفيد أنه النعمان بن المنذر

(٤) فى ا : ونهاية الأرب : « خير » .

شَخْصه ، ولَصَمْتك أبلغ[(١)] من كلامه ، ولشمالك خيرٌ من يمينه . ثم أنشأ يقول :

[ونُبِّئْت أن أبا مُنْــذر يُساميك للحدَث الأكبرِ[(٢)]]
فَذَاكَ أحْسَنُ من وَجْهــه وأمُّك خَــيرٌ من المُنْذر
ويُسْرَى يَدَيك إذا أعسرت كيُمْــنى يَدَيه فلا تَمْترِ[(٣)]

لخالد القسرى يهنئ عمر بن عبد العزيز بالخلافة

ودخل خالد بن عبد الله القَسْرى على عُمَر بن عبد العزيز لما وَلِىَ الخلافة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، مَن تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زِنْتها ، ومَن تكون شرَّفته فأنت قد شرَّفتها ، وأنت كما قال الشاعر :

وإذا الدُّر زانَ حُسْنَ وُجوهٍ كان للدُّر حسنُ وجهك زَيْنَا

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أعطى صاحبُكم مَقُولا ولم يُعْطَ مَعْقولا . ١٦٩/١

لبعضهم فى مدح المأمون عند دخوله بغداد

[ذَ كَر] ابن أبى طاهر قال :

دخل المأمون بغداد فتلقَّاه وُجوهُ أهلها ، فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين بارك الله لك [فى] مَقْدمك ، وزادك فى نِعْمتك ، وشَكَرك عن رَعيَّتك ، تقدَّمت [مَن] قَبْلك ، وأتْعبت مَن بَعْدك ، وآيَستَ أن يُعايَن مثلُك ؛ أما فيما مضى فلا نَعرفه ، وأما فيما بَقِى فلا نَرجوه ، فنحن جميعاً ندعو لك ونُثْنى عليك ؛ خَصِب لنا جنابك ، وعَذُب شرابُك[(٤)] ، وحَسُنَت نَظْرتك[(٥)] ، وكرمت

(١) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى الأصول : « خير » .
(٢) هذا البيت عن الأغانى .
(٣) امترى : شك . ورواية هذا البيت فى الأغانى :
ويسراك أجود من كفه اليـ ـمين فقولا له أخسر
(٤) كذا فى ا ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٨٩) والذى فى سائر الأصول : « ثوابك » .
(٥) فى نهاية الأرب : « نصرتك » .

مَقْدرتك ؛ جَبَرْتَ الفقير ، وفَكَكْتَ الأسير ، فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الأول :

مازلْتَ فى البَذْلِ للنَّوال(١) وإطْـ ـلاقِ لِعانٍ بجُرْمـــه عَلِقِ
حتّى تمنّى البِرَاء(٢) أنهمُ عِندَكَ أسْرَى(٣) فى القَيْد والحَلَق(٤)

لبعضهم فى خالد القسرى

ودخل رجلٌ على خالد بن عبد الله القَسْرى فقال : أيها الأمير ، إنك لتَبْذُل ما جلَّ ، وتَجْبُرُ ما اعتلَّ ، وتُكثِّر ما قل ؛ ففَضْلك بديع ، ورأيك جميع .

بين الحسن بن سهل وآخر

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرتُ لا أستكثر كثيرَك ، ولا أستقلُّ قَليلك ؛ قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك أكثرُ من كثيرك ، ولأن قليلك أكثر من كثير غيرك .

لخالد بن صفوان فى بعض الولاة

وقال خالدُ بن صَفْوان لوالٍ دخل عليه(٥) : قدمت فأعطيت كلاًّ بقِسْطه من نظرك ومجلسك ؛ وصِلاَتك وعِدَاتك ، حتى كأنك من كلّ أحد ، وكأنك لستَ من أحد .

بين الرشيد وبعض الشعراء

وقال الرشيدُ لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، المديحُ كلُّه دونَ قَدْرك ، والشعرُ فيك فوق قَدْرى ، ولكنّى أستحسن قولَ العتّابى :

---

(١) كذا فى ا ، ى ونهاية الأرب . والذى فى سائر الأصول : « والنوال » .
(٢) براء (ككرام) : من جموع برىء .
(٣) فى ى ونهاية الأرب : « أمسوا » .
(٤) فى ا ونهاية الأرب : « فى القد » .
(٥) فى ا ، ى : « لبعض الولاة » مكان قوله « لوال دخل عليه » .

ماذا عَسَى مادحٌ يُثنى عليك وقد ... نادَاكَ فى الوَحْى تقديسٌ وتَطْهيرُ
فُتَّ المَادحَ إلاّ أنّ ألسُنَنا ... مُستَنطقات بما تُخفِى الضَّماير

خالد بن صفوان فى مدح بعضهم

مدح خالدُ بن صَفْوان رجلاً فقال : قَرِيعَ المَنْطِق ، جَزْل الألفاظ ، عَرَبِىّ اللّسان ، قليل الحركات ، حَسن الإشارات ، حُلو الشّمائل ، كثير الطّلاوة ، صَمُوتا قَئولا ، يَهْنأ الجرَب ، ويداوى الدَّبَر(١) ، ويُقِلّ الحزّ(٢) ، ويُطَبِّق المِفْصَل ، لم يكُن بالبَرِم(٣) فى مُروءته ، ولا بالهذِر فى مَنْطقه ، مَتْبوعاً غير تابع

كأنه عَـلَم فى رأسه نار(٤)

بين الرشيد وسهل بن هارون

دخل سَهل بن هارون على الرشيد ، فوجده يُضاحك ابنه المأمون ، فقال : اللهم زِدْه من الخيْرات ، وأَبْسُط له فى البركات(٥) ، حتى يكون كلُّ يوم من أيّامه مُوفيًا على أمسه ، مُقصِّرًا عن غده ؛ فقال له الرشيد : يا سَهْل ، من رَوَى من الشعر أحسنَه وأجودَه ، ومن الحديث أصحه وأبلغه ، ومن البيان أفصحَه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يُعجزه ؟ قال سَهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننتُ أنّ أحداً تقدّمنى [سَبَقنى] إلى هذا المعنى ؛ فقال : بل أعشى هَمْدان حيث يقول :

---

(١) الدبر : جمع دبرة (بالتحريك) ، وهى قرحة الدابة .

(٢) كذا فى ا . وهو على عكس المثل : إنك لتكثر الحز وتخطئ المفصل . يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يصيب المراد . (انظر نهاية الأرب ج ٣ ص ١١) . والذى فى سائر الأصول : « ويقيل الحر » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه . وروايتها فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ١٨٠) : « ويفك الحز » . وظاهر أن قوله « ويفك » محرف عن « ويصيب » . والحز : موضع القطع .

(٣) فى ا ، ى : « الزمر » . والزمر : القليل المروءة .

(٤) هذا عجز بيت للخنساء فى صخر أخيها وصدره : وإن صخرا لتأتم الهداة به .

(٥) فى ا ، ى : « وأجزل له من » مكان قوله « وابسط له فى » .

وجدتُك أمسِ خيرَ بنى لُؤىٍّ (١) وأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ
وأنتَ غداً تزيد الخيرَ ضِعْفاً كذاك تَزيد سادةُ (٢) عبدِ شَمْسِ

المأمون وسهل ابن هارون

وكان المأمون قد استثقل سهلَ بن هارون ، فدخل عليه يوماً والناسُ عنده على منازلهم ، فتكلّم المأمون بكلام ذهب فيه كلّ مذهب ؛ فلما فرغ أقبل سهلُ ابن هارون على ذلك الجمع ، فقال لهم : ما لكم تَسْمعون ولا تَعُون ، وتَفْهَمون ولا تَعْجَبون ، وتعجبون ولا تَصِفون ، أما والله إنه ليقول ويَفعل فى اليوم القصير ، مثل ما قالت وفعلت بنو مَرْوان فى الدّهر الطّويل ، عَرَبكم كعَجَمهم ، وعَجَمُهم (٣) كعَرَب بنى تَميم ، ولكن كيف يَشْعر بالدّواء من لا يَعْرِف الدّاء ؛ قال :
١٧٠/١ فَرَجع له المأمون إلى رأيه الأوّل .

الحجاج وزياد بن عمرو العتكي

وكان الحجّاج [بن يوسف] يَستثقل زياد بن عمرو العَتَكىّ (٤) ، فلما أثنى الوفدُ على الحجّاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : يا أمير المؤمنين ، إن الحجّاج سيفك الذى لا يَنْبو ، وسَهْمك الذى لا يَطِيش ، وخادمُك الذى لا تأخذه فيك لومةُ لائم . فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ (٥) على الحجّاج ولا أحبَّ إليه منه .

لعبيب بن شبة فى صالح بن المنصور

[حدّث] الشيبانى قال :

(١) فى ا : « حسبتك » .
(٢) فى ا : « عاده » .
(٣) فى ا : « وعجمكم » .
(٤) كذا فى ا ، ى والكامل للمبرد . والذى فى سائر الأصول : « عمر » وهو تحريف .
(٥) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فلم يكن عند الحجاج أحد أخف » .

أقام المنصورُ صالحاً ابنه ، فتكلم فى أمر[1] فأحسن ، فقال شَبيب بن شَيْبة[2] : تالله ما رأيتُ كاليوم أبيَن بياناً ، ولا أعربَ[3] لساناً ، ولا أرْبَط جاشاً ، ولا أبلَّ ريقاً ، ولا أحْسن طريقاً ، وَحَقّ لمن كان المنصور أباه ، والمهدىُّ أخاه ، أن يكون كما قال زُهير :

هُوَ الجوَادُ فإنْ يَلْحق بشأوِهما على تَكاليفه فِمثْلُهُ لَحِقا
أو يَسْبِقاه على ما كان من مَهَلٍ فِمثْلُ ما قَدّما من صالحٍ سَبَقا

ومن كلامه أيضا فى ذوى الحاجات عند باب الخليفة

وخرج شَبيب بن شَيْبة من دار الخلافة يوماً ، فقيل له : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيتُ الداخل راجياً ، والخارج راضياً .

وله وقد اتهم بالاستعداد للكلام

وقيل لبعض الخلفاء : إن شَبيب بن شَيْبة يستعمل الكلام[4] ويَستَعِدّ[5] له ، فلو أمرتَه أن يَصْعد المِنْبر فَجْأَةً لافتَضَح . قال : فأمر رسولاً فأخذ بيده فصَعِدَه المِنْبر ، فَحَمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهًا أربعة : فمنها الأسد الخادر ، والبحرُ الزّاخر ، والقمر الباهر ، والرَّبيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر ، فأشبهَ مِنه صَوْلَتَه ومضاءه ، وأما البحرُ الزّاخر فأشبه منه جُوده وعطاءه ، وأما القمرُ الباهر فأشبه منه نُورَهُ

---

(١) فى ا : « فى بعض الأمر » مكان قوله « فى أمر » .
(٢) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم المنقرى التميمى ، ابن عم خالد ابن صفوان ، توفى فى حدود سنة ١٧٠ هـ . وفى بعض الأصول : « شبة » . وهو تحريف .
(٣) فى ا : « أعذب » . وفى ى : « أجود » .
(٤) لعله : يتعمل الكلام ، أى يتكلفه .
(٥) كذا فى ى وزهر الآداب . والذى فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٨٠) : « ليستعد له » . والذى فى ا : « ويستدعيه » . والذى فى سائر الأصول : « ويستعذبه » .

وضياءه ، وأما الربيع الفاضر فأشبه منه حُسنه وبهاءه ، ثم نزل[(١)] .

بين عبد الملك وبعض ذوى الحاجات

وقال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلَّمْ بحاجتك ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، بُهْرُ الدَّرجة وهَيْبة الخِلافة يَمْنعانى من ذلك ؛ قال : فعَلَى رِسْلك ، فإنَّا لا نُحب مَدْح المُشاهدة ، ولا تَزْكية اللِّقاء ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، لستُ أمدحك ، ولكن أحمد الله على النِّعمة فيك ، قال : حَسْبك فقد أبلغت .

بين المنصور وآخر فى مثل ذلك

ودخل رجل على المَنْصور ، فقال له : تكلَّمْ بحاجتك ؛ فقال : يُبْقيك الله يا أمير المؤمنين ؛ قال : تكلم بحاجتك ، فإنك لا تَقْدِرُ على هذا المَقام كلَّ حين ؛ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أسْتَقْصر أجلَك ، ولا أخاف بُخْلك ، ولا أغْتنم مالَك ، وإنّ عطاءك لشرف ، وإنّ سؤالك ازَيْن ، وما لأمرئ بَذَل وجهه إليك نقصٌ ولا شَيْن . قال : فأحسنَ جائزته وأكرمه .

[حَدَّث] إبراهيم بن السِّندى قال :

العمانى الشاعر بحضرة المأمون

دخل العمَانىّ على المأمون ، وعليه قَلَنْسوة طويلة وخُفٌّ ساذَج[(٢)] ؛ فقال له : إيّاك أن تُنْشدنى إلاّ وعليك عِمامة عَظيمة الكَوْر وخُفّان رائقان[(٣)] . قال : فغدا

---

(١) فيما سيأتى من العقد عند الكلام على الخطب جاء بعد قوله « نزل » : وقال :

وموقف مثل حد السيف قمت له ... أحمى الذمار وترمينى به الحدق

فما زلقت وما ألفيت كاذبة ... إذا الرجال على أمثاله زلقوا

(٢) فى ا : « سابغ » .

(٣) كذا فى ا ، ى . والرائق : الحسن الجميل . والذى فى سائر الأصول : « دلقان » . والذى فى عيون الأخبار (ج ١ س ٩٤) : « دلقمان » . والذى فى البيان والتبيين : « دما لقان » . وهو تحريف فى جميعها .

عليه فى زىّ الأعراب فأنشده ، ثم دنا فقبّل يده ، وقال : قد والله يا أمير المؤمنين أنشدتُ يزيدَ بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ورأيتُ وجوهَهما وقبّلت أيديَهما وأخذتُ جوائزهما ، وأنشدتُ مروان ، وقبلت يده وأخذتُ جائزته ؛ وأنشدتُ المنصور ، ورأيتُ وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ؛ وأنشدت المهدىّ ، ورأيتُ وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ؛ إلى كثير من أشباه الخلفاء ، وكُبراء الأمراء ، والسادة الرُّؤساء ، فلا والله يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ فيهم أبهَى منظراً ، ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أنعمَ كفًّا ، ولا أندَى راحةً منك يا أمير المؤمنين . قال : فأعظمَ له الجائزةَ على شِعْره ، وأضعف له على كلامه ، وأقبل عليه بوجهه وبِشْرِه فبَسطه ، حتى تمنّى جميعُ مَن حضره أنهم قاموا مَقامه .

[حدّث] العُتبىّ عن سُفيان بن عُيَيْنة قال :

بين عمر بن عبد العزيز وشاب من وفد العراق

قدم على عُمر بن عبد العزيز ناسٌ من أهل العِراق ، فنظر إلى شابٍّ منهم ١٧١/١
يَتحوّش(١) للكلام ، فقال : أَكْبِروا أَكْبِروا(٢) ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس بالسنّ ، ولو كان الأمر كلّه بالسن لكان فى المُسلمين من هو أسنّ منك ؛ فقال عمر : صدقتَ رَحِمك الله ، تكلّم ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا لم نأتِك رغبةً ولا رَهْبة ، أما الرّغبة فقد دخلت(٣) علينا منازلَنا ، وقَدِمت علينا بلادَنا ، وأما الرّهبة فقد أمّننا الله بِعَدْلك من جَوْرك ؛ قال : فما أنتم ؟ قال : وَفْد الشُّكر ؛ قال : فنظر

(١) يتحوش ، أى يتأهب . وفى ا ، ى : « يتحرش » . والذى فى سائر الأصول : « يتجوس » . وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .

(٢) فى ا ، ى : « فقال له : أكبر أكبر » .

(٣) فى ا : « حلت » .

محمد بن كَعْب القُرَظِىّ إلى وجه عُمر يتهلّل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يَغلبنّ جهلُ القوم بك معرفتَك بنفسك ، فإن ناسًا خَدَعهم الثناء ، وغرّهم شكرُ الناس فهلكوا ، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم . فألقى عُمَرُ رأسَهُ على صَدْره .

التنصل والاعتذار

للنبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذه الترجمة

قال النبى صلى الله عليه وسلم : مَن لم يقبل من مُتَنصِّل عُذراً صادقاً كان أو كاذباً لم يَرِد على الحوض .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : المُعترف بالذّنْب كمن لا ذنْبَ له .

وقال : الاعترافُ يَهدِم الاقتراف .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

إذا ما امرؤٌ من ذَنبه جاء تائبًا إليك فلم تَغفِر له فلك الذّنْبُ

بين إبراهيم بن المهدى ورجل اعتذر إليه

واعتذر رجلٌ إلى إبراهيم بن المهدىّ فقال : قد عذَرْتك غير مُعْتذر ، إنّ المعاذيرَ يشوبها الكَذِب .

بين جعفر بن يحيى وآخر فى مثل ذلك

واعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى ، فقال : قد أغناك الله بالعُذر عن الاعتذار ، وأغنانا بحُسن النيّة عن سُوء الظن .

معذرة جعفر بن يحيى إلى بعض ذوى الحاجات عنده

وقال إبراهيم المَوْصِلى :

سمعت جعفرَ بن يحيى يَعتذر إلى رجل مِن تأخُّر حاجة ضَمِنها [له] وهو يقول : أحتجّ إليك بغالب القضاء ، وأعتذرُ إليك بصادق النيّة .

لبعضهم فى الاعتذار إلى ملك

وقال رجل لبعض الملوك : أنا مَن لا يُحاجّك عن نفسه ، ولا يغالِطك فى

جُرْمه ، ولا يَلتمس رضاك إلا من جهــة عَفْوِك ، ولا يَستعطفك إلا بالإقرار بالذّنْب ، ولا يَسْتَميلك إلا بالاعتراف بالزلّة .

شعر للحسن ابن وهب يعتذر

وقال الحسنُ بن وهب :

ما أحسن العَفْوَ مِنَ القادِرِ   لا سيَّما عن غـيْر ذى ناصِرِ
إنْ كان لى ذَنبٌ ولا ذَنْبَ لى   فما لهُ غيرُكَ من غافِر
أعوذُ بالودّ الذى بيننـــا   أن يَفْسُدَ(١) الأوّلُ بالآخِر

وكتب الحسن بن وَهْب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفرٍ ما أحسنَ العفو كلّه   ولا سيَّما عن قائلٍ : ليس لى عُذْرُ

لبعض الشعراء فى قبول المعذرة

وقال آخر :

اقبل معاذيرَ مَن يأتيك مُعْتذِرًا   إنْ بَرّ عندك فيما قال أو فَجَرَا(٢)
فقد أطاعك مَن أرضاك ظاهرُه   وقد أجلّك من يَعْصيك مُسْتَتِرا
[خَيْرُ الخَلِيطين من أغضى لصاحبِه   ولو أراد انتصارًا منه لانْتَصرا]

كلمات للأحنف وغيره فى ذلك

وقالت الحكماء : ليس من العَدْل سُرعة العَذْل .

وقال الأحنف بن قيس : رُبَّ مَلوم لا ذَنْب له .

وقال آخر :

لعلّ لهُ عُذْرًا وأنتَ تَلومُ

شعر لحبيب وغيره

وقال حَبيب :

---

(١) فى ا ، ى : « تفسد » .

(٢) فى ا : « أبر فيما أتى من ذاك أو فجرا » .

البرُّ بى منك وَطّى العُذْرَ عندك لى(١) ... فيما أتاك فلم تَقْبَل ولم تَلُمِ

وقام عِلْمُكَ بى فاحتجَّ عندك لى ... مَقام(٢) شاهِد عَدْل غيرِ مُتَّهم

وقال آخر :

إذا أعتذر الجانِى محا العُـذرُ ذَنبه ... وكلُّ أمرىءٍ لا يقبل العذرَ مُذْنِبُ

١٧٢ / ١ ومن قولنا فى هذا المعنى : — المؤلف

عَذِيرَى من طُول البُكا لوعةُ الأسى ... وليس لِمن لا يَقبل العُذْرَ من عُذْرِ

وقال آخر : — لآخر

فَهَبْنِى مُسيئاً كالذى قُلْتَ ظالِماً ... فَعفوًا جميلا كى يكونَ لك الفَضلُ

فإن لم أكُن للعَفْو عندكَ للذى ... أتيتُ به أهلاً فأنتَ له أهْل

ومن الناس من لا يَرى الاعتذارَ ويقول : إياك وما يُعتذر منه .

وقالوا : ما أعتذر مُذنب إلا ازداد ذَنباً . — لبعضهم فى تقبيح الاعتذار

وقال الشاعر محمود الوراق : — شعر لمحمود الوراق فى ذلك

إذا كان وَجْه العُذر ليس بِبيّن ... فإنَّ اطّراح العُذر خَيْرٌ من العُذرِ

قال ابن شهاب الزُّهرى : — بين عبد الملك ابن مروان وابن شهاب الزهرى

دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان فى رجالٍ من أهل المدينـة ، فرآنى أحدَثهم سِنًّا ، فقال لى : من أنت ؟ فانتسبتُ له ؛ فقال : لقد كان أبوك وعمّك نَعّاقَين فى فِتْنة ابنِ الأشعث ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ مثلَكَ إذا عفا لم

(١) وطى : وطأ .

(٢) فى ا : « وذاك » مكان قوله « مقام » .

يُمدّد ، وإذا صَفح لم يُترّب . فأعجبه ذلك ، وقال : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة ؛ قال : عند من طَلبت ؟ قلت : سعيد بن المسيَّب ؛ وسليمان بن يَسار ، وقَبيصة بن ذُؤيب ؛ قال : فأين أنت من عُروة بن الزُّبير ؟ فإنه بحر لا تُكدِّره الدِّلاء . فلما انصرفتُ من عنده لم أبارح عُروة بنَ الزُّبير حتى مات .

بين ابن السماك وعلى بن محمد ابن سليمان

ودخل ابنُ السمّاك على محمد بن سُليمان بن علىّ فرآه مُعرضاً عنه ، فقال : مالى أرى الأمير كالعاتِب علىّ ؟ قال : ذلك لشىء بلغنى عنك كَرِهتُه ؛ قال : إذاً لا أبالى ؛ قال : ولِم ؟ قال : لأنه إذا كان ذَنباً غفرتَه ، وإن كان باطلاً لم تَقبله .

بين جرير بن عبد الله والمنصور

ودخل جريرُ بن عبد الله على أبى جعفر المنصور ، وكان واجداً عليه ، فقال له : تكلّم بحُجتك ؛ فقال : لو كان لى ذنبٌ تكلمت بعُذرى ، ولكنّ عَفوَ أمير المؤمنين أحبُّ إلىّ من براءتى .

بعض المذنبين بين يدى الهادى

وأُتِى موسى الهادى برجل ، فجَعل يُقرِّعه بذُنوبه ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين إنّ اعتذارى مما تُقرِّعنى به ردٌّ عليك ، وإقرارى به يُلزمنى ذنباً أجْنِه ، ولكنّى أقول :

فإن كنتَ ترجو فى العُقوبة راحةً فلا تَزهدنْ عند المُعافاة فى الأجْرِ

عبد الملك بن الفارسى بحضرة المأمون

سُعِى بعبد الملك بن الفارسىّ إلى المأمون ، فقال له المأمون : إنّ العَدل من عدّله أبو العبّاس ، وقد كان وَصفك بما وَصفك به ، ثم أتتنى الأخبارُ بخلاف ذلك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الذى بلغك عنّى تَحْميل علىّ ، ولو كان كذلك لقلتُ : نعم ، كما بلغك ، فأخذتُ بحظّى من الله فى الصِّدق ، واتكلت على

[فَضْل] أمير المؤمنين فى سَعة عفوه ؛ قال : صدقت .

محمد بن القاسم الهاشمىّ أبو العيناء قال :

بين أحمد بن يوسف ووفد من البصريين قد شكوه الى المأمون

كان أحمد بن يوسف الكاتب قد تولّى صَدقات البَصْرة ، فجار فيها وظَلَم ، فكَثُر الشاكى له والدّاعى عليه ، ووافَى بابَ أمير المؤمنين زُهاء خمسين رجلاً من جِلّة البَصْريين ، فعزَله المأمون ، وجلس لهم مجلساً خاصاً ، وأقام أحمدَ ابن يوسف لمُناظرتهم . فكان مما حُفِظ من كلامه ، أن قال : يا أمير المؤمنين ، لو أن أحداً ممن وَلِىَ الصَّدقات سَلِم من الناس لسلِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجل : (ومِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصَّدقاتِ فإنْ أُعْطُوا مِنها رَضُوا و إن لم يُعْطَوْا منها إذا هُمْ يَسْخَطون) . فأعجب المأمونَ جوابُه ، واستجزل مَقاله ، وخلّى سبيلَه .

الواثق وأحمد ابن أبى دواد

محمد بن القاسم الهاشمىّ أبو العَيْناء قال : قال لى أبو عبد الله أحمد بن أبى دُوَاد : دخلتُ على الواثق ، فقال لى : مازال قومٌ فى ثَلْبِك ونَقْصِك ؛ فقلت :

١٧٣/١ يا أمير المؤمنين ، (لِكلِّ أمرىء مِنهم ما اكْتَسَب من الإثمِ والذى تَوَلّى كِبْرَه منهم له عَذابٌ عَظيم) ، والله ولىّ جزائه ، وعِقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلّ من كُنتَ ناصرَه ، ولا ضاع من كنتَ حافظَه ، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت أبا عبد الله :

وَسَعى إلىّ بِعَيْبِ عَزّة نِسْوَةٌ (١) (٢) جَعل الإلهُ خُدودَهن نِعالَها

(١) فى ى : « بهجر » .

(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « معشر » .

لابن أبى دواد ينصح أبا العيناء فى قوم تظافروا عليه

قال أبو العيناء : قلت لأحمد بن أبى دُوَاد : إن قوماً تَظافروا علىّ ؛ قال : (يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم) . قلت : إنهم عَدد وأنا واحد ؛ قال : (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَة) . قلت : إن للقوم مَكْرا ؛ قال : (ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلا بأهله) .

قال أبو العيناء : فحدَّثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يَرى ابن أبى دُوَاد إلا أن القرآن أُنزل عليه .

بين قتيبة بن مسلم ونهار بن توسعة

[قال : و] هجا نَهارُ بن تَوْسِعة قُتيبةَ بنَ مُسلم ، وكان ولىَ خُراسان بعد يزيد ابن المهلّب ، فقال :

كانت خُراسان أرْضاً إذا يَزِيدُ بها ... وكلُّ بابٍ من الخَيْرات مَفْتوحُ

فبُدِّلَتْ بعده قِرْداً نَطُوف به (١) ... كأنما وَجْهه بالخَلِّ مَنْضوح

فطلبه فهرب منه ، ثم دخل عليه بكتاب أُمّه (٢) ، فقال له : وَيحك ! بأى وَجْه تَلْقانى ؟ قال : بالوجه الذى أَلْقَى به ربِّى وذُنوبى إليه أكثرُ من ذنوبى إليك . فقرَّبه ووَصله وأحسن إليه .

بين المنصور والفرج بن فضالة

وأقبل المنصور يوماً راكباً والفرجُ بن فَضالة جالسٌ عند باب الذَّهب (٣) ، فقام الناسُ إليه ولم يَقُم ، فاستشاط المَنصور غيظاً وغَضباً ودعا به ، فقال : ما مَنعك من القيام مع الناسِ حين رأيتَنى ؟ قال : خِفْتُ أن يسألنى الله تعالى لِمَ فعلتَ ، ويسألك عنه لِمَ رَضِيت ، وقد كَرِهه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فسَكن غضبُه وقرّبه وقضى حوائجه .

---

(١) فى ا وعيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٥٥) والشعر والشعراء : « نطيف به » . وفى ى : « يطوف بها » .

(٢) أمه ، يريد أم قتيبة ، وذلك أن ابن توسعة لما هرب أتى أم قتيبة فأخذ منها كتابا إليه فى الرضى عنه . (انظر الشعر والشعراء) .

(٣) باب الذهب : ببغداد .

بين المأمون ورجل جحد نعمه عليه

يحيى بن أكثم قال :

إنى عند المأمون يوماً ، حتى أُتى برجل تُرْعَد فرائصه ، فلمّا مَثَل بين يديه ، قال له المأمون : كَفَرتَ نِعْمتى ولم تَشكُر معروفى ؛ قال [له] : يا أمير المؤمنين ، وأين يَقع شُكْرى فى جَنْب ما أنعم الله بك علىّ ؟ فنظر [المأمون] إلىّ [وقال متمثّلاً] :

فلو كان يَسْتغنى عن الشكر ماجدٌ ۝ لِكَثْرَةِ مالٍ أو عُلُوِّ مكانِ
لما نَدَب الله العِباد لشُكْره ۝ فقال اشكُروا لى أيها الثَّقَلان

ثم التفت إلى الرجل ، فقال له : هلاَّ قلت كما قال أَصْرم بن حُميد :

رَشَّحت حَمْدِىَ[(١)] حتى إننى رجلٌ ۝ كُلِّى بكلّ ثناء فيك مُشتغلُ
خَوّلتَ شُكْرِىَ ما خَوّلتَ من نِعم ۝ فَحُرّ شُكْرى لما خَوّلتنى خَوَل

الاستعطاف والاعتراف

بين المهدى ويعقوب بن داود لما سخط عليه

لما سَخِط المهدىّ على يعقوبَ بنِ داود ، قال له : يا يَعْقوب ؛ قال : لَبَّيْك يا أمير المؤمنين ، تلبيةَ مَكْروب لموجدتك ؛ قال : ألم أرفع من قَدْرِك إذ كنتَ وَضِيعاً ، وأُبْعِد من ذِكْرِك إذا كنت خاملا ، وأُلبِسك من نِعْمتى ما لم أجِد لك بها يدَيْنِ من الشكر ، فكيف رأيتَ الله أظهر عليك ، وردّ إليك منك ؟ قال : إن كان ذلك بعِلْمك يا أميرَ المؤمنين فتَصْديقُ مُعْترف مُنيب ، وإن كان مما استخْرَجته دقائق الباغِين فعائذ بفَضْلك ؛ فقال : والله لولا الحِنْث فى دَمك بما

(١) رشحت حمدى ، أى تعهدته وقويته وقمت عليه .

تَقدم لك ، لألبسنك منه قَميصا لا تَشُد عليه زِرّا ، ثم أمر بِهِ إلى الحَبْس . فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كَرم ، والمودّة رَحِم ، وأنت بها جَدِير .

للشعراء فى معنى عبارة للمهدى

أخذت الشعراء معنى قول المهدى : لألبسنَّك منه قميصا لا تشُد عليه زرّا ، فقال مُملّى الطائى :

١٧٤/١ طَوّقته بحُسام طَوْق ردًى ... ما يَسْتَطِيعُ عليه شَـدَّ أَزْرَارِ

وقال حَبيب :

طَوّقته بالحُسام طَوْق داهية ... أغناه عن مَسِّ طَوْقه بِيَده

ومن قولنا[(١)] :

طَوّقته بالحُسام مُنصلِتا ... آخرَ طَوْق يكون[(٢)] فى عُنُقه

كلام ليزيد بن مزيد بحضرة الرشيد

ولما رَضِى الرشيدُ عن يزيدَ بن مَزْيد ، أَذِن له بالدُّخول عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، قال : الحمد لله الذى سَهّل لى سبيلَ الكرامة بِلقائك ، وردّ على النّعمة بوَجه الرّضا منك ، وجَزاك الله يا أمير المؤمنين فى حال سُخْطك جَزاء المُحْسنين المُرْغِبين[(٣)] ، وفى حال رِضاك جزاء المُنْعِمين المتطوّلين : فقد جعلك الله ، وله الحمد ، تَثَبّت تحرّجا عند الغَضب ، وتَمْتنّ تطوُّلا بالنّعم ، وتَستبقى المعروف عند الصنائع تفضُّلا بالعَفْو .

حسن اعتذار إبراهيم بن المهدى إلى المأمون

ولما ظَفِر المأمون بإبراهيم بن المهدىّ — وهو الذى يُقال له ابن شِكْلة —

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وقال » .
(٢) فى ا ، ى : « يشد » .
(٣) المرغب : الذى يعطى غيره ما يرغب فيه . أو هو الموسر الذى له مال كثير رغيب . ورواية هذه الكلمة فى ا : « المرائبين » وروايتها فى سائر الأصول : « المراقبين » ولعلها محرفة عما أثبتناه .

أمر بإدخاله عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، قال : وَلِىّ الثأر مُحكَّم فى القِصاص ، والعَفو أقربُ للتقوى ، وقد جعل الله كلّ ذنب دون عَفْوك ، فإن صَفحت فبكَرمك ، وإن أخـذتَ فبحقّك . قال المأمون : إنى شاورتُ أبا إسحاق والعبّاس[(١)] فى قَتْلك ، فأشارا علىّ به ؛ قال : أمّا أن يكونا[(٢)] قد نَصَحاك فى عِظَم قَدْر المُلْك ، وما جَرَت عليه عادةُ السياسة[(٣)] فقد فعلا ، ولـكنك أبيتَ أن تَسْتجلب النصرَ إلا من حيثُ عوّدك الله ، ثم استعبر باكيًا ؛ قال له المأمون : ما يُبكيك ؟ قال : جَذَلاً إذ كان ذَنْبى إلى مَن هذه صِفته ؛ ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنه وإن كان جُرمى يبلغ سَفْك دمى ، فحِلْمُ أمير المؤمنين وتفضّله يُبلغانى عَفْوه ، ولى بعدها شفاعةُ الإقرار بالذّنب ، وحُرمة الأب بعد الأب ؛ قال المأمون : لو لم يكن فى حَقّ نَسبك ما يُبلِّغ الصّفح عن زلّتك ، لبلّغك إليه حسنُ توصّلك ، ولَطِيف تَنَصّلك .

وكان تَصْويب[(٤)] إبراهيم لرأى أبى إسحاق والعبّاس ألطف فى طلب الرضا ودَفْع المكروه عن نفسه من تخطئتهما .

لإسحاق بن العباس بين يدى المأمون فى حسن التخلص

وقال المأمون لإسحاق بن العبّاس : لا تَحسَبنّى أغفلتُ إجلابك مع ابن المهلّب وتأييدك لرأيه ، وإيقادك لناره ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، والله لإجرامِ قُريش إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعظم من جُرمى إليك ، ولَرَحِمى أمسّ من

(١) أبو إسحاق ، هو المعتصم بن الرشيد . والعباس ، هو ابن المأمون .
(٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « يكون » . وهو تحريف .
(٣) فى ا : « والعادة والسياسة » .
(٤) فى أكثر الأصول : « فصواب » . والتصويب عن ا ، ى .

أرحامهم ، وقد قال كما قال يوسف لإخوته : (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليومَ يَغفر الله لَكم وهو أرْحَمُ الرَّاحِمين) وأنت يا أميرَ المؤمنين أحقُّ وارث لهذه المنّة ومُمتثل لها ؛ قال : هيهات ، تلك أجرام جاهليّة عفا عنها الإسلام ، وجُرمك جُرم فى إسلامك وفى دار خِلافتك ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، فوالله لَلْمسلم أحقُّ بإقالة العثْرة ؛ وغفران الزَّلة من الكافر ، هذا كتاب الله بينى و بينك ، يقول الله تعالى: (وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكم) إلى (والكَاظِمِين الغيظَ والعافِين عَن النَّاس واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِين) . فهى للناس يا أميرَ المؤمنين سنّة دخل فيها المسلم والكافر والشَّريف والمَشروف ؛ قال : صدقت ، اجلس ، وَرِيَتْ بك زِنادى ، فلا بَرِحَ(١) نادما من القادِر بن(٢) مَن أهلكَ أمثالك .

بين مروان بن محمد ومعاوية بن عمرو بن عتبة

العُتبى عن أبيه قال :

قَبض مَروان بن محمد من معاوية(٣) بن عمرو بن عُتبة مالَه بالفِرْسان(٤) ، وقال : إنّى قد وجَدت قَطيعة عمّك لأبيك : إنّى أقطعتُك بُستانى . والبُستان لا يكون إلا غامرا ، وأنا مُسلِّم إليك الغامرَ وقابض منك العامر ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سَلفك الصالح لو شَهِدوا مجلسنا هـذا كانوا شُهوداً على ما ادَّعيته ، وشُفعاء فيما طلبته ، يسألونك بإحسانك إلىّ ، مكافأة إحسان سَلَفى ١٧٥/١

(١) كذا فى ب . والذى فى ا : « فلا برح يرى » . والذى فى سائر الأصول : « فلا قدح ثارى » . وفيهما تحريف ظاهر .
(٢) فى الأصول : « الغابرين » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « لمعاوية » .
(٤) كذا فى ا ، ب ، ى . وفرسان (بكسر أوله وسكون ثانيه ، ويروى بضم الأول) : من قرى أصبهان . (انظر معجم البلدان) . والذى فى سائر الأصول : « بالبرداسان » ولم نجد فى المعاجم مكانا بهذا الاسم .

إليهم ، فَشَفِّع فينا الأموات واحفظ منّا القَرَابات ، واجعل مجلسَك هـذا مجلساً يُلزِم مَن بعدنا شُكرَه ؛ قال : لا والله إلا أن أجعلها طُعمة منّى لك ، لا قَطيعة من عمّك لأبيك ؛ قال : قد قَبِلتُ ذلك ، ففعل .

بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن عتبة وخالد بن يزيد

العُتْبى قال :

أمر عبدُ الملك بن مَرْوان بقطع أرزاق آل أبى سُفيان وجوائزهم لِمَوجِدة وَجَدها على خالد بن يزيد بن مُعاوية ، فدخل عليه عمرو بن عُتبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أدنى حقّك مُتعِب ، و بعضه فادح لنا ، ولنا مع حقّك علينا حقٌّ عليك ، بإكرام سَلَفنا لسَلَفك ، فانظر إلينا بالعَيْن التى نظروا بها إليهم ، وَضَعْنا بحيثُ وضَعتنا الرَّحِم منك ؛ قال عبدُ الملك : إنما يَستحق عطيّتى من استعطاها ، فأما من ظنّ أنه يكتفى بنفسه ، فسنَكِله إلى نفسه ، ثم أمر له بعطيّته .

فَبَلغ ذلك خالداً فقال : أبالحِرْمان يُهدّدنى ! يدُ الله فوق يده باسطة ، وعَطاء الله دونه مبذول ، فأما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ لها .

استجارة عمر ابن معاوية بسليمان ابن على توسط سليمان لدى السفاح

العُتبى قال : حدّثنا طارق بن المبارك عن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتبة[1] قال : جاءت دولة المُسَوِّدة ، وأنا حديثُ السن كثيرُ العيال مُتفرِّق المال ، فجعلت لا أنزل قبيلة من قبائل العرب إلا شُهرت فيها ، فلما رأيت أمرى لا يُكتَتم ، أتيتُ سليمانَ بن علىّ ، فاستأذنتُ عليه قُربَ المغرب ، فأذن لى وهو لا يعرفنى ، فلما صِرْتُ إليه ، قلت : أصلحك الله ، لَفَظَتنى البِلاد إليك ، ودلّنى فضلُك عليك ، فإما قبِلتَنى غانما ، وإما رَدَدْتنى سالما ؛ قال : ومن أنت ؟ فانتسبت له ،

(١) فى ا : « عمرو بن عتبة بن عمرو بن عتبة » . والذى فى سائر الأصول : « عمرو ابن عتبة » . والتصويب عن الأغانى (ج ٤ ص ٩٥ طبعة بلاق) .

فعرفنى ، وقال : مَرْحباً ، اقعُد ، فتكلَّمْ غانماً ؛ قلت : أصلحك الله ، إنّ الحُرم اللاتى أنت أقربُ الناس إليهن معنا ، وأولَى الناس بهن بَعْدنا ، قدخِفْن بخَوْفنا ، ومن خافَ خيف عليه ؛ قال : فاعتَمد سليمانُ على يديه ، وسالت دُموعه على خدّيه ، ثم قال : يابن أخى ، يَحْقِن الله دَمك ، ويستُر حُرَمك ، ويُسلم مَالك إن شاء الله ، ولو أمكننى ذلك فى جميع قَوْمك لفعلت . فلم أزل فى جِوار سُليمان آمناً .

وكتب سليمان إلى أبى العبّاس أمير المؤمنين : أما بعد ، يا أمير المؤمنين ، فإنّا إنما حاربنا بنى أمية على عُقوقهم ، ولم نحاربْهم على أرحامهم ، وقد دفّت إلىّ منهم دافّة[1] . لم يُشهروا سلاحا ، ولم يكثروا جمعا ، وقد أحسن الله إليك فأحْسِن ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يكتب لهم أماناً ويأمر بإنفاذه إلىّ فليفعل .

فكتب لهم كتابا منشورا ، وأنفذه إلى سليمان بن علىّ فى كل من لجأ إليه من بنى أمية ، فكان يسمّيه أبو مسلم : كهف الأُبَّاق .

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

ودخل عبد الملك بن صالح يوما على الرشيد ، فلم يلبث فى مَجْلسه أن التفت الرشيد ، فقال مُتمثلا[2] :

أُرِيد حيـاته ويُريد قَتْلى عَذِيرَكَ من خَلِيلك من مُرادِ[3]

ثم قال : أمَا والله لكأنّى أنظر إلى شُؤْبوبها قد هَمع[4] ، وعارضِها قد لمع ، وكأنّى

(١) الدافة : الجماعة من الناس تقبل من بلد الى بلد . ودفت : أتت وأقبلت .
(٢) فى ا « فلم يلبث أن قال الرشيد متمثلا » .
(٣) هذا البيت من قصيـدة لعمرو بن معديكرب فى وصف الحرب . (انظر الجزء الأول ص ١٤١ — ١٤٢ من هذه الطبعة) .
(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر . وهمع : سال وانصب .

بالوَعِيد قد وقع ، فأقْلَع عن بَراجم[1] بلا مَعاصم ، وجماجم بلا غَلاصم[2] ، فمَهْلاً مَهلا ، فَبِى والله يَسْهل لكم الوَعْر . ويَصْفو لكم الكَدر ؛ وألقت إليكم الأمورُ مَقاليدَ أزمتها ، فالتدَارك التدارك قبل حُلول داهية خَبُوط باليد لَبُوط بالرِّجل[3] . قال عبدُ الملك : أفذًا ما تكلّمت أم تَوْأمًا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بل فذًا ؛ قال : أتق الله فى ذِى رَحِمك ، وفى رَعِيَّتك التى استرعاك الله ، ولا تجعل الكُفْر مكانَ الشُّكر ، ولا العِقاب موضع الثَّواب ، فقد محضتُ لك النصيحة ، وأدّيت لك الطاعة ، وشَددت أواخى مُلكك بأثقل من رُكْنَىْ يَلَمْلَم[4] ، وتركت عدوّك سبيلاً تتعاوره الأقدام ، فاللهَ الله فى ذى رَحِمك أن تقطعه بعد أن وصَلته ، إنّ

١٧٦/١ الكتاب لنَمِيمةُ واشٍ وبَغْىُ باغٍ ، يَنهش اللحم ، ويلَغ [فى] الدم ، فكم ليل تِمام فيك كابدتُه ، ومَقام ضيّق فرّجته ، وكنتُ كما قال الشاعرُ أخو بنى كِلاَب :

ومَقامٍ ضَيّقٍ فرّجته ... بِلسانى ومَقامى وجَدَلْ

لو يقومُ الفِيلُ أو فَيّالُه ... زلّ عن مِثْل مَقامى وزَحَل

فرَضِى عنه ورحّب به ، وقال : وَرِيَتْ بك زِنادى .

والتفت الرشيدُ يومًا إلى عبد الملك بن صالح ، فقال : أكُفْرًا بالنعمة ، وغَدْرًا بالإمام ؟ قال : لقد بُؤْتُ إذاً بأعباء النَّدم ، وسَعَيت فى استجلاب النِّقم ، — وبينهما أيضا

(١) البراجم : مفاصل الأصابع ؛ الواحدة : برجمة (بالضم) .
(٢) الغلاصم : جمع غلصمة (بالفتح) . والغلصمة : رأس الحلقوم ، وهى الموضع الناتئ فى الحلق .
(٣) يستفاد من هذه العبارة أن الخبط باليد واللبط بالرجل ؛ وهو كذلك فى الخبط كما فى اللسان مادة (خبط) . وفى (مادة لبط) غير ذلك ، قال : « واللبط باليد كالخبط بالرجل ؛ وقيل : إذا ضرب البعير بقوائمه كلها فتلك اللبطة » .
(٤) يلملم : جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث .

وما ذلك يا أمير المؤمنين إلا بَغْىُ باغٍ نافسنى فيك بقديم الولاية ، وحقِّ القرابة؛ يا أمير المؤمنين ، إنك خليفة الله ورسولِه صلى الله عليه وسلّم فى أمته ، وأمينُه على رعيّته ، لك عليها فَرْض[1] الطاعة ، وأداء النصيحة ، ولها عليك التثبُّت فى حادثِها ، والعدلُ فى حُكْمها . فقال له هارون : تَضع لى من لسانك ، وتَرفع علىّ من جَنانِك[2] بحيث يحفظ الله لى عليك ، هذا قُمامة[3] كاتبك يُخبرنى بِفعْلك ؛ فقال عبدُ الملك : أحقًّا يا قُمامة ؟ قال : نعم ، لقد أردتَ خَتْل أمير المؤمنين والغدرَ به ؛ فقال عبدُ الملك : كيف لا يَكْذِب علىّ مِن خَلفى مَنْ بَهتنى فى وجهى ! قال الرشيد: هذا ابنُك [عبد الرحمن][4] شاهدٌ عليك ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، هو بين مأمور أو عاقّ ، فإن كان مأموراً فمَعْذُور ، وإن كان عاقًّا فما أخاف من عُقوقه أكثر .

وبينهما أيضا

وقال له الرشيدُ يوما ، وكان مُعتلاً[5] عليه : أتُبقُون بالرَّقة ؟ قال : نعم ، ونُبَرغث[6] ؛ قال له : يا بنَ الفاعلة ، ما حَملك على أن سألتُك عن مسألة ، فرددتَ علىّ فى مسألتين ، وأمر به إلى الحَبْس . فلم يَزَل فى حَبْسه حتى أطلقه الأمين[7] .

كلام لعبد الملك ابن صالح بعد خروجه من الحبس فى عقاب الرشيد له

إبراهيم بن السِّندى قال : سمعتُ عبدَ الملك بن صالح يقول بعد إخراج المَخْلوع له من الحَبْس ، وذَكر الرشيد وفِعله به ، فقال :

والله إن المُلْك لشىءٌ ما نَوَيته ولا تَمنّيتُه ، ولا نَصبت له ولا أردْته ، ولو أردْته

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فضل » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « جناحك » .
(٣) هو قمامة بن أبى يزيد ، مولى سليمان بن على ، وكان يكتب لأبيه صالح بن على قبله . (عن الوزراء والكتاب) .
(٤) التكملة عن الوزراء والكتاب للجهشيارى وبين الخبرين هنا وهناك خلاف فارجع إليه .
(٥) فى ا ، ى : « مقبلا » .
(٦) حمل قول الرشيد « أتبقون » على معنى الاستفهام عن كثرة البق .
(٧) ذكر الجهشيارى أن حبس الرشيد لعبد الملك كان لوشاية قمامة كاتبه به . وقد مر حديثها فى الخبر السابق .

لسكان إلىّ أسرعَ من الماء إلى الحُدور ، ومن النار إلى يَبَس العَرْفج ، وإنى لمأخوذ بما لم أجْنِ ، ومسئول عما لم أعرف ؛ ولكنْ حين رآنى للمُلْك قَمِينا ، وللخلافة خَطيرا ، ورأى لى يداً تنالُها إذا مُدّت ، وتبلغُها إذا بُسِطت ، ونفسًا تَسْكُمُل لخصالها ، وتستحقّها بفَعالها — وإن كنتُ لم أجنِ تلك الخصال ، ولم أصْطنع تلك الفَعال ، ولم أترشّح لها فى السرّ ، ولا أشرتُ إليها فى الجَهْر — ورآها تَحِنّ حَنِين الوالدة الوالهة ، وتَميل مَيْل الهَلُوك ، خاف أن ترْغب إلى خيْر مَرْغب ، وتَنْزِع إلى أخصب مَنْزِع ، وعاقبنى عقابَ مَنْ سَهر فى طَلَبها ، وجَهِد فى التماسها ؛ فإن كان إنما حَسِبنى أنى أصْلُح لها وتَصلُح لى ، وأليق بها وتَليق بى ، فليس ذلك بذَنْب جَنيتُه فأتوبَ منه ، ولا تَطاولتُ له فأحُطّ نفسى عنه ؛ وإن زعَم أنه لا صَرْفَ لعقابه ، ولا نَجاة من عذابه ، إلا أن أخرُج له من حدّ العلْم والحِلْم والحزْم ، فكما لا يستطيع المُضياع أن يكون مُصْلِحا ، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً ، وسواء علىّ أعاقبنى على عِلْمى وحِلمى أم عاقبنى على نَسبى وسنّى ، وسواء علىّ عاقبنى على جَمالى أو عاقبنى على محبّة الناس لى ، ولو أردتُها لأعجلته عن التفكير ، وشَغلته عن التّدبير ، ولما كان فيها من الخَطْب إلا اليسير .

سعيد بن سلم حين غضب الخليفة على رجاء ابن أبى الضحاك

إبراهيم بن السِّندى قال :

كنت أسايرُ سعيدَ بن سَلْم حين قيل له : إن أمير المؤمنين قد غَضِب على رَجاء بن أبى الضحّاك وأمر بأخْذ ماله ، فارتاع بذلك وجزِع ؛ فقيل له : ما يَرُوعك منه ؟ فوالله ما جَعل الله بينكما نَسَبا ولا سَبَبا ؛ فقال : بلى ، النِّعمة نَسبٌ بين أهلها ؛ والطاعةُ سَبَب مُؤكّد بين الأولياء . ١٧٧/١

كلام رجل للملك وجد عليه

وبعث بعضُ الملوك إلى رجل وَجدَ عليه ، فلما مَثَل بين يديه قال : أيها الأمير ، إنّ الغضب شيطان ، فاستعِذ بالله منه ، وإنما خُلق العفو للمُذنب ، والتجاوزُ

المُسِىء ، فلا تَضِق عما وَسِع الرعيةَ من حِلمك وعَفوك . فعفا عنه ، وأطلق سَبيلَه.

بين قتيبة وأبى مجلز

ولما اتهم قتيبةُ بن مسلم[1] أبا مِجْلز على بعض الأمر ، قال : أصلح اللهُ الأميرَ ، تَثَبَّت فإن التثبتَ نصفُ العفو .

بين الحجاج وبعض الخارجين عليه

قال الحجّاج لرجل دَخل عليه : أنت صاحبُ الكلِمة ؟ قال : أبوء بالذّنب وأستغفر الربّ ، وأسأل العافية ؛ قال : قد عَفَونا عنك .

استعطاف مذنب لبعض الملوك

وأرسل بعضُ الملوك فى رجل أراد عُقوبته . فلما مَثَل بين يديه ، قال : أسألك بالذى أنت بين يَدَيه أذلُّ منّى بين يديك ، وهو على عقابك أقدرُ منك على عقابى ، إلاّ نظرتَ فى أمرى نَظَرَ مَن بُرْئى أحبّ إليه من سَقَمى ، و براءتى أحبُّ إليه من جُرْمى .

اعتذار خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حينَ وَجد عليه : يا أميرَ المؤمنين ، إن القُدْرة تُذْهب الحَفِيظة ، وأنت تَجِلّ عن العُقوبة ، ونحن مُقرّون بالذنب ، فإن تَعْفُ عنى فأهل ذلك أنت ، و إن تُعاقِبْنى فأهْل ذلك أنا .

استعطاف روح لمعاوية بن أبى سفيان

وأمر معاويةُ بن أبى سُفيان بعُقوبة رَوْح بن زِنْباع ، فقال : أنشُدك الله يا أمير المؤمنين أن تَضع منّى خَسيسة أنت رفعتَها ، أو تَنْقُضَ منّى مَرِيرة[2] أنت أبرمتها ، أو تُشمِّت بى عدوّا أنت وَقَمْتَه ، إلاّ أتى حِلْمُك وصَفْحك عن خَطَئى وجَهْلى ؛ فقال معاوية : خَلِّيا عنه ، إذا أراد الله أمراً يَسّره :

استعطاف رجل لعبد الملك بن مروان

وَجَد عبدُ الملك بن مروان على رجل فجَفاه وأطّرحه ، ثم دعا به ليسأله عن شىء ، فرآه شاحباً ناحِلا ، فقال له : [مُذْ] متى اعتلَلت ؟ فقال : ما مَسّنى سَقَم ، ولكنى جفوتُ نفسى إذ جفانى الأمير ، وآليتُ أنْ لا أرْضى عنها حتى يرضى

(١) كذا فى ا ، ب ، ى . والذى فى سائر الأصول : « سالم بن قتيبة » وهو تحريف .
(٢) المريرة : طاقة الحبل .

عنى أمير المؤمنين . فأعاده إلى حُسْن رأيه[1] .

بين الحسن بن سهل ونعيم ابن حازم

وقعد الحسنُ بن سهل لنُعَيم بن حازم ، فأقبل إليه حافياً حاسراً ، وهو يقول : ذَنبى أعظمُ من السماء ، ذَنبى أعظمُ من الأرض ؛ فقال الحسن : [على رِسْلك][2] أيها الرجل ، لا بأسَ عليك ، قد تقدّمتْ لك طاعةٌ ، وحَدَثت[3] لك تَوْبَة ، وليسَ للذَّنب بينهما مَوْضِع ، ولئن وجد موضعاً فما ذنبُك فى الذنوب بأعظمَ من عَفْو أمير المؤمنين فى العَفو .

استعطاف رجل من بنى هاشم للمأمون

أذنب رجلٌ من بنى هاشم ذَنباً إلى المأمون ، فعاتَبه فيه ، فقال يا أمير المؤمنين ، مَن حمل مثلَ دالّتى[4] ، ولَبِس ثوب حُرْمتى ، ومَتَّ بمثل قرابتى ، اُغتُفِر له فوق زلّتى ؛ قال : صدقتَ يابن عمى ، وصَفَح عنه .

اعتذار رجل إلى المأمون أيضا

واعتذر رجلٌ إلى المأمون مِن ذنب ، فقال : إنى وإن كانت زلّتى قد أحاطت بحُرْمتى فإنّ فضلَك مُحيط بها وكَرَمك مَوْقوف عليها .

لصريع الغوانى فى معنى ما سبق

أخذه صَريعُ الغوانى فقال :

إنْ كان ذَنبى قد أحاط بحُرْمَتى   فأحِطْ بذَنبىَ عَفْوَك المَأمُولاَ

بين المنصور ويزيد بن عمر ابن هبيرة

دخل يزيدُ بنُ عمرَ بن هُبَيرة على أبى جعفر المنصور بعد ما كُتب أمانه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إمارتكم بِكْر ، ودَوْلتكم جديدة ، فأذِيقوا الناس حَلاوتها ، وجَنّبوهم مرارتها ، تَخِفّ على قُلوبهم طاعتُكم ، وتُسْرع إلى أنفسهم مَحبّتُكم ، وما زِلت مُستَبطئاً لهذه الدعوة . فلما قام قال أبو جعفر : عجباً من كل مَن يأمر بقَتْل هذا ! ثم قتله بعد ذلك غَدْراً .

---

(١) كذا فى ا ، ب ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فادعاه لنفسه » .
(٢) الزيادة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ١٠٥) .
(٣) فى عيون الأخبار : « وتأخرت » .
(٤) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « حالتى » .

بين المنصور ووفد ممن خرج مع عبد الله بن على يعتذرون إليه

الهيثم بن عَدِىّ قال :

لما انهزم عبدُ الله بن علىّ من الشام ، قَدِم على المنصور وَفْدٌ منهم ، فتكلّموا عنده ، ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لسْنَا وفْدَ مُباهاة ، وإنما نحن وَفْد تَوْبة ، ابتُلينا بفِتْنة أستخفّت كَرِيمَنا ، واستفزّت حَليمنا ، ونحن بما قدّمنا مُعترفون ، ومما سَلَفَ منّا مُعْتذرون ، فإن تُعاقِبْنا فقد أجْرمنا ، وإن تعفُ عنّا فطالما أحسنتَ إلى مَن أساء منّا ؛ فقال المنصور للحَرَسىّ : هذا خَطِيبهم ، وأمر بردّ ضِياعه عليه بالغُوطة . ١٧٨/١

كلام تميم بن جميل بين يدى المعتصم

قال أحمد بن أبى دُوَاد : ما رأينا رجلاً نزل به الموتُ فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يُحب أن يَفعله إلا تَميمَ بن جَميل(١) ، فإنه كان تغلّب على شاطئ الفُرات ، وأُوفِى به الرسولُ بابَ أمير المؤمنين المُعتصم فى يوم المَوْكب حين يَجْلس للعامّة ، ودخل عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، دعا بالنِّطْع والسّيف ، فأُحْضِرا ؛ فجعل تَميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً ، وجعل المُعتصم يُصعِّدُ النظرَ فيه ويُصَوِّبه ، وكان جَسِيما وَسِيما ، ورأى أن يَسْتَنْطِقه لينظر أين جَنَانُه ولِسانه من مَنظره ؛ فقال ؛ يا تميم ، إن كان لك عُذْرٌ فأْتِ به ، أو حُجّة فأدْلِ بها ؛ فقال : أمّا إذ قد أذِن لى أميرُ المؤمنين فإنى أقول : الحمد لله الذى أحْسن كلّ شىء خَلْقه ، وبَدَأ خَلْق الإنسان من طِين ، ثم جعل نَسْلَه من سُلالة من ماء مَهِين . يا أمير المؤمنين ، إنّ الذنوب تُخْرس الألْسِنة ، وتَصْدع الأفْئِدة ، ولقد عَظُمت الجَرِيرة ، وكَبُر الذنبُ ، وساء الظّن ، ولم يبْقَ إلا عَفْوُك أو انتقامُك ، وأرجو أن يكون أقربُهما

(١) فى معجم البلدان عند الكلام على رحبة مالك بن طوق أن هذه القصة كانت بين مالك بن طوق والرشيد . وقد وردت فى زهر الآداب (ج ٣ ص ٢٠٠) وفى ثمرات الأوراق بهامش المستطرف (ج ٢ ص ٢٦ طبع المطبعة اليمنية سنة ١٣٠٨ هـ) متفقة مع الأصول فى أنها كانت بين تميم والمعتصم .

منك وأسرعهما إليك أَوْلاهما بإمامتك[1] ، وأشبههما بخلافتك ، ثم أنشأ يقول :

أَرَى الموتَ بين السَّيف والنِّطع كامِناً ... يُلاحظنى من حيثما أتلفَّتُ
وأكبرُ ظنّى أنكَ اليومَ قاتِلِى ... وأىُّ أمرىءٍ مما قضى اللهُ يُفْلِت
ومَن ذا الذى يُدْلِى بعُذْرٍ وحُجَّة ... وسَيْفُ المنايا بين عَيْنَيْه مُصْلَت
يَعِزّ على الأوْس بن تَغْلِبَ موقفٌ ... يُسَلُّ علىَّ السيفُ فيه وأسْكُت
وما جَزَعى مِنْ أن أموتَ وإننى ... لأعْلَمُ أنّ الموتَ شىءٌ مُوَقَّت
ولكنَّ خَلْفِى صِبْيَةً قد تركتُهم ... وأكبادُهم مِنْ حَسْرَةٍ تتفتّت
كأنى أراهم حين أُنْعَى إليهمُ ... وقد خَمَشُوا تلك الوُجوهَ وصَوَّتُوا
فإن عشتُ عاشُوا خافِضِين بِغِبْطةٍ ... أذودُ الرَّدَى عنهم وإن مِتّ مُوِّتُوا
فكم قائلٍ : لا يُبْعِد اللهُ رُوحَه ... وآخرَ جَذلانٌ يُسَرُّ ويَشْمَت

قال : فتبسّم المُعتصم ، وقال : كاد والله يا تميم أن يَسْبِقَ السيفُ العَذَل ، اذهبْ فقد غفرتُ لك الصَّبْوة ، وتركْتُك للصِّبْيَة .

بين المهدى وأبى عبيد الله

وحُكِى أن أمير المؤمنين المهدىّ قال لأبى عُبَيد الله لما قَتل ابنه : إنه لو كان فى صالح خِدْمتك ، وما تعرَّفناه من طاعتك ، وفاءٌ يجب به الصفحُ عن ولدك ، ما تجاوز أميرُ المؤمنين ذلك به إلى غيره ، ولكنّه نَكَص على عَقِبيه ، وكَفَر بربِّه ؛ قال : أبو عُبيد الله : رِضَانا عن أنفُسنا وسُخْطُنا عليها مَوْصُول برضاك وسُخْطك ، ونحن خَدَمُ نِعْمتك ؛ تُثيبنا على الإحسان فنشكر ، وتُعاقبنا على الإساءة فنصْبِر .

جعفر بن محمد بين يدى المنصور

أبو الحسن المدائنى قال :

لما حجّ المنصور مرّ بالمدينة ، فقال للرَّبيع الحاجب : علىَّ بجعفر بنِ محمد ؛

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « بأمانتك » .

قَتلنى اللهُ إن لم أَقْتـُله ، فمَطَل به ، ثم ألحّ عليه فحَضر ، فلما كُشف السترُ بينه وبينه ومَثَل بين يديه ، هَمس جعفرٌ بشَفَتَيْه ؛ ثم تقرّب وسلَّم ؛ فقال : لا سلَّم الله عليك يا عدوّ الله ، تُعْمِل علىَّ الغوائل فى مُلْكى ، قَتلنى الله إن لم أقتلك ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إن سُليمان صلى الله على محمد وعليه ، أُعطى فشَكر ، وإن أيُّوب ابتُلى فصَبر ، وإن يُوسُف ظُلم فغَفر ، وأنت على إرثٍ منهم ، وأحقُّ من تأَسّى بهم . فنكّس أبو جعفر رأسَهَ مَلِيًّا ، وجعفر واقف ، ثم رَفع رأسه فقال : إلىَّ أبا عبد الله ، فأنت القَريب القَرابة ، وذو الرَّحم الوَاشِجة ، السَّليم الناحية ، القَليل الغائلة ؛ ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بشِماله ، وأجْلسه معه على فِرَاشه ، ١٧٩/١

وانحرف له عن بعضه ، وأقْبل عليه بوجهه يحادثه وَيُسائله ، ثم قال : يار بيع ، عجِّل لأبى عبد الله كُسوتَه وجائزتَه وإذْنه . [قال الربيع] : فلما حال السِّتر بينى وبينه أمسكتُ بثَوْبه ؛ فقال : ما أُرانا يا ربيع إلا وقد حُبِسنا ؛ فقلت : لا عَلَيك ، هذه منّى لا منه ؛ فقال : هذه أيسرُ ، سَلْ حاجَتَك ؛ فقلت له : إنى منذ ثلاثٍ أَدْفع عنك وأُدارى عليك ، ورأيتُك إذ دخلتَ هَمستَ بشفتَيْك ، ثم رأيتُ الأمر انجلى عنك ، وأنا خادم سُلطان ، ولا غِنَى لى عنه ، فأُحب منك أن تُعلِّمنيه ؛ قال : نعم ، قلت : اللهم احرُسنى بعَينك التى لا تنام ، واكْنُفْنى بحفْظك الذى لا يُرام ، ولا أَهْلِك وأنت رجائى ، فكم من نِعْمة أنعمتَها علىّ قلّ لك عندها شُكرى فلم تَحْرِمْنى ، وكم من بَلِيّة ابتُليت بها قلّ عندها صَبْرى فلم تَخْذُلْنى ؛ اللهم بك أدْرأ فى نَحْرِه ، وأستعيذُ بخَيْرك من شرّه ، فإنك على كل شىء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

استعطاف يزيد ابن راشد لسليمان بن عبد الملك

المدائنى قال :

كان يزَيد بن راشد خطيباً ، وكان فيمن دعا إلى خَلْع سُليمان بن عبد الملك

والبَيْعة لعبد العزيز بن الوليد ، فنَذَر سليمانُ قطعَ لسانه . فلما أفضت الخلافةُ إليه دخل عليه يزيدُ بنُ راشد ، فجلس على طَرَف البساط مُفكِّراً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كُنْ كنَبىِّ الله صلى الله عليه وسلم ، أُبتُلِى فصَبر ، وأُعْطِى فشكر ، وقَدَرَ فغَفر ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : يزيدُ بن راشد . فعَفا عنه .

كتاب رجل من الحبس الى الرشيد يسأله العفو

حبس الرشيدُ رجلاً ، فلما طال حَبْسُه كتب إليه : إنّ كلّ يوم يَمضى من نَعيمك يَمضِى من بؤسى مثلُه ، والأمَدُ (١) قريب ، والحُكْم لله . فأطْلقه .

استعطاف بعض الدهاقين لأسد القسرى

ومرّ أسدُ بن عبد الله القَسرىّ ، وهو والى خُراسان بدار من دُور الاستخراج ودِهْقان يعذَّب فى حَبْسه ، وحول أسد مساكين يَستجدونه ، فأمر لهم بدراهمَ تُقسَّم فيهم ؛ فقال الدِّهقان : يا أسد ، إن كنتَ تُعطى مَن يَرْحم فارحم من يُظْلَم ، فإن السموات تَنْفرج لدَعْوة المظلوم ؛ يا أسد ، أحذَر مَن ليس له ناصر إلا الله ، واتق من لاجُنّة له إلا الابتهالُ إليه ، إنّ الظلم مَصْرعه وَخيم ، ولا تَغترّ بإبطاء الغَيْثات من ناصر متى شاء أن يُجيب أجاب ، وقد أمْلَى لقوم ليزدادوا إثْماً . فأمر أسدٌ بالكَفّ عنه .

اعتذار بعض خاصة المأمون اليه

عَتَبَ المأمونُ على رجل من خاصّته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ قَدِيم الحُرْمة ، وَحدِيث التَوْبة ، يَمْحُوان ما بينهما من الإساءة ؛ فقال : صدَقْتَ ، وَرَضى عنه .

بين ملك من ملوك العجم وصاحب مطبخ له

وكان مَلِك من مُلوك فارس عظيمَ المَمْلكة شديدَ النِّقْمة ، وكان له صاحبُ مَطْبخ ، فلما قَرّب إليه طَعامَه صاحبُ المطبخ سَقطت نقطةٌ من الطعام على يَدَيه ، فزَوَى لها الملكُ وَجْهَه ، وعَلِم صاحبُ المَطبخ أنه قاتله ، فكَفأ الصحفةَ على يَدَيه ؛ فقال الملك : علىّ به ، فلما أتاه ، قال له : قد علمتُ أنّ سُقوط النقطة

(١) فى ا : « والأمر » .

أخطأتْ بها يَدُك ، فما عُذرك فى الثانية ؟ قال استحْيَيْتُ للملك أن يَقتل مِثْلى فى سِنِّى وقَدِيم حُرْمتى فى نقُطة ، فأردتُ أن أُعْظِم ذَنْبى ليَحْسُنَ به قَتْلى ؛ فقال له الملك : لئن كان لُطف الاعتذار يُنْجيك من القَتل ، ما هو بمُنْجيك من العُقوبة ، اجلدوه [مائة جلدة] وخلّوه .

استعطاف محمد ابن عبد الملك للمأمون

الشَّيبانى قال :

دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قَبَض ضِياعهم[1] ، فقال : يا أمير المؤمنين ، محمدُ بن عبد الملك بين يَدَيك ، رَبيب دَوْلتك ، وسَلِيل نِعْمتك ، وغُصْن من أغصان دَوْحتك ، أتأذنُ لى فى الكلام ؟ قال : نعم ؛ قال : نستمِع الله حِياطةَ دِيننا ودُنيانا ورِعاية أدْنانا وأقصانا ببَقائك ، ونسأله أن يزيد فى عُمرك من أعمارنا ، وفى أثرك من آثارنا ، ويَقِيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا ، هذا مَقام العائذ بفَضْلك ، الهارب إلى كَنَفك وظِلّك ، الفقير إلى رَحمتك وعَدْلك ؛ ثم تكلم فى حاجته فقضاها .

شعر لعبيد بن أيوب فى الاعتذار إلى الحجاج

وقال عُبيد بن أيوب ، وكان يَطْلُبه الحجّاج لجِناية جَناها ، فهَرَب منه ١٨٠/١
وكَتب إليه :

أذِقْنى طَعْمَ النوم أوْ سَلْ حَقِيقةً ... علىَّ فإن قامت ففصِّل بنَانِيا
خَلَعْتَ فؤادى فاستَطار فأصبحتْ ... ترَامى به البِيدُ القِفار ترَاميا

شعر النابغة فى الاعتذار إلى النعمان

ولم يقل أحد فى هذا المعنى أحسنَ من قول النابغة الذُّبيانى للنُّعمان بن المنذر :

أتانى أبيتَ اللّعن أنّك لُمْتَنى ... وتلك التى تَسْتَكّ[2] منها المسامعُ
فبِتُّ كأنّى ساوَرَتْنى ضَئِيلةٌ ... من الرُّقْشِ فى أنيابِها السُّم ناقعُ

---

(١) فى ا : « قبضت أموالهم » .
(٢) استكت المسامع : صمت وضاقت .

أَ كَلَّفْتَنِى ذَنْبَ أمرىء وتركتَهُ   كذِى العُرِّ يُكْوَى غيرُه(١) وهو راتعُ
فإنّك كاللّيـل الذى هو مُدْرِكى   وإن خِلْتُ أنّ المُنْتَأَى عنك واسع

وقال فيه أيضاً(٢) :

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ   على شَعَثٍ أىّ الرّجال المُهَذَّبُ
فإنْ أكُ مَظلوماً فعبدٌ ظلمْتَه(٣)   وإنْ تَكُ ذا عُتْبَى فمِثْلُكَ يُعْتِبُ
حَلَفْتُ فلم أتْرُكْ لِنَفْسِك رِيبةً   وليس وَرَاءَ الله لِلْمرء مَذْهبُ
لئن كُنْتَ قد بُلِّغْتَ عنّى جِنايةً   لَمُبْلِغُك الواشى أغشّ وأكْذَبُ
ألم تَرَ أنّ الله أعطاكَ سُورة(٤)   ترى كل مَلْك دُونها يَتَذَبْذَبُ
فإنّكَ شمسٌ والملوكُ كواكِبٌ   إذا طَلَعت لم يَبْدُ منهن كَوْكَب

لابن الطثرية فى الاعتذار

قال ابن الطَّثْرِية :

فَهَبْنى امرأً إمّا بَرِيئاً عَلِمْتَه   وإمّا مُسِيئاً(٥) تاب منه وأعْتَبا
وكنتَ كذى داءٍ يُبَغّى لِدَائه   طَبِيباً فلمّا لم يَجِدْهُ تَطَبَّبا

للممزق العبدى

وقال المُمَزَّق العَبْدى لعمرو بن هِنْد :

تروحُ وتَغْدو ما يُحَلُّ وضِينُها(٥)   إليك ابنَ ماء المُزْن وابن مُحَرِّقِ
أحقّاً أبيتَ اللعنَ أنّ ابن مُزْننا(٦)   على غيرِ إجرام بِرِيقَ مُشْرِقِ

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « مرة » .
(٢) فى ا : ومن قوله » .
(٤) كذا فى ا ، ى : والذى فى سائر الأصول : « علمته » .
(٤) كذا فى ا ، ى . والسورة : المنزلة الرفيعة والشرف . والذى فى سائر الأصول : « صورة » .
(٥) الوضين للهودج : بمنزلة البطان للقتب ، والتصدير للرحل ، والحزام للسرج .
(٦) فى الشعر والشعراء (ص ٢٣٦ طبعة أوربة) : « برتنا » وفى رواية « مزننا » . كما يروى : « أن لست وارداً » مكان قوله « ان ابن مزننا » .

فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكِل وإلاَّ فادركْنى ولمَّا أُمزَّقِ
فأنت عَميدُ الناس مهما تَقُلْ تَقُلْ ومهما تضَع من باطل لا يُحقَّق

وتمثّل بهذه الأبيات عثمانُ بن عفان فى كتابه إلى علىّ بن أبى طالب يومَ الدار .

شعر لابن الزيات من حبسه فى استعطاف المتوكل

وكتب محمد بنُ عبد الملك الزّيّات لما أحسَّ بالموت وهو فى حَبْس المتوكّل برُقعة إلى المتوكل ، فيها :

هىَ السَّبيلُ فمِنْ يومٍ إلى يوم كأنه ما تُريك العَيْنُ فى النوْمِ
لا تَعْجلنَّ رُويداً إنما دُوَل دُنيا تَنقَّلُ مِن قومٍ إلى قوم
إنّ المنَايا وإن أصبحت ذا فَرَح تَحُوم حولكَ حوْمًا أيّما حوْم

فلمَّا وصلتْ إلى المتوكل وقرأها ، أمرَ بإطلاقه ، فوجدُوه ميّتاً .

من عمرو بن معاوية للمنصور وقد هم بمعاقبة بعض المذنبين

وقال عمرو[1] بن معاوية بن عمرو بن عتبة للمنصور وقد أراد عُقوبة رجل : يا أمير المؤمنين ، إنّ الانتقام عَدْل ، والتجاوُز فَضْل ، والمتفضل[2] قد جاوز حَدَّ المُنصِف ، ونحن نُعيذ أمير المؤمنين أن يَرْضى لنفسه أوْكَس النَّصيبين ، دُون أن يبْلغ أرفع الدَّرجتين .

بين أبى مسلم وشهرام أحد قواده

جرَى بين أبى مُسلم صاحب الدعوة وبين قائد من قوّاده يقال له شَهرَام كلام ، فقال له قائده كلمةً فيها بعضُ الغِلَظ ، ثم نَدِم على ما كان منه ، فجعَل يتضرَّع ويتنصَّل إليه ؛ فقال له أبو مُسْلم : لا عَلَيك ، لِسان سَبق ، ووَهْم ١٨١/١
أخطأ[3] ، وإنما الغَضب شَيطان ، وأنا جرَّأتك علىَّ بطُول احتمالى منك ، فإن كنتَ للذنب متعمِّداً ، فقد شاركْتُك فيه ، وإن كنتَ مَغلوباً ، فإنّ العُذر

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٥١ من هذا الجزء) .
(٢) فى ا : « والمتجاوز » .
(٣) فى ا : « لسان أخطأ ووهم سبق » .

يَسَعك ، وقد عفوْنا على كل حال[1] . فقال : أصلح اللهُ الأمير ، إنّ عَفو مِثلك لا يكون غُروراً ؛ قال : أجل ؛ قال : فإنّ عِظَمَ الذنب لا يَدَع قلبى يَسْكن ، وألحّ فى الاعتذار ؛ فقال له أبو مسلم : عجباً لك ، إنك أسأتَ فأحسنتُ ، فلمّا أحسنتَ أأسىء !

مقامات ثلاث لأبى دلف بين يدى المأمون

دخل أبو دُلَف على المأمون ، وقد كان عتَب عليه ثم أقاله ، فقال له وقد خلا بَجلِسه : قُلْ أبا دُلَف ، وما عَسَيت أن تقول وقد رَضىَ عنك أميرُ المؤمنين وغَفر لك ما فعلت[2] ؛ فقال يا أمير المؤمنين :

لَيالِيَ[3] تُدْنِى منك بالبِشْر[4] مَجْلِسى ووجْهك من ماء البَشاشة يَقْطُرُ
فَمَن لِيَ بالعَيْن التى كنتَ مَرّةً إلىّ بها فى سالف الدّهر تَنْظُرُ

قال المأمون : لك بها رُجوعُك إلى ٱلمُناصَحة ، وإقبالُك على الطاعة[5] ، ثم عاد له إلى ما كان عليه .

وقال له المأمون يوماً : أنت الذى تقول :

إنّى امرؤٌ كِسْرَوِىّ الفَعَال أَصِيف الجِبالَ وأشتُو العِراقَا

ما أراك قَدّمتَ لحقّ طاعة ، ولا قضيتَ واجبَ حُرْمة ؛ قال له : يا أمير المؤمنين ، إنما هى نِعْمتك ، ونحن فيها خَدَمك ، وما هِراقة دَمِى فى طاعتك ، إلا بعضُ ما يجب لك .

ودخل أبو دُلَف على المأمون ، فقال : أنت الذى يقول فيك ابنُ جَبَلة :

---

(١) فى ا : « وقد عفونا عنك » .
(٢) فى ا ، ى : « وما عسيت أن تقول وقد عفى لك ورضى عنك » .
(٣) هذا الشعر لأبى العتاهية فى الرشيد . (انظر ديوان أبى العتاهية) .
(٤) فى ديوان أبى العتاهية « بالقرب » .
(٥) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « مناصحتك » و « طاعتك » مكان قوله « المناصحة » و « الطاعة » .

إنَّمَا الدُّنيا أبو دُلَف بين بادِيه ومُحْتَضرِه
فإذا ولَّى أبو دُلَف وَلَّت الدنيا على أثرِه

فقال : يا أمير المؤمنين ، شهادة زُور ، وكَذِب شاعر ، ومَلَق مُسْتَجْدٍ ، ولكنى الذى يقول فيه ابنُ أخيه[1] :

ذَرِينى أجُوبُ الأرضَ فى طَلَبِ الغِنَى[2] فما الكَرْج[3] بالدنيا ولا الناسُ قاسِمُ

الكرج : منزل أبى دُلَف ، وكان اسمه القاسم بن عيسى[4] .

بين المنصور ومعن بن زائدة

وقال المنصور لِمَعْن بن زائدة : ما أظنّ ما قيل عنك من ظُلْمك أهلَ اليمن واعتسافِكَ عليهم إلاّ حقًّا ؟ قال : كيف ذلك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : بلغنى عنكَ أنكَ أعطيتَ شاعراً لبيت قاله ألفَ دينار ، وأنشده البيت وهو :

مَعْن بن زائدةَ الذى زِيدتْ به فَخْرًا إلى فَخْرٍ[5] بنو شَيْبانِ

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد أعطيتُه ألفَ دينار ، ليس على هذا البيت ، ولكن على قوله :

---

(١) فى ا : « ابن أخى » . وفى الأنساب للسمعانى (ص ٤٧٨) : « ابن أخت لى » . ولأبى دلف ابن أخت اسمه : شاهين بن عيسى . ذكره أبو الفرج فى الأغانى (ج ١٢ ص ١٧٨ طبعة بلاق) . ولاندرى أهو المعنى هنا أم لا . وقد ذكر ابن خلكان هذا الشعر وذكر أنه لمنصور بن باذان ، وقيل لبكر بن النطاح ، (انظر ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٤ طبعة القاهرة) .

(٢) فى ابن خلكان : * دعينى أجوب الأرض فى فلواتها *

(٣) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق ، وهى إلى همذان أقرب . وأول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى وجعلها وطنه . (عن معجم البلدان) . والذى فى الأصول : « الكرخ » . وهو تصحيف .

(٤) كذا فى ا ، ى والأغانى (ج ٨ ص ٢٤٦ طبعة دار الكتب المصرية) ومعجم البلدان عند الكلام على الكرج . والأنساب للسمعانى فى ترجمة العجلى ووفيات الأعيان . وقد مر فى الجزء الأول باسم القاسم بن إسماعيل . والذى فى سائر الأصول هنا : « القاسم بن عبد الله » .

(٥) فى الأغانى (ج ١٠ ص ٩١ طبعة دار الكتب المصرية) : « شرفا إلى شرف » . وهذا الشعر لمروان بن أبى حفصة .

ما زلتَ يوم الهاشمِيّة مُعْلِماً بالسّيف دون خَلِيفة الرّحمنِ
فَمَنعت حَوْزَته وكنتَ وِقاءه مِن وَقْع كلِّ مُهنّد وسِنَانِ

قال : فاستحْيا المنصور وجعل يَنْكُتُ بالمِخصرة ، ثم رفع رأسه وقال : اجلس أبا الوليد .

بين عبد الملك ابن مروان وأعرابى سرق

أُتِىَ عبدُ الملك بن مَرْوان بأعرابىّ سَرَق ، فأمر بقَطْع يده فأنشأ يقول :

يَدِى يا أميرَ المؤمنين أُعِيذُها بعَفْوِكَ أن تَلْقَى مكاناً يَشِينُها
ولا خيرَ فى الدُّنيا وكانت حَبِيبةً إذا ما شِمالى فارَقَتْها يَمِينُها

فأبى إلا قَطْعه ؛ فقالت أُمّه : يا أمير المؤمنين ، واحدِى وكاسِبِى ؛ قال : بئس الكاسِب كان لك ، وهذا حَدٌّ من حُدود الله ؛ قالت : يا أمير المؤمنين ،

١٨٢/١ أجعلْه من بعض ذُنوبك التى تَستغفر الله منها ، فعفا عنه .

تذكير الملوك بذمام متقدم[1]

بين ثمامة بن أشرس والمأمون

قال ثُمامة بن أشرس المأمون لما صارت إليه الخلافة : إنه كان لى أملان : أملٌ لك وأملٌ بك ، فأما أملى لك فقد بلغتُه ، وأما أملى بك فلا أدرى ما يكون منك فيه ؛ قال : يكون أفضلَ ما رجوتَ وأمّلت ، فجعله من سُمّاره وخاصّته .

بين الأبرش الكلبى وهشام لما صارت الخلافة إليه

الأصمعى قال : لما مات يزيدُ بن عبد الملك وصارت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك ، خرّ أصحابُه سُجوداً إلاّ الأبرشَ الكَلْبِىّ[2] ؛ فقال له : يا أبرش ، ما مَنعك أن تَسْجُد كما سَجدوا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لأنك ذَهبْتَ عنّا

(١) فى ا ، ى : « بسالف الذمام » .

(٢) هو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة ، ويكنى أبا مجاشع ، وكان يكتب لهشام ، وكان غالبا عليه . (انظر الوزراء والكتاب) .

وتركتنا ؛ قال : فإن ذهبتُ بك معى ؟ قال : أوَ تفعل يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعمَ ؛ قال فالآن طاب السجود ، ثم سَجد .

بين أبى جعفر لما صارت الخلافة إليه ورجل من إخوانه

ولما صارت الخلافة إلى أبى جَعْفر كتب إليه رجلٌ من إخوانه :

إنَّا بِطانتُكَ الأُلَى كُنَّا نُكابِدُ ما تُكابِدْ
ونُرَى فنُعْرَف بالعَدا وَة والبِعاد لمن تباعد
ونَبيتُ من شَفَقٍ عليـك رِيبَةً والليلُ هاجِد
هذا أوانُ وَفاء ما سَبَقَت به منك ٱلمَوَاعِد

فوَقَّع أبو جعفر على كل بيتٍ منها : صدقتَ صدقتَ ، ثم دعا به وألحقه بخاصَّته .

شعر لحبيب فى البر بإخوان الشدائد

وقال حَبيب الشاعر[(١)] فى هذا المعنى :

وإنَّ أولى ٱلمَوَالى أن تُوَاسِيَه عند السُّرُور لَمَن واساكَ فى الحَزَنِ
إنَّ الكِرام إذا ما أَسْهَلوا ذَكَرُوا مَن كان يألَفهم فى المَوْطن الخَشِنِ

حسن التخلص من السلطان[(٢)]

حسن تخلص العباس بن سهل من عثمان بن حيان

أبو الحسن المدائنى قال : كان العبَّاس بن سَهل والى المدينـة لعبد الله بن الزُّبير ، فلما بايع الناسُ عبدَ الملك بن مروان ، ولَّى عثمانَ بن حيَّان ٱلمُرِّى ، وأمره بالغِلظة على أهل الظِّنَّة ، فعرَّض يومًا بذِكْر الفتْنة وأهلها ، فقال له قائل : هذا العبَّاس بن سهل على ما فيه ، كان مع ابن الزبير وعمِل[(٣)] له ؛ فقال

(١) فى ا ، ى : « وقال الشاعر » .
(٢) جاء قبل هذا العنوان فى ا : « تم الجزء التاسع من كتاب العقد ، وهو بقية كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك . والحمد لله وحده . وصلواته على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيراً » .
(٣) فى ا ، ى : « وعماله » .

عثمان بن حيّان : ويلى عليه ، والله لأقتلنّه ؛ قال العبّاس : فبلغنى ذلك ، فتغيّبت حتى أضرّ بى التغيّب ، فأتيتُ ناساً من جُلسائه فقلت لهم : مالى أخاف وقد أمّننى عبدُ الملك بن مروان ؟ فقالوا : والله ما يذكرك إلاّ تغيّظ(١) عليك ، وقلّما كُلّم على طعامه فى ذنبٍ إلاّ انبسط ، فلو تنكّرت وحضَرت عشاءه وكلّمته . قال : ففعلتُ ، وقلت على طعامه وقد أُتى بجَفْنة ضَخْمة(٢) ذاتِ ثريد ولحم : والله لكأنى أنظرُ إلى جَفْنة حيّان بن مَعْبد والناسُ يَتَكاوَسون(٣) عليها ، وهو يطوف فى حاشِيَته ، يتفقّد مصالحها ، يسْحب أرْدِية الخزّ ، حتى إنّ الحَسَك ليتعلّق به فما يُميطه ، ثم يُؤتى بجفْنة تَهادى بين أربعة ، ما يستقلّون بها إلاّ بمشقّة وعَناء ، وهذا بعد ما يَفرُغ الناسُ من الطّعام ويتنحّون عنه ، فيأتى الحاضرُ من أهله والطارئُ من أشراف قومه ، وما بأ كثرهم من حاجة إلى الطعام ، وما هو إلاّ الفخرُ بالدنوّ من مائدته والمُشاركة ليده ؛ قال : هيه ، أنتَ رأيتَ ذلك ؟ قلتُ : أجل والله ؛ قال لى : ومن أنت ؟ قلت : وأنا آمِن ؟ قال : نعم ؛ قلت : العبّاس بن سهل بن سعد الأنصارىّ ؛ قال : مرحباً وأهلاً ، أهل الشرف والحق . قال : فلقد رأيتُنى بعد ذلك وما بالمدينــة رجلٌ أوجَه منى عنده . فقيل له بعد ذلك : أنتَ رأيتَ حيّان بن معْبد يسحب أردية الخزّ ويَتَكاوَس الناس على مائدته ؟ فقال : والله لقد رأيتُه ونزلنا ذلك الماء وغَشِينا وعليه عَباءة ذَكْوانيّة(٤) ،
١٧٣/١ فلقد جعَلْنا نذوده عن رَحْلنا مخافةَ أن يسْرقه(٥) .

(١) فى ا ، ى : « بغيظ » .
(٢) فى ا ، ى : « عظيمة » .
(٣) التكاوس : التراكم والتزاحم .
(٤) ذكوانية : نسبة إلى ذكوانة ، وهى الواحدة من صغار السرح . فلعله يريد عباءة من صوف صغار الغنم .
(٥) فى ا ، ى : « يسرقنا » .

بين سراقة بن مرداس والمختار

أبو حاتم قال: حدثنا أبو عُبيدة قال: أُخِذ سُراقة بن مِرداس [البارقىّ](١) أسيراً يوم جبّانة السُّبَيع(٢)، فقُدِّم فى الأسرى إلى المختار، فقال سُراقة:

اُمنُن علىّ اليوم يا خَيْرَ مَعَدْ ... وخَيْر مَن لبَّى وصلّى وسَجَدْ

فعفا عنه المختار وخلّى سبيلَه. ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث فأُتِى به المختارُ أسيراً، فقال له: ألم أعف عنك وأمْنُن عليك؟ أما والله لأقتلنّك؛ قال: لا والله لا تفعل إن شاء الله؛ قال: ولِمَ؟ قال: لأن أبى أخبرنى أنك تفتح الشامَ حتى تَهدِم مدينة دمشق حجراً حجراً وأنا معك، ثم أنشده:

ألاَ أبْلِغ أبا إسحاق أنّا ... حَمَلنا حَمْلةً(٣) كانت علينا

خرَجنا لا نَرى الضُّعفاء شيئاً(٤) ... وكان خُروجنا بطَراً وحَيْنا

تراهم فى مَصَفِّهمُ قليلاً ... وهُم مِثل الدَّبى لما التقَيْنا

فأَسْجِح إذ قدَرْت فلو قدَرْنا ... لَجُرْنا فى الحُكومة واعتدَيْنا

تقبَّل توبةً منّى فإنى ... سأشكُر إن جعلتَ النقدَ دَيْنا

قال: فخلّى سبيله. ثم خرج إسحاق بن الأشعث ومعه سُراقة، فأُخِذ أسيراً وأُتِى به المختار؛ فقال: الحمد لله الذى أمْكننى منك يا عدوّ الله، هذه ثالثة؛ فقال سُراقة: أما والله ما هؤلاء الذين أخذونى، فأين هم لا أراهم؟ إنا لما التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بِيض، وتحتهم خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض؛ فقال المختار: خلّوا سبيلَه ليُخبِرَ الناس؛ ثم دعا لقِتاله فقال:

ألاَ أبْلِغ أبا إسحاق أنّى ... رأيتُ البُلْق دُهْماً مُصْمَتاتِ(٥)

(١) هذه الكلمة عن عيون الأخبار (ج ١ س ٢٠٣).
(٢) جبانة السبيع: بالكوفة. وكان بها يوم المختار بن عبيد. (عن معجم البلدان).
(٣) أبو إسحاق، كنية المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى. والذى فى عيون الأخبار وديوان سراقة المخطوط: «نزونا نزوة» مكان قوله «حملنا حملة».
(٤) كذا فى عيون الأخبار وديوان سراقة. والذى فى الأصول: «منا».
(٥) كذا فى ديوان سراقة وتاريخ الطبرى والأغانى (ج ٩ س ١٤ طبعة دار الكتب)=

أُرِى عَيْـــنَىَّ ما لم تَرْأَياه كِلاَنَا عالم بالـتُّرَّهاتِ

كفَرْتُ بوَحْيِكم وجعلتُ نذرًا علىَّ قِتاَلكم حتى المَماتِ

بين معن بن زائدة وبعض الأسرى

كان مَعْنُ بن زائدة قد أمر بقَتْل جماعة من الأسرى ، فقام إليه أصغر القوم ، فقال له : يا معن ، أتقتل الأسرى عِطاشاً ؟ فأمر لهم بالماء ، فلما سُقوا ، قال : يا معن ، أتقتُلُ ضِيفانك ؟ فأمر مَعن بإطلاقهم .

بين عمر بن الخطاب والهرمزان

لما أُتى عمر بن الخطاب بالهُرْمُزان أسيراً دعاه إلى الإسلام ، فأبى عليه ، فأمر بقَتْله ، فلما عُرِض عليه السيف ، قال : لو أمرتَ لى يا أمير المؤمنين بشَرْبة من ماء فهو خير مِن قَتْلى على الظمأ ؛ فأمر له بها ، فلما صار الإناء بيَده ، قال : أنا آمِن حتى أشرب ؟ قال : نعم . فألقى الإناء من يده ، وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج ؛ قال : لك التوقّف حتى أنظرَ فى أمرك ، ارفعا عنه السيف ؛ فلما رُفع عنه ؛ قال : الآن أشْهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسوله ؛ فقال له عمر : وَيحك ! أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أخّرك ؟ قال : خشيت يا أمير المؤمنين أن يقال إن إسلامى إنما كان جَزَعاً من الموت ؛ فقال عُمر : إنّ لفارس حُلوماً بها استحقّت ما كانت فيه من المُلْك . ثم كان عُمر يُشاوره بعد ذلك فى إخراج الجُيوش إلى أرض فارس ويَعمل برأيه .

بين الحجاج وبعض من خرجوا عليه مع ابن الأشعث

لما أُتِى الحجّاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر بقَتْلهم ؛ فقال رجل : أصْـلح الله الأمير ، إنّ لى حُرْمة ؛ قال : وما هى ؟ قال : ذُكرتَ

= ومصمت : لايخالط لونه لون آخر . أى أن دهمتها خالصة لايشوبها لون آخر .

والذى فى ا ، ى :

ألا أبلغ أبا إسحاق عنى بأن البلق خيل مصمتات

والذى فى سائر الأصول :

ألا من مبلغ المختار عنى بأن البلق دهم مضمرات

والذى فى عيون الأخبار :

ألا من مبلغ المختار عنى بأن البلق بيض مصمتات

فى عَسْكَر ابن الأشعث فشُتِمْتَ فى أبويك ، فعَرضتُ دونهما ، فقلت : لا والله ما فى نَسبه مَطْعن ، فقولوا فيه ودَعوا نَسبه ؛ قال : ومن يعلم ما ذكرتَ ؟ فالتفتُّ إلى أقرب الأسْرى إلىّ ، فقلتُ : هذا يعلمه ؛ قال له الحجّاج : ما تقول فيما يقول ؟ قال : صَدق ، أصلح الله الأمير ، وَبرّ . قال : خَلِّيا عن هذا لنُصْرته ١٨٤/١
وعن هذا لِحفظ شهادته .

بعض المتلصصين بين يدى روح ابن حاتم

عَمرو بن بَحر الجاحِظ قال : أُتِى روْح بن حاتم برجل كان مُتلصِّصًا فى طريق الرِّقاق(١) فأمر بقتْله ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، لى عندك يد بيضاء ؛ قال : وما هى ؟ قال : إنكَ جئْت يوماً إلى مَجمع موالينا بنى نَهْشل والمجلس مُحتفِل ، فلم يتحفّز(٢) لك أحد ، فقُمت من مكانى حتى جلستَ فيه ، ولولا مَحْض كَرمك ، وشرَفُ قَدْرك ، ونَباهة أوليّتك ، ما ذكرْتُك هذه عند مثل هذا ؛ قال ابنُ حاتم : صَدق ، وأمر بإطلاقه ، وولاّه تلك الناحية وضَمَّنه إياها .

بين المأمون وأبى دلف وقد هم المأمون بقتله

ولما ظَفِر المأمون بأبى دُلَف ، وكان يَقْطع فى الجبال ، أمرَ بضرْب عنقه ؛ فقال : ياأمير المؤمنين ، دَعْنى أركع ركْعتين ؛ قال : افْعل . فركع وحبّر أبياتاً ، ثم وقف بين يديه فقال :

بِعْ بىَ الناسَ فإنّى خَلَفٌ مِمّن تَبِيعُ
واتّخِذْنى لكَ دِرْعاً قَلَصت عنهُ الدُّرُوعُ
وارْمِ بى كلَّ عدُوٍّ فأنا السّهْمُ السَّرِيعُ

فأطلقه وولاّه تلك الناحية ، فأصْلحها .

بعض أسرى العراق يوم صفين بين يدى معاوية

أُتى معاوية يوم صِفّين بأسير من أهل العراق ، فقال : الحمدُ لله الذى

(١) الرقاق : موضع فى عامر ، وعامر : جبل بمكة . (عن معجم البلدان) .
(٢) يتحفز : يستوفز ، وذلك أن ينتصب غير مطمئن ، أو يستقل على رجليه ولما يستو قائما .

أمكننى منك ؛ قال : لا تَقُل ذلك يا مُعاوية ، فإنها مُصيبة ؛ قال : وأى نعمة أعظم من أن أمكننى الله [عزّ وجلّ] من رجُل قَتَل جماعةً من أصحابى فى ساعة واحدة ؟ اضرِب عُنقَه يا غلام ؛ فقال الأسير : اللهم اشْهَد أنّ معاوية لم يَقتُلنى فيك ، وأنك لا ترضى بقتلى ، وإنما يَقتلنى فى الغَلَبة على حُطام هذه الدنيا ، فإن فعل فافعل به ما هو أهلُه ، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهلُه ؛ قال له : ويحك ! لقد سَبَبْت فأبلغت ، ودعوتَ فأحسنت ، خَلّيا عنه .

رجل ممن خرج مع المختار بين يدى مصعب

وأمر مُصعبُ بن الزُّبير برجُل من أصحاب المختار أن يُضرب عُنقه ؛ فقال : أيها الأمير[1] ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحَسنة ، وَوَجهك هذا الذى يُستضاء به ، فأتعلّق بأطرافك ، وأقول : أى ربّ ، سلْ هذا فيم قتلنى ؛ قال : أطلِقوه فإنى جاعل ما وهَبت له من حياته فى خَفْض ، أعطوه مائة ألف ؛ قال الأسير : بأبى أنت وأمّى ، أشهد أنّ لابن قيس[2] الرقيات منها خمسين ألفاً ؛ قال : ولم ؟ قال : لقوله :

إنما مُصْعَبٌ شهاب من اللّـــه تجَلّت عن وَجْهه الظلماء
مُلْكه مُلْك عِزّة ليس فيه جــبروتٌ منه ولا كِبرياء
يَتّقى الله فى الأمور وقد أفْـ لح مَن كان همّه الاتقاء]

استعطاف رجل لعبد الملك

أمر عبدُ الملك بقتل رجل ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعزُّ ما تكون أحوجُ ما تكون إلى الله ؛ فعفا عنه .

بين الحجاج وبعض أسراه

أُتِى الحجّاج بأسْرَى من الخوارج ، فأمر بضَرب أعناقهم ، فقدِّم فيهم شاب ، فقال : والله يا حَجّاج لئن كنّا أسأنا فى الذنب فما أحسنتَ فى العَفْو ؛

(١) فى ا ، ى : « أصلح الله الأمير » .
(٢) فى أكثر الأصول : « لقيس » . والتصويب عن ا ، ى .

فقال : أُفٍّ لهذه الجِيَف ، ما كان فيهم مَن يقول مثل هذا ! وأمْسَك عن القتْل .

وأُتِى الحجّاج بأسْرَى فأمر بقتْلهم ، فقال له رجل منهم : لا جَزاك الله يا حجّاج عن السُّنة خيراً ، فإنّ الله تعالى يقول : (فإذَا لَقِيتُمُ الذين كَفَرُوا فضَرْبَ الرِّقَابِ حَتّى إذَا أثْخَنْتُمُوهم فَشُدُّوا الْوَثَاق فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِدَاء) . فهذا قول الله فى كِتابه . وقد قال شاعرُكم فيما وصف به قومَه من مكارم الأخلاق :

وما نقتل الأسرَى ولكن نَفُكّهم ... إذَا أثقل الأعْناقَ حَمْلُ القلائدِ

فقال الحجّاجُ : وَيْحكم ! أعَجزتم أن تُخْبِرُونى بما أخبرنى هذا المُنافق ! وأمْسَك عمّن بَقِى .

بين الحجاج وحرورية

الهيثمُ بن عدىّ قال : أُتِى الحجّاج بحَرُورِيّة ، فقال لأصحابه : ما تقولون فى هذه ؟ قالوا : اقتلْها ، أصْلَح الله الأمير ، ونَكِّل بها غيرَها . فتبسّمت الحَرُوريّةُ ؛ فقال لها : لِمَ تبسَّمتِ ؟ فقالت : لقد كان وُزراء أخيك فِرْعون خيرًا من وُزرائك يا حجّاج ، استشارهم فى قتْل موسى ، فقالوا : أرْجِه وأخاه ، وهؤلاء يَأمرُونك بتعجيل قَتْلى ؛ فضَحِك الحجّاج ، وأمر بإطلاقها . ١٨٥/١

بين معاوية ويونس الثقفى

وقال مُعاوية ليُونُس الثّقفى : اتق الله ، لأُطَيِّرَنَّك طِيرةً بطيئًا وقوعُها[1] ؛ قال : أليسَ بى وبك المَرْجع إلى الله ؟ قال : نعم ؛ [قال] : فأستغفر الله .

بعض الزبيريين بين يدى عبد الملك ابن مروان

ودَخَل رجلٌ من بنى مخزوم على عبد الملك بن مَرْوان ، وكان زُبيْريًّا ، فقال له عبدُ الملك : أليس الله قد رَدَّك على عقِبَيك ؟ قال : ومَن رُدَّ إليك يا أمير المؤمنين فقد رُدَّ على عَقِبيه ؟ فسكت عبدُ الملك وعَلِم أنها خطأ .

بين يزيد بن أبى مسلم وسليمان بن عبد الملك

دَخَل يزيدُ بن أبى مُسلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال له سُليمان : على امرئ أمَرك وجرّأك وسَلّطك على الأمّة لعنةُ الله ، أتظن الحجّاج استقرّ

(١) لعل معاوية يكنى بهذه العبارة عن إزعاج يونس الثقفى وإقلاقه قلقا بعيد الاستقرار والأمن ، فالطائر لا يقع على الأرض إلا حين يأمن ويطمئن .

فى قعرِ جهنمَ أم هو يَهوِى فيها ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الحجّاج يأتى يومَ القيامة بين أخيكَ وأبيكَ ، فَضَعْهُ من النار حيث شئْتَ .

بين عبيد الله بن زياد وقيس بن عباد

وقال عبيدُ الله بن زياد لقَيْس بن عبّاد : ما تقول فىّ وفى الحُسَيْن ؟ قال : أعفِنى عافاكَ[1] الله ؛ قال : لا بُدّ أن تقول ؛ قال : يجىء أبوه يوم القيامة فيشفع له ويجىء أبوك فيشفع لك ؛ قال : قد علِمت غِشّك وخُبثك ، لئن فارقتنى[2] يوماً لأضعنّ أكثرَك شعراً[3] بالأرض .

بين الحجاج ويحيى بن يعمر

الأصمعىّ قال : بعث الحجّاج إلى يحيى بن يَعْمَر ، فقال له : أنت الذى تقول: إنّ الحسَين بن علىّ ابنِ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ رسول الله ، لتأْتينّى بالمَخرج مما قلتَ أو لأضربَنّ عنقك ؛ فقال له ابن يَعْمَر : وإن جئتُ بالمخرج فأنا آمِن ؟ قال : نعم ؛ قال : اقرأ : (وتلكَ حُجّتُنا آتيْناها إبراهيم على قومِهِ) إلى قوله (ومِن ذُرِّيّتِه داوُدَ وسُلَيمانَ وأيُّوبَ ويُوسُفَ ومُوسَى) إلى قوله (وعيسى) . فمن أقرب[4] : عيسى من إبراهيم ، وما هو ابنُ بنته ، أو الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له الحجّاج : والله لكأنى ما قرأتُ هذه الآية قطّ ، وولّاه قضاء بلده ، فلم يزل بها قاضياً حتى مات :

تنصل عبد الرحمن ابن أبى ليلى بين يدى الحجاج من اتهامه إياه بسبب عثمان

أبو بكر بن أبى شَيْبة [بإسناده] قال : دخل عبدُ الرّحمن بن أبى ليلى على الحجاج ، فقال لجُلسائه : إن أردتُم أن تنظروا إلى رجل يَسُبّ أميرَ المؤمنين عُثمان ابن عفّان فهذا عندكم ، يعنى عبدَ الرحمن ؛ فقال عبدُ الرحمن : مَعاذَ الله أيها الأمير أن أكون أسُبّ أميرَ المؤمنين ، إنه ليَحْجِزُنى عن ذلك ثلاث آيات فى كتاب الله ، قال الله تعالى : (لِلفُقَرَاء المهاجِرِينَ الّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيارِهِم وأَموالِهِم يَبْتَغُون

(١) كذا فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ س ١٩٧) . « أعفاك » . (٢) لعله يريد بالمفارقة هنا : الخروج عن الطاعة .
(٣) يريد بأكثر شعره : رأسه .
(٤) كذا فى ا والذى فى سائر الأصول : « أبعد » .

فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) . فكان عثمان منهم . ثم قال : (والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فى صُدُورِهِمْ حاجةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ولو كانَ بِهِم خَصَاصة وَمَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأُولئك هُمُ المُفْلِحُونَ) . فكان أبى منهم . ثم قال : (والَّذِينَ جاءوا مِن بَعْدِهِم يَقُولُون رَبَّنا اغْفِر لنا ولإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإِيمان ولا تَجْعَل فى قُلوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَءوفٌ رَحِيم) . فكنتُ أنا منهم . فقال : صدقت .

بين الحجاج وعاصم بن أبى وائل

أبو عَوانة [عن عاصم بن أبى وائل] قال : بَعثَ إلىَّ الحجَّاجُ فقال لى : ما اسمُك ؟ قلتُ : ما أرسل إلىَّ الأمير حتى عرف اسمى ؛ قال : متى هَبطتَ هذا البلد ؟ قلتُ : حين هَبط أهلُه ؛ قال : ما تقرأ من القرآن ؟ قلتُ أقرأ منه ما لو تبعتُهُ كفانى ؛ قال : إنى أريد أن أستعين بك فى عَمَلى ؛ قلت : إن تستعِن بى تستعِن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء ، وإن تدعْنى فهو أحبّ إلىَّ ، وإن تُقحِمنى أتقحَّمْ ؛ قال : إن لم أجد غيرَك أقحمتُك ، وإن وجدتُ غيرَك لم أقحمك ؛ قلتُ : وأخرى ، أكرم اللهُ الأمير ، إنى ما علمتُ الناسَ هابوا أميراً قطّ هيبَتَهم لكَ ، والله إنى لأتعارّ⁽¹⁾ من الليل فما يأتينى النومُ من ذِكرك حتى أُصبح ، هذا ولستُ لك على عمل ؛ قال : هيه ، كيف قلتَ ؟ فأعدتُ عليه ؛ فقال : إنى والله لا أعلم على وجه الأرض خَلْقاً هو أجرأ على دمٍ منى ، انصرف . قال : فقمت فعدلتُ عن الطريق كأنى لا أبصر ؛ فقال : أرشدُوا الشيخ .

أسرى الجماجم بين يدى الحجاج

لما أُتِى الحجاجُ بأسرى الجماجم⁽²⁾ أُتِى فيهم بعامر الشَّعْبىّ ، ومُطَرِّف بن ١٨٦/١

(١) التعار : السهر والتقلب على الفراش ليلا مع كلام .

(٢) يريد : دير الجماجم ، وهو موضع بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها . وعند هذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف الثقفى وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث التى كسر فيها ابن الأشعث . (عن معجم البلدان) .

عبد الله الشِّخِّير، وسَعيد بن جُبير، وكان الشَّعبى ومُطَرِّف يَرَيان التَّقِيَّة، وكان سعيد بن جُبير لا يراها، وكان قد تقدَّم كتابُ عبد الملك بن مروان إلى الحجَّاج فى أسرَى الجماجم أن يَعْرِضهم على السيف، فمن أقر منهم بالكُفر فى خروجهم علينا فيُخلِّى سبيلَه، ومن زعم أنه مؤمن فيَضْرب عُنقه[1]؛ فقال الحجاج للشعبىّ: وأنتَ ممن ألَبَّ علينا مع ابن الأشعث؟ اشهَد على نفسك بالكفر؛ فقال: أصلح الله الأمير، نَبَا بنا المنزلُ، وأحْزَن بنا الجَناب، واستَحْلَسنا[2] الخَوْف، واكتحلنا السَّهر، وخَبَطتنا فِتْنة لم نكُن فيها بَرَرة أتقياء، ولا فَجَرة أقوياء؛ قال: لله أبوك، لقد صدقت، ما بَرَرْتم بخروجكم علينا ولا قَوِيتم، خَلُّوا سبيلَ الشيخ. ثم قال لِمُطَرِّف: أتُقِر على نفسك بالكُفر؟ قال: أصلح الله الأمير، إنّ مَن شَقّ العصا، وسَفَك الدّماء، ونَكَث البَيْعة، وفارَق الجماعة، وأخاف المسلمين، لجَديرٌ بالكُفر، فخَلّى سبيله. ثم قال لسعيد بن جُبير: أتُقِر على نفسك بالكفر؟ قال: ما كفَرْت منذ آمنت بالله، فضَرَب عُنقه. ثم استعرض الأسرَى، فمن أقرّ بالكفر خلّى سبيلَه، ومن أبَى قتَلَه، حتى أُتِى بشَيْخ وَشابّ، فقال للشاب: أكافر أنت؟ قال نعم: قال: لكنّ الشيخ لا يرضى بالكفر؛ فقال له الشيخ: أعن نفسى تُخادعنى يا حجّاج، والله لو علمتُ أعظمَ من الكفر لقلتُهُ؛ فضحك الحجاج وخلّى سبيله.

شعر للفرزدق فى هجاء الحجاج بعد موته

فلما مات الحجّاج، وقام سُليمان، قال الفرزدق:

لئن نفَر الحجّاجَ آلُ مُعتِّب[3] ... لَقُوا دولةً كان العدوّ يُدالها[4]

---

(١) فى ا: «فاستبقه وخل عنه، ومن زعم أنه مؤمن فاضرب عنقه».

(٢) استحلسنا الخوف: لزمنا ولم يفارقنا. (٣) آل معتب: رهط الحجاج.

(٤) كذا فى الأصول هنا وديوان الفرزدق. وفيما سيأتى من الأصول فى الجزء الثالث عند الكلام على أخبار الحجاج: «يرى لها».

لقــد أصْبح الأحياء منهم أذلّةً   ومَوْتاهُم فى النار كُلْحاً سِبالُها[1]
وكانوا يَرَوْن الدائراتِ بغَيْرِهم   فصار عليهم بالعَــذاب انفتالها
أَلِكْنى إلى مَن كان بالصِّين أورمَتْ   به الهِنْدَ ألواحٌ عليها جِــلالها[2]
هَلُمَّ إلى الإسلام والعَدْل[3] عندنا   فقد ماتَ عن أهْل العِرَاق خَبالها

بين سليمان بن عبدالملك وعدى ابن الرقاع

لما وَلِىَ سُليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأُرْدُنّ : أجمع يَدَى عدىّ ابن الرِّقاع إلى عُنقه وابعث به إلىّ على قَتَب بلا وِطَاء ، ووَكِّل به مَن يَنْخَس به ؛ ففعل ذلك . فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك أُلقى بين يديه وهو لَقًى لا حَرَاكَ فيه ولا رُوح[4] ، فتركه حتى ارتدّ إليه روحه ، ثم قال له : أنت أهلٌ لما نزل بك ، أَلَسْتَ القائل فى الوليد :

مَعاذَ رَبِّىَ أن نَبْـقَى ونَفْقِده   وأن نكونَ لراعٍ بَعْـدهم تَبَعَا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قلتُ ، وإنما قلت :

مَعاذَ رَبِّىَ أن نَبْقَى ونَفْقِدهم   وأن نكونَ لراعٍ بَعْـدهم تَبَعَا

فنظر إليه سُليمان واستضحك ، ثم أمر له بصِلَة وخَلَّى سبيله .

شريك القاضى والربيع بين يدى المهدى

العُتْبىّ قال : كان بين شَريك القاضى والرَّبيع حاجب المَهدِىّ مُعارَضة ، فكان الرَّبيع يَحْمِل عليه المهدىَّ ، فلا يلتفت إليه ، حتى رأى المهدىُّ فى مَنامه شريكاً القاضى مَصْرُوفاً وَجْهه عنه ، فلما استيقظ من نومه دعا الرَّبيع ، وقَصَّ عليه رُؤْياه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ شَرِيكاً مُخالف لك وإنه فاطمىّ مَحْض ؛

(١) السبال : جمع سبلة (بالتحريك) . وهى ما على الشارب من الشعر .
(٢) الظاهر أنه يريد بالألواح : السفن . والجلال : الشرع (بضمتين) . الواحد : شراع .
(٣) كذا فى ديوان الفرزدق وفيما سيأتى من الجزء الثالث . والذى فى الأصول هنا : « والدين » .
(٤) كذا فى ا ، ى . والقى (كفتى) : ما طرح : والذى فى سائر الأصول : « ألقى بين يديه إلقاء لا روح فيه » .

قال المَهدىّ : علىّ به . فلما دخل عليه ، قال له : يا شَريك ، بلغنى أنك فاطِمىّ ؛ قال له شَريك : أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غيرَ فاطمىّ ، إلاّ أن تَعْنى فاطمةَ بنت كِسْرَى ؛ قال : ولـكنى أعْنِى فاطمةَ بنت محمد صلى الله عليه وسلم ؛

١٨٧/١ قال : أفتَلْعنها يا أمير المؤمنين ؟ قال : مَعاذ الله ؛ قال : فماذا تقول فيمن يَلْعنها ؟ قال : عليه لعنةُ الله ؛ قال : فالْعَن هذا — يعنى الربيع — فإنه يَلْعنها ، فعليه لعنةُ الله ؛ قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ما أَلْعنها ؛ قال له شَريك : يا ماجن فما ذِكْرُك لسيّدة نساء العالمين ، وأبنة سيّد المرسلين فى مجالس الرّجال ؟ قال المهدىّ : دَعْنى من هذا ، فإنى رأيتك فى مَنامى كأنّ وجْهك مَصرُوف عنّى وقفاك إلىّ ، وما ذلك إلاّ بخِلاَفك علىّ ، ورأيتُ فى منامى كأنى أقتل زِنْديقاً ؛ قال شَريك : إن رُؤْياك يا أمير المؤمنين ليست برُؤْيا يوسُف الصديق صلواتُ الله على محمد وعليه ، وإنّ الدّماء لا تُستحل بالأحلام ، وإنّ علامة الزّندقة بيِّنة ؛ قال : وما هى ؟ قال : شُرْب الخمر والرّشا فى الحكم ومَهْر البَغِى[1] ؛ قال : صدقت والله أبا عبد الله ، أنت والله خيرٌ من الذى حَمَلنى عليك .

شريك والربيع بين يدى المهدى

ودخل شَريكٌ القاضى على المهدىّ فقال له الرّبيع : خُنْتَ مالَ الله ومالَ أمير المؤمنين ؛ قال : لو كان ذلك لأتاك سَهْمك .

الحجاج وجامع المحاربى

العُتْبىّ قال : دخل جامعٌ المُحَاربىّ على الحجّاج — وكان جامعٌ شيخاً صالحاً خَطِيباً لَبِيباً جَريئاً على السُّلطان ، وهو الذى قال للحجّاج إذ بنى مدينة واسط : بَنَيْتَها فى غير بَلدك ، وتُورِثها غير ولدك — فجعل الحجّاج يشكو سُوء طاعة أهلِ العِراق وقُبْح مَذْهبهم . فقال له جامع : أما إنه لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ما شَنِئوك لِنَسبك ولا لِبَلدك ، ولا لذاتِ نَفسك ، فدَعْ عنك

(١) مهر البغى ، أى ما تأخذه على زناها ، سماه مهرا مجازا .

ما يُبْعِدُهم منك إلى ما يُقرِّبهم إليك ، والتمِس العافية مِمَّن دونك تُعْطَها ممن فوقك ، وليكُن إيقاعُك بعد وَعيدك ، ووعيدك بعد وعْدك . قال الحجّاج : ما أرى أن أرُدّ بنى اللُّكيعة إلى طاعتى إلا بالسّيف ؛ قال : أيها الأمير ، إنّ السيف إذا لاقَى السيفَ ذَهب الخِيَار ؛ قال الحجّاج : الخِيار يومئذ لله ؛ قال : أجل ، ولكنّك لا تدْرى لمن يجعله الله ؛ فغضِب وقال : ياهَناه[1] ، إنك مِن مُحارب ؛ فقال جامع :

وللحَرْب سُمِّينا وكُنّا مُحارِباً إذا ما القَنا أمسَى من الطَّعْن أحْمرَا

فقال الحجّاج : والله لقد همَمت بأن أخْلع لسانَك فأضْرِبَ به وَجْهك ؛ قال جامع : إن صَدَقناك أغضبناك ، وإن غَشَشْناك أغضبنا الله ، فغَضبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله ؛ قال : أجل ، وسَكن . وشُغِل الحجّاج ببعض الأمر ، فانسلّ جامع ، فمرّ بين الصُّفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صُفوف العِراق ، فأبصر كَبْكَبَة فيها جماعة من بَكْر العراق ، وقَيْس العِراق ، وتَميم العراق ، وأزْد العراق ، فلّما رأوه اشرَأبّوا إليه ، وقالوا له : ما عِندك ؟ دفع الله عنك ؛ قال : وَيحكم ؛ عُمّوه بالخَلْع كما يَعمّكم بالعداوة ، ودَعُوا التعادى ما عادَاكم ، فإذا ظَفِرتم تراجعتُم وتعاديتم ، أيها التّميمىّ ، هو أعْدَى لك من الأزْدىّ ، وأيها القَيْسى هو أعدَى لك من التّغلبى ، وهل ظَفِر بمن ناوأه منكم إلا بمن بَقِى معه منكم . وهَرب جامع من فَوْره ذلك إلى الشام ، واستجار بزُفَر بن الحارث فأجاره .

بين الرشيد ومسلم بن الوليد وأنس بن أبى شيخ

المُثنّىّ قال : كان هارون الرشيد يقتل أولادَ فاطمة وشِيعَتهم ، وكان مُسلم ابن الوليد صَريع الغَوانى ، قد رُمِى عنده بالتّشيّع ، فأمر بطَلبه ، فهَرب منه ،

(١) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، فإذ ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت : ياهن . وقد تزاد الألف والهاء ، فيقال : ياهناه ، بضم الهاء مع تقدير أنها آخر الاسم ، وبكسرها لاجتماع الساكنين . (انظر لسان العرب (مادة هنا) .

ثم أمر بطلب أنس بن أبى شَيْخ كاتب البرامكة ، فهَرب منه ، ثم وُجد هو ومُسلم بن الوليد عند قينْة ببغداد ، فلما أُتى بهما ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، قد أُتى بالرجلين ؛ قال : أىّ الرّجلين ؟ قيل : أنس بن أبى شَيْخ ، ومُسلم ابن الوليد ؛ فقال : الحمد لله الذى أظفرنى بهما ، يا غلام ، أَحْضِرْهما . فلما دخلا عليه ، نظر إلى مُسلم ، وقد تغيَّر لونُه ، فرقّ له وقال : إيه يا مُسلم ، أنت القائل :

أَنِسَ الهوَى بِبَنى علىّ فى الحَشَا وأراه يَطْمح عن بنى العبّاسِ

قال : بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين : ١٨٨/١

أَنِسَ الهوى بِبَنى العُمومة فى الحَشَا مُسْتوحِشاً من سائر الإيناسِ
وإذا تَكاملت الفَضائل كُنتم أَوْلَى بذلك يا بَنِى العبّاس

قال : فعجب هارون من سُرْعة بَدِيهته ، وقال له بعضُ جلسائه : استَبْقه يا أمير المومنين ، فإنه من أشعر الناسِ ، وامتَحِنْه فسترى منه عجبا ؛ فقال له : قُلْ شيئاً فى أنس ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أَفْرِخْ رَوْعى ، أفرخ الله رَوْعك يوم الحاجة إلى ذلك ، فإنى لم أدخُل على خليفة قط ، ثم أنشأ يقول :

تَلَمَّظَ السيفُ من شَوقٍ إلى أَنَس فالموتُ يلحظُ والأَقْدار تَنْتظِرُ
فليس يَبلُغ منـــه ما يُؤَمّله حتى يُؤامِر فيه رَأْيك القَدَر
أمضى من المَوْتِ يعفو عند قُدْرَته وليس للموت عَفو حين يقتدر

قال : فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلاّ يرى ما هَمّ به ، حتى إذا فرغ من قَتْل أنس ، قال له : أَنْشِدْنى أشعرَ شِعر لك ، فكلما فَرغ من قصيدة ، قال له : التى تقول تقول فيها الوَحل ، فإنى رَويتها وأنا صغير ، فأنشده شعرَه الذى أوّله :

أديرَا عَلَىّ الراحَ لا تَشرَبا قَبلى ولا تَطْلُبا من عند قاتِلتى ذَحْلِي

حتى انتهى إلى قوله :

إذا ما عَلَتْ منّا ذُؤابةَ شاربٍ تَمشَّت به مَشْىَ المُقيَّد فى الوَحْلِ

فضحك هارون وقال : وَيْحك يا مُسْلم[1] ! أما رَضِيت أن قيّدْته ، حتى جعلته يمشى فى الوَحْل ، ثم أمر له بجائزة وخلَّى سبيله .

بين كسرى ويوشت المغنى

قال كِسرى ليُوشت[2] المُغنى : وقد قتل الفهليذ[3] تلميذَه ، كنتُ أستريح منك إليه ومنه إليك ، فأذهب حَسدُك ونَغلُ صَدْرك شَطْر تمتعى ، وأمر أن يطرح تحت أرجل الفِيلة . فقال : أيها الملك ، إذا كنتُ أنا قد أذهبتُ شَطْر تَمتُّعك ، وأذهبتَ أنت الشطر الآخر : أليس جنايتُك على نفسك ، مثلَ جنايتى عليك ؟ قال كِسْرَى : دَعُوه ، فما دلّه على هذا الكلام إلا ماجُعل له من طُول المدة .

بين يعقوب بن صالح والرشيد

يعقوب بن صالح بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس قال : دخلتُ يوماً على الرشيد ، أميرِ المؤمنين ، وهو مُتغَيِّظ مُتربِّد ، فندِمت على دُخولى عليه ، وقد كنتُ أفهم غضبه فى وجهه ، فسلّمت ، فلم يَرُدّ ؛ فقلتُ : داهيةٌ نآد[4] ، ثم أومأ إلىّ فجلستُ . فالتفتَ إلىّ وقال : لله عبدُ الله [بن معاوية بن عبد الله] بن جعفر بن أبى طالب ، فلقد نَطق بالحِكْمة حيث يقول :

يأيها الزّاجرى عن شِيمَتِى سَفهاً عَمْدًا عصيتُ مَقال الزّاجر النّاهى
أقْصِر فإنك من قَوْمٍ أرُومتهم فى اللُّؤم فافْخَر بهم ماشِئْتَ أو باهى
يُزَيِّن الشعرُ أفواهاً إذا نَطقت بالشِّعر يوماً وقد يُزْرى بأفْواه

(١) كذا فى ا ، ى : والذى فى سائر الأصول : « عليك » مكان قوله « ويحك يامسلم » . يريد : عليك كذا وكذا .
(٢) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الحيوان للجاحظ (ج ٧ س ٣٦) : « روشك » والذى فى الأصول : « يوسف » .
(٣) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ س ٩٨ طبعة دار الكتب المصرية) . والذى فى ى وعيون الأخبار « فهلوذ » . والذى فى ا : « فلهود » . والذى فى سائر الأصول : « فلنهد » . وقد جاء مضطربا فى الحيوان بين « فلهوذ » و « فلهبذ » .
(٤) داهية نآد ، أى شديدة .

قد يُرْزق المرء لا من فَضْل حِيلته ... ويُصرف الرِّزقُ عن ذى الحِيلة الداهى
لقد عَجِبتُ لقومٍ لا أُصول لهم ... أَثْرَوْا ولَيْسوا وإن أَثْرَوْا بأَشْباهى
ما نالَنى من غِنًى يَوْماً ولا عُدْم ... إلا وقولى عليه الحمدُ لله

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ومن ذا الذى بلغت به المقدرةُ أنْ يُسامى مِثْلَك أو يُدانيه ؟ قال : لعلّه من بنى أبيك وأمك .

غضب هشام على الكميت وتوسط مسلمة

كان الكُمَيت بن زيد يَمْدح بنى هاشم ويُعَرِّض ببنى أُمية ، فطَلَبه هشام ، فهرب منه عشرين سنةً ، لا يستقرّ به القَرار من خَوف هشام ، وكان
١٨٩/١ مَسْلَمة بن عبد الملك له على هِشام حاجة فى كل يوم يَقْضيها له ، ولا يرده فيها ، فلما خرج مَسلمة بن عبد الملك يوماً إلى بعض صُيوده ، أتى الناسُ يُسلِّمون عليه ، وأتاه الكُميت بن زيد فيمن أتى ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمةُ الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بالدِّيار وُقوفَ زائِرْ ... وتأنَّ إنك غيرُ صاغِرْ

حتى انتهى إلى قوله :

يا مَسْلَم بن أبى الوَليد لميِّت إن شِئْت ناشِرْ
عَلِقَتْ حِبالى من حِبا ... لك ذِمَّةَ الجارِ المُجاور
فالآن صِرْتُ إلى أُميّة ... والأُمورُ إلى المَصاير
والآن كنتُ به المُصيب ... كَمُهْتَدٍ بالأمسِ حائر

فقال مَسْلمة : سُبحان الله ، من هذا الهِنْدكىّ الجِلْحاب(١) الذى أقبل من أُخريات الناس فبدأ بالسلام ثم أمَّا بعد ثم الشعر ؟ قيل له : هذا الكُميت بن زيد . فأُعجب به لفَصاحته وبَلاغته ، فسأله مَسْلمة عن خبره ، وما كان فيه

(١) الهندكى (بكسر الهاء والدال) : الرجل من أهل الهند . والجلحاب (بالكسر) : الشيخ الكبير .

طُولَ غَيْبَتِه ، فذكر له سُخط أمير المؤمنين عليه ، فضَمِن له مَسلمة أمانه ، وتوجّه به حتى أدْخله على هشام ، وهشام لا يعرفه . فقال الكميت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، — الحمد لله — قال هشام : نعم ، الحمد لله يا هذا[1] — قال الكُميت : مُبتدئُ الحمد ومُبْتدِعه ، والذى خَصّ بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، وجَعله فاتحة كِتابه ، ومُنْتهى شُكْره ، وكلامَ أهل جَنَّته ، أحمده حَمْدَ من عَلِمَ يَقيناً ، وأبصر مُستَبيناً ، وأشهدُ له بما شَهِد به لنفسه قائماً بالقسط ، وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه العربىّ ، ورسولُه الأمىّ ، أرسله والناسُ فى هَبَوات[2] حَيْرة ، ومُدْلَهِمّات ظُلْمة ، عند استمرار أُبْهة الضلال ، فبلَّغ عن الله ما أمر به ، ونَصح لأمته ، وجاهد فى سَبيله ، وعَبَد ربَّه حتى أتاه اليقين ، صلّى الله عليه وسلم . ثم إنى يا أميرَ المؤمنين تِهْتُ فى حَيْرة وحِرْتُ فى سَكْرة ، إدْلأمّ[3] بى خَطَرُها ؛ وأهاب[4] بى داعيها ، وأجابنى غاويها ، فاقْطَوْطَيْت[5] إلى الضَّلالة ، وتَسكّعت فى الظلمة والجَهالة ، حائداً عن الحق ، قائلاً بغير صِدْق ، فهذا مَقام العائذ ، ومَنْطق التائب ، ومُبْصر[6] الهدى بعد طول العَمى . ثم يا أمير المؤمنين ، كم من عاثر أقَلْتم عثْرته ، ومُجْترم عفوتم عن جُرمه . فقال له هشام ، وأيقن أنه الكُمَيت : ويحك ! من سَنّ لك الغَوَاية ، وأهاب[4] بك فى العَماية ؟ قال : الذى أخرج أبى آدمَ من الجَنّة فَنَسِىَ ولم يَجِدْ له عَزْماً ؛ وأميرُ المؤمنين كَرِيمٌ رَحْمَة أثارت سَحابا مُتفرّقاً فلفّقت بعضَه إلى بعض حتى التحم فاستحكم ، وهَدَر[7] رَعْده ، وتلألأ بَرْقه ، فنزل الأرضَ فرَوِيت واخضلّت

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « ما هذا » .

(٢) الهبوات : الغبرات ، وإذا سطعت فى الجو وانتشرت عميت بها المسالك . والذى فى الأصول : « هفوات » . (٣) ادلأم : ادلهم .

(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « وأهب » .

(٥) اقطوطى : قارب فى مشيه مع نشاط . (٦) مبصر ، أى مكان الإبصار .

(٧) فى بعض الأصول : « هدار » .

واخضرّت ، وأُسقيت[1] ، فروِىَ ظمآنها ، وامتلأ عطشانها ، فكذلك نَعُدُّك أنت يا أميرَ المؤمنين ، أضاء الله بك الظُّلمة الدّاجية بعد العُموس[2] فيها ، وحقن بك دماء قومٍ أشعر خوفُك قلوبَهم ، فهم يبْكون لما يعلمون من حَزْمك وبَصِيرتك ، وقد علِموا أنك الحرْب وابن الحَرب ، إذا احمرّت الحدَق ، وعضّت المَغافر بالهام ، عزّ بأسُك ، واستربط جأشُك ، مِسْعار هتّاف[3] ، وكافٍ بصير بالأعداء ، مُغرِى الخيْل بالنّكراء ، مُستغنٍ برأيه عن رأى ذوى الألباب ، برأى أرِيب ، وحِلْمٍ مُصيب ، فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، وتمّم عليه النّعماء ، ودفَع به الأعداء . فرَضى عنه هشام وأمر له بجائزة .

نجاة ابن هبيرة من خالد القسرى وعفو هشام عنه وشعر الفرزدق فى ذلك

١٩٠/١ العُتْبى قال : لما أُتى بابن هُبيرة إلى خالد بن عَبد الله القَسْرى وهو والى العِراق ، أُتِى به مَغلولا مُقيّدًا فى مِدْرَعة[4] ، فلما صار بين يدَى خالد ألقته الرجال إلى الأرض ؛ فقال : أيها الأمير ، إنّ القوم الذين أنعموا عليك بهذه النِّعمة قد أنعموا بها على مَن قَبْلك ، فأنشُدك الله أن تستَنّ فىّ بسُنة يَسْتنّ بها فيك مَن بعدك . فأمر به إلى الحَبْس ؛ فأمر ابنُ هُبيرة غِلْمانه فحَفَروا له تحت الأرض سِرْدابا حتى خرج الحَفْرُ تحت سريره ، ثم خرج منه ليلاً وقد أُعِدّت له أفراسٌ يُدَاولها ، حتى أتى مَسْلمة بن عبد الملك ، فاستجار به فأجاره ، واستوْهبه مَسْلمةُ من هشام ابن عبد الملك فوَهبه إيّاه . فلما قدم خالدُ بن عبد الله القَسْرىّ على هشام وَجد عنده ابنَ هُبيرة ، فقال له : إباقَ العبْد أبقْتَ ؛ قال له : حين نِمْتَ نَوْمة الأَمَة .

فقال الفرزدق فى ذلك :

---

(١) فى ا ، ى : « وأسبغت » .

(٢) عمس (كـكرم وفرح) : عماسة وعموسا ، أظلم واسود .

(٣) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « هنان » .

(٤) المدرعة (كمكنسة) : ثوب ، ولا يكون إلا من صوف .

لمّا رأيتَ الأرضَ قد سُدّ ظَهرُها … فلم يَبْقَ[1] إلا بَطنُها لك مَخْرَجا
دعوتَ الذى ناداه يُونُسُ بَعد ما … ثَوَى فى ثلاثٍ مُظلماتٍ ففَرّجا
فأصبحتَ تحتَ الأرض قد سِرْتَ ليلةً … وما سار سارٍ مثلَها حين أَدْلَجا
خرجتَ ولم تَمْنن عليك شفاعةٌ[2] … سِوَى حَثّك التَّقْرِيبَ من آل أَعْوَجا

شعر تمثل به ابن هبيرة بعد نجاته

ودخل الناسُ على ابن هُبيرة بعد ما أمّنه هِشام بن عبد الملك يُهنئونه ويَحْمَدون له رأْيَه، فقال مُتمثّلا :

مَن يَلقَ خَيراً يَحْمَد الناسُ أمرَه … ومن يَغوَ لا يَعْدم على الغيّ لائِما

ثم قال لهم : ما كان قولُكم لو عُرِض لى أو أُدرِكت فى طريق ؟

شعر القطامى فى هذا المعنى

ومِثْل هذا قول القُطامىّ :

والناسُ مَنْ يَلْقَ خَيراً قائِلُون له … ما يَشْتهى ولأُمّ المُخطِىء الهَبَلُ

حديث خصى مسلمة عن خبر نجاة ابن هبيرة

عبدُ الله بن سَوّار قال : قال لى الربيعُ الحاجب : أتُحِبّ أن تَسْمع حديثَ ابن هُبيرة مع مَسْلمة ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأرسلَ لخصىّ كان لِمَسلمة يقوم على وَضُوئه، فجاءه، فقال : حَدّثنا حَدِيث ابن هُبيرة مع مَسْلمة ؛ قال : كان مَسلمة بنُ عبد الملك يقوم من الليل فيتوضّأ ويَتَنفّل حتى يُصبح فيَدْخل على أمير المؤمنين، فإنى لأصُب الماء على يدَيه من آخر الليل وهو يتوضأ إذ صاح صائح من وراء الرُّواق : أنا بالله وبالأمير ؛ فقال مَسلمة : صوت ابن هُبيرة، اخرُج إليه . فخرجتُ إليه ورَجعت فأخبرته ؛ فقال : أَدْخِله، فدخل ؛ فإذا رجل يَمِيد نُعاسا، فقال : أنا بالله و بالأمِير ؛ قال : أنا بالله وأنت بالله ؛ ثم قال : أنا بالله و بالأمير ؛ قال : أنا بالله وأنت بالله، حتى قالها ثلاثا ؛ ثم قال : أنا بالله، فسكتَ عنه، ثم قال لى :

(١) فى ديوان الفرزدق : « ولم تر » .

(٢) فى الأصول : « طلاقة » . وما أثبتناه عن الديوان . وفى الديوان زيادة على هذه الأبيات وبعض اختلاف، فارجع إليه .

انطلق به فوَضّئه وليُصَلّ ، ثم أعرِض عليه أحبّ الطعام إليه فأتِه به وافرِش له فى تلك الصُّفّة — لصُفّة بين يدى بُيوت النساء — ولا تُوقِظه حتى يقوم متى قام . فانطلقتُ به فتوضأ وصلّى وعرضتُ عليه الطعام ، فقال : شَرْبة سَوِيق ، فشَرِب ، وفرشتُ له فنام ؛ وجئتُ إلى مَسلمة فأعلمتُه ، فغدا إلى هشام ، فجلس عنده حتى إذا حان قِيامُه ، قال : يا أمير المؤمنين ، لى حاجة ؛ قال : قُضِيت إلا أن تكون فى ابن هُبيرة ؛ قال : رَضِيت يا أمير المؤمنين ، ثم قام مُنصرفا ، حتى إذا كاد أن يَخْرج من الإيوانِ رَجع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عوّدتنى أن تَستثنى فى حاجة من حوائجى ، وإنى أكره أن يتحدّث الناس أنك أحدثتَ على الاستثناء ؛ قال : لا أستثنى عليك ؛ قال : فهو ابن هُبيرة . فعفا عنه .

بين هشام وبعض ذوى الحاجات

[بلغ هشامَ بن عبد الملك عن رجل كلامٌ غليظ ، فأحضره . فلما وقف بين يديه جعل يتكلّم ؛ فقال له هشام : وتتكلّمُ أيضاً ؟ فقال الرجل : يقول الله عز وجل : (يوم تَأْتى كلُّ نفس تُجادل عن نفسها) فنُجادل الله تعالى جدالا ولا نكلمك كلاما ؟ فقال هشام بن عبد الملك : ويحك ! تكلم بحاجتك]

فضيلة العفو والترغيب فيه

بين المأمون وصاحب وضوئه

كان المأمون خادم ، وهو صاحب وَضُوئه ، فبينما هو يَصبّ الماء على يدَيه ، إذ سَقَط الإناء من يده ، فاغتاظ المأمونُ عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله يقول : (والكَاظِمينَ الغَيْظَ) . قال : قد كَظمت غَيْظى عنك . قال : (والعَافِينَ عن النَّاس) . قال : قد عفوتُ عنك . قال : (واللهُ يُحِبّ المُحْسِنِين) . قال : اذهب فأنت حُر .

١٩١ / ١

شفاعة رجاء بن حيوة لرجل لدى عمر بن عبد العزيز

أمر عمرُ بن عبد العزيز بعُقوبة رجل ، فقال له رَجاء بن حَيْوة : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فعل ما تُحب من الظّفر ، فافعل ما يُحبه من العفو .

ترغيب عبد الله بن حسن لعبد الله بن على فى العفو عن بنى أمية

الأصمعىّ قال : عَزم عبدُ الله بن علىّ على قتل بنى أمية بالحجاز ، فقال له عبدُ الله بن حسن بن حَسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم : إذا أسرعت بالقَتل فى أكفائك ، فمن تُباهى بسُلْطانك ، فاعفُ يَعْفُ الله عنك .

كلام لابن خريم فى فضل العفو بين يدى المهدى

دخل ابن خُرَيم على المَهدىّ ، وقد عَتب على بعض أهل الشام ، وأراد أن يُغْزِيهم جَيْشا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عليك بالعَفو عن الذنب ، والتجاوز عن المسىء ، فلأن تُطيعك العرب طاعةَ محبّة ، خيرٌ لك من أن تُطيعك طاعةَ خَوْف .

عفو المهدى عن رجل بكلمة لابن السماك

أمر المهدىّ بضَرْب عُنق رجل ، فقام إليه ابنُ السَّماك ، فقال : إن هذا الرجل لا يَجب عليه ضَرْبُ العُنق ؛ قال : فما يَجب عليه ؟ قال : تَعفو عنه ، فإن كان من أجْر كان لك دُونى ، وإن كان وِزْر كان علىّ دونك . فخلّى سبيله .

طلاق ابن هبيرة لمحبوسين كلمه فيهم الشعبى

كلّم الشعبىّ ابنَ هُبيرة فى قوم حَبسهم ، فقال : إن كنتَ حبستَهم بباطل فالحقّ يُطْلِقهم ، وإن كنت حَبَستهم بحق فالعَفْو يَسعُهم .

تصالح قريش بترغيب أبى سفيان لهم فى العفو

العُتبىّ قال : وَقعت دماء بين حَيّين من قُريش ، فأقبل أبو سُفيان ، فما بقِى أحدٌ واضعٌ رأسَه إلا رَفعه ، فقال : يا معشر قُريش ، هل لكم فى الحقّ أو فيما هو أفضل من الحق ؟ قالوا : وهل شىء أفضلُ من الحق ؟ قال : نعم ، العفو ، فتهادَن القوم واصطلحوا .

وصف هزيم ابن أبى طحمة ليزيد بن عاتكة

وقال هُزَيم بن أبى طَحْمَة[1] ليزيد بن عاتكة[2] [بعد ظَفَره بيزيدَ بن المُهلّب][3] : ما ظَلم أحدٌ ظُلْمك ، ولا نَصر نَصْرَك ، فهل لك فى الثالثة نَقلها ؟ قال : وما هى ؟ قال ولا عفا عَفْوك .

(١) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ س ٥٤) . واسم أبى طحمة حارثة بن عدى . وكان هزيم شجاعا كيسا ، وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . (انظر المعارف لابن قتيبة) . والذى فى أكثر الأصول : « عدى بن أبى طلحة » . والذى فى سائر الأصول : « على بن أبى طلحة » .

(٢) هو يزيد بن عبد الملك . (٣) التكملة عن البيان والتبيين .

ترغيب المبارك ابن فضالة المنصور فى العفو عن رجل

وقال المُبارك بن فُضالة : كنت عند أبى جعفر جالساً فى السِّماط ، إذ أمر برجل أن يُقتل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إذا كان يوم القيامة نادَى مُنادٍ بين يدى الله : ألا مَن كانت له عند الله يدٌ فليتقدّم ، فلا يتقدّم إلا مَن عفا عن مُذنب . فأمر بإطلاقه .

للأحنف فى فضل العفو

وقال الأحنف بن قيس : أحقُّ الناسِ بالعفْو أقدرُهم على العُقوبة .

للنبى صلى الله عليه وسلم فيما يبعد العبد عن ربه

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « أقربُ ما يكون العبدُ من غَضب الله إذا غَضِب » .

من أمثال العرب فى الترغيب فى العفو

وتقول العربُ فى أمثالها : ملكتَ فأسْجِح ، وارْحم تُرْحم ، وكما تَدِين تُدان ، ومن برّ يوماً بُرّ به .

بعد الهمة وشرف النفس

بين الوليد ونافع بن جبير

دخل نافع بن جُبيرة بن مُطْعِم على الوليد ، وعليه كِساء غَليظ ، وخُفّان جاسِيان(١) ، فسلَّم وجَلس ، فلم يَعْرفه الوليد ، فقال لخادم بين يدَيه : سَلْ هذا الشيخ مَن هو . فسأله ، فقال له : اعزُب ؛ فعاد إلى الوليد فأخبره ؛ فقال : عُدْ إليه واسأله ؛ فعاد إليه ، فقال له مثلَ ذلك . فضحك الوليدُ ، وقال له : من أنت ؟ قال : نافع بن جُبير بن مُطعم .

بين ابن ظبيان وأبيه وقد أراد وصية زياد به

وقال زياد بن ظَبْيان لابنه عُبيد(٢) الله : ألا أُوصى بك الأميرَ زياداً ؟ قال : يا أبت ، إذا لم يكن للحىّ إلا وصيّة الميّت فالحىّ هو الميّت .

عمرو بن سعيد بين يدى معاوية

وقال مُعاوية لعمرو بن سَعيد : إلى من أَوْصى بك أبوك ؟ قال : إنّ أبى

(١) الجاسى : الغليظ الخشن . والذى فى ا ، ب ، ى : « خاسيان » . والذى فى سائر الأصول : « حسيان » . وظاهر أنهما محرفتان عما أثبتناه .

(٢) فى بعض الأصول هنا : « عبد الله » . وهو تحريف . (انظر عيون الأخبار) .

أوصى إلىّ ولم يُوصِ بى ؛ قال وبما أوْصى إليك ؟ قال : أن لا يَفْقد إخوانُه منه إلا وَجْهه .

بين مالك بن مسمع وعبيد الله ابن زياد بن ظبيان

وقال مالك بن مِسْمع[1] لعُبيد الله بن [زياد بن] ظَبْيان : ما فى كِنانتى سَهْم أنا به أوْثق منّى بك ؛ قال : وإنى لفى كِنانتك ! أمَا والله لئن كنتُ فيها قائماً لأطولنّها ، ولئن كنتُ فيها قاعداً لأخْرِقنّها . قال : كثّر الله مثلَك فى العَشِيرة ؛ قال : لقد سألتَ الله شَططا .

ليزيد بن المهلب فى شرف نفس الفرزدق

وقال يزيد بن المُهلَّب : ما رأيتُ أشرفَ نفساً من الفرزدق ، هَجانى مَلِكا ، ومَدحنى سُوقة .

بين عبيد الله بن زياد بن ظبيان وبين عتاب ابن ورقاء

وقَدِم عُبيد الله بن [زياد بن] ظَبْيان على عتّاب بن وَرْقاء الرِّياحىّ — وهو والى خراسان[2] — فأعطاه عشرين ألفاً ، فقال له : والله ما أحسنتَ فأحمدَك ، ولا أسأت فألومَك ، وإنك لأقرب البُعداء ، وأحبُّ البُغضاء . ١٩٢/١

كلمة لعبيد الله ابن زياد بن ظبيان بعد قتله مصعب

وعُبيد الله بن [زياد بن] ظبيان هذا هو القائل : والله ما نَدِمت على شىء قطُّ نَدَمى على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيتُه برأس مُصعب بن الزُّبير فخرَّ لله ساجداً ، أن لا أكون قد ضربْتُ عُنقه ، فأكونَ قد قتلتُ ملكين من ملوك العرب فى يوم واحد .

شىء عن بعد همة عقيل بن علفة

ومن أشرف الناس هِمّةً عَقيل بن عُلّفة المُرّى . وكان أعرابيًا يسكُن البادية ، وكان تُصهر إليه الخُلفاء ، وخَطب إليه عبدُ الملك بن مروان ابنتَه لأحد أولاده ، فقال له : جَنِّبنى هُجناء ولدك .

بين عمر بن عبد العزيز وعقيل بن علفة

وقال عمرُ بن عبد العزيز لرجل من بنى أُمية كان له أخوال[3] فى بنى مُرّة :

---

(١) فى ا ، ى : « مالك بن أسماء » . (٢) فى ا : « على أصبهان » .

(٣) فى الأغانى (ج ١١ ص ٨٩ طبعة بلاق) : أن أم هذا الرجل كانت أخت عقيل بن علفة . وبين الخبر هنا وفى الأغانى خلاف ، فارجع إليه .

قَبّح الله شَبَهاً غَلب عليك من بنى مُرة . فبلغ ذلك عَقيل بن عُلّفة ، فأقبل إليه فقال له قبل أن يَبتدئه بالسلام : بَلغنى يا أمير المؤمنين أنك غَضِبت على رجل من بنى عَمّك له أخْوال فى بنى مُرّة ، فقلْت : قبّح الله شبهاً غلب عليك من بنى مُرة ، وأنا أقول قبّح الله ألأم الطّرفين ، ثم انصرف . فقال عمرُ بن عبد العزيز : من رأى أعجبَ من هذا الشيخ الذى أقبل من البادية ليست له حاجة إلا شَتْمُنا ثم انصرف ؟ فقال له رجل من بنى مُرّة : والله يا أمير المؤمنين ما شَتَمك وما شتم إلا نَفسه وقومه ، نحن والله الأمُ الطرفين .

شيء من غيرة عقيل

أبو حاتم السّجستانى عن محمد بن عبيد الله العُتْبى قال : سمعتُ أبى يحدِّث عن أبى عمرو المرّى ، قال : كان بنو عَقيل بن عُلّفة بن مُرّة بن غَطفان يتَناقلون ويَنْتجعون الغَيث ، فسَمِع عقيل بن عُلفة بنتاً له ضَحِكت فشَهِقت فى آخر ضَحِكها ، فاخترط السيفَ وحَمَل عليها وهو يقول :

فَرِقْتُ إنّى رَجُلٌ فَرُوق بضُحْكة آخرُها شَهيقُ

وقال عَقيل :

إنى وإن سِيق إلىّ المَهْرْ ألفٌ وعُبدَان وذَوْدٌ[1] عَشرُ

* أحبُّ أصْهارى إلىّ القَبْر *

وقال الأصمعى :

كان عَقيل بن عُلفة المُرّى رجلاً غَيُوراً ، وكان يُصْهِر إليه الخلفاء ، وإذا خَرَج يَمْتار خَرَج بابنته الجَرْباء معه . قال : فنزلوا دَيْراً من دِيَرة[2] الشام يُقال له دَيْر سَعد[3] ، فلما ارتحلوا قال عَقيل :

(١) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمس عشرة ، أو عشرين ، أو ثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث . (٢) فى ا ، ى : « ديارات » .

(٣) قضت وطرا ، يريد ناقته . ودير سعد : بين بلاد غطفان والشام . (عن معجم البلدان) . وناطحنه بالجماجم ، أى أبين المقام به فهززن رءوسهن إشارة إلى كراهية ذلك .

قَضَتْ وَطَراً من دَيْرِ سَعْدٍ وطالما على عُرُضٍ ناطَحْنَهُ بالجَماجِمِ (١)

ثم قال لابنه : يا عَمَلّس (٢) ، أجِز ، فقال :

فأصْبَحْن بالمَوْماة يَحْمِلْنَ فِتْيةً نَشاوَى من الإدْلاجِ مِيلَ العَمائم

ثم قال لابنته : يا جَرْباء ، أجيزى ؛ فقالت :

كأنّ الكَرَى سَقّاهم صَرْخَدِيّةً (٣) عُقاراً تَمشّى فى المَطَا والقَوائمِ

قال : وما يُدْرِيكِ أنت ما نَعْتُ الخَمْرِ ! فأخذ السيفَ وهَوَى نحوها ، فاستعانت بأخيها عَمَلّس ، فحال بينه و بينها .

قال : فأراد أن يضربه . قال : فرَماه بسهم فاختلّ (٤) فخِذيه فبرك ، ومَضوا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنَى ماء الأعْراب ، قالوا لهم : إنا أسقطنا جَزُورا فأدرِكوها وخُذوا معكم الماء ، ففعلوا ، فإذا عقيل (٥) بارك وهو يقول :

إنّ بَنِىّ زَمّلونى بالدّم شِنْشِنة أعرِفها من أخزم

من يَلْقَ أبطالَ الرِّجال يُكْلَم

والشِّنْشِنة : الطَّبيعة ، وأخزم : فحل مَعْروف (٦) ، وهذا مَثل للعرب . ١٩٣/١

بين الأوس والخزرج وبين تبع فى الجاهلية

ومن أعزّ الناس نفساً وأشرَفهم هِمَماً الأنصار ، وهم الأوس والخَزْرَج ،

(١) كذا فى الأغانى (ج ١١ ص ٨٨ طبعة بلاق) ومعجم البلدان عند الكلام على « دير سعيد » . والذى فى الأصول : « وربما * علا عرض منها بدير الجماجم * » .

(٢) فى معجم البلدان : « جثامة » .

(٣) صرخدية : نسبة إلى صرخد ، بلد بالشام ينسب إليه الخمر .

(٤) اختل فخذيه : نفذ فيهما وانتظمهما .

(٥) الذى فى معجم البلدان والأغانى أن الجريح هو جثامة بن عقيل ، لا عقيل أبوه ، وفيهما مع هذا خلاف فارجع إليهما .

(٦) الذى فى مجمع الأمثال للميدانى : أنه كان لحاتم جد يقال له : أبو أخزم ، وكان له ابن يقال له أخزم ، وكان عاقا ، فمات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدهم أبى أخزم فأدموه فقال هذا الشعر . وفى شرح الحماسة للتبريزى : أن أخزم أحد جدود حاتم ، وكان جواداً ، فلما نشأ حاتم شبه جوده بجود أخزم ، فقيل : شنشنة من أخزم ، أى غريزة . ثم كثر ذلك حتى استعمل هذا المثل فى كل شىء شبه بسواه .

أبناء قَيْلة ، لم يُؤَدّوا إتاوَةً قطّ فى الجاهلية إلى أحد من الملوك ، وكَتب إليهم تُبَّع يَدعُوهم إلى طاعته ، و يَتوعّدُهم إن لم يفعلوا [أن يَغزُوَهم] . فكتبوا إليه :

العَبْدُ تُبّعُ كم[1] يَرُوم قِتالَنا[2] ومَكانُه بالمَنزِل المُتَذلِّلِ
إنّا أُناس لا يُنام بأَرْضِنا[3] عَضّ الرَّسولُ بِبَظْرِ أُمّ المُرسِلِ

فغزاهم تُبّع أبو كَرِب ، فكانوا يُقاتلونه نهاراً ويُخْرِجون إليه القِرى ليلاً ، فتذمّم من قِتالهم ورَحل عنهم[4] .

فخر الفرزدق بين يدى سليمان بن عبد الملك

ودخل الفَرَزْدَقُ على سُليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهّم له كأنّه لا يعرفه ؛ فقال له الفرزدق : وما تَعرِفنى يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا ؛ قال : أنا من قوم منهم أَوْفَى العَرَب ، أَسْوَد العرب ، وأَجْوَد العرب ، وأَحْلَم العرب ، وأَفْرَس العرب ، وأَشْعَر العرب ؛ قال : والله لَتُبَيِّنَنّ ما قلتَ أو لأُوجِعَنّ ظَهْرَك ؛ ولأَهْدِمَنّ دارك ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أمّا أَوْفَى العرب ، فحاجِبُ ابن زُرارة ، الذى رهَنَ قَوْسه عن جميع العرب فوَفَى بها ؛ وأما أَسْوَد العرب ، فقَيْس بن عاصم ، الذى وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسَط له رِداءه ، وقال : هذا سيّد الوَبَر ؛ وأما أَحْلَم العرَب ، فعَتَّابُ بن وَرْقاء الرِّياحىّ ؛ وأما أَفْرَس العَرَب ، فالحَرِيش بن هِلال[5] السَّعْدى ؛ وأمّا أَشْعَر العرب ، فأنذا بين يَدَيك يا أمير المُؤْمنين . فاغتمّ سُليمان ممّا سَمِع من فَخْرِه ولم يُنكِره ، وقال : ارجع

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « تبعكم » .
(٢) فى ا ، ى : « قناتنا » .
(٣) لا ينام بأرضنا ، أى لا يقر لعدونا قرار بيننا ولا يغمض له جفن من الخوف .
(٤) فى ا ، ى : « فإذا جاء الليل أخرجوا له العشاء . فقال أبو كرب : ما خلق الله قوما أكرم من هؤلاء ، ورحل عنهم » مكان قوله « ويخرجون ... الخ » .
(٥) كذا فيما سبق فى الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ١٣٥) والاشتقاق لابن دريد . والذى فى الأصول هنا : « الحريش بن عبد الله » .

على عَقِبَيْك ، فما لك عندنا شىء من خَيْر . فرجع الفرزدق وقال :

أتيناكَ لا مِنْ حاجةٍ عَرَضت لنا إليك ولا من قِلّةٍ فى مُجاشِعِ(١)

شعر للفرزدق والأحوص فى الفخر

وقال الفرزدق فى الفَخْر :

بَنُو دارمٍ قَوْمِى تَرى حُجُزاتِهم عِتَاقاً حَوَاشِيها رقاقاً نِعالُها(٢)

يجرُّون هُدّاب اليمَانِى كأنّهم سُيوفٌ جَلا الأَطْباعَ عنها صِقالُها(٣)

وقال الأحوص فى الفخر ، وهو أفخر بيت قالته العرب :

ما مِن مُصِيبة نَكْبة أُرْمَى بها إلا تُشرِّفُنى(٤) وتَرْفع شانِى

وإذا سألتَ عن الكِرَام وَجدتَنى كالشمس لا تَخفى بكلّ مَكان

استحقاق عامر ابن أحيمر لبردى المحرق بين يدى النعمان ، وشعر الفرزدق فى ذلك

وقال أبو عُبيدة : اجتمعت وفودُ العرب عند النُّعمان بن المُنْذر(٥) ، فأخرج إليهم بُرْدَىْ مُحرِّق ، وقال : ليقُم أعزُّ العَرب قبيلةً فَلْيَلْبسهما فقام عامر بن أحيمر السَّعْدِىّ فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ؛ فقال [له] النعمان : بِمَ أنت أعزُّ العرب ؟ قال : العِزُّ والعَدَد من العرب فى مَعَدّ ، ثم فى نِزار ، ثم فى تميم ،

---

(١) رواية صدر هذا البيت فى ديوان الفرزدق :

* وما ساقها من حاجة أجحفت بها *

والبيت — كما فى الديوان — من قصيدة للفرزدق فى مدح عبد الرحمن الثقفى .

(٢) الحجزات : جمع حجزة (بالضم) . وهى معقد السروال والإزار من الإنسان . وعتاقا ، من العتق ، وهو الحسن . ورواية هذه الكلمة فى أكثر الأصول : « عفافا » . وما أثبتناه عن ا ، ى وديوان الفرزدق . ووصف الحجزات بالحسن كناية عن البعد عن الفجور . ورقاق النعال ، أى أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم .

(٣) الأطباع : جمع طبع ، وهو الصدأ . والصقال (ككتاب) : اسم من صقل ، بمعنى جلا .

(٤) فى ا ، ى : « تعظمنى » .

(٥) فيما سيأتى فى هذا الكتاب عند الكلام على بيوتات مضر : « المنذر بن ماء السماء » مكان « النعمان بن المنذر » و « الأحيمر بن خلف بن بهدلة » مكان « عامر ابن أحيمر » .

ثم فى سَعد ، ثم فى كَعْب ، ثم فى عَوْف ، ثم فى بَهْدَلة ، فمن أنكر هذا من العَرَب فَلْيُنافِرْنى ؟ فسكت الناس . ثم قال النعمان : هذه حالك فى قومك ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك ؟ قال : أنا أبو عَشرة ، وخال عَشرة ، وعمّ عَشرة ؛ وأما أنا فى نفسى فهذا شاهدى ثم وضع قَدَمه فى الأرض ، ثم قال : من أزالها عن مكانها فله مائةٌ من الإبل . فلم يَقم إليه أحد ، فذَهب بالبُرْدَين .

ففيه يقول الفَرزدق :

فما تَمّ[1] فى سَعْد ولا آلِ مالكٍ　　غلامٌ إذا ما سِيل[2] لم يَتَبَهْدَلِ

١٩٤/١ لهم وَهَبَ النعمانُ بُرْدَىْ مُحَرّقٍ　　بمَجْدِ مَعَدٍّ والعَديد المُحصَّلِ

وفى أهل هذا البيت من سَعد بن زيد مَناة كانت الإفاضة فى الجاهليّة .

بيت سعد بن زيد مناة فى الجاهلية وشعر أوس بن مغراء فيهم

ومنهم بنو صَفوان الذين يقول فيهم أوس بن مَغْراء السَّعْدِىّ :

ولا يَرِيمون فى التَّعْرِيف مَوْقِفَهم[3]　　حتى يُقال أجيزُوا آل صَفْوانا[4]

ما تَطْلُع الشمسُ إلّا عند أوّلنا　　ولا تَغيّب إلا عند أُخرانا

الفرزدق فى معنى شعر أوس السابق

وقال الفرزدق فى مثل هذا المعنى :

تَرى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفنا　　وإن نحنُ أوْمأنا إلى الناس وقَفُوا

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « تم » بالتاء المثناة .

(٢) سيل ، أى سُئل . والذى فى جميع الأصول هنا وفيما سيأتى فى هذا الكتاب : « قيل » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٣) التعريف : الوقوف بعرفة . ورواية هذا الشطر فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ١٢٧ طبعة الحلبى) :

* لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم *

(٤) فى لسان العرب (مادة صوف) : « صوفانا » . وصوفة : أبو حى من مضر كانوا يخدمون الكعبة فى الجاهلية ويجيزون الحاج ، وبقوا كذلك حتى انقرضوا ، فورثهم من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت الإفاضة من بنى سعد فى آل صفوان . وانظر اللسان (مادة عرف) والروض الأنف للسهيلى (ج ١ ص ٨٥) فى الكلام على هذا البيت .

كلمة لهنيدة بنت صعصعة فى الفخر بنفسها

وكانت هُنَيدة[١] بنت صَعْصعة عمّة الفَرزدق تقول : من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتى يَحِلّ لها أن تَضع خِمارَها عندهم فصِرْمتى[٢] لها : أبى صَعْصَعة ، وأخى غالب ، وخالى الأقرع بن حابس ، وزَوجى الزِّبْرقان بن بَدْر ، فسمِّيَت ذاتَ الخِمار .

مثل من شرف نفس طاهر بن الحسين

وممن شَرُفت نَفْسه ، وبَعُدت هِمَّته : طاهر بن الحُسين الخُراسانىّ ، وذلك أنه لما قَتل محمدَ بنَ زُبيدة ، وخاف المأمونَ أن يَغْدِر به ، امتنع عليه بخُراسان ولم يُظهر خَلْعه .

لدعبل فى الفخر بمقتل طاهر للأمين

وقال [دِعْبل بن علىّ الخُزاعىّ يفتخر بقَتْل طاهر بن الحُسين محمداً ، لأنه كان مولى خُزاعة ، ويُقال إنه خزاعىّ] :

أيسُومنى المأمونُ خُطّةَ عاجز　　أوَمَا رأى بالأَمْسِ رأسَ محمدِ
تُوفِى على رُوس[٣] الخلائق مِثْل ما　　تُوفِى الجبالُ على رُءوس القَرْدد[٤]
إنّ من القَوْم الذين هُمُ هُمُ　　قَتلوا أخاكَ وشرَّفوك[٥] بمَقْعَد[٦]
[رفعوا مَحلّك[٧] بعد طُولِ خُموله　　واستَنْقذوك من الحَضِيض الأَوهد]

(١) كذا فى الأغانى والنقائض ومايعول عليه عند الكلام على « ذات الخمار » . قال المحبى : « إنها كانت تضع خمارها عند هؤلاء الأربعة فقالوا لها : ما عهدناك متبرجة ؟ فقالت : دخلتنى الخيلاء حين رأيتكم » . ثم ذكر بقية الخبر على نحو ما جاء هنا . والذى فى الأصول : « هند » .

(٢) الصرمة (بالكسر) : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل غير ذلك .

(٣) كذا فى ا ، ى والشعر والشعراء فى ترجمة دعبل . والذى فى سائر الأصول : « رأس » .

(٤) كذا فى ا ، ى والشعر والشعراء . والقردد : ما ارتفع من الأرض . والذى فى سائر الأصول : « الفدفد » . وهى بمعناها .

(٥) فى الأغانى (ج ١٨ ص ٣٤ طبعة بلاق) : « سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك » .

(٦) كذا فى ا ، ى والشعر والشعراء . والذى فى سائر الأصول : « وأقعدوك بمرصد » مكان قوله « وشرفوك بمقعد » .

(٧) كذا فى الأغانى . والذى فى ا ، ى : « بذكرك » .

شعر لطاهر بن الحسين فى الفخر

وقال طاهرُ بن الحُسين[١] :

غَضِبتُ على الدنيا فأنْهبتُ ما حوَتْ — وأعتبتُها[٢] منّى بإحدى المتالفِ
قَتلتُ أميرَ المُؤمنين وإنما — بَقيتُ عَناء بَعْده للخلائف
[وأصبحتُ فى دارٍ مُقيما كما ترى — كأنىَ فيها من مُلوك الطوائفِ]
وقد بَقيتْ فى أمّ رأسى فَتْكةٌ — فإمّا لرُشد[٣] أو لرأيٍ مُخالف

لمحمد بن يزيد فى الرد على طاهر

فأجابه محمدُ بنُ يزيدَ بنِ مَسْلَمة[٤] :

عَتَبتَ على الدُّنيا فلا كُنتَ راضيا — فلا أعتبتْ إلا بإحْدَى المتالِف
فمن أنت أو ما أنت يا فَقْع قَرْقَر[٥] — إذا أنت منّا[٦] لم تُعلّق بكانف
[فنحنُ بأيدينا هرَقْنا دِماءنا — كَثَوْلٍ[٧] تهادَى الموتَ عند الزّاحف]
ستَعلم ما تَجنِى عليك وما جَنَت — يَداك فلا تَفْخَر بقتل الخلائف
[وقد بقِيت فى أمّ رأسك فتكةٌ — ستُخرجها منه بأسْمَر راعِف]

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « وهو القائل » .

(٢) كذا فى ا ، ى . وأعتبتها : أرضيتها . يدل ببطشه وقسوته وعدم مبالاته بالدنيا ، فإعتابه إياها وإرضاؤه لها لم يكن إلا بإحدى المتالف . ومثله قول بشر بن أبى خازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر — يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

(٣) فى ا : « لحزم » .

(٤) هو أبو الأصبغ محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ويعرف بالحصنى . كان ينزل حصن مسلمة بديار مضر فنسب إليه ، وهو شاعر محسن مكثر . (عن معجم الشعراء للمرزبانى) .

(٥) الفقع : ضرب من أردأ الكمأة . قال أبو حنيفة : « الفقع : يطلع من الأرض فيظهر أبيض ، وهو ردىء . والجيد ما حفر عنه واستخرج » . والقرقر : أرض مرتفعة إلى جنب وهدة . ويقال للرجل الذليل : هو فقع بقرقر ، وأذل من فقع بقرقر ، لأن الدواب تنجله بأرجلها ، أى تضربه .

(٦) منا ، متعلق بقوله « بكانف » .

(٧) الثول : جماعة النحل .

شعر لعبد الله بن طاهر فى الفخر

وقال عبدُ الله بن طاهر[١] :

مُدْمِن الإغْضاء مَوْصولُ ومُدِيم العَتْبِ مَمْلولُ
ومَدين البِيض فى تَعَب وغَرِيم البِيض مَمْطول
وأخو الوجْهين حيثُ رمَى بِهواه فَهو مَدْخُول
أَقصِرى عما لَهَجْتِ[٢] به فَفَراغِى عنكِ مَشْغُول
سائِلِى ، عَمَّن[٣] تُسائِلنى قد يَرُدّ الخَيرَ مَسئول
أنا من تَعْرِف نِسْبَته[٤] سَلَفى الغُرُّ البهاليل
سَلْ بهم تُنْبِيك نَجْدتُهم مَشرفيّات مَصاقيل
كلّ عضْب مُشْرَبٌ عَلَقا وغِرارُ الحَدِّ مَفْلُول
مُصْعَب جَدّى نَقِيب بنى هاشِم والأمْرُ مجبول[٥]
وحُسَين رَأْسُ دَعْوتِهم بعده والحَقُّ مَقْبُول ١٩٥/١
وأبى من لا كِفاء له من يُسامِى مجده[٦] قُولوا
صاحبُ الرَّأى الذى حَصَلَتْ رَأْيه القَوْمُ المَحاصيل
حَلَّ مِنهم بالذُّرَى شرَفاً دُونَه[٧] عِزٌّ وتَبْجيل
تُفْصِحُ الأنباءُ عنه إذا أسكَتَ الأنباءَ مجهول

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « وهو القائل » . أى محمد بن يزيد بن مسلمة . وهو تحريف . فالشعر لعبد الله بن طاهر ، كما فى معجم الشعراء للمرزبانى ، وكما تنطق بذلك أبياته .

(٢) كذا فى ا ، ب ، ى وكتاب الفرج بعد الشدة للتنوخى (ج ١ ص ٦٥) . والذى فى سائر الأصول : « طمحت » .

(٣) فى ا : « عما » . (٤) فى ا : « فضيلته » . وفى ى : « يعرف سالفه »

(٥) كذا فى ى . ومجبول ، أى طبيعة وخلقة . والذى فى سائر الأصول : « مخبول » . والذى فى كتاب الفرج : « مجهول » . ولا معنى لهاتين الكلمتين .

(٦) فى ا : « مجدهم » .

(٧) دونه ، أى يحيط به العز والتبجيل .

سَلْ بهِ[(١)] الجبّارَ يومَ غَدَا حولَه الجُـرْدُ الأبابيـلُ[(٢)]
إذ عَلَتْ مِن فَوْقه[(٣)] يدُهُ نَوْطُهـا أبيضُ مَصْقـول
أبطَنَ المَخلوعَ كَلْكَلَه وحَوالَيْـــه المَقاويل
فثَوَى والتُّربُ مَصرَعـه غالَ منـه مُلْكَه غُول
قادَ جَيْشاً نحو بابـــه ضاقَ عنه العَرْضُ والطول
وَهَبُـــوا للهِ أنفُسَهم لا مَعازيلٌ ولا مِيـلُ[(٤)]
مَلِكٌ تَجتاحُ صَولتُـــه ونَداه الدهرَ مبـذول
نُزِعَتْ مِنْـــه تمائمه وهو مَرهُوب ومأمُـول
وِتْرُه يُسعَى إليـهِ بهِ ودَمٌ يَجنيـهِ مَطْـلول

لمحمد بن يزيد ابن مسلمة فى الرد على عبد الله ابن طاهر

فأجابه محمدُ بنُ يزيد بن مَسلمة ، وكان من أصحابه وآثرِهم عنده ، ثم اعتذر إليه وزعم أنه لم يدعه إلى إجابته إلا قولُه :

* من يُسامى مجده قولوا *

فأمر له بمائة ألف وزاده أَثَرة ومنزلة :

لا يَرُعْك القالُ والقِيلُ كلُّ ما بُلِّغتِ تَضْليلُ[(٥)]
ما هوًى لى كنتُ أعرفه بهوى غَيْرِكِ مَوصول
أيخونُ العهدَ ذو ثِقة لا يخون العهـدَ مَتْبول[(٦)]
حَمَّلتنى كُلَّ لائمةٍ كلُّ ما حَمّلتِ محمول

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « بنى » .
(٢) أبابيل : فرق ، جمع لا واحد له .
(٣) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول « مفرقه » مكان « من فوقه » .
(٤) المعازيل : الذين لا رماح معهم ؛ الواحد : معزال . والميل : الجبناء ؛ الواحد : أميل .
(٥) كذا فى كتاب الفرج بعد الشدة . والذى فى الأصول : « كل ما حلت تحميل » .
(٦) فى ى : « لا يخون الدهر » مكان « لا يخون العهد » . وفى الفرج : « مسئول » مكان « متبول » .

واحكى ما شئتِ واحتكمى   لخرامى لك تحليلُ
أين لى عنكِ إلى بدلٍ   لا بديلٌ منك مقبول
ما لدارى منكِ مُقفِرَةٌ   وضَميرى منك مأهول
[وبدَتْ يومَ الوداع لنا   غادةٌ كالشمس عُطْبول]
تتعاطى شدَّ مِئْزَرِها   ونطاق الخَصر مَحْلول
شملنا إذ ذاك مجتمع   وجَناح البَين مَشْكول
ثم وَلَّت كى تُودِّعنا   كُحلها بالدَّمع مَغسُول
أيُّها البادِى بِطيَّته   ما لأغلاطك تحصِيل
قد تأوَّلت على جِهة[(١)]   ولنا وَيحك تأويل
إنّ دِلّيلاكَ يومَ غدا   بك فى الحَين اَضِلِّيل[(٢)]
قاتل المخلوع مَقتول   ودَمُ القاتل مَطْلول
قد يخون الرُّمحَ عامِلُه[(٣)]   وسِنان الرُّمح مَصقول
وينال الوتْرَ طالبه   بعد ما تَسلو المثاكيل
بأخى[(٤)] المخلوع طُلّت يداً   لم يكن فى باعها طول ١٩٦/١
وبنُعماه التى كُفرت   جالت الخيل الأبابيل
وبراجٍ غير ذى شفق   فُعِلت تلك الأفاعيل
يا ابن بَيْت النّار مُوقدها   ما لحاذَيه[(٥)] سراويل

(١) جهة، يريد وجهة ومذهبا.
(٢) الدليل: الدليل.
(٣) كذا فى كتاب الفرج بعد الشدة. وعامل الرمح: صدره دون السنان. والذى فى الأصول:

* قد يخون الرمح حامله *

(٤) كذا فى ا. وفى ى: «يا أخا». والذى فى سائر الأصول: «يا أخى».
(٥) الحاذان: لحمتان فى ظاهر الفخذين، تكونان فى الإنسان وغيره.

مَن حُسَين وأبوه ومَن مُصعب غالتهم غُولُ

إن خَير القول أصدقه حين تَصطكّ الأقاويل

مراسلات الملوك

جزائر ملك اليمن إلى مكة واستئثار أبى سفيان بذبحها

العُتْبىّ عن أبيه قال :

أهدَى ملكُ اليمن عَشْر جزائرَ إلى مكة ، وأمر أن يَنْحَرها أعزُّ قُرَشىّ . فَقدِمتْ وأبو سفيان عَروس بهِنْد بنت عُتبة ، فقالت له : أيها الرجل ، لايشغلنّك النِّساء عن هذه المَكرمة التى لعلها أن تَفُوتك ؛ فقال لها : ياهذه ، دَعِى زوجَك وما يختاره لنفسه ، والله ما نحَرها غيرى إلا نَحَرتُه . فكانت فى عُقُلها حتى خرج أبو سُفيان فى اليوم السابع فنَحرها .

بين قيصر ومعاوية فى مسائل استعان معاوية فى الإجابة عنها بابن عباس

زُهير(١) عن أبى الجُوَيْرِية(٢) الجَرْمِىّ قال :

١٩٧/١ كتب قَيْصر إلى معاوية : أخبرنى عما لا قِبلة له ، وعمّن لا أبَ له ، وعمّن لا عَشيرة له ، وعمّن سار به قَبْرُه ، وعن ثلاثة أشياء لم تُخْلق فى رَحِم ، وعن شىء ونِصْف شىء ولا شىء ، وابعَثْ إلىّ فى هذه القارُورة بِبزْرِ كلِّ شىء ، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عبّاس . فقال [ابن عبّاس] : أما مالا قِبْلة له فالكعبة ؛ وأما مَن لا أبَ له فعيسى ، وأما مَن لا عشيرة له فآدم ؛ وأما من سار به قَبْره فيُونس ؛ وأما ثلاثة أشياء لم تُخْلق فى رَحِم : فكَبْش إبراهيم ، وناقة ثمود ، وحَيّة موسى ؛ وأما شىء ، فالرجل له عقل يَعمل بعَقْله ؛

(١) لعله زهير بن معاوية بن حديج . (انظر تهذيب التهذيب ج ٣ س ٣٥١) .

(٢) فى الأصول « أبى الجوْية » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه ، وهو حطان بن خفاف ابن زهير بن عبد الله ، أبو الجويرية الجرمى . انظر تهذيب التهذيب ج ٢ س ٣٩٦) .

وأما نِصْف شىء ، فالرجل ليس له عَقْل ويَعمل برَأْى ذَوِى العقول ؛ وأما لا شىء ، فالذى ليس له عَقل يَعمل به ولا يَستعين بعَقْل غيره ؛ وملأ القارورة ماء ، وقال : هـذا بَزْر كل شىء : فبَعث به إلى مُعاوية ، فبعث به معاوية إلى قيصر . فلما وصَل إليه الكتابُ والقارورة ، قال : ما خرج هـذا إلا من أهل بَيْت النُّبوّة .

كتاب ملك الهند إلى عمر ابن عبد العزيز

نُعَيم بن حمّاد قال :

بعث ملك الهِنْد إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً فيه : مِنْ مَلِكِ الأَمْلاك الذى هو ابنُ ألْف ملك ، والذى تحته ابنةُ ألف ملك ، والذى فى مَرْبَطِه ألفُ فِيل ، والذى له نَهران يُنْبِتان العُود والأَلُوّة[1] والجَوْز والكافور ، والذى يوجد ريحه على مَسيرة اثنى عَشر ميلا ، إلى مَلِك العَرَب الذى لا يُشرك بالله شيئا ، أما بعد ، فإنى قد بعَثْتُ إليك بهديّة وما هى بهديَّة ، ولكنها تحيَّة ، وأحببتُ أن تبعَث إلىّ رجلا يُعلِّمنى ويفهِّمنى الإسلام ، والسلام ، يعنى بالهديَّة الكتاب[2] .

بين الوليد لما هدم كنيسة دمشق وملك الروم

الرياشى قال :

لما هدم الوليدُ كنيسةَ دِمشق كتب إليه ملكُ الروم : إنك هَدمتَ الكنيسة التى رأى أبوك تركها ، فإن كان صواباً فقد أخطأ أبوك ، وإن كان خطأً فما عُذْرك ؟ فكتب إليه : (ودَاوُدَ وَسُليمان إذ يَحكمان فى الحَرْث إذ نَفَشَت فيه غَنَمُ القوم وكُنّا لحُكْمهم شاهِدِين ، فَفَهّمناها سُلَيمان ، وكُلًّا آتينا حُكْما وعِلْما)

---

(١) الألوة : ضرب من العود يتبخر به .

(٢) قد جاء هذا الكتاب فى الحيوان للجاحظ (ج ٧ س ٣٦) . وهو يختلف عنه هنا كثيراً ، فارجع إليه .

بين ملك الروم وعبد الملك بن مروان واستعانة عبد الملك بعبدالله بن الحسن فى الرد عليه

وكتب ملكُ الرُّوم إلى عبد الملك بن مروان : أكلتُ لحم الجمل الذى هَرب عليه أبوك من المدينة لأغزينَّك جنوداً مائةَ ألف ومائةَ ألف . فكتب عبدُ الملك إلى الحجّاج أن يبعث إلى عبد الله بن الحسن[1] ويتوعَّده ويكتب إليه بما يقول ، ففعل ، فقال [عبدُ الله بن الحسن] : إنَّ الله عز وجلَّ لوحاً محفوظا ، يَلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يُحيى [فيها] ويُميت ويُعزّ ويُذِل ويفعل ما يشاء ، وإنى لأرجو أن يَكفِينيك منها بلحظة واحدة . فكتب به الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبدُ الملك إلى ملك الروم ، فلما قرأه قال : ما خَرج هذا إلا من كلام النبوة .

بعث ملكُ الهند إلى هارون الرشيد بسيوف قَلْعية[2] ، وكلاب سيورية[3] ، وثياب من ثياب الهند ؛ فلما أتته الرسل بالهدية أمر الأتراكَ فصفُّوا صفَّين ، ولَبِسُوا الحديد حتى لا يُرى منهم إلا الحدق ، وأُذِن للرُّسل فدخلوا عليه ، فقال لهم : ما جئتم به ؟ قالوا : هذه أشرف كُسْوة بلدنا ، فأمر هارون القطّاعَ بأن يَقطع منها جِلالاً وبَراقع كثيرة للخَيْله ، فَصَلَّبَ الرُّسل على وجوههم ، وتذمَّموا [من ذلك] ونكَّسوا رءوسهم ؛ ثم قال لهم [الحاجب] : ما عندكم غيرُ هذا ؟ قالوا له : هذه سُيوف قَلْعيَّة لا نظير لها . فدعا هارون بالصَّمصامة سيف عمرو بن معديكرب ، فَقُطِعت به السيوف بين يديه سَيْفا سَيْفا ، كما يُقطّ[4] الفُجل ، من غير أن تنثنى له شَفْرة ، ثم عرض عليهم حدَّ السيف فإذا لا فَلَّ فيه ، فصَلَّب القوْم على وجُوههم ؛ ثم قيل لهم : ما عندكم غير هذا ؟ قالوا : هذه كلاب سيورية لا يلقاها سَبُع إلا عقرته ؛

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « على بن الحسن » .

(٢) قلعية : نسبة إلى القلعة (بالتسكين) ، وهو موضع ببلاد الهند وإليه تنسب السيوف .

(٣) فى ا ، ى : « شنوزية » . ولعل كلا اللفظين محرف عن « سمندورية » . نسبة إلى سمندور (بفتح أوله وثانية ثم نون ساكنة) ، بلد بالهند .

(٤) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « يقطع » .

فقال لهم هارون : فإنّ عندى سَبُعًا فإن عقرتْه فهى كما ذكرتم ؛ ثم أمر بالأسد فأُخْرِج إليهم : فلما نظروا إليه هالهم ، وقالوا : ليس عِندنا مِثْلُ هـذا السَّبُع فى بلدنا ؛ قال لهم هارون : هذه سِباع بلدنا ، قالوا : فنُرسلها عليه ، وكانت ١٩٨/١ الأكلب ثلاثة ، فأرسلت عليه فمزّقته ، فأُعجب بها هارون ، وقال لهم : تمنَّوا فى هذه الكلاب ما شِئتم من طرائف بلدنا ؛ قالوا : ما نتمنى إلا السيف الذى قطعت به سُيوفنا ؛ قال لهم : ما كنا لنبخلَ عليكم ، ولكنه لا يجوز فى ديننا أن نُهاديكم بالسِّلاح[1] ، ولكن تمنوا غيرَ ذلك ما شئتم ؛ قالوا : ما نتمنى إلا السيف ؛ قال : لا سبيل إليه ، ثم أمر لهم[2] بتُحف كثيرة وأحسن جائزتهم .

حيلة المأمون فى الغدر بطاهر ابن الحسين وما كان بينهما

[3]أبو جعفر البغداديّ قال :

لما انقبض طاهرُ بن الحسين بخُراسان عن المأمون وأخذ حِذره ، أدّب له المأمون وصيفًا بأحسن الآداب وعلّمه فُنون العلم ، ثم أهداه إليه مع ألطاف كثيرة من طرائف العراق ، وقد واطأه على أن يَسُمّه ، وأعطاه سَمَّ ساعة ، ووعده على ذلك بأموال كثيرة . فلما انتهى إلى خُراسان وأوصل إلى طاهر الهدية ، قَبِل الهدية ، وأمر بإنزال الوصيف فى دار ، وأجرى عليه ما يحتاج إليه من التّوسعة فى النّزالة[4] وتركه أشهراً . فلما بَرِم الوَصِيفُ بمكانه كتب إليه : يا سيدى ، إن كنتَ تقبلُنى فاقبلْنى وإلا فرُدنى إلى أمير المؤمنين ؛ فأرسل إليه وأوصله إلى نفسه . فلما انتهى إلى باب المجلس الذى كان فيه ، أمره بالوقوف

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « قال لهم : هذا مما لا يجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح ، ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم » .

(٢) فى ى « فانقلبوا خائبين » مكان قوله « ثم أمر لهم ... الخ » .

(٣) جاء هذا الخبر والذى بعده فى أكثر الأصول بين أخبار « بعد الهمة وشرف النفس » . وقد أثبتناهما هنا عن ا ، ى لجريهما مع أخبار هذا الباب « مراسلات الملوك » .

(٤) النزالة (بالكسر) : الضيافة .

عند باب المجلس ، وقد جلس على لِبْد أبيض وقَرّع رَأْسَه[١] ، و بين يديه مُصحف منشور وسَيف مَسْلول ، فقال : قد قبلنا ما بعث به أمير المؤمنين غيرَك فإنا لا نقبلك ، وقد صَرفناك إلى أمير المؤمنين ، وليس عندى جواب أكتبه ، إلا ما ترى من حالى ، فأبلغ أمير المؤمنين السلام ، وأعلمه بالحال التى رأيتنى فيها . فلما قَدِم الوصيفُ على المأمون ، وكلّمه بما كان من أمره ، ووصف له الحالَ التى رآه فيها ؛ شاور وزراءه فى ذلك وسألهم عن معناه ، فلم يَعْلمه واحد منهم ؛ فقال المأمون : لـكنى قد فَهِمت معناه : أما تَقْريعه رأسه وجلوسُه على اللبد الأبيض ، فهو يُخبرنا أنّه عبدٌ ذليل ؛ وأما المُصْحف المنشور ، فإنه يذكّرنا بالعهود التى له علينا ؛ وأما السيف المَسْلول ، فإنه يقول : إن نكثتَ تلك العهود فهذا يحكم بينى و بينك ، أغلِقوا عنا باب ذِكْره ، ولا تَهيجوه فى شىء مما هو فيه . فلم يَهجه المأمون حتى مات طاهرُ بن الحسين ، وقام عبدُ الله بن طاهر بن الحُسين مكانه ، فكان أخفَّ الناس على المأمون .

بين طاهر والمأمون فى إطلاق ابن السندى

وكتب طاهرُ بن الحسين إلى المأمون فى إطلاق بن السِّندى من حَبْسه ، وكان عاملَه على مصر فعزله عنها وحَبسه ، فأطلقه له وكتب إليه :

أخى أنت ومَولاى فما ترضاه أرضاهُ
وما تهوى من الأمر فإنّى أنا أهواه
لكَ اللهُ علَى ذاكَ لك اللهُ لك اللهُ

(١) قرع رأسه : أذهب شعره .

[فرش] كتاب الياقوتة فى العلم والأدب (١)

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولُنا فى مُخاطبة الملوك ومقاماتهم ، وما تفنَّنوا فيه من بديع حِكَمهم ، والتزلّف إليهم بحسن التوصل ولطيف المعانى ، وبارع مَنطقهم ، واختلاف مذاهبهم ، ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه فى العلم والأدب ، فإنهما القُطبان اللذان عليهما مَدار الدين والدنيا ، وفَرْقُ ما بين الإنسان وسائر الحيوان ، وما بين الطَّبيعة المَلَكية ، والطبيعة البهيمية . وهما مادّة العقل وسرَاج البدن ونُور القَلب وعماد الرُّوح ، وقد جَعل اللهُ بلطيف قُدْرته ، وعظيم سُلطانه ، بعضَ الأشياء عَمَداً لبعض ومُتولِّدًا من بعض ، فإجالة الوَهم فيما تُدْركه الحواسّ تَبعث خواطر الذِّكر ، وخواطر الذِّكر تنبه روية الفِكر ، وروية الفِكْر تثير مكامِن الإرادة ، والإرادة تُحْكم أسباب العمل ، فكلُّ شىء يقوم فى العقل ويُمثَّل فى الوهم يكون ذِكْرا ، ثم فِكْرا ، ثم إرادة ، ثم عملا . والعقل متقبل للعِلْم لا يعمل فى غير ذلك شيئاً . والعلم علمان : علم حُمِل ، وعلم استُعمل ، فما حُمل منه ضرّ ، وما استُعمل نفع . والدليل على أن العقل إنما يعمل فى تقبل العُلوم كالبصر فى تقبل الألوان ، والسمع فى تقبل الأصوات ، أن العاقل إذا لم يُعلَّم شيئا كان كمن لا عقل له ، والطِّفل الصغير لو لم تُعرِّفه أدبا وتُلقنه كتابا كان كأبله البهائم وأضلّ الدواب . فإن زَعم زاعم فقال : إنا نجد عاقلا قليلَ العِلم : فهو يَستعمل عقله فى قلّة علمه ، فيكون أشدَّ رأيا ، وأنبه فِطْنةَ ، وأحسنَ مواردَ ومَصادِرَ من الكثير العِلم مع قلّة العَقل ، فإنّ

(١) زيد فى ا ، ى قبل هذا : « تم الجزء العاشر من كتاب العقد يتلوه الجزء الحادى عشر : كتاب الياقوتة فى العلم والأدب » . ثم « بسم الله الرحمن الرحيم . رب عونك » .

حُجَّتنا عليه ما قد ذكرناه من حَمْل العِلْم واستعماله ، فقليل العِلْم يستعمله العَقل خيرٌ من كثيره يحفظه القلب .

للمهلب فيما أدرك به ما أدرك

قيل للمُهلَّب : بِمَ أدركتَ ما أدركتَ ؟ قال : بالعِلم ، قيل له : فإنَّ غيرك قد عَلم أكثر مما عَلِمتَ ، ولم يُدرك ما أدركت ، قال : ذلك عِلم حُمِل ، وهذا علم استُعْمل .

للحكماء فى نفع العلم

وقد قالت الحكماء : العِلمُ قائد ، والعَقل سائق ، والنَّفس ذَوْد[1] ، فإذا كان قائد بلا سائق هلكت [الماشية] ، وإن كان سائق بلا قائد أخذتْ يميناً وشِمالا ، وإذا اجتمعا أنابت[2] طَوْعاً أو كَرْهاً .

فنون العلم

كلام فى العلم بين سهل بن هارون والمأمون

قال سهل بن هارون يوما وهو عند المأمون : مِن أصناف العلم ما لا ينبغى للمسلمين أن يَرْغبوا[3] فيه ، وقد يُرغب عن بعض العِلم كما يُرغب عن بعض الحَلال ؛ فقال المأمون : قد يُسمِّى بعضُ الناس الشىء عِلماً وليس بعلم ، فإن كان هذا أردتَ فوَجْهُهُ الذى ذَكرتُ[4] ؛ ولو قلتَ أيضاً : إنَّ العلم لا يُدْرَك غَوْرُه ، ولا يُسْبر قَعْره ، ولا تُبلغ غايتُه ، ولا تُستقصَى أصوله ، ولا تَنضبط أجزاؤه ، صدقتَ ، فإن كان الأمر كذلك فابدأ بالأهمّ فالأهمّ ، والأوكد فالأوكد ، وبالفَرْض قبل النَّفل ، يكن ذلك عَدْلا قصداً ومذهباً جميلا . وقد قال بعضُ الحُكماء : لستُ أطلب العلْم طمعاً فى غايته والوقوف على نهايته ، ولكن التماسَ ما لا يَسع جهلُه ؛ فهذا وَجهٌ لما ذكرت . وقال آخرون : عِلْم المُلوك النَّسب والخبَر ، وعِلمُ أصحاب الحُروب دَرْس كُتُبِ الأيَّام والسِّيَر ، وعِلم

(١) كذا فى الأصول . والذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، وقيل غير ذلك . والذى فى نهاية الأرب (ج ٣ س ٢٣٢) : « حرون » .

(٢) فى نهاية الأرب : « أجابت » .

(٣) كذا فى البيان والتبيين (ج ٣ س ١٨٥) . والذى فى الأصول : « أن ينظروا » .

(٤) فى البيان : « ذكرنا » .

التجّار الكِتاب والحِساب ، فأما أن يُسمَّى الشىء عِلماً ويُنهى عنه من غير أن يُسأل عما هو أنفع منه فلا[1] . ١٩٩/١

لمحمد بن إدريس فى أنواع العلم

وقال محمد بن إدريس رضى الله عنه : العِلم عِلمان : عِلم الأبدان ، وعِلم الأديان .

لعبد الله بن مسلم فيما يلزم الأديب والعالم

وقال عبدُ الله بن مُسلم بن قُتيبة : من أراد أن يكون عالماً فليطلب فنًّا واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فَلْيَتسع[2] فى العلوم .

لأبى يوسف القاضى فى طالبى الدين والكيمياء والحديث

وقال أبو يُوسُف القاضى : ثلاثة لا يَسلمون من ثلاثة : مَن طلب الدِّين بالفلسفة[3] لم يَسلم من الزَّنْدَقة ، ومَن طلب [المالَ][4] بالكيمياء لم يَسلم من الفَقْر[5] ، ومن طلب غَرائبَ الحديث لم يَسلم من الكذب .

لابن سيرين فى طلب الأحسن

وقال ابن سِيرين رحمه الله تعالى : العِلْمُ أكثرُ من أن يُحاط به ، فخُذوا من كلِّ شىء أحسنه .

لابن عباس فيما يحق من علمى الدين والأدب

وقال ابن عبّاس رضى الله عنهما : كَفَاكَ من عِلم الدِّين أن تَعرف ما لا يَسع جهلُه ، وكفاك من عِلم الأدب أن تَرْوِى الشاهد والمَثل ، قال الشاعر :

وما من كاتبٍ إلا ستَبْقى ... كِتابتُهُ وإن فَنِيت يَداهُ
فلا تكتُب بكفِّكَ[6] غيرَ شىء ... يَسرُّكَ فى القِيامة أن تَراه

للأصمعى فيما وصل به

قال الأصمعىّ : وَصلت بالمُلَح ، ونِلْت بالغريب .

لبعضهم فى المكثرين من النحو والشعر والفقه

وقالوا : مَن أكثر من النَّحْو حَمَّقه ، ومن أكثر من الشعر بَذَّله ، ومن أكثر من الفِقه شرّفه .

(١) بين الحديث هنا وهناك فى البيان بعض الخلاف فارجع إليه .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فليتفنن » .
(٣) كذا فيما سيأتى من هذا الجزء (ص ٢٥٦) . والذى فى الأصول هنا : « النجوم » مكان « الدين بالفلسفة » . (٤) هذه الكلمة عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٤١) وعما سيأتى فى الأصول . وبين الخبرين هنا وهناك خلاف ، فارجع إليه .
(٥) فى ا ، ى : « الإفلاس » . (٦) فى ا ، ى : « بخطك » .

شعر لأبى نواس

وقال أبو نُواس الحسن بن هانئ :

كم من حَديث مُعْجِبٍ عندى لكا   لو قد نَبذتُ به إليك لسَرّكا
مِمّا تَخَيّره الرواةُ مهذّب   كالدُّرِّ مُنتظماً بِنَحْرٍ فَلّكا[1]
أتتبّع العُلماءَ أكتب[2] عنهمُ   كيما أُحدِّثَ من لقيتُ فيَضْحكا

الحض على طلب العلم

للنبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا العنوان

قال النبىّ صلى الله عليه وسلّم : لا يزال الرجلُ عالماً ما طَلب العِلم ، فإذا ظَنّ أنه قد عَلِم فقد جَهل .

وقال عليه الصلاةُ والسلام : الناسُ عالمٌ ومُتعلّمٌ وسائرهم هَمَج .

وعنه صلى الله عليه وسلّم : إنّ الملائكة لتَضَع أجنحتَها لطالب العِلم رِضاً بما يَطلب ، ولَمِدَادٌ جَرت به أقلامُ العُلماء خيرٌ من دماء الشُّهداء فى سبيل الله .

لداود عليه السلام

وقال داوُد لابنه سُليمان عليهما السلام : لُفّ العِلْم حولَ عُنقك ، وا كتُبه فى ألواح قَلْبك .

وقال أيضاً : اجعل العِلْم مالَكَ ، والأدب حِلْيتك .

لعلى بن أبى طالب

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كلّ إنسان ما يُحْسن .

لأبى عمرو بن العلاء

وقيل لأبى عمرو بن العَلاء : هل يَحْسُن بالشّيخ أن يتعلّم ؟ قال : إن كان يَحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم .

لعروة بن الزبير يحث أولاده على طلب العلم

وقال عُرْوة بن الزُّبير رحمه الله تعالى [لبَنِيه] : يا بَنِيّ ، اطلبوا العِلمَ فإن تكونوا صِغار [قوم] لا يُحتاج إليكم ، فعسى أن تكونوا كبارَ قوم آخرين لا يُستغنى عنكم .

(١) كذا فى ا . وفلك : استدار . والذى فى ى : « بنهد فلكا » . والذى فى سائر الأصول : « يسر الملكا » . وفيهما تحريف ظاهر .
(٢) فى ا ، ى : « آخذ » .

ملك الهند يوصى بنيه

وقال ملك الهند لولده ، وكان له أربعون ولداً : يا بَنِىّ ، أكثِروا من النظر فى الكتب ، وازدادوا فى كل يوم حرفاً ، فإن ثلاثةً لا يَستوْحشون فى غُربة : الفقيه العالم ، والبَطَل الشجاع ، والحُلوُ اللسان الكثير مَخارج الرأى .

من المهلب لبنيه

وقال المُهلّب لبَنِيه : إياكم أن تجلسوا فى الأسواق إلا عند زرّاد أو ورّاق . أراد الزرّاد للحرب ، والورّاق للعلم .

لبعض الشعراء فى الكتاب

وقال الشاعر :

نِعْمَ الأنيسُ إذا خلوْتَ كِتَابُ تَلْهو به إن خانَكَ الأحبابُ
لا مُفْشِيًا سِرًّا إذا استودعتَه وتُفاد منهُ حكمةٌ وصَوابُ

وقال [آخر] :

ولكلِّ طالب لذّة مُتنزَّه وألذُّ نُزهة عالمٍ فى كُتبِهِ

بين عبد الله بن عبد العزيز ورجل مر به وهو جالس فى مقبرة

ومَرّ رجل بعَبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ، وهو جالس فى المَقبرة ، وبيده كتاب ، فقال له : ما أجلسك هاهنا ؟ قال : إنه لا أوْعظَ [مِن] قبر ، ولا أمتع من كتاب .

بين رؤبة والنسابة البكرى

٢٠٠/١ وقال رُؤْبة بن العجّاج : قال لى النسّابة البَكْرى : يا رُؤْبة ، لعلك من قوم إن سَكَتُّ عنهم لم يسألونى ، وإن حَدّثتهم لم يَفْهمونى ؟ قلتُ : إنى أرجو أن لا أكون كذلك . قال : فما آفة العلم ونَكَده[(١)] وهُجْنته ؟ قلت : تُخبرنى ؛ قال : آفتهُ النسيان ، ونَكَده[(١)] الكذب ، وهُجْنته نشره عند غير أهله .

لعبد الله بن عباس فى طالبى العلم والدنيا

وقال عبدُ الله بن عبّاس رضوان الله عليهما : مَنْهومان لا يَشبعان : طالِب علم وطالب دنيا[(٢)] .

(١) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « ونكرته » .
(٢) نسب هذا القول مع اختلاف يسير فى محاضرات الأدباء (ج ١ س ٢٨) للنبى صلى الله عليه وسلم .

ولهأيضاً

وقال : ذَلَلتُ طالباً فعَزَزْتُ مطلوباً .

بين أبى هريرة ورجل

وقال رجل لأبى هُريرة : أُريد أن أطلب العِلْمَ وأخاف أن أُضيِّعه ؛ قال : كفاك بتركِ طَلَبِ العِلم إضاعةً له .

لعبد الله بن مسعود فى التعلم

وقال عبدُ الله بن مسعود : إن الرجل لا يُولد عالماً ، وإنما العِلم بالتعلّم .

شعر غير منسوب فى العلم

وأخذه الشاعر فقال :

تَعَلّم فليسَ المرء يُولد عالماً وليس أخو عِلم كمن هو جاهِلُ

ولآخر :

تَعَلّم فليس المرء يُخلق عالماً وما عالمٌ أمراً كمن هو جاهلُ

ولآخر :

ولم أرَ فرعاً طال إلاّ بأصْلِهِ ولم أرَ بَدْءَ العِلم إلاّ تَعَلّما

وقال آخر :

العِلْم يُحْيِي قُلوبَ الميّتين كما تَحْيا البلادُ إذا مامَسَّها المَطَرُ

والعِلم يَجْلو العَمَى عن قَلْب صاحِبه كما يُجَلِّى سوادَ الظُّلْمة القَمَرُ

لبعض الحكماء فى ذلك

وقال بعضُ الحكماء : اقصِد من أصناف العِلم إلى ما هو أشهى لنفسك ، وأخفُّ على قَلبك ، فإنّ نفاذَكَ فيه على حَسَب شَهوَتك له وسُهولتِه عليك .

فضيلة العلم

لعلى بن أبى طالب يحدث كميلا النخعى فى العلم

حَدّثنا أيوب بن سُليمان[1] قال حَدّثنا عامر بن مُعاوية عن أحمد بن عِمْران

---

(١) كذا فى ا ، ى . وهو أيوب بن سليمان بن صالح بن هشيم المعافرى ، أبو صالح القرطبى . والذى فى سائر الأصول : « ... أيوب بن سليمان بن عامر ... الخ » . وفيه تحريف ظاهر . (انظر الديباج المذهب) .

الأخنس[١] عن الوليد بن صالح الهاشمىّ عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفى عن أبى مِخْنف عن كُميل النَّخعىّ ، قال :

أخذ بيدى علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، فخرج بى إلى ناحية الجبّانة ، فلما أصحر تنفس الصُّعداء ، ثم قال : يا كُميل ، إنّ هذه القلوب أوْعِيَة ، فخيْرها أوعاها ، فاحفظ عنّى ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ربّانى ، ومُتعلّم على سبيل نَجاة ، وهَمَج رَعاع ، أتْباع كلّ ناعق ، مع كلّ رِيح يَميلون ، لم يَسْتضيئوا بنُور العِلْم ، ولم يَلْجأوا إلى رُكْن وَثيق . يا كميل : العِلم يحْرُسك وأنت تحرُس المال ، والمال تَنْقصه النَّفقة ، والعِلم يزكو على الإنفاق ، ومَنفعة المال تزول بزواله[٢] . يا كميل : محبّة[٣] العلْم دِين يُدان به ، يَكسب الإنسان الطاعةَ فى حياته ، وجَميل الأحدوثة بعد وَفاته . والعِلم حاكم ، والمال محكوم عليه . يا كميل : مات خزّان المال وهم أحياء ، والعُلماء باقون ما بَقِى الدهر ، أعيانهم مَفْقودة ، وأمثالهم[٤] فى القلوب مَوْجودة . ها إنّ هاهُنا لعِلْماً جَمّا — وأشار بيده إلى صَدْره — لو وَجدت له حَمَلة ؛ بلى[٥] أجد لَقِناً غير مَأمون[٦] ، يستَعمل [آلة][٧] الدِّين للدُّنيا ، ويَسْتظهر بِنِعَم الله على عِباده ، وبحُجَجه على أوْليائه[٨] ، أو مُنقاداً لحمَلة الحق ولا بَصيرة له

(١) فى الأصول الأخفش . ولعله محرف عما أثبتناه . (انظر ميزان الاعتدال للذهبى) .
(٢) فى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ٣١١) : « وصنيع المال يزول بزوله » .
(٣) فى شرح نهج البلاغة : « معرفة » .
(٤) كذا فى ا ، ى وشرح نهج البلاغة . والذى فى سائر الأصول : « وأثقالهم » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى شرح نهج البلاغة . والذى فى الأصول : « فلا » .
(٦) كذا فى ا ، ى وشرح نهج البلاغة . والذى فى سائر الأصول : « مأفون » .
(٧) هذه الكلمة عن شرح نهج البلاغة .
(٨) كذا فى شرح نهج البلاغة . والذى فى الأصول : « يستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعم الله على كتابه » .

فى أحنائه[١] ، يَنْقدح الشكُّ فى قلْبه لأوّل عارض من شُبهة ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[٢] ؛ [أو مَنهوماً باللذّة سَلِسَ القياد للشهوة ، أو مُغرماً بالجمع والادخار][٣] ، ليسا[٤] من رُعاة الدين [فى شىء] ، أقربُ شبهاً بهما[٥] الأنعامُ السائمة ، كذلك يموت العِلْم بموت حامِليه ؛ اللهم بلَى ، لا تخلو الأرضُ من قائم بحجة الله ، إما ظاهراً مشهوراً ، وإما خائفاً مَغموراً[٦] ، لئلا تبطل حُجج الله وبيّناته ، وكم ذا وأين[٧] ؟ أولئك [والله] الأقلّون عدداً ، والأعْظمون [عند الله][٨] قدراً ، بهم يحفظ الله حُجَجَه [وبيّناته][٨] ، حتى يُودعوها نُظراءهم ،
٢٠١ / ١ ويَزْرعوها فى قلوب أشْباههم ، هَجَمَ بهم العِلم على حَقِيقة الإيمان[٩] حتى باشَرُوا رُوح اليقين ، فاستَلانوا ما استَخْشن المُترفون ، وأنِسوا بما استَوْحش منه الجاهلون ، وصَحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعلّقة بالرّفيق الأعلى . يا كُميل : أولئك خُلفاء الله فى أرضه ، والدُّعاة إلى دِينه ، آه آه شَوْقاً[١٠] إليهم ، انصرف [يا كميل] إذا شئت .

للخليل بن أحمد فى تفضيل العلم على المال

قِيل للخَلِيل بن أحمد : أيُّهما أفضل ، العِلم أو المال ؟ قال : العِلم . قيل له : فما بالُ العُلماء يَزْدحمون على أبواب الملوك ، والملوك لا يَزْدحمون على أبواب

---

(١) كذا فى ١ ، ى وشرح نهج البلاغة . والذى فى سائر الأصول : « أحبائه » . وهو تحريف .
(٢) فى شرح نهج البلاغة : « ألا لاذا ولا ذاك » .
(٣) التكملة عن شرح نهج البلاغة .
(٤) كذا فى ١ ، ى وشرح نهج البلاغة . والذى فى سائر الأصول : « ليس » .
(٥) كذا فى ١ ، ى وشرح نهج البلاغة . والذى فى سائر الأصول : « بناء » . وهو تحريف .
(٦) كذا فى شرح نهج البلاغة . والذى فى الأصول : « ظاهر أو خائف مقهور » .
(٧) كذا فى ١ ، ى وشرح نهج البلاغة . والذى فى سائر الأصول : « وكم رأينا » .
(٨) التكملة عن شرح نهج البلاغة .
(٩) فى شرح نهج البلاغة : « البصيرة وباشروا » .
(١٠) فى شرح نهج البلاغة : « شوقا إلى رؤيتهم » .

العُلماء ؟ قال : ذلك لمَعرفة العُلماء بحق المُلوك ، وجَهل الملوك بحق العلماء .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى فضل العلم

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَضْل العِلم خَيْر من فَضْل العبادة .

وقال عليه الصلاةُ والسلام : إنّ قَليلَ العَمل مع العِلْم كثير ، كما أنّ كَثيرَه مع الجهل قليل .

وقال عليه الصلاةُ والسلام : يَحمل هذا العِلم من كل خَلَف عُدُولُه ، يَنْفون عنه تَحريف القائلين ، وانتحالَ المُبْطلين ، وتأويل الجاهلين .

للأحنف بن قيس

وقال الأحنف بن قيس : كاد العُلماء أن يكونوا أَرْبابا ، وكلُّ عِزّ لم يُوَكَّد[1] بعِلْم فإلى ذُلّ ما يَصير .

لأبى الأسود

وقال أبو الأَسْوَد الدُّؤَلىّ : الملوك حُكّام على الدُّنيا ، والعُلماء حُكّام على الملوك

لأبى قلابة

وقال أبو قِلابة : مَثَل العُلماء فى الأرض مَثَل النجوم فى السماء ، مَن تَركها ضَلّ ، ومَن غابت عنه تَحيّر .

لسفيان بن عيينة

وقال سُفيان بن عُيينة : إنما العالم مثلُ السِّراج ، مَن جاءه اقتبس من عِلْمه ، ولا يَنقُصه شيئا ؛ كما لا يَنقُص القابسُ من نُور السِّراج شيئاً .

فى بعض الأحاديث

وفى بعض الأحاديث : إنّ الله لا يَقتل نَفْس التَّقىّ العالم جُوعا .

للحسن بن أبى الحسن البصرى

وقيل للحَسن بن أبى الحَسن البَصْرىّ : لِمَ صارت الحِرْفة مَقْرونة مع العِلْم ، والثَّروة مَقْرونة مع الجَهْل ؟ فقال : ليس كما قُلتم ، ولكنْ طَلبتم قليلاً فى قَليل فأعجزكم : طَلبتم المالَ وهو قليل [فى الناس][2] فى أهل العِلْم وهُم قَليل [فى الناس][2] ، ولو نَظرتم إلى من احترف مِن أهل الجَهْل لوَجدتموهم أكثر .

وقال الله تبارك وتعالى : « إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ » و « وَمَا يَعْقِلُها إلاّ العالِمُون » .

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « يكسب » .
(٢) التكملة عن عيون الأخبار (ج ٢ س ١٢٤) .

كلام وشعر غير منسوب فيمن منع العلم أهله أو أعطاه غير أهله

وقيل : لا تَمنعوا العِلم أهلَه فتَظلمُوهم ، ولا تُعطوه غيرَ أهله فتَظلموه .

ولبعضهم :

مَنْ مَنعَ الحِكْمَةَ أرْبابَها أصْبح فى الحُكْم لهم ظالِمَا
وواضِعُ الحِكْمة فى غَيْرِهم يكون فى الحُكْم لها غاشِما
سَمِعتُ يومًا مثلاً سائراً وكُنتُ فى الشِّعر له ناظِما :
لاَ خَيْرَ فى ٱلْمَرْء إذَا ما غَدَا لاَ طالبًا عِلْمًا ولاَ عَالِمَا

لبعض العلماء

وقيل لبعض العُلماء : كيف رأيتَ العِلم ؟ قال : إذَا اغتممتُ سَلْوَتى ، وإذا سَلَوت لذَّتى .

شعر لسابق البربرى وغيره

وأُنشد لسابق البَرْبرىّ :

العِلم زَيْن وتَشْريفٌ لصاحبه والجَهْل والنَّوكُ مَقْرُونان فى قَرَنِ

ولغيره :

وإذَا طَلَبتَ العِلم فاْعْلَم أنَّه حِمْل فأَبصِر أىَّ شىء تَحْمِلُ
وإذَا علمتَ بأنه مُتفاضِلٌ فاْشغَل فؤادَك بالذى هو أفضلَ

للأصمعى فى مراحل التعلم

الأصمعىّ قال :

أوّل العِلْم الصَّمْت ، والثانى الاستماع ، والثالث ٱلْحِفْظ ، والرابع العَمَل ، والخامس نَشْرُه .

لبعضهم

ويُقال : العالم والمتعَلّم شريكان ، والباقى هَمَج .

لبعض الشعراء

وأُنشِد :

لاَ يَنفعُ العِلم قلباً قاسياً أبداً ولاَ يَلين لفكِّ الماضِغ الحجرُ[1]

لمعاذ بن جبل فى الحض على طلب العلم

وقال مُعاذ بن جَبَل : تعلّموا العِلْم فإنّ تَعلُّمه حسنة ، وطَلَبه عِبادة ، وبَذْلَه

(١) فى ا : « لقلب الواعظ » مكان « لفك الماضغ » والصواب ما أثبتناه .

لأهله قُرْبة . والعِلم مَنار سَبيل أهل الجنّة ، والأنيسُ فى الوَحْشة ، والصاحب فى الغُربة ، والمُحدِّث فى الخَلْوة ، والدَّليلُ على السَّرّاء والضَّرّاء ، والزَّين عند الأخلاء ، والسِّلاح على الأعداء . يَرْفع الله به قومًا فيجعلهم قادةً أئمة تُقتفَى آثارُهم ، ويُقتدَى بفعالهم . والعِلم حياة القَلْب من الجهل ، ومِصْباح الأبصار من الظُّلمة ، وقوّة الأبدان من الضّعف . يبلغ بالعَبد مَنازلَ الأخيار ، والدّرجات العُلا فى الدُّنيا والآخرة . الفِكْر فيه يَعدِل الصِّيامَ ، ومُذاكرته القِيامَ ، و به تُوصَل الأرْحام ، ويُعرَف الحلال من الحرام .

شعر لابن طباطبا

ولابن طَباطَبا العَلوىّ :

[حَسُودٌ مريض القَلْب يُخْفِى أنينَه ... ويُضْحِى كئيب البال عِنْدى حزينَه](١)
يَلومُ على أنْ رُحتُ فى العِلم طالبًا ... أُجَمِّع من عِنْدِ الرِّجال فُنُونَه
فأمْلِكُ أبكارَ الكلامِ وعُونَه ... وأحْفَظ مِمَّا أستَفِيد عُيُونه
ويَزْعُم أنّ العِلم لا يَجْلب الغِنَى ... ويُحْسِن بالجهل الذّميم ظُنُونه
فيالائمى دَعْنِى أُغالِ بِقِيمَتى ... فَقِيمةُ كلِّ الناس ما يُحْسِنُونه]

ضبط العلم والتثبت فيه

لمحمد بن عبد الله فى معنى هذا العنوان

قِيل لمحمّد بن عبد الله بن عُمَر(٢) رضى الله عنه : ما هذا العِلم الذى بِنْتَ به عن العالَم ؟ قال : كنتُ إذا أخذتُ كتابًا جعَلْته مِدْرَعة .

لرقبة بن مصقلة

وقيل لرَقَبةَ بن مَصْقَلة(٣) : ما أكثر شَكّك ؟ قال : مُحاماةً عن اليقين .

---

(١) هذا البيت عن محاضرات الأدباء (ج ١ ص ١٧) .
(٢) فى ا ، ى : « عمرو » .
(٣) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار (ج ٢ ص ١٣٩) . والذى فى سائر الأصول : « مصقلة » مكان قوله « رقبة بن مصقلة » .

بين شعبة وأيوب السختيانى فى حديث

وسأل شُعبةُ أيوبَ السَّختيانىَّ عن حديث، فقال: أشُكّ فيه. فقال: شَكّك أحبُّ إلىَّ من يقينى[1].

لأيوب فى التثبت فى النقل

وقال أيُّوب: إنَّ مِن أصحابى مَن أرْتجى بركة دُعائه، ولا أقبَل حديثَه.

للحكماء

وقالت الحكماء: عَلِّمْ عِلمَك مَن يَجهل وتعلم مِمَّن يعلم، فإذا فعلت ذلك حَفِظتَ ما عَلِمتَ، وعَلِمْتَ ما جَهِلتَ.

بين إبراهيم النخعى وعامر الشعبى

وسأل إبراهيمُ النَّخعىُّ عامراً الشَّعبىَّ عن مَسألة، فقال: لا أدْرِى؛ فقال: هذا والله العالِم، سُئِل عمّا لا يَدرِى، فقال: لا أدْرى.

لمالك بن أنس

وقال مالكُ بن أنس: إذا تَرَكَ العالم لا أدرى أُصِيبت مَقاتله.

لعبد الله بن عمرو بن العاص

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: مَن سُئِلَ عما لا يَدرى فقال: لا أدرى، فقد أحرَزَ نِصفَ العِلم.

لبعضهم فى أقسام العلم

وقالوا: العِلمُ ثلاثة: حَديث مُسْنَد، وآية مُحْكَمة، ولا أدْرِى. فجعلوا لاَ أدرى مِن العِلم، إذْ كان صواباً من القول.

للخليل بن أحمد فى تعرف منزلة المعلم

وقال الخَليل بن أحمد: إنك لا تَعرِف خَطأ مُعَلِّمك حتى تجلِس عند غيره[2].

وكان الخليلُ قد غَلَبت عليه الإباضيّة حتى جالسَ أيُّوب[3].

كلمات غير منسوبة فى المكروه محمود عقباه

وقالوا: عوَاقبُ المكَارِه محمودة.

وقالوا: الخَيْر كلُّه فيما أُكْرِهَت النفوسُ عليه.

(١) فى عيون الأخبار: «يقين سبعة».

(٢) نسب هذا الكلام مع اختلاف يسير فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٢٧) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٩) إلى أيوب السختيانى.

(٣) لعله أيوب السختيانى. (انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٦٥).

انتحال العـــلم

الحكماء فى معنى هذا العنوان

قال بعض [الحكماء] : لا يَنبَغى لأحد أن يَنتَحل العِلم ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً » . وقال عزّ وجلّ : « وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيم » .

ما كان من الله لموسى حين ظن أنه أعلم الخلق

وقد ذُكر عن موسى بن عِمْران عليه السلام ، أنه لما كلّمه الله تعالى تَكليما ، وَدَرس التّوراةَ وحَفِظها ، حَدّثته نفسُه : أنّ الله لم يَخلق خلقاً أعلم منه . فهوّن الله عليه نفسَه بالخَضِر عليه السلام .

إفحام رجل لمقاتل بن سليمان حين أدل بعلمه

وقال مُقاتل بن سُليمان ، وقد دَخلَته أُبّهة العِلم : سَلُونى عما تحت العَرْش إلى ٢٠٢/١ أسفل الثّرى . فقام إليه رجلٌ من القوم فقال : ما نسألك عما تحت العرش ، ولا أسفل الثّرى ، ولكن نسألك عمّا كان فى الأرض ، وذَكَره الله فى كتابه ، أخبِرنى عن كَلْب أهل الكَهف ، ما كان لونُه ؟ فأفحمه[1] .

بين قتادة وخادمه فى معنى ما سبق

وقال قَتَادة : ما سمعتُ شيئا قطُّ إلاّ حَفِظْتُه ، ولا حَفِظت شيئا قطُّ فنَسِيته ، ثم قال : يا غلام ، هَاتِ نعلىّ ؛ فقال : هُما فى رِجْليك ، فَفَضحه الله .

شعر لأبى عمرو ابن العلاء وغيره فى هذا المعنى

وأنشد أبو عَمْرو بنُ العلاء فى هذا المعنى :

مَنْ تَحَلَّى بغَيْر ما هو فيــهِ فَضَحَتْهُ شَـواهدُ الإمتحانِ

[وفى هذا المعنى :

مَنْ تَحَلَّى بغَيْر ما هو فيـــهِ شانَ ما فى يَدَيْه ما يَدَّعيــهِ
وإذَا قَلَّلَ الدعاوَى لما فيـــهِ أضافُوا إليه ما ليسَ فيــه
وَيَحكَ الفَــتَى سيظهر للنّا سِ وإن كان دائبًا يُخْفِيه

(١) ذكرت هذه القصة بروايات مختلفة فى تهذيب التهذيب فى ترجمة مقاتل بن سليمان .

بِحَسْب الذى ادَّعى ما عدَاه   أنه عالمٌ بما يَفْــــتَرِيهِ

لشبيب ينصح فتى من دوس

وقال شَبِيب بن شَيْبة لفتى من دَوْس :

لا تُنازِع مَن فوقك ، ولا تقُل إلاّ بعِـلْم ، ولا تتَعاطَ ما لم تَنَـل ، ولا يخالف لسانُكَ ما فى قلبك ، ولا قولُكَ فِعْلَك ، ولا تَدَع الأمرَ إذا أقبـل ، ولا تَطلبهُ إذا أدْبر] .

بعض ما وقع لقتادة فى الحفظ والنسيان

وقال قَتَادة : حَفِظْتُ ما لم يَحفَظْ أحَدٌ ، وأُنسيتُ ما لم يَنْسَ أحَـدٌ ، حَفِظت القرآن فى سَبعة أشهر ، وقَبَضت على لِحْيَتِى وأنا أُريد قَطع ما تحت يدى فقطعتُ ما فوقها .

للشعبي فى تجريح السدي

ومَرَّ الشَّعبى بالسُّدِّىّ(١) ، وهو يفسِّر القرآن ، فقال : لو كان هذا الساعةَ نشوانَ يُضرب على أُسته بالطَّبل ، أما كان خَيْرًا(٢) له ؟

شعر لبعض منتحلى العلم

وقال بعض المُنْتَحِلين :

يُجَهِّلنى قَوْمى وفى عَقْد مِئْزَرى   تمنّون أمثالاً لهم مُحكم العِلْمِ(٣)
وما عَنَّ لى من غامِض العِلم غامضٌ   مَدَى الدَّهر إلا كنتُ منه على فَهْمِ

لعدى بن الرقاع

وقال عَدِيُّ بن الرِّقاع :

وعَـلِمْتُ حتّى ما أُسائِل عالمـا   عَنْ عِلْمِ(٤) واحدةٍ لِـكَىْ أَزْدادَها

---

(١) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى ، وكان الشعبي يحمل عليه . قيل له : إن السدى أعطى حظا من علم القرآن ؟ فقال : قد أعطى حظا من جهل بالقرآن . (انظر تهذيب التهذيب) .

(٢) فى بعض الأصول : « أحسن » .

(٣) فى بعض الأصول : « تجهلنى » مكان « يجهلنى » و « ثمانون » مكان « تمنون » . وفى بعضها الآخر « العقل » مكان « العلم » . ولم نتبين المراد من الشطر الثانى ، فلعل فيه تحريفا لم نوفق إلى الصواب فيه .

(٤) كذا فى الأغانى (ج ٩ ص ٣١٠ طبعة دار الكتب المصرية) . والذى فى الأصول وعيون الأخبار (ج٢ص ١٢٨) والشعر والشعراء فى ترجمة عدى : « حرف » .

شرائط العلم [وما يصلح له]

كلمات غير منسوبة فى معنى هذا العنوان

وقالوا : لا يكون العالم عالما ، حتى تكونَ فيه ثلاثُ خِصال : لا يَحتقر مَن دونه ، ولا يَحْسد مَن فوقه ، ولا يأخذ على العِلم ثمناً .

وقالوا : رأسُ العِلم الخوْف [من] الله [تعالى] .

للشعبى فى صفة العالم

وقيل للشّعبى : أفتنى أيُّها العالم ؛ فقال : إنما العالِم مَن اتّقى الله .

للحسن

وقال الحسن : يكون الرجلُ عالما ولا يكون عابداً ، ويكون عابداً ولا يكون عاقلاً .

مسلم بن يسار

وكان مُسلم بن يسار[١] عالما عابداً عاقلاً .

كلمات غير منسوبة أيضا

وقالوا : ماقُرِن شىء إلى شىء أفضل من حِلْم إلى عِلم ، ومن عَفو إلى قُدْرَة .

وقالوا : من تمام آلة العالِم[٢] أن يكون شديدَ الْهَيْبة ، رَزِينَ المَجْلس ، وَقُوراً صَمُوتاً ، بطىء الالتفات ، قليلَ الإشارات ، ساكِنَ الحَرَكات ، لا يَصْخَب ولا يَغضب ، ولا يُبْهِرَ[٣] فى كلامه ، ولا يَمسح عُثْنونه[٤] عند كلامه فى كلّ حين ؛ فإنّ هذه كلّها من آفات العِىّ .

وقال الشاعر :

مَلِىء بِبُهْرٍ والْتِفاتٍ وسُعْلةٍ ... ومَسْحة عُثْنون وفَتْل الأصابعِ

لخالد بن صفوان فى مدح رجل

ومَدح خالدُ بن صَفْوان رجلاً ، فقال : كان بديعَ المَنْطق ، جَزْلَ الألفاظ ،

---

(١) كذا فى أكثر الأصول وتهذيب التهذيب . وفى ا : « سليمان بن بشار » . وفى ى : « مسلم بن بشار » .

(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « العلم » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « يهم » .

(٤) العثنون : اللحية ، أو ما فضل منها بعد العارضين .

عربىّ اللسان ، قليلَ الحَرَكات ، حسَنَ الإشارات ، حُلْوَ الشمائل ، كثير الطَّلاوَة ، صَمُوتاً وَقُوراً ، يهنأ[1] الجرب ، ويُداوى الدَّبَر[2] ، ويُقِلّ[3] الحزّ ، ويُطبِّق المَفْصِل ، لم يكن بالزَّمِر[4] المروءة ، ولا الهَذِر المَنْطق ، مَتْبوعاً غيرَ تابع .

* كأنّهُ عَلَم فى رأسه نارُ *

شعر لعبد الله ابن المبارك فى مالك بن أنس

وقال عبدُ الله[5] بن المُبارك فى مالك بن أنس رضى الله عنه :

يَأْبَى الجوابَ فما يُراجَع هَيْبَةً ... فالسَّائلون نَوَاكِسُ الأَذْقانِ
هَدْىُ الوَقار وعِزُّ سُلطان التُّقى ... فهو المَهيب وليسَ ذَا سُلْطانِ[6]

وقال عبدُ الله بن المبارك فيه أيضا :

صَمُوت إذا ما الصَّمْتُ زَيَّنَ أهلَه ... وفَتّاقُ أبكار الكلام المُخَتَّمِ
وَعَى ما وَعَى القرآنُ من كلِّ حِكمة ... وسِيطَت[7] له الآدابُ باللَّحْم والدَّمِ

بين عبد الملك بن مروان ورجل عرف بالعلم

ودخل رجلٌ على عبد الملك بن مَرْوان ، وكان لا يَسأله عن شىء إلّا وَجد
٢٠٣ / ١ عنده منهُ عِلماً ، فقال لهُ : أنّى لكَ هذا ؟ فقال : لم أَمْنع قطُّ يا أميرَ المؤمنين علماً أُفيده ، ولم أَحتقر علماً أستفيده ، وكنتُ إذا لَقيت الرَّجُلَ أخذتُ منه وأعطيتُهُ .

---

(١) يهنأ يطلى بالهناء (ككتاب) . وهو القطران .

(٢) الدبر (بالتحريك) : جمع دبرة ، وهى قرحة الدابة . والدبر (كفرح) : الذى أصيب بها . (وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٣٦ من هذا الجزء) .

(٣) كذا فى ى ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٩) والبيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢) . والذى فى ا : « ويجيد » والذى فى سائر الأصول : « ويقد » . وهو تحريف . شبه البليغ الموجز الذى يقل الكلام ويصيب نصوص المعانى بالجزار الرفيق الذى يقل حز اللحم ويصيب مفاصله .

(٤) الزمر القليل المروءة .

(٥) فى ا : « ابن الخياط » مكان « عبد الله بن المبارك » .

(٦) فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ٣٦) :

هدى التقى وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان

وقد جاء فيه هذان البيتان غير منسوبين .

(٧) سيطت : خُلطت .

لبعضهم فى صيانة العلم

وقالوا : لو أنّ أهلَ العلم صانُوا علمَهم اَسَادُوا أهلَ الدُّنيا ، لكن وَضَعُوه غيرَ مَوْضعه فقصّر فى حقّهم أهلُ الدُّنيا .

حفظ العلم واستعماله

لعبدالله بن مسعود فى العمل بالعلم

قال عبدُ الله بن مَسْعود : تعلَّمُوا فإذا عَلِمتم فاعملوا .

لمالك بن دينار

وقال مالكُ بن دِينار : العالِم إذا لم يَعْمل بعِلمه زَلّت مَوْعظته عن القَلْب ، كما يَزل الماء عن الصَّفا .

لبعضهم

وقالوا : لولا العَمَل لم يُطاب العِلم ، ولولا العِلم لم يُطلب العَمَل .

للطائى

وقال الطائىُّ :

ولم يَحْمَدوا مِن عالِمٍ غيرِ عاملٍ   ولم يَحْمدوا مِن عاملٍ غير عالِم

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه : أيها الناس ، تعلَّمُوا كتابَ الله تُعْرَفوا به ، وأعمَلوا به تكونوا من أهله .

لبعضهم فى الكلمة النافعة

وقالوا : الكلمة إذا خرجتْ من القلب وقعتْ فى القلب ، وإذا خرجتْ من اللّسان لم تُجاوز الآذان .

لمالك

وَرَوَى زِياد عن مالك قال : كُنْ عالما أو مُتعلّمًا [أو مُستمعًا] ، وإيّاك والرابعة(١) فإنها مَهلكة ، ولا تكونُ عالما حتى تكون عاملاً ، ولا تكون مؤمنًا حتى تكون تقيًّا .

فى حفظ الحديث

وقال أبو الحسن : كان [وكيع] بن الجرّاح يَسْتحفظ كلَّ يوم ثلاثة أحاديث .

وكان الشّعبى والزُّهرى يقولان : ما سَمِعْنا حديثًا قطُّ وسألْنا إعادَته .

(١) كذا فى ا . والتكملة عنها أيضا : والذى فى سائر الأصول : « والثالثة » .

رفع العلم وقولهم فيه

لعبد الله بن مسعود

قال عبدُ الله بن مسعود : تعلَّمُوا العِلم قبل أن يُرفع .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى قبض العلم

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إنّ الله لا يَقبض العِلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ، ولكن يَقبضه بقَبْض العُلماء .

لعبد الله بن عباس على قبر زيد بن ثابت

وقال عبدُ الله بن عبَّاس رضوان الله عليهما ، لما وُورِيَ زيدُ بن ثابت فى قبره : مَن سرَّه أن يرى كيف يُقبض العلم فهكذا يُقبض .

تحامل الجاهل على العالم

للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب

قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : وَيْل لعالم أمْرٍ من جاهله .

كلمات غير منسوبة

وقالوا : إذا أردتَ أن تُفحم عالما فأَحْضِره جاهلا .

وقالوا : لا تُناظر جاهلا .

وقالوا : لا تُناظر جاهلاً ولا لجوجًا ، فإنه يجعل المُناظرة ذريعة إلى التعلّم بغير شُكر .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذا وغيره

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ارحموا عزيزاً ذلّ ، ارحموا غنيًّا افتقر ، ارحموا عالما ضاع بين جُهَّال .

بين كيسان والخليل بن أحمد

وجاء كَيْسان إلى الخليل بن أحمد يَسأله عن شىء ، ففكَّر فيه الخليلُ ليُجيبه ، فلما استفتح الكلام ؛ قال له : لا أدرى ما تقول ؛ فأنشأ الخليل يقول :

لو كنتَ تعلم ما أقولُ عَذَرْتَنى أو كنتُ أجْهل[1] ما تقولُ عذلْتُكا
لكن جَهِلْتَ مَقالتى فعَذلْتَنى وعلمتُ أنك جاهلٌ فعَذَرْتُكا

(١) فى الأصول : « أعلم » . وهو خطأ من الناسخ .

شعر لحبيب فى معنى ما سبق

وقال حَبِيب :

وعاذِلٍ عذلتُه فى عَذْله فظَنَّ أنّى جاهلٌ مِن جَهْلِه
ما غَبَن المَغْبُونَ مثلُ عَقْلِه مَن لكَ يومًا بأخيك كُلِّه

تبجيل العلماء وتعظيمهم

بين زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس

الشّعبى قال :

رَكِب زيدُ بن ثابت فأخذ عبدُ الله بن عبّاس بركابه ، فقال : لا تَفعل يابن عَمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : هكذا أُمِرْنا أن نَفعل بعُلمائنا . قال زيد : أَرِنى يدَك ، فلما أخرَج يدَه قبّلها ، وقال : هكذا أُمِرنا أن نفعَل بأهل بيت نبيّنا .

فى الحث على خدمة العالم

وقالوا : خِدْمة العالِم عبادة .

لعلى بن أبى طالب فى حق العالم

وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه : من حق العالِم عليكَ إذا أتيتَه أن تُسَلّم عليه خاصّة ، وعلى القوم عامّة ، وتَجْلس قُدّامه ، ولا تُشِر[1] بيدك ، ولا تَغمِز بعَيْنيك ، ولا تَقُل : قال فلان خلافَ قولك[2] ، ولا تأخذ بثَوْبه ، ولا تُلحّ عليه فى السؤال ، فإنما هو بمنزلة النّخلة المُرطبة[3] ، التى لا يزال ٢٠٤/١ يَسقط عليك منها شىء .

فى أدب السؤال

وقالوا : إذا جلستَ إلى العالِم فَسَلْ تَفقُّهًا ولا تَسَلْ تعنُّتًا .

---

(١) فى بعض الأصول وعيون الأخبار : « ولا تشيرَ ... ولا تغمزَ ... ولا تقولَ » بالنصب فى جميعها على العطف .

(٢) فى عيون الأخبار : « خلافًا لقوله » .

(٣) فى بعض الأصول : « المرتبطة » . وهو تحريف .

عويص المسائل

للنبى صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الأغلوطات

الأوزاعىُّ عن عبد الله بن سَعد[١] عن الصُّنابحىّ[٢] عن مُعاوية بن أبى سُفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأُغلوطات . قال الأوزاعىّ : يعنى صِعاب المسائل[٣] .

ما كان من ابن سيرين إذا سئل عن أغلوطة

وكان ابن سِيرين إذا سُئل عن مَسألة فيها أغلوطة ، قال للسائل : أمْسِكها حتى نَسأل عنها أخاكَ إبليس .

بين عمر بن قيس ومالك بن أنس

وسأل عُمَرُ[٤] بنُ قيس مالكَ بن أنَس عن مُحْرِم نَزَع نابَىْ ثعلب ، فلم يَرُدّ عليه شيئاً .

بين عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب

وسأل عُمَرُ بن الخطّاب رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب كرّم الله وَجْهَه ، فقال : ما تقول فى رجُل[٥] أَمَته عند رجل آخر ؟ فقال : يُمسك عنها ، أراد عمر أنّ الرجل يموت وأَمَته عند رجل آخر ، وقولُ علىّ يُمسك عنها . يريد الزّوج يُمسك عن أمَة الميت حتى تَستَبْرِئ من طريق الميراث .

بين عمر بن قيس وسائل مغرب

وسأل رجلٌ عُمَر[٦] بن قيس عن الحَصاة يجدها الإنسان فى ثوبه أو فى

---

(١) كذا فى ا وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « سعيد » .

(٢) هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى (بباء موحدة وحاء بعد الألف) ، نسبة إلى صنابح ، من حمير . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

(٣) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صعاب المسائل . والأوجه ما فسرها به الزمخشرى إذ قال فى الأساس : « وهى المسائل التى يغالط بها » . ويؤيد هذا الخبر التالى فى جواب ابن سيرين والأخبار التى بعده .

(٤) كذا فيما سيأتى فى ى . وهو عمر بن قيس المكى ، المعروف بسندل ، وكانت بينه وبين مالك مواقف . (انظر تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٩٠ — ٤٩٣) . والذى فى الأصول هنا : « عمرو » .

(٥) فى ى : « ابن رجل » .

(٦) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « عمرو » .

خُفّه أو فى جَبْهته من حَصى المَسْجد ؛ فقال : أَرْم بها ؛ قال الرجل : زَعموا أنها تَصِيح حتى تُرد إلى المسجد ؛ فقال : دَعها تصيح حتى يَنْشق حلقها ؛ فقال الرجل : سُبحان الله ! ولها حَلْق ؟ قال : فمن أين تَصِيح ؟

بين مالك بن أنس وسائل عن استواء الله على العرش

وسأل رجلٌ مالكَ بنَ أنس عن قوله تعالى : (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كيف هذا الاستواء ؟ قال : الاستواء مَعْقول والكَيْف مَجهول ، ولا أظنّك إلاّ رجلَ سَوْء .

بينه وبين سائل آخر

وروَى مالكُ بن أنس الحديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا استيقظ أحدُكم من نومه فلا يُدخل يدَه فى الإناء حتى يَغْسِلها ، فإن أحدَكم لا يَدْرى أين باتت يدُه . فقال له رجل : فكيف نَصنع فى المِهْراس أبا عَبد الله ؟ — والمِهْراس : حَوْض مكة الذى يتوضأ الناس فيه — فقال : مِن الله العِلْم ، وعلى الرسول البلاغ ، ومنّا التّسليم ، أَمِرُّوا الحديث .

قول ابن عباس فى رجل أكثر من الطلاق

وقيل لابن عبّاس رضى الله عنهما : ما تقول فى رجل طَلّق امرأته عددَ نُجوم السماء ؟ قال : يَكْفيه منها كوكب الجوزاء .

بين على بن أبى طالب وسائل عن مكان الله

وسُئل علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه : أين كان ربُّنا قبل أن يَخلق السماءَ والأرض ؟ فقال : أين : تُوجب المكان ، وكان الله عزّ وجلّ ولا مكان .

التصحيف

للأصمعى فى رجل شهر بالتصحيف

وذكر الأصمعىّ رجلاً بالتّصحيف ، فقال : كان يَسمع فيَعِي غيرَ ما يَسمع ، ويَكْتب غيرَ ما وَعى ، ويَقرأ فى الكتاب غيرَ ما هو فيه .

لآخر فى مثل ذلك

وذكر آخر رجلاً بالتّصحيف ، فقال : كان إذا نَسخ الكتاب مرّتين عاد سُرْيانيا .

طلب العلم لغير الله

النبي صلى الله عليه وسلم فى معنى هـذا العنوان

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلم : إذا أعطِى الناسُ العِلْمَ ومُنِعوا العَمل (١) ، وتحابُّوا بالألْسن ، وتباغَضوا بالقُلوب ، وتقاطعوا فى الأَرحام ، لعَنهم الله فأصَمَّهم وأعمى أبصارَهم .

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلم : ألا أُخبركم بشرِّ الناس ؟ قالوا : بلَى يا رسولَ الله ؛ قال : العُلماء إذا فَسدوا .

الفضل بن عياض فى العلماء

وقال الفُضَيل بن عِياض : كان العُلَمَاء رَبيعَ الناس ، إذ رآهم المَريضُ لم يسرّه أن يكون صَحيحاً ، وإذا نظر إليهم الفقيرُ لم يوَدَّ أن يكون غنيًّا ، [وقد صاروا اليومَ فتنة للناس] .

عن عيسى عليه السلام فى علماء السوء

(٢) وقال عيسى بن مَرْيم عليه السلام (٣) : سيكون فى آخر الزمان عُلماء يُزَهِّدون فى الدُّنيا ولا يزهدون ، ويُرَغِّبون فى الآخرة ولا يَرْغبون ، يَنهَوْنَ عن إتيان الوُلاة ولا ينْتهون ، يُقرِّبون الأَغْنياء ، ويُبْعِدون الفُقراء ، و يتَبسَّطون للكبراء ، ويَنْقبضون عن الحُقَراء ، أولئك إخوانُ الشياطين وأعداء الرحمن .

لمحمد بن واسع فى الترغيب عن الدنيا

وقال محمد بن واسع : لأن تَطلُبَ الدنيا بأقبحَ مِمّا تطلبُ به الآخرةَ خيرٌ من أن تطلبَها بأحسَن مما تطلب به الآخرةَ .

للحسن فى العلم النافع

وقال الحسن : العِلْمُ عِلمان ، عِلم فى القَلْب ، فذاك العِلم النافع ، وعِلم فى اللسان ، فذاك حجّة الله على عِباده .

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « العلم » ولا يستقيم به الكلام .

(٢) هذا الخبر والأخبار السبعة بعده جاءت فى أكثر الأصول تحت العنوان الآتى : « باب من أخبار العلماء والأدباء » ، وقد أثبتناه هنا عن ا ، ى لجريها مع أخبار هذا الباب الذى نحن بصدده .

(٣) فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٢٩) : « قال بعض السلف » .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى منزلة حملة القرآن والفقهاء عند الله

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلم : إن الزّبانية لا تخرج إلى فَقيه ولا إلى حَمَلة القرآن إلا قالوا لهم : إليكم عنّا ، دُونكم عَبدةَ الأوثان . فيَشْتكون إلى الله ، فيقول : ليس من عَلِم كمن لم يَعلم[1] .

لمالك بن دينار

وقال مالك بن دِينار : مَن طلب العِلم لنفسه فالقَليل منه يَكْفِيه ، ومَن طَلبه للنّاس فحوائجُ الناس كثيرة .

لابن شبرمة

وقال ابن شُبْرمة : ذَهب العِلم إلا غُبَّرات[2] فى أوْعية سوء .

للنبى صلى الله عليه وسلم فيما يزج بطالب العلم فى النار

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : مَن طلب العِلْم لأَرْبَع دَخل النارَ : مَن طلبه ليُباهى به العُلماء ، وليُمارِى به السُّفهاء ، وليَسْتَمِيل به وُجوه الناس إليه ، أو ليأْخذَ به من السلطان .

بين مالك بن دينار وأصحابه وقد فقد مصحفه

وتكلّم مالكُ بن دِينار فأبْكَى أصحابَه ، ثم افتقد مُصْحفه ، فنظَر إلى أصحابه وكلهم يَبْكِى ، فقال : وَيحكم ! كلكم يبكِى ، فمن أخذ هذا المُصحف ؟

بين أحمد بن أبى الحوارى وأبى سليمان

قال أحمد بن أبى الحَوَارىّ : قال لى أبو سُليمان فى طريق الحجّ : يا أحمد ، إنّ الله قال لِموسى بن عِمْران : مُرْ ظَلَمة بنى إسرائيل أن لا يَذْكرونى فإنى لا أذكر من ذَكرنى منهم إلا بلَعْنة حتى يَسْكت . وَيحك يا أحمد ! بَلغنى أنه من حجّ بمالٍ من غير حِلّه ثم لبَّى قال الله تبارك وتعالى : لا لَبّيك ولا سَعْدَيْك حتى تُؤَدِّى ما بيديك ، فما يؤمننا أن يُقال لنا ذلك .

---

(١) رواية هذا الحديث فى ا ، ى هنا : « إن الزبانية لأسرع الى فساق حملة القرآن منهم الى عبدة الأوثان ، وفيشتكون الى الله ، فيقول : ليس من علم كمن لم يعلم » . وهكذا جاء فيما سيأتى من جميع الأصول عند الكلام على حملة القرآن .

(٢) كذا فى ا . والغبرات : جمع غبر (بضم الغين وتشديد الباء الموحدة) . وهى البقية . والذى فى سائر الأصول : « غبارات » .

باب من أخبار العلماء والأدباء

كلام لابن عباس فى الخلفاء الراشدين

أملى أبو عبد الله محمدُ بن عبد السّلام الخُشَنى[1] ، أن عبد الله بن عبّاس سُئِل عن أبى بكر رضى الله عنه ، فقال : كان والله خيراً كلّه مع الحِدَّة التى كانت فيه . قالوا : فأخْبِرنا عن عمر رضوانُ الله عليه . قال : كان والله كالطَّير الحَذِر الذى نُصِب نخٌ له فهو يخاف أن يقع فيه . قالوا : فأخبِرنا عن عثمان رضوانُ الله عليه . قال : كان والله صَوَّامًا قوّامًا . قالوا : فأخبِرنا عن علىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه . قال : كان والله ممن حَوَى عِلْماً وحِلماً ، حَسْبك من رجل أعزّته سابقتُه وقدّمته قرابتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّما أشرف على شىء إلا ناله . قالوا : يقال إنه كان مَحْدودا[2] ؛ قال : أنتم تقولونه .

٢٠٥/١

الحسن البصرى فى وصف على بن أبى طالب

وذكروا أن رجلاً أتى الحسَنَ ، فقال : أبا سَعِيد ، إنهم يزعمون أنك تُبْغِض عليًّا ، فبكى حتى أخضلَت لحيته ، ثم قال : كان علىُّ بنُ أبى طالب سهمًا صائبًا من مَرامِى الله على عدوّه ، ورَبَّانىَّ هذه الأمّة ، وذا فَضْلها ، وذا قَرابةٍ قَريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنَّئومة عن أمر الله ، ولا بالمَلُولة فى حق الله ، ولا بالسَّرُوقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مُونِقة ، وأعْلام بيِّنة ، ذاك علىُّ بن أبى طالب يا لُكَع[3] .

---

(١) كذا فى ا ، ى والأنساب للسمعانى وبغية الوعاة للسيوطى . والذى فى سائر الأصول : « الحسنى » . وهو تصحيف .

(٢) كذا فى ا ، ى والبيان والتبيين (ج ٣ ص ١٣٥) . والذى فى سائر الأصول : « مجدودا » بالجيم . والخبر فى البيان يختلف عنه هنا فى كثير من ألفاظه وعباراته فارجع إليه .

(٣) ذكر هذا الحديث فى الأمالى (ج ٣ ص ١٩٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٥٤) مع اختلاف فى ألفاظه . فارجع إليهما .

خالد بن صفوان فى وصف الحسن البصرى

وسُئل خالدُ بن صَفوان عن الحسَن البَصْرىّ ، فقال : كان أشبهَ الناس علانيةً بسَرِيرة ، وسريرة بعلانِية ، وآخذَ الناسِ لنفْسه بما يَأْمُرُ به غيرَه . [ياله] من رجل اسْتغنى عمّا فى أيدى الناس من دُنياهم ، واحتاجُوا إلى ما فى يَدَيْه من دِينهم .

بين عروة بن الزبير وعبدالملك ابن مروان

ودَخل عُروة بن الزبير بُستانًا لعبد المَلِك بن مَرْوان ، فقال عُروة : ما أحسنَ هذا البستان ! فقال له عبدُ الملك : أنت والله أحسنُ منه ، إنّ هذا يُؤتى أُكله كلَّ عام ، وأنت تُؤتى أُكلك كلَّ يوم .

محمد بن شهاب بين يدى عبد الملك

وقال محمدُ بن شهاب الزُّهرىّ : دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان فى رجال من أهل المدينة ، فرآنى أحدثَهم سنًّا ، فقال : من أنت ؟ فانتسبتُ إليه ، فعرَفنى ؛ فقال : لقد كان أبوك وعمُّك نَعّاقَيْنِ فى فِتْنة ابن الزُّبير ؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، مثلُك إذا عفا لم يَعُدّ ، وإذا صَفح لم يُثرِّب ؛ قال لى : أين نشأتَ ؟ قلتُ بالمدينة ؛ قال : عند مَن طلبت ؟ قلت : عند ابن يَسار وقَبِيصة[1] ابن ذؤيب وسَعيد بن المُسيَّب ؛ قال لى : وأين كنت من عُروة بن الزبير ؟ فإنه بَحر لا تُكدِّره الدِّلاء .

كلمة الحسن البصرى فى الصحابة

وذُكر الصحابةُ عند الحَسَن البَصرىّ ، فقال : رَحِمهم الله ، شَهِدوا وغِبْنا ، وعَلِموا وجَهِلنا ، فما اجتمعوا عليه اتَّبعنا ، وما اختلفوا فيه وَقَفْنا . ٢٠٦/١

لابن المهدى فى شعبة وسفيان وابن المبارك

وقال جعفرُ بن سُليمان : سمعتُ عبدَ الرحمن بن مَهدىّ يقول : ما رأيتُ أحدًا أقشفَ من شُعبة ، ولا أعبدَ من سُفيان ، ولا أحفظَ من ابن المُبارك .

---

(١) كذا فيما سبق من هذا الجزء (ص ١٤٤) . وهو قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعى أبو سعيد ، ممن أخذ عنهم الزهرى . والذى فى الأصول هنا : « ابن أبى ذئب » . والمعروف أن ابن أبى ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ممن أخذوا عن الزهرى لا ممن أخذ الزهرى عنهم . (انظر تهذيب التهذيب (ج ٨ ص ٣٤٦ ، ج ٩ ص ٣٠٣) .

وله أيضا فى عطاء وابن سيرين ورجاء

وقال : ما رأيتُ مثلَ ثلاثة : عطاء بن أبى رَباح بمكة ، ومحمد[1] بن سيرين بالعراق ، ورجاء بن حَيوة بالشام .

لأهل مكة فى عطاء بن أبى رباح وشىء عنه

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبى رَباح فيكم ؟ فقالوا : كان مثلَ العافية التى لا يُعرف فضلها حتى تُفقد .

وكان عطاء بن أبى رَباح أسودَ أعورَ أفطسَ أشلَّ أعرجَ ثم عَمِى ، وأمُّه سوداء تُسمَّى بَرَكة .

شىء عن الأحنف ابن قيس

وكان الأحنفُ بن قَيس : أعورَ أعرجَ ، ولكنه إذا تكلّم جلا عن نفسه .

للشعبى يصف نفسه

وقال الشَّعبى : لولا أنى زُوحمت فى الرَّحم ما قامت لأحد معى قائمة ، وكان توْأمًا .

لطاووس فى قتادة

وقيل لطاووس : هذا قتادة يُريد أن يأتيك ، قال : لئن جاء لأقُومنّ ؛ قيل إنه فقيه ، قال : إبليس أفقه منه ؛ قال : (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى) .

للشعبى فى القضاة

وقال الشَّعبىّ : القُضاة أربعة : عُمَر وعلىّ وعبد الله وأبو موسى .

للحسن فيمن صحبوا النبى ابنا وأبا وجدا

وقال الحَسَن : ثلاثة صَحِبُوا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، الابنُ والأبُ والجدّ[2] : عبد الرحمن بنُ أبى بكر بن أبى قُحافة ، ومَعْن بن يَزيد بن الأخنس السُّلمىّ .

شىء عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة

وكان عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود فقيهًا شاعرًا ، وكان أحدَ السَّبعة من فُقهاء المدينة .

للزهرى عنه

وقال الزُّهرى : كنتُ إذا لقيتُ عُبيدَالله بن عبدالله ، فكأنما أفجُر به بَحرًا .

ولعمر بن عبد العزيز

وقال عمرُ بن عبد العزيز : وَدِدْتُ لو أنّ لى مجلسًا من عُبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مَسعود لم يَفُتْنى .

---

(١) كذا فى ا ، ى . وزيد فى سائر الأصول : « وطاووس » قبل « ومحمد » . ولا تستقيم العبارة بهذه الزيادة .

(٢) الابن وما عطف عليه ، بدل من قوله ثلاثة .

بين ابن عتبة وسعيد بن المسيب

ولَقِيَه سعيدُ بن المُسيَّب فقال له : أنت الفقيه الشاعر[1] ؟ قال : لا بد للمَصْدور أن يَنْفُث .

شعر ابن عتبة الى عمر بن عبد العزيز فى شىء كرهه منه

وكتب عُبيد الله بن عبد الله إلى عُمَر بن عبد العزيز، و بلغه عنه شىء يكرهه :

أبا حَفْصٍ أتانى عَنك قَولٌ ... قُطِعتُ به وضَاق به جَوابى
أبا حَفْصٍ فلا أَدْرِى أَرَغْمِى ... تُرِيد بما تُحاول أم عِتابى
فإنْ تك عاتبا تُعْتِبْ وإلّا ... فما عُودى إذًا بيَرَاعٍ غاب
وقد فارقتُ أعظمَ منك رُزْءًا ... وواريتُ الأَحِبَّة فى التراب
وقد عَزَّوا على وأسْلَمونى ... معًا فَلَبِسْتُ بعدهُم ثِيابى

خالد بن يزيد بن معاوية وشىء من شعره

وكان خالدُ بنُ يزيدَ بنِ مُعاوية أبو هاشم عالمًا كثيرَ الدِّراسة للكُتب وربما قال الشعرَ، ومن قوله :

هَــلْ أنت مُنْتفِعٌ بِعلْـمك مرّةً والعِلم نافِعْ
ومِنَ المُشير عليــك بالــرَّأى المُسدَّد أنت سامِع
الموتُ حَوْضٌ لا محا لةَ فيـه كلُّ الخَلْق شارع
ومِن التُّقَى فازْرَع فإنــك حاصِدٌ ما أنتَ زارِع

لعمر بن عبد العزيز فى خالد بن يزيد

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز : ما ولدتْ أُميَّةُ مثلَ خالد بن يزيد، ما أستثنى عثمانَ ولا غيرَه .

بين الحسن وابن جبير وقد هم بالانصراف عن جنازة

وكان الحسن فى جِنازة فيها نوائحُ ، ومعه سَعِيدُ بن جُبير[2] ، فهمّ سعيد بالانصراف ، فقال له الحسنُ : إنْ كنتَ كلّما رأيتَ قبيحًا تركتَ له حسنًا أسرعَ ذلك فى دِينك .

(١) فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٤٨) : « وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه » .
(٢) فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٩) : « ومعه رجل » مكان قوله « ومعه سعيد ابن جبير » .

لابن المبارك فى سفيان الثورى

وعن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة عن ابن المُبارك قال : عَلَّمنى سُفيان الثَّوْرِىّ اختصار الحديث .

مالك بعد موت نافع

وقال الأصمعىّ : حَدَّثنا شُعبة قال : دخلتُ المدينة فإذا لمالك حَلْقة وإذا نافع قد مات قبل ذلك بسَنة ، وذلك سنة ثمانىَ عشرة ومائة .

لأبى الحسن فى يحيى بن معين

٢٠٧/١ وقال أبو الحسن بن محمد : ما خَلق الله أحداً كان أعرف بالحديث من يَحيى ابن مَعِين ، كان يُؤتى بالأحاديث قد خلطت وقُلبت ، فيقول : هذا الحديثُ لذا وذا لهذا ، فيكون كما قال .

لشريك يصف نفسه

وقال شَرِيك : إنى لأسمع الكلمةَ فيتغيَّر لها لَوْنى .

لابن المبارك فى حيوة وأبى عون

وقال ابن المُبارك : كلٌّ من ذُكر لى عنه وجدتُه دون ما ذُكر إلا حَيْوة ابن شُرَيح وأبا عَوْن[1] .

شىء عن حيوة فى البر بأمه

وكان حَيْوة بن شُرَيح يَقعُد للناس ، فتقول له أمه : قُمْ يا حَيْوة ألقِ الشعيرَ للدَّجاج ، فيقوم .

ما سمعه سليمان ابن التيمى عن سفيان الثورى من الأحاديث

وقال أبو الحسن : سمع سليمان التَّيمى من سُفيان الثَّورى ثلاثةَ آلاف حديث .

يحيى بن اليمان وابنه داود

وكان يحيى بن اليمان يَذْهب بابنه دوادَ كلَّ مذهب ، فقال له يوماً : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان عبدُ الله[2] ، ثم كان عَلْقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم كان مَنصور ، ثم كان سفيان . ثم كان وَكيع ، قم يا داود : يعنى أنه أهلٌ للإمامة . ومات داود سنة أربع ومائتين .

وقال الحسن[3] : حدَّثنى أبى قال : أمر الحجاجُ أن لا يؤُمّ بالكوفة إلا عربىّ .

---

(١) فى ا : « ابن عون » . وكلاهما صواب . فهو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى أبو عون : (انظر تهذيب التهذيب) .

(٢) هذه العبارة « ثم كان عبد الله » ساقطة فى ا .

(٣) فى ا ، ى : « أبو الحسن » .

قصة ليحيي بن وثاب فى إقامته لقومه

وكان يحيي بن وثّاب يؤمّ قومه بنى أسد، وهو مولًى لهم؛ فقالو: اعتزل؛ فقال: ليس عن مِثلى نَهى، أنا لاحقٌ بالعرب. فأبَوا، فأتى الحجاجَ فقرأ؛ فقال: مَن هذا؟ فقالوا: يحيي بن وثّاب؛ قال: مالَه؛ قالوا: أمرتَ أن لا يؤمّ إلا عربىّ فنحّاه قومُه؛ فقال. ليس عن مِثل هذا نَهيتُ، يُصلّى بهم. قال: فصلّى بهم الفجر والظُّهر والعصر والمغْرب والعِشاء، ثم قال: اطلُبوا إماماً غيرى، إنما أردتُ أن لا تَستذلّونى؛ فأمّا إذ صار الأمرُ إلىّ، فأنا أؤمّكم؟ لا ولا كرامة.

بين يحيي بن اليمان وقومه وقد كرهوا إمامته

وقال الحسن[1]: كان يحيَي بن اليمان يُصلّى بقومه، فتعصّب عليه قومٌ منهم. فقالوا: لا تُصلِّ بنا، لا نَرضاك، إن تقدّمت نحّيْناك: فجاء بالسيف فسَلّ منه أربعَ أصابعَ ثم وَضعه فى المحراب، وقال: لا يَدْنُو منى أحدٌ إلا ملأتُ السيفَ منه؛ فقالوا: بيننا و بينك شَريك؛ فقدّموه إلى شريك فقالوا: إن هذا كان يُصلّى بنا وكرِهناه؛ فقال لهم شريك: من هو؟ قالوا: يحيي بن اليمان؛ فقال: يا أعداء الله، وهل بالكُوفة أحدٌ يُشبه يحيي؛ لا يُصلِّ بكم غيرُه. فلما حَضرتْه الوفاة، قال لابنه داود: يا بُنى، كاد دِينى يَذهب مع هؤلاء، فإن اضطرّوا إليك بعدى فلا تُصلِّ بهم.

شىء عن فاقة يحيي بن اليمان

وقال يحيي بن اليمان: تزوّجتُ أم داود وما كان عِندى ليلةَ العُرس إلا بطِّيخة؛ أكلتُ أنا نِصفَها وهى نِصفَها، وولدت داودَ، فما كان عندنا شىء نلفّه فيه، فاشتريتُ له كُسْوة بحبّتَين، فلففناه فيها.

شىء عن على وابن مسعود وصف عبدالملك لروح

وقال الحسن[1] بن محمد: كان لعلىّ ضَفِيرتان، ولابن مَسْعود ضَفِيرتان. وذكرعبدُالملك بن مرْوان رَوْحا[2]، فقال: ما أُعطِى أحدٌ ما أُعطِىَ أبو زُرْعة،

(١) فى ا، ى: «أبو الحسن».

(٢) هو روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا زرعة.

أُعْطِى فِقْه الحجاز ، ودَهاء أهل العراق ، وطاعةَ أهل الشام .

رأى مالك بن أنس فيما كان بين على وعثمان وطلحة والزبير

ورُوى أنّ مالكَ بن أنس كان يَذْكُر عُثمان وعليًّا وطَلْحَة والزُّبير ، فيقول : والله ما اقتتلوا إلا على الثَّريد الأعفر[١] .

الحسن البصرى فى على وعثمان

ذكر هذا محمدُ بن يزيد فى الكامل ، [ثم] قال : فأما أبو سعيد الحَسَن البَصرىّ فإنه كان يُنكر الحكومة ولا يرى رأيهم[٢] ، وكان إذا جلس فتمكَّن[٣] فى مَجْلسه ذَكَر عُثمان ، فترحَّم عليه ثلاثًا ، ولَعن قتَلته ثلاثًا [ويقول : لو لم نَلْعنهم لَلُعِنّا][٤] ؛ ثم يذكر عليًّا فيقول : لم يَزَل علىٌّ أميرُ المؤمنين صلواتُ الله عليه مُظَفَّرًا مُؤَيَّدًا بالنعم حتى حكَّم ، ثم يقول : ولم تُحَكِّم[٥] والحقُّ معك ؟ ألا تَمْضى قُدمًا لا أبا لك .

وهذه الكلمة وإن كان فيها جَفاء ، فإنّ بعضَ العرب يأتى بها على معنى[٦] المَدْح ، فيقول : أنظُر فى أمر رعيَّتك لا أبا لك [وأنت على الحق][٤] .

وقال أعرابىّ :

رَبَّ العِباد ما لَنا وما لَكا ... قد كُنتَ تَسْقِينا فما[٧] بَدا لَكا

أنزل علينا الغَيْثَ لا أبا لكا

بين ابن أبى الحوارى وسفيان

وقال ابن أبى الحَوَارِىّ : قلت لسُفيان : بلغنى فى قول الله عزّ وجلّ : « إلاَّ مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » أنه الذى يَلْقى الله وليس فى قلبه أحدٌ غيره .

---

(١) الأعفر : الأبيض ، يريد الثريد المتلىّ بالإدام .
(٢) كذا فى الكامل . والذى فى الأصول : « على علىّ » مكان قوله « ولا يرى رأيهم » .
(٣) فى الأصول : « متمكنا » . وما أثبتناه عن الكامل .
(٤) التكملة عن الكامل .
(٥) فى الكامل . « لم يزل أمير المؤمنين على رحمه الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم ، فلم تحكم » .
(٦) كذا فى ى . وفى ا : « على المدح » . وفى سائر الأصول : « على طبق المدح » .
(٧) كذا فى الكامل ولسان العرب « مادة أبى » . والذى فى الأصول : « فقد » . وقد ورد هذا الشعر فى اللسان بإسكان الكاف مقيدا .

٢٠٨ / ١ قال : فبكَى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أحسنَ من هذا .

بين ابن المبارك ومحمد بن النضر

وقال ابن المُبارك : كنتُ مع محمد بن النَّضْر الحارثىّ فى سَفِينة ، فقلتُ : بأىّ شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلتُ : ما تقول فى الصَّوم فى السَّفر ؟ قال : إنما هى المُبادرة يابن أخى . فجاءنى والله بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشَّعبى .

بين محمد بن واسع ومالك بن دينار

وقال الفُضَيل بن عِيَاض :

اجتمع محمدُ بن واسع ومالكُ بن دينار فى مجلس بالبصرة ، فقال مالكُ بن دينار : ما هو إلاّ طاعةُ الله أو النار ؛ فقال محمد بن واسع لمن كان عنده : كنّا نقول : ما هو إلاّ عَفْو الله أو النار . قال مالكُ بنُ دِينار : إنَّه ليُعْجبنى أن تكون للإنسان مَعيشةٌ قَدْرَ ما يَقُوته . فقال محمد بن واسع : ما هو إلاّ كما تقول[1] : وليس يُعجبنى أن يُصبح الرجُل وليس له غَدَاء ، ويُمسى وليس له عَشاء ، وهو مع ذلك راضٍ عن الله عزّ وجلّ . فقال مالك : ما أحْوجنى إلى أن يعِظنى مِثلُك .

بين سفيان وفتى كان يجلس إليه

وكان يَجلس إلى سُفيانَ فَتًى كثيرُ الفِكرة ، طويلُ الإطراق ، فأراد سُفيان أن يُحرِّكه ليسمعَ كلامه ، فقال : يا فتى ، إنّ مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خَيْل عِتَاق وبَقِينا على حَمِير دَبِرَة . قال : يا أبا عبد الله ، إن كُنَّا على الطريق فما أسرعَ لحُوقنا بالقوم .

شهادة الأصمعى لأيوب ويونس وابن عون وسليمان

الأصمعىّ عن شُعْبة قال : ما أُحدِّثكم عن أحدٍ ممن تَعرفون ، وممن لا تَعرفون ، إلاّ وأيوب ويُونس وابنُ عَوْن [وسُليمان] خيرٌ منهم .

---

(١) ما هو إلا كما تقول ، أى ما كلامك هذا إلا مشبه لقولك « ليس يعجبنى ... الخ » . يريد أن قوله قبل « إنه ليعجبنى ... الخ » يفهم منه أنه ليس يعجبه ... الخ والذى فى حلية الأولياء فى ترجمة محمد بن واسع (ج ٢ ص ٣٤٩) قال : « ... اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسع . قال مالك : إنى لأغبط رجلا معه دينه له قوام من عيش راض عن ربه عز وجل . فقال محمد بن واسع : إنى لأغبط رجلا معه دينه ليس معه شىء من الدنيا راض عن ربه . قال : فانصرف القوم وهم يرون أن محمدا أقوى الرجلين » . والمعنى على الروايتين صحيح .

قال الأصمعىُّ : وحدّثنى سلّام بن أبى مُطِيع[1] ؛ قال : أيوب أفقههم : وسُليمان التّيمى أعبدُهم ، ويُونس أشدُّهم [زُهداً][2] عند الدّراهم ، وابن عَوْن أضْبطهم لنفسه فى الكلام .

لربيعة بن أبى عبد الرحمن فى تفضيل التواتر

[الأصمعى قال : حدّثنا نافع بن أبى نُعَيم عن رَبيعة بن أبى عبد الرحمن قال : ألفٌ عن ألف خيرٌ من واحد عن واحد ، «فلان عن فلان» ينتزع السنّة من أيديكم][3] .

بين إبراهيم النخعى والأعمش

وكان إبراهيمُ النَّخعىّ فى طَريق فلَقِيه الأعْمَش فانصرف معه ، فقال له : يا إبراهيم ، إنّ الناسَ إذا رأوْنا قالوا : أعمش وأعْور ؛ قال : وما عَليك أن يَأثموا ونُؤجر ؛ قال : وما عليك أن يَسْلَموا ونَسْلَم[4] .

بين إبراهيم النخعى وسعيد ابن جبير

ورَوى سُفيان الثّورىّ عن واصل الأحدب قال : قلت لإبراهيم : إن سَعيد ابن جُبير يقول : « كلُّ امرأة أتزوّجها طالق » ليس بشىء[5] . فقال له إبراهيم: قُل له يَنْقع أستَه فى الماء البارد . قال : فقُلت لسعيد ما أمرنى به ؛ فقال : قل له : إذا مررت بوادى النَّوْكَى فاحلُل به .

شعر لابن مناذر فى بعض العلماء

وقال محمد بن مُنَاذِر[6] :

وَمَنْ يَبْغِ الوَصاةَ فإنّ عندى   وَصَاةً للكُهول وللشّبابِ

---

(١) كذا فى ا ، ى وتاريخ الطبرى . والذى فى سائر الأصول : « سلام بن مطيع » .

(٢) هذه الكلمة أو ما فى معناها يقتضيها السياق . وقد ذكر الذهبى فى التذكرة والعسقلانى فى تهذيب التهذيب فى ترجمة يونس بن عبيد هذا أخبارا تدل على زهده فى المال .

(٣) يشير إلى أن التواتر فى الرواية خير من قلته ، وأن رواية الآحاد مضيعة للسنة .

(٤) ورد هذا الخبر فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٨) . وهو يختلف عنه هنا فى بعض ألفاظه .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . وليس بشىء ، أى لا تطلق به زوجته التى سيتزوجها . والذى فى ى : « بى » . وهو تحريف .

(٦) شرح القاموس (مادة نذر) : «ابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف ، وبضم =

خُذوا عن مالكٍ وعن ابن عَوْنٍ ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ دَابِ[1]

لآخر فى حماد ابن زيد

وقال آخر :

أيُّها الطالبُ عِلْمًا ايت حَمّادَ بن زيدِ
فاقتبس حِلْمًا وعِلْمًا ثم قَيِّده بقَيْدِ

لأبى نواس فى أبى عبيدة والأصمعى

وقيل لأبى نُواس : قد بعثوا فى[2] أبى عُبيدة والأصمعىّ ليَجْمعوا بينهما ، قال : أما أبو عُبيدة فإن مَكّنوه من سِفْره قرأ عليهم أساطير الأولين ، وأما الأصمعىّ فبُلبل فى قَفَص يُطربهم بصَفِيره .

المنصور فى ابن إسحاق وابن دأب

وذَكروا عند المَنْصور محمدَ بن إسحاق وعيسى بنَ دَأْب ، فقال : أمّا ابنُ إسحاق فأعْلم الناس بالسِّيرة ، وأمّا ابنُ دَأْب فإذا أخرجتَه عن داحس والغَبْراء لم يُحسن شيئاً .

للمأمون فى كلام الحسن الطالبى

وقال المأمون رحمه الله تعالى : مَن أراد لَهْوًا بلا حَرَج ، فَليسمع كلامَ الحَسن الطالبىّ .

للعتابى فيه أيضا

وسُئل العَتّابىّ عن الحَسن الطالبىّ فقال : إنّ جَليسه لِطيب عشْرته لأطربُ من الإبل على الحُداء ، ومن الثَّمِل على الغِناء .

= فيصرف قال الجوهرى : هو محمد بن مناذر ، شاعر بصرى ، فن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول : إنه جمع منذر ، لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر . ومن ضمه صرفه » . وفى معجم البلدان لياقوت : (ج ٤ ص ٦٤٤ طبعة ليدن) : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان إذا قيل له : ابن مناذر ، (بفتح الميم) يغضب ويقول : أمناذر الكبرى أم مناذر الصغرى ، وهما كورتان من كور الأهواز . هو مناذر ، على وزن مفاعل ، من ناذر يناذر فهو مناذر ، مثل ضارب فهو مضارب » . وساق أبو الفرج فى الأغانى خبرا قريبا من هذا فى ضبط اسمه . وقد اقتصر الذهبى فى كتابه المشتبه على الضم .

(١) ابن داب الذى يقصده الشاعر ، هو عيسى بن يزيد ، وكان يضع الحديث بالمدينة . (انظر تهذيب التهذيب) .

(٢) فى ، أى فى طلب .

قولهم فى حملة القرآن

بين إبراهيم النخعى وقارئ للقرآن

وقال رجلٌ لإبراهيمَ النَّخعىّ : إنى أختِمُ القرآن كل ثلاث ؛ قال : ليتك تَختِمه كلَّ ثلاثين وتَدْرى أىَّ شىء تقرأ .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى فضل القرآن

وقال الحارثُ الأعْوَر : حدَّثنى علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعتُ
٢٠٩/١ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتاب الله فيه خَبر ما قَبْلكم ونَبأ ما بعدكم وحُكْم ما بَينكم ، هو الفَصْل ليس بالهَزْل ، هو الذى لا تَزيغ به الأهواء ، ولا يَشْبع منه العُلماء ، ولا يَخْلَقُ على كَثْرة الردّ ، ولا تَنقضى عجائبُه ، هو الذى مَن تَركه من جبّار قَصَمه الله ، ومَن ابتغى الهُدَى فى غَيْره أضَلّه الله ، هو حَبْل الله المَتِين ، والذِّكْر الحَكِيم ، والصِّراط المُستقيم ، خُذْها إليك يا أعْوَر .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى سورة هود وأخواتها

وقيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، عجِّل عليك الشيبُ يا رسولَ الله ؛ قال : شَيَّبتنى هُود وأخواتُها .

لعبد الله بن مسعود فى الحواميم

وقال عبدُ الله بن مَسْعود : الحَوامِيم[1] ديباج القُرآن .

وقال : إذا رَتعتُ[2] رَتعتُ فى رياض دَمِثة أتأنَّق فيهن .

لعائشة فيما كان شأنهم بالآيات أول ما تنزل

وقالت عائشةُ رضى الله تعالى عنها : كانت تَنْزل علينا الآيةُ فى عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فنَحفظ حلالَها وحَرامها ، وأمْرها وزَجْرها ، قبل أن[3] نَحفظها .

للنبى صلى الله عليه وسلم فيمن يحمل القرآن ولا يعمل بما فيه

وقال صلى الله عليه وسلم : سيكون فى أُمّتى قومٌ يَقرأون القرآن لا يجاوز

---

(١) فى عيون الأخبار (ج ٢ س ١٣٢) : « حم » .

(٢) فى عيون الأخبار والنهاية لابن الأثير (مادة أنق) : « وقعت » وفى النهاية (مادة دمث) : « قرأت » .

(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « ولا » مكان قوله : قبل أن » .

تَراقِيَهم ، يَمْرُقون من الدين كما يَمْرُقُ السهمُ من الرميّة ، هم شرُّ الخَلْقِ والخَلِيقة(١) .

وقال : إن الزَّبانية لأسْرع إلى فُسّاق حَمَلة القرآن منهم إلى عَبَدَة الأَوْثان ؛ فيَشْكون إلى ربّهم ، فيقول : ليس مَن عَلِم كمن لم يَعْلَم .

للحسن فى حملة القرآن

وقال الحسن : حَمَلة القرآن ثلاثة نَفَر : رجلٌ اتخذه بضاعةً يَنْقُله من مِصْر إلى مصر يَطْلُب به ما عند الناس ، ورجل حَفِظ حُروفه ، وضَيّع حُدُوده ، واستدَرّ به الوُلاة ، واستطال به على أهل بلده ، وقد كثُر هذا الضَّرب فى حَملة القرآن ، لا كَثّرهم الله عزّ وجلّ ، ورجُل قرأ القرآن ، فوضع دواءه على داء قَلبه ، فسَهِر ليلتَه ، وهَمَلت عَيْناه ، وتَسَرْبل الخُشوعَ ، وارتدى الوَقار ، واستَشْعر الحُزن ، ووالله لهذا الضَّرب من حملة القرآن أقلُّ من الكِبْريت الأحمر ، بهم يَسْقى الله الغَيْث ، ويُنزِّل النَّصر ، ويَدْفع البَلاء .

العقل

لسحبان وائل

وقال سَحْبان وائل : العَقْل بالتَّجارب ، لأنّ عَقْل الغَريزة سُلَّم إلى عَقْل التَّجربة .

لعلى بن أبى طالب

ولذلك قال علىُّ بن أبى طالب رِضْوانُ الله عليه : رأى الشيخ خير من مَشْهد(٢) الغُلام .

وعلى العاقل أنْ يكون عالما بأهل زمانه [مالِكاً للسانه] مُقْبِلا على شانه .

للحسن البصرى فى العاقل والأحمق

وقال الحسن البَصْرى : لسانُ العاقل من وَراء قَلْبه ، فإذا أراد الكلامَ تفكّر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت . وقلب الأحمق من وراء لسانه

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية (مادة خلق) : « الخلق » الناس ، والخليقة : البهائم ؛ وقيل هما بمعنى واحد ، ويريد بهما جميع الخلائق .

(٢) كذا فيما سبق من الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٧٣) ومجمع الأمثال وعيون الأخبار ونهاية الأرب (ج ٣ ص ٦) . والذى فى الأصول هنا : « جلد » .

فإذا أراد أن يقول قال ، [فإن كان له سكت ، و إن كان عليه قال] .

وقال محمد بن الغاز[1] :

بين سليمان بن عبد الملك و آخر أعجب سليمان بكلامه

دخل رجل على سُليمان بن عبد الملك ، فتكلَّم عنده بكلام أعجب سُليمانَ ، فأراد أن يخْتبره لينظر أعقلُه على قَدْر كلامه أم لا ، فوجده مَضْموقا فقال : فضل العَقل على المَنطِق حِكمة ، وفَضْل المَنْطِق على العَقْل هُجنة ، وخير الأمور ما صدّق بعضها بعضا ، وأنشد :

وما المَرْء إلّا الأصْغرانِ لسانُه ... ومَعْقوله والجِسْم خَلْق مُصوّرُ
فإنْ ترَ منه ما يَرُوق فربّما ... أمَرَّ مَذاقُ العود والعُودُ أخْضر

شعر لزهير

ومن أحْسن ما قيل فى هذا المعنى قولُ زُهَير :

وكائن ترَى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ ... زيادتُه أو نَقْصُــه فى التكلّمِ
لسانُ الفَتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُه ... فلم يَبْق إلّا صـورةُ اللحْم والدّمِ

لعلى بن أبى طالب

وقال علىٌّ رضى الله عنه : العقْل فى الدِّماغ ، والضَّحِك فى الكَبِد ، والرّأفة فى الطِّحال ، والصَّوت فى الرئة .

للمغيرة بن شعبة فى عمر بن الخطاب

وسئِل المُغيرة بن شُعْبة عن عُمَر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : كان والله أفضلَ من أن يَخْدع ، وأعقلَ من أن يُخدع ، وهو القائل : لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يَخدعنى .

لزياد فى العاقل

وقال زياد : ليس العاقلُ الذى إذا وَقَع فى الأمْر احتال له ، ولكنّ العاقل يَحْتال للأمر حتى لا يقع فيه . ٢١٠/١

لعمرو بن العاص فى العقل

وقيل لعَمْرو بن العاص : ما العَقْل ؟ فقال : الإصابةُ بالظّن ، ومَعْرفة ما يكون بما قد كان .

(١) فى بعض الأصول : « الغار » وفى بعض آخر : « الفار » . وظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

لعمر بن الخطاب

وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه : مَنْ لم يَنْفعه ظنّه لم ينفعه يَقِينه[1] .

لعلى بن أبى طالب فى ابن عباس

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذَكر ابن عبّاس رضى الله عنهما فقال : لقد كان ينظر إلى الغَيْب من سِتْر رقيق .

لبعضهم فى العاقل

وقالوا : العاقل فَطِن مُتغافل .

لمعاوية فى العقل

وقال مُعاوية : العَقْل مِكيال ثُلُثه فِطْنة وثلثاه تغافل .

بين عمر بن الخطاب والمغيرة حين عزله

وقال المُغِيرة بن شُعْبة لعُمَر بن الخطاب رضى الله عنه إذ عَزَله عن كتابة أبى مُوسى : أعَن عَجْز عَزَلْتنى أم عن خِيانة ؟ فقال : لا عن واحدة منهما ، ولكنى كرِهْت أن أحمل على العامة فَضْلَ عقلك .

بين معاوية وعمرو بن العاص

وقال مُعاوية لعَمْرو بن العاص : ما بَلَغ من عَقْلك ؟ قال : ما دخلتُ فى شىء قَطّ إلا خَرجتُ منه ؛ فقال مُعاوية : لكنّى ما دخلتُ فى شىء قطّ أُريد الخُرُوجَ منه .

ما كان يتمثل به الحسن بن سهل من الشعر

وقال الأصمعىّ :

ما سمعتُ الحسن بن سَهل مُذْ صار فى مَرْتبة الوزارة يتمثّل إلا بهذين البيتين :

وما بَقيتْ من اللّذات إلاّ مُحادثةُ الرِّجال ذوى العُقُولِ
وقد كانُوا إذا ذُكِرُوا قليلاً فقد صارُوا أقلّ من القَلِيل

شعر لمحمد بن عبد الله بن طاهر فى فضل العقل

وقال محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، [ويُرْوى لمحمود الورّاق] :

لَعَمْرك ما بالعَقْل يُكتسب الغِنَى ولا باكتِساب المال يُكتَسَب العقلُ
وكَمْ من قَليلِ المال يُحمد فَضْله وآخرَ ذى مال وليس له فَضْل
وما سَبَقَت من جاهلٍ قطُّ نِعْمَة إلى أحدٍ إلا أضرّ بها الجَهْل
وذو اللُّبّ إن لم يُعْطِ أحمدتَ عقلَه وإن هو أعطَى زانه القَوْلُ والفِعْلُ

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « لم تنفعه عينه » .

شعر لمحمد بن مناذر

وقال محمد بنُ مُناذِر[1] :

وتَرى الناسَ كثيراً فإذا ... عُدَّ أهلُ العَقْلِ قلُّوا فى العَدَدْ
لا يَقِلُّ المرْء فى القَصْد ولا ... يَعْدَم القِلَّةَ مَنْ لم يَقْتَصِدْ
لا تَعِدْ شرًّا وعِدْ خيراً ولا ... تُخْلِف الوَعْدَ وعَجِّل ما تَعِد
لا تَقُلْ شِعْرًا ولا تَهْمُمْ به ... وإذا ما قُلت شِعْراً فأجِد

لآخر

ولآخر :

يُعْرَف عَقْل المرْء فى أَرْبَعِ ... مِشْيته أوَّلُهــا والحرَكْ
ودَوْرِ[2] عَيْنَيــه وألفاظه ... بعدُ عليهنَّ يَدُور الفلَكْ
ورُبَّمــا أَخْلفن إلّا التى ... آخرُها منهنّ تُمّين لك
هــذى دَليلاتٌ على عَقْله ... والعقلُ فى أركانه كالمَلِك
إنْ صحَّ صحَّ المرء من بعده ... ويَهْلِك المرء إذا ما هَلك
فانظُرْ إلى مَخْرج تَدْبيره ... وعقْــلِه ليس إلى ما مَلَك[3]
فرُبَّما خَلَّط أهــلُ الحِجا ... وقد يكون النَّوْك فى ذى النُّسُك
فإنْ إمامٌ سالَ عن فاضل ... فادُلُل على العاقل لا أُمَّ لَك

هوذة بن على بين يدى كسرى

وكان هَوْذة بن علىّ الحَنفىّ يُجيز لَطِيمة كِسْرَى فى كلِّ عام — واللَّطِيمة عِير تَحْمِل الطِّيبَ والبزّ — فوفَدَ على كِسرى ، فسأله عن بَنِيه ، فسمَّى له عدداً ؛ فقال : أيهم أحبُّ إليك ؟ قال : الصَّغير حتى يَكْبُر ، والغائبُ حتى [٢١١/١] يرْجِع ، والمَريض حتى يُفيق ؛ فقال له : ما غِذاؤك فى بلدك ؟ قال : الخُبز ؛

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٢٣٧) من هذا الجزء .
(٢) فى ا ، ى : « ونور » .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « ما انتهك » .

فقال كسرى لجلسائه : هـذا عَقْل الخبز ، يُفضِّله عَلَى عُقول أهل البَوادى الذين غِذَاؤهم اللَّبن والتمر .

لأعشى بكر فى هوذة بن على

وهوذة بن على الحنفى هو الذى يقول فيه أعشى بكر :

مَنْ يَرَ هَوْذة يَسْجُد غير مُتَّئِبٍ (١) إذا تَعَصَّب فوق التاج أو وَضَعَا
له أكاليلُ بالياقوت فَصَّلَهـــا صَوَّاغُها لا تَرَى عيباً ولا طَبَعا

بين أبي عبيدة وأبي عمرو فى تتويج هوذة

وقال أبو عُبَيدة عن أبى عمرو : لم يَتَتوّج مَعدِّىٌّ قطُّ ، و إنما كانت التِّيجان لليمن ، فسألتُه عن هوذة بن علىّ الحنفى ، فقال : إنما كانت خَرَزات تُنظم له .

وقد كتب النبىُّ صلى الله عليه وسلّم إلى هَوْذة بن علىّ يدْعوه إلى الإسلام كما كتب إلى الملوك .

بعض ما ورد فى الأثر فى العقل والحمق

وفى بعض الحديث : إنّ الله عزّ وجل لما خلق العقل ، قال : أقْبِـل ، فأقبل ، ثم قال له : أدْبِر ، فأدْبر . فقال : وعزّتى وجَلالى ما خلقتُ خلقًا أحبّ إلىّ منك ولا وَضعتُك إلا فى أحبِّ الخَلْق إلىّ . ولما خَلق الحُمْق قال له : أقْبِل ، فأدبر ، ثم قال له : أدْبِر ، فأقبل . فقال : وعزّتى وجلالى ، ما خلقتُ خلقاً أبغضَ إلىّ منك ، ولا وضعتُك إلاّ فى أبغض الخلق إلىّ .

وبالعقل أدرك الناسُ معرفةَ الله عزّ وجلّ ، ولا يشكّ فيه أحدٌ من أهل العقول ، يقول الله عزّ وجلّ فى جميع الأمم : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ) . وقال أهلُ التفسير فى قول الله (قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قالوا : لذى عَقل .

لبعضهم فى العاقل

وقالوا : ظنُّ العاقل كهانة .

للحسن البصرى

وقال الحسنُ البَصْرىّ : لو كان للناس كلّهم عُقول خَربت الدنيا .

---

(١) كذا فى ا ، ى واللسان (مادة وأب) . واتأب : استحيا . ورواية هذا البيت فى اللسان : « من يلق ... الخ » .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

يُعَدّ رَفيعَ القَوْم مَن كان عاقلاً ... وإن لم يكُن فى قَوْمه بحَسيبِ

وإنْ حلّ أرضاً عاش فيها بعقله ... وما عاقــلٌ فى بلْدَة بغَريب

لبعضهم

وقالوا : العاقل يَقِى مالَه بسُلْطانه ، ونَفْسَه بماله ، ودِينَه بنَفْسه .

للأحنف بن قيس

وقال الأحنف بن قَيْس : أنا للعاقل المُدْبِر أرْجى منّى للأحْمق المُقْبِل .

حديث بين جبريل وآدم عليهما السلام

[قال : ولما أهْبط الله عز وجل آدمَ عليه السلام إلى الأرض ، أتاه جبْريل عليه السلامُ ، فقال له : يا آدم ، إنّ الله عزّ وجلّ قد حَبَاك بثلاث خِصالٍ لتختارَ منها واحدةً وتتخَلّى عن اثنتين ؛ قال : وما هنّ ؟ قال : الحياء والدِّين والعَقْل . قال آدم : اللهم إنّى اخترتُ العقلَ . فقال جبريلُ عليـه السلامُ للحياء والدين : ارتفِعَا ؛ قالا : لن نرْتفع ؛ قال جبريلُ عليه السلامُ : أعَصَيتُما ؟ قالا : لا ، ولـكنا أُمِرْنا أن لا نُفارق العقلَ حيث كان .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تَقْتدوا بمن ليست له عُقْدة .

قال : وما خَلق الله خَلقاً أحبَّ إليه من العقل .

كلمات غير منسوبة

وكان يقال : العقل ضرْبان : عَقْل الطَّبيعة وعقـل التَّجْربة ، وكلاهما يُحتاج إليه ويؤدِّى إلى المنفعة .

وكان يُقال : لا يكون أحدٌ أحبَّ إليك من وَزِيرٍ صالح وافِر العقل كامِل الأدب حَنيك السِّن[1] بَصير بالأمور ، فإذا ظَفِرْتَ به فلا تُباعِدْه ، فإنّ العاقلَ ليس بما نعك نَصيحتَه وإن جَفَتَ[2] .

وكان يقال : غَرِيزة عقل لا يَضِيـع معها عَمَل .

(١) حنيك السن ، أى أحكمته التجارب والأمور .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وجفت : قسمت وغلظت . والذى فى ا : « خفت » . وهو تصحيف .

وكان يقال : أجَلُّ الأشياء أصلاً وأحْلاها ثمرةً ، صالحُ الأعمال ، وحُسن الأدب ، وعقل مُستَعمل .

وكان يقال : التجاربُ ليس لها غايةٌ والعاقلُ منها فى الزِّيادة . ومما يُؤكِّد هذا قولُ الشاعر :

ألم ترَ أنَّ العقلَ زينٌ لأهْله ... وأنَّ كمالَ العقل طولُ التجاربِ

ومكتوب فى الحِكمة : إنَّ العاقلَ لا يغْترّ بمودَّة الكذوب ولا يثِق بنَصيحته

ويُقال : مَن فاته العقلُ والفُتوّة فرأسُ مالِه الجَهْلُ .

ويُقال : من عيَّر الناسَ الشىء ورَضِيه لنفسه فذاك الأحْمق نفسُه .

وكان يقال : العاقل دائمُ المودَّة ، والأحمق سَريع القَطِيعة[1]

وكان يقال : صَديقُ كلِّ امرئٍ عقله وعدوُّه جَهْله

وكان يقال : المُعجبِ لَحُوح والعاقلُ منه فى مَؤُونة . وأمّا العُجْب فإنه الجَهْل والكِبْر .

وقيل : أوْلى الناس بالعَفْو أقدرُهم على العُقوبة ، وأنقص الناس عقلاً مَن ظَلَم من هو دونه .

ويقال : ما شىءٌ بأحسنَ من عَقْل زانه حِلْم ، وحِلْم زانه عِلم ، وعِلم زانه صِدْق ، وصِدْق زانه عَمَل ، وعَمَل زانه رِفْق .

لعمر بن الخطاب

وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يقول : ليس العاقلُ من عَرف الخيرَ من الشرّ ، بل العاقلُ مَن عرف [خيْر][2] الشَّرَّين

(١) فى الأصول : « الفتنة » .

(٢) هذه الكلمة عن عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٨٠) . وقد نسب هذا الكلام فيه وفى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٣٣) لعمرو بن العاص . ورواية هذه العبارة فى نهاية الأرب : « أن يعرف خير الخيرين وشر الشرين » .

كلمات غير منسوبة

ويُقال : عدوٌّ عاقل أحبُّ إلىَّ مِن صديقٍ جاهل

وكان يقال : اْلزَمْ ذا العقل وذا الكرم واْستَرْسِل إليه ، وإياكَ وفراقَه إذا كان كريمًا ، ولا عليك أن تَصْحب العاقلَ وإن كان غيرَ مَحْمُود الكَرَم ، لكنْ اْحترِسْ من شَيْن أخلاقه واْنتفِعْ بعقله ؛ ولا تدَعْ مُواصلة الكريم وإن لم تَحْمد عقلَه ، واْنتفِع بكَرَمه واْنفَعْه بعقلك ، وَفِرَّ الفِرار كلَّه من الأحمق اللَّئيم .

وكان يقال : قَطيعةُ الأحمق مثلُ صِلَة العاقل

للحسن

وقال الحسن : ما أودع الله تعالى اْمرأً عقلاً ما إلا اْستنقذه به يومًا ما .

بين النبى صلى الله عليه وسلم ومجاشعى

وأتى رجلٌ من بنى مُجاشِع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ، ألستُ أفضلَ قومى ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : إن كان لك عقلٌ فلك فَضْل[1] ، وإن كان لك تُقًى فلك دِينٌ[2] ، وإن كان لك مالٌ فلك حَسَب ، [وإن كان لك خُلق فلك مرُوءة][3] .

بين صفوان بن أمية وعمر بن الخطاب

قال : تَفاخر صَفْوان بنُ أُميّة مع رجل ، فقال صفوان : أنا صَفْوان بن أميّة ، بَخٍ بَخٍ . فبلغ ذلك عمر بنَ الخطاب رضى الله عنه فقال : وَيلك ! إن كان لك دِين فإنّ لك حَسَبًا ، وإن كان لك عقل فإنّ لك أصلاً ، وإن كان لك خُلُق فلك مرُوءة ، وإلاّ فأنت شرٌّ من حِمار .

النبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : كَرَمُ الرجل دِينُه ، ومرُوءته عقله ، وحَسَبُه خُلُقه .

وقال : وَكّل اللهُ عزّ وجلّ الحِرمان بالعقل ، وَوَكّل الرِّزق بالجَهْل ،

(١) فى الأصول : « فأنت أفضل » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار . (ج ١ ص ٢٩٥) .
(٢) فى الأصول : « وإن كان لك دين فلك تق » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار .
(٣) التكملة عن عيون الأخبار .

ليَعتَبِر العاقلُ فيَعلم أنْ ليس له فى الرِّزْق حيلة .

لبزرجمهر

وقال بُزُرْجَمْهر : لا ينْبغى للعاقل أن ينزل بَلَداً ليس فيه خَمْسَة : سُلْطان قاهر ، وقاضٍ عَدْل ، وسوق قائمة ، ونَهْرٍ جارٍ ، وطَبيب عالم .

وقال أيضاً : العاقل لا يَرْجو ما يُعَنَّف برَجائه ، ولا يَسأل ما يخاف مَنْعه ، ولا يَمْتهن ما لا يستمين بالقُدْرة عليه .

لأعرابى

سُئل أعرابىّ : أىُّ الأسباب أعونُ على تَذْكية العقل وأيُّها أعون على صَلاح السِّيرة ؟ فقال : أعْونها على تَذْكية العقل التّعلم ، وأعونها على صَلاح السِّيرة القَناعة .

وسُئل عن أجود المَواطِن أن يُختَبر فيه العقل ، فقال : عند التَّدْبير .

وسُئل : هل يَعمل العاقلُ بغير الصَّواب ؟ فقال : ما كلّ ما عُمِل بإذن العقل فهو صَواب .

وسُئل : أىُّ الأشياء أدلُّ على عَقل العاقل ؟ قال : حُسن التَّدْبير .

وسُئل : أى مَنافع العقل أعظم ؟ قال : اُجتنابُ الذّنوب .

لبزرجمهر

وقال بُزُرْجَمْهر : أفْره ما يكونُ من الدّوابّ لا غِنى بها عن السَّوْط ، وأعفُّ مَن تكون من النساء لا غِنى بها عن الزَّوْج ، وأعْقل من يكون من الرِّجال لا غِنى به عن مَشورة ذَوِى الألباب .

لأعرابى

سُئل أعرابىّ عن العقل متى يُعرف ؟ قال : إذا نَهاك عقلُك عمّا لا يَنْبغى فأنت عاقل .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : العَقْل نُور فى القَلْب يُفرِّق به بين الحقّ والباطل ، وبالعَقل عُرِف الحَلال والحَرام ، وعُرِفَت شَرائع الإسلام ومَواقع الأحكام ، وجَعَله الله نُوراً فى قُلوب عِبَاده يَهْديهم إلى هُدًى ويَصُدُّهم عن رَدى .

[ومِن جَلالة قَدْر العَقْل أنَّ الله تعالى لم يُخاطب إلا ذَوى العُقول فقال عزَّ وجلَّ : (إنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَاب) . وقال : (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) . أى عاقلا . وقال : (إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) . أى لمن كان له عَقل .

وقال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : العاقل يَحْلُمُ عمّن ظَلَم ، ويتواضع لمن هو دُونه ، ويُسابق إلى البِرِّ مَن فَوْقه . وإذا رأى باب بِرٍّ انتهزه ، وإذا عَرَضت له فِتْنة اعتصَم بالله وتَنكَّبها .

وقال صلى الله عليه وسلّم : قِوَام المَرْء عَقْله ، ولا دِينَ لمن لا عَقْل له .

وإذا كان العَقْل أشرفَ أعلاق النَّفس ، وكان بقَدْر تمكُّنه فيها يكونُ سُمُوُّها لطَلَب الفضائل وعلوُّها لابتغاء المَنازل ، كانت قِيمةُ كلِّ امرئ عقلَه ، وحِلْيَتُهُ التى يَحْسُن بها فى أعيُن الناظرين فَضْلَه .

شعر لعبد الله ابن محمد

ولعَبْد الله بن محمَّد :

تأمَّل بعَيْنَيْكَ هذا الأنام   وكُنْ بعضَ مَن صانه نُبْلُهُ
فَحِليةُ كلِّ فتًى فَضْلُه   وقِيمةُ كلِّ امرئٍ عقلُه
ولا تَتَّكِل فى طِلاب العُلا   على نَسَبٍ ثابتٍ أصلُه
فما مِن فتًى زانَه أهلُه   بشىء وخالَفَه فِعْلُه

كلمات أخرى غير منسوبة

ويُقال : العَقْلُ إدراكُ الأشياء على حَقائقها ، فَمَن أدرَك شيئا على حقيقته فقد كَمُل عَقْله .

وقيل : العقل مِرآة الرَّجُل .

لبعض الشعراء

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

عقل هذا المَرْء مِرآ   ةٌ ترَى فيها فِعالَه

فإذا كانَ عليها صَدَأٌ فهْوَ جهالَه
وإذا أخْلَصه اللـهُ صِقالاً وصَفَا له
فَهْى تُعْطِى كُلَّ حىٍّ ناظرٍ فيها مِثاله

ولآخر :

لا ترانى أبدًا أُكْرِمُ ذا المالِ لماله
لاَ ولا تُزْرِى بمَنْ يَعْقِل عِنْدِى سُوء حالِه
إنما أقضِى عَلَى ذَا كَ وهـذا بِفِعالِه
أنا كالمرآةِ أَلْقَى كل وَجْـهٍ بمِثاله
كيفما قَلَّبنى الدّهـرُ يَجِدْنى مِنْ رِجاله

ولبعضهم :

إذا لم يَكُنْ لِلمرْء عَقْلٌ فإنَّه وإن كان ذا نُبْلٍ على النَّاس هَيِّنُ
وإن كان ذا عقْل أُجِلَّ لعقْله وأفضلُ عَقْلٍ عقْلُ مَنْ يتدَيَّن

وقال آخر :

إذا كُنتَ ذا عقْلٍ ولم تكُ ذا غنًى فأنت كذِى رَحْلٍ وليس له بَغْلُ
وإن كُنت ذا مالٍ ولم تكُ عاقلاً فأنت كذى بَغْلٍ وليس له رَحْل

ويُقال : إنّ العقْل عيْن القلْب ، فإذا لم يَكُن للمرء عقْل كان قَلْبه أكْمه

بيت لصالح بن جناح

وقال صالح بنُ جَناح :

ألاَ إنَّ عقْل المرْء عَيْنَا فُؤادِه وإنْ لم يكن عقْلٌ فلا يُبْصِر القلْبُ

لبعض الفلاسفة

وقال بعضُ الفلاسفة : الهوَى مَصَاد العَقْل .

لعبد الله بن محمد

ولعبْد الله بن محمد :

ثلاث مَنْ كُنَّ فيه حوَى الفضلَ وإن كان راغباً عن سِواها : صِحَّة العَقْل ،

والتَّمسُّك بالعَدْل ، وتنزيه نفسه عن هَوَاها .

لابن دريد

ولمحمد بن الحَسَن بن دُرَيد :

وآفةُ العقل الهوَى فمَنْ علاَ على هَوَاهُ عقلُه فقد نَجَا

لبعض الحكماء

وقال بعضُ الحُكَماء : ما عُبِد الله بشىء أحبَّ إليه من العقل ، وما عُصِى بشىء أحبَّ إليه من السَّتْر .

لمسلمة بن عبد الملك

وقال مَسْلمة بن عبد الملك : ما قرأتُ كتاباً قطُّ لأحد إلا عرفتُ عقلَه منه .

ليحي بن خالد

وقال يحيى بن خالد : ثلاثةُ أشياء تدلُّ على عُقول أرْبابها : الكتابُ يدُل على عقل كاتبه ، والرسولُ يَدُل على عقل مُرْسِله ، والهديَّةُ تدل على عقل مُهديها .

بين عمر بن عبد العزيز ورجل أراد استعماله

واستعمل عمرُ بن عبدِ العزيز رجلاً ، فقيل له : إنه حَديث السنّ ولا نراه يَضْبط عملَك ؛ فأخذ العهدَ منه وقال : ما أُراك تَضبِط عملَك لحداثتك ؛ فقال الفتى :

وليس يَزيد المرء جهلاً ولا عَمًى إذا كان ذا عَقْـل حداثةُ سِنِّه

فقال عمرُ : صَدَق ، وردَّ عليه عهدَه .

شعر لجثامة فى عاقل

وقال جَثّامة بن قَيْس يَصِف عاقلاً :

بَصِيرٌ بأعْقاب الأمُور كأنّما تُخاطِبه من كلّ أمرٍ عواقبُهْ

لغيره فى هذا المعنى

ولغيره فى المعنى :

بَصِير بأعقاب الأمُور كأنّما يَرَى بصَواب الرأى ما هُو واقعُ

بين شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان

وقال شَبِيبُ بن شَيْبة لخالد بنِ صَفْوان : إنى لأَعْرف أمراً لا يتلاقى فيه اثنان إلا وَجَب النُّجْح بينهما ؛ قال له خالد : ما هو ؟ قال العقل ، فإنّ العاقل لا يسأل إلاّ ما يجوز ، ولا يُرَدّ عما يُمكن . فقال له خالد : نَعيتَ إلىّ نفسى ، إنا أهْل بَيْت لا يموتُ منّا أحدٌ حتى يرى خَلَفه .

لعبد الله بن الحسين يعظ ابنه محمداً

وقال عبدُ الله بن الحُسين لابنه محمد ، يا بُنىّ أحذر الجاهل و إن كان لك ناصحاً ، كما تحذَر العاقلَ إذا كان لك عدوًّا ؛ ويُوشِك الجاهلُ أن تُورِّطك مَشُورته فى بعض أغترارك فيَسْبِق إليك مَكْر العاقل ؛ وإيَّاكَ ومُعاداة الرّجال ، فإنك لا تَعْدَمَنّ منها مَكْرَ حَليم عاقل ، أو مُعاندة جاهل .

لعلى بن أبى طالب

وقال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه : لا مالَ أعْودُ من عقل ، ولا فقر أضرُّ من جهل .

لبعضهم

ويُقال : لا مرُوءة لمن لا عقلَ له .

لبعض الحكماء

وقال بعضُ الحُكماء : لو أستغنى أحدٌ عن الأدب لأستغنى عنه العاقل ، ولا يَنتفع بالأدب مَن لا عَقل له ، كما لا يَنتفع بالرّياضة إلاّ النَّجيب .

لبعضهم

وكان يُقال : بالعقل تُنَال لذّة الدُّنيا ، لأنّ العاقل لا يَسْعَى إلاّ فى ثلاث : مَزِيّة[1] لِمَعاش ، أو مَنْفعة لمَعاد ، أو لذّة فى غير مُحرَّم .

لبعض الشعراء

ولبعضهم :

إذا أحببتَ أقوامًا فلاصِقْ ... بأهْل العَقل منهم والحَياء
فإنّ العقلَ ليس له إذا ما ... تفاضلتِ[2] الفَضائل من كِفاء

لمحمد بن يزيد

لمحمّد بن يزيد[3] :

وأفضلُ قَسْم الله للمَرْء عقلُه ... وليس منَ الخَيْراتِ شىءٌ يُقارِبُهُ
إذا أكْمل الرَّحمنُ للمرء عقلَه ... فقد كَمُلت أخلاقُه ومآرِبُه[4]

(١) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٨٠) : « حرمة » .
(٢) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٣٢) : « تذكرت » وقد نسب فيه هذا البيت لأبى عطاء السندى .
(٣) نسب هذا الشعر فى نهاية الأرب لابن دريد .
(٤) كذا فى نهاية الأرب . والذى فى الأصول : « وضرائبه » .

يَعِيشُ الفَتَى بالعقل فى النَّاس إنّه ... على العقل يَجْرِى عِلْمُهُ وتَجَارِبُهْ
ومَنْ كان غَلاَّباً بعقل ونَجْدَةٍ ... فذُو الجِدّ فى أَمْرِ المَعِيشة غالِبه
فزَيْنُ الفَتَى فى النَّاس صِحَّةُ عقله ... وإن كان مَحْصوراً(١) عليه مَكاسِبه
وشَيْنُ الفَتى فى النَّاس قِلّة عقله ... وإنْ كَرُمت أعراقُه ومَناسِبُه

شعر غير منسوب

ولبعضهم :

العقلُ يأمُرُ بالعَفاف وبالتُّقَى ... وإليه يَأْوِى الحِلْمُ حين يؤولُ
فإن اسْتَطَعْتَ فخُذْ بفَضْلك فَضْلَهُ ... إنَّ العُقول يُرَى لها تفضيل

ولبعضهم :

إذا جُمِّع الآفاتُ فالبُخْل شرّها ... وشرّ منَ البُخل المواعيدُ والمَطْلُ
ولا خَيْرَ فى عقل إذا لم يَكُن غِنًى ... ولا خَيْرَ فى غِمْدٍ إذا لم يكن نَصْل
وإن كان للإنسان عقل فعَقْلُه ... هُو النَّصْل والإنسانُ مِن بعده فَضْل

ولبعضهم :

يُمَثِّــل ذو العَقْل فى نَفْسه ... مصائبَه قبْل أن تنزِلاَ
فإن نزَلت بَغْتةً لم تَرُعْــه ... لِما كان فى نَفْسِه مَثَّلا
رأى الهمَّ يُفْضِى إلى آخِرٍ ... فَصَــيَّرَ آخرَه أوّلا
[وذو الجَهْــل يأمن أيّامَه ... ويَنْسى مَصارِعَ مَن قد خلاَ]

الحكمة

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : ما أخلصَ عبدٌ العملَ لله أربعين يوما إلا ظهرت يَنابيعُ الحِكْمة من قَلْبه على لسانه .

---

(١) فى نهاية الأرب : « محظورا » .

وقال عليه الصلاةُ والسلام : الحِكْمة ضالّة المُؤْمن يأخذها ممَّن سَمِعها ولا يُبالى من أىِّ وعاء خَرجت .

وقال عليه الصلاةُ والسلام : لا تَضَعوا الحِكْمة عِنْدَ غيرِ أهلها فتَظلِمُوها ، ولا تمنَعوها أهلَها فتَظْلِمُوهم .

الحكماء — وقال الحُكماء : لا يطلب الرجلُ حِكْمة إلا بحكمة عنده .

لبعضهم — وقالوا : إذا وَجَدتم الحِكْمة مَطْرُوحة على السِّكك فخُذُوها .

فى الحديث — وفى الحديث : خُذوا الحِكْمة ولو من ألْسِنة المُشْركين .

لزياد — وقال زياد : أيها الناس لا يَمْنعكم سوء ما تَعلَمون منَّا أن تَنْتفعوا بأحْسَنِ ما تسمعون منّا ، فإنَّ الشاعر يقول :

اعْمل بعِلْمى وإن قَصّرْتُ فى عَمَلى ... يَنْفَعْكَ قولِى ولا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِى

نوادر من الحكمة

لقس بن ساعدة — قيل لقُس بن ساعدة : ما أفضلُ المَعْرفة ؟ قال مَعْرفة الرجل نَفْسَه ؛ قِيل له : فما أفضلُ العِلْم ؟ قال : وقوف المرء عند عِلْمه ؛ قِيل له : فما أفضلُ المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وَجْهه .

للحسن — وقال الحسنُ : التَّقْدِير نِصْف الكَسْبِ ، والتُّؤدة[1] نِصْف العقل ، وحُسْن طَلب الحاجة نِصْف العِلْم .

كلمات غير منسوبة — وقالوا : لا عقلَ كالتَّدبير ، ولا وَرَعَ كالكفّ ، ولا حَسَب كحُسْن الخُلق ، ولا غِنى كرِضا عن الله ، وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى تَغْييره سَبيل .

وقالوا : أفضلُ البرّ الرّحمة ، ورأس المودّة الاسترسالُ ، ورأس العُقوق مُكاتمة الأدْنين ، ورأْس العَقْل الإصابة بالظنّ .

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « التودد » . ولا يستقيم بها الكلام .

٢١٢/١ وقالوا : التفكُّر نور ، والغفلة ظُلْمة ، والجهالة ضلالة ، والعِلم حياة ، والأوّل سابق ، والآخِر لاحِق ، والسّعيد من وُعِظ بغَيْره .

بين عامر بن الظرب وحممة الدوسى فى حضرة ملك حمير

حَدَّث أبو حاتم قال : حدَّثنى أبو عُبيدة قال : حدَّثنى غيرُ واحد من هَوازِنَ من أُولى العِلم ، و بعضُهم قد أدرك أبوه الجاهلية [أو جدُّه] ، قالوا[1] : اجتمع عامر[2] بن الظرِب العَدْوانى ، وحُمَمَة بن رافع الدَّوْسىّ — ويَزعُمُ النُّساب أنَّ ليلى بنت الظَّرب أمُّ دَوْس ، وزينبَ بنت الظَّرب أمُّ ثقيف [وهو قَيْسى][3] — عند مَلك من مُلوك حِمْير ، فقال : تَساءلا حتى أَسْمع ماتقولان . فقال عامر لحُممة : أين تُحِب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذى الرَّثْية[4] القديم ، وعند ذى الخلّة الكريم ، والمُعْسِر الغريم ، والمُسْتَضْعف الهضيم[5] . قال : مَن أحقُّ الناس بالمقْت ؟ قال : الفقير المُختال ، والضّعيف الصوال ، والعَيِىّ[6] القوّال . قال : فمَن أحق الناسِ بالمنْع ؟ قال : الحَريص الكاند ، والمُستميد الحاسد ، والمُلْحِف[7] الواجِد . قال : فمن أجدرُ الناس بالصَّنيعة ؟ قال : من إذا أُعطى شَكر ، و إذا مُنِع عَذر ، و إذا مُطِل صَبر ، و إذا قَدُم العهدُ ذَكَر . قال : من أكرمُ الناس عِشْرة ؟ قال : من إذا قَرُب مَنَح ، [و إذا بَعُد مدح] ، و إذا ظُلم صَفَح ، و إذا ضُويق سَمح . قال : مَن ألأم الناس ؟ قال : مَن إذا سأل خَضع ، و إذا سُئل مَنع ، و إذا مَلك كَنَع ، ظاهِره جَشع ، وباطنه طَبِع .

(١) فى ا والأمالى (ج ٢ س ٢٧٦) : « قال » .
(٢) كذا فى الأمالى . والذى فى الأصول : « عمرو » .
(٣) زيد فى ا والأمالى بعد هذه الكلمة : « قال : اجتمع عامر وحممة » .
(٤) الرثية : وجع المفاصل واليدين والرجلين ، أو الضعف .
(٥) كذا فى ا والأمالى . والذى فى سائر الأصول : « والحليم » .
(٦) فى الأصول : « الغنى » . والتصويب عن الأمالى .
(٧) كذا فى الأمالى . والذى فى الأصول : « والمخلف » .

قال: فمن أحلم[١] الناس؟ قال: مَن عفا إذا قَدَر، وأجمل إذا انتصر، ولم تُطْغِه عِزّةُ الظَّفر. قال: فمن أحزمُ الناس؟ قال: مَن أخذ رقابَ الأمور[٢] بيدَيه، وجعل العواقبَ نُصْبَ عينيه، ونبذ التهيُّب دَبْرَ أذنيه. قال: فمن أخرقُ الناس؟ قال: مَن ركِب الخِطار، واعتَسف العِثار، وأسرعَ في البِدار قبلَ الاقتِدار. قال: مَن أجوَدُ الناس؟ قال: مَن بذل المجهود، ولم يأس على المعهود[٣]. قال: مَن أبلغ الناس؟ قال: مَن جَلَّى[٤] المعنى المزِيز باللفظ الوجيز، وطبَّق المفصل قبل التحزيز. قال: من أنعم الناس عَيشاً؟ قال: من تحلَّى بالعَفاف، ورَضِي بالكَفاف، وتجاوز ما يَخاف إلى ما لا يَخاف. قال: فمن أشقى الناس؟ قال: من حسد على النِّعم، وسَخِط على القِسَم، واستَشعر النَّدَم، على فوْت ما لم يُحتَم[٥]. قال: من أغنى الناس؟ قال: من اُستَشعر اليأس، وأظهر التجمُّل للناس، واستكثر قليلَ النِّعم، ولم يَسْخط على القِسَم. قال: فمن أحكم الناس؟ قال: من صَمت فادَّكر، ونظر فاعتَبر، ووُعِظ فازْدَجر. قال: مَن أجهل الناس؟ قال: من رأى الخُرْق مَغنما، والتَّجاوزَ مَغرما.

وقال أبو عُبيدة[٦]: الخَلَّة: الحاجة، والخُلَّة: الصداقة. والكاند: الذى يَكفر النِّعمة، والكنود: الكفور، والمُستَميد: مثل المُستَمِير، وهو المُستَعْطى. ومنه اشتقاق المائدة، لأنها تُمادُ. وكَنَع: تَقبَّض؛ يُقال منه: تَكنَّع جِلْدُه، إذا تقبَّض. يريد أنه مُمسك بخيل. والجَشَع: أسوأ الحِرْص.

(١) كذا فى الأمالى. والذى فى الأصول: «أجل».
(٢) فى الأصول: «الأسود». وما أثبتناه عن الأمالى.
(٣) كذا فى ا، ى والأمالى. والذى فى سائر الأصول «المفقود».
(٤) فى ا: «حكى».
(٥) كذا فى ا والأمالى. والذى فى سائر الأصول: «على ما انحتم».
(٦) فى الأمالى: «قال أبو على».

والطَّبع : الدَّنس . والاعتساف : رُكوب الطريق على غير هِداية ، وركوبُ الأمر على غير مَعرفة . والمَزيز : من قولهم : هذا أمزّ من هذا ، أى أفضل منه وأزيد . والمُطبِّق من السيوف : الذى يُصيب المفاصل لا يجاوزها .

لعمرو بن العاص

وقال عمرو بن العاص : ثلاثٌ لا أناة فيهنّ : المُبادرة بالعَمل الصالح ، ودَفْن الميِّت ، وتَزْويج الكُفْء .

كلمات غير منسوبة

وقالوا : ثلاثة لا يُندم على ما سَلف إليهم : الله عَزّ وجَلّ فيما عُمل له ، والمَوْلى الشَّكُور فيما أُسْدى إليه ، والأرضُ الكَرِيمة فيما بُذر فيها .

وقالوا : ثلاثة لا بقاء لها : ظِلُّ الغَمام ، وصُحْبة الأَشْرار ، والثَّناء الكاذب.

وقالوا : ثلاثة لا تكون إلاّ فى ثلاثة : الغِنَى فى النَّفْس ، والشَّرَف فى التَّواضع، والكرم فى التَّقوى .

وقالوا : ثلاثة لا تُعرف إلا عند ثلاثة ذو البَأس لا يُعرف إلا عند اللِّقاء ، ٢١٣/١ وذو الأمانة لا يُعرف إلا عند الأَخْذ والعَطاء ، والإخوان لا يُعرفون إلا عند النَّوائب .

وقالوا[1] : مَن طلب ثلاثة لم يَسْلم من ثلاثة : مَن طلب المالَ بالكيمياء لم يسلم من الإفْلاس ، ومَن طلب الدِّين بالفَلْسفة لم يَسلم من الزَّندقة ، ومَن طلب الفِقه بغرائب الحديث لم يَسلم من الكَذِب .

وقالوا : عليكم بثلاث : جالِسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسائلوا العُلماء .

لعمر بن الخطاب

وقال عمرُ بن الخطاب رضوان الله عليه : أخوفُ ما أخاف عليكم شُحٌّ مُطاع ، وهَوًى مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنَفسه .

(١) نسب هذا الكلام فيما مر من هذا الجزء (ص ٢٠٨) لأبى يوسف القاضى .

لعلماء العرب والعجم

واجتمعت علماء العرب والعجم على أربع كلمات: لا تحمل على ظَهْرك[1] مالا تُطيق، ولا تعمل عملاً لا ينفعك، ولا تغترّ بامرأة، ولا تثق بمال وإن كثُر.

للرياحى

وقال الرِّياحى فى خُطبته بالمِرْبَد[2]: يا بَنى رِياح، لا تحقِرُوا صغيراً تأخذون عنه، فإنى أخذتُ من الثَّعلب رَوَغانه، ومن القِرْد حِكايته، ومن السِّنَّوْر ضَرَعه، ومن الكَلْب نُصْرته. ومن ابن آوى حَذَره؛ ولقد تعلّمت من القمر سَيْرَ الَّليل، ومن الشَّمس ظهور الحِين بعد الحين.

لبعضهم فى ابن آدم

وقالوا: ابنُ آدم هو العالَم الكبير الذى جمع اللهُ فيه العالَم[3] كلّه، فكان فيه بَسالة الَّليث، وصَبْر الحِمار، وحِرْص الخنزير، وحَذَر الغُراب، ورَوَغان الثَّعلب، وضَرَع السِّنَّور، وحِكاية القِرْد، وجُبْن الصِّفْرِد[4].

ماوجد مكتوبا فى منطقة بزرجهر بعد قتله

ولما قتَل كِسْرى بُزُرْجمهر وجد فى مِنْطقته مكتوباً: إذا كان الغدْر فى الناس طِبَاعاً فالثِّقة بالناس عَجْز، وإذا كان القدَر حقًّا فالحِرْص باطل، وإذا كان المَوْت راصِدًا فالطمأنينة حُمق.

لأبى عمرو بن العلاء

وقال أبو عمرو بن العلاء: خُذ الخَير من أهْله، ودَع الشرّ لأهله.

لعمر بن الخطاب

وقال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: لا تَنْهَكوا وَجْه الأرض فإن شَحْمتها فى وَجْهها.

وقال: بِع الحَيَوانَ أحسنَ ما يكون فى عَيْنك.

---

(١) فى ا، ى: «قلبك».

(٢) فى ا، ى: «فى خطبته المديدة».

(٣) فى ى: «العلم».

(٤) كذا فى ا. والصفرد (كزبرج): طائر كالعصفور من خساس الطير، ويضرب به المثل فى الجبن، قال الشاعر:

تراه كالليث لدى أمنه … وفى الوغى أجبن من صفرد

(انظر حياة الحيوان). والذى فى ى: «الصفر». والذى سائر الأصول: «الصرد». وكلاهما محرف.

وقال[١] : فرّقوا[٢] بين المَنايا ، وأُجعلوا من الرأس رأسين ، ولا تلبثوا بِدَرا مَفْجزة .

لبعضهم

وقالوا : إذا قَدُمت المُصِيبة تُرِكت التّعزية ، وإذا قَدُم الإخاء سَمُجَ الثّناء .

فى كتاب الهند

وفى كتاب للهند : يَنْبَغى للعاقل أن يدَعَ التماسَ مالا سَبِيل إليه ، لئلاّ[٣] يُعدّ جاهلا ، كرَجُل أراد أن يُجْرِى السفنَ فى البرّ والعَجلَ فى البَحْر ، وذلك مالا سَبِيلَ إليه .

لبعضهم فى إحسان المسىء وإساءة المحسن

وقالوا : إحسان المُسىء أن يَكُفّ عنك أذاه ، وإساءةُ المُحسن أن يَمْنعك جَدْواه .

للحسن البصرى فى ردع النفس

وقال الحسنُ البَصْرى : أقْدَعوا هذه النفوسَ فإنها طُلَعة ، وحادِثوها بالذّكر فإنها سريعة الدُّثور ، فإنكم إلّا تَقْدعوها[٤] تَنزِع بكم إلى شرّ غاية .

يقول : حادِثوها بالحكمة كما يُحادث السّيف بالصّقال ، فإنها سَريعة الدُّثور يريد الصّدأ الذى يَعرِض للسيف . واقْدَعوها : من قدعتَ أنف الجمل ، إذا دفعتَه[٥] . فإنها طُلَعة ، يريد مُتطلّعة إلى الأشياء .

لأردشير بن بابك

قال أرْدشير بن بابك : إن للآذان مَجّة ، وللقلوب مَلَلا ، ففرّقوا بين الحِكمتين يَكُنْ ذلك أسْتجماما .

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « وقالوا » .
(٢) أى لا تجعلوا أموالكم متجمعة بحيث تتعرض للهلاك كلها مرة واحدة . ويفسره قوله بعد « واجعلوا من الرأس رأسين » أى ليكن لكم مكان الرأس من الضأن ونحوها رأسان ، فذلك أوقى لأموالكم وأبقى .
(٣) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « ولا » .
(٤) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « ترعوها » .
(٥) قدع أنف الجمل : ضربه بالرمح أو غيره ، وهذا إذا كان غير كريم وأراد ركوب الناقة الكريمة فيضرب أنفه حتى يرتدع ويكف .

البـــلاغة وصفتها

جواب عمرو بن عبيد لمن سأله عن صفة البلاغة

قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَّغك الجنّة ، وعَدَل بِكَ عن النار ؛ قال السائل[1] : ليس هذا أُريد ؛ قال : فما بَصَّرك مواضعَ رُشْدك ، وعواقبَ غَيِّك ؛ قال : ليس هذا أُريد ؛ قال : مَن لم يُحسن أن يسكت لم يُحسن أن يَسمع ؛ ومن لم يُحسن أن يَسمع لم يُحسن أن يسأل ، ومن لم يُحسن أن يَسأل لم يُحسن أن يقول ؛ قال : ليس هذا أُريد ؛ قال قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إنّا معشر [النّبيِّين] بِكَاء[1] — أى قليلو الكلام ، وهو جمع بكِىء — وكانوا يكرهون أن يَزيد مَنْطق الرجل على عَقْله ؛ قال السائل : ليس هذا أُريد ؟ قال : فكأنك تُريد تخَيُّرَ الألفاظِ فى حُسْن إفهام ؛ قال : نعم ؛ قال : إنك إن أردتَ تقْرير حُجّة الله فى عُقــول المُـكلَّفين[2] ، وتخفيف المُؤنة على المُسْتمعين ، وتَزْيين المعانى فى قُلوب المستفهمين[3] بالألفاظ الحَسنة رغبةً فى سُرعة استجابتهم ، ٢١٤/١
ونَفْى الشواغل عن قلوبهم بالمَوْعظة الناطقة عن الـكتَاب والسُّنّة ، كُنت قد أُوتيتَ فَصْلَ الخِطاب .

لبعضهم فى تعريف البلاغة

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : مَعْرفة الوَصْل من الفَصْل .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : إيجاز الـكلام ، وحَذْف الفُضُــول ، وَتَقْرِيب البَعيد .

(١) هو حفص بن سالم . (انظر زهر الآداب ج ١ ص ٩٤ طبعة الرحمانية والبيان والتبيين ج ١ ص ٦٣) .

(٢) فى النهاية لابن الأثير (مادة بكأ) : « نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء » . والبكاء (بفتح الباء هنا) : قلة الـكلام .

(٣) كذا فى عيون الأخبار وزهر الآداب (ج ١ ص ١١٨) . والذى فى الأصول والبيان والتبيين ونهاية الأرب (ج ٦ ص ٧) : « المتكلمين » .

(٤) فى زهر الآداب : « المريدين » .

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : أن لا يُؤتى القائل من سُوء فَهْم السامع ، ولا يُؤتى السّامع من سُوء بَيان القائل[(١)] .

بين معاوية وصحار العبدى

وقال مُعاوية لصُحَارٍ العَبْدىّ : ما البلاغة ؟ قال : أن تُجيب فلا تُبطىء ، وتُصِيب فلا تُخطىء . ثم قال : أَقِلْنى يا أمير المؤمنين ؛ قال : قد أَقَلْتُكَ . قال : لا تُبْطىء ولا تُخْطىء[(٢)] .

قال أبو حاتم : استطال الكلامَ الأوّل فاستَقال ، وتكلّم بأوجزَ منه .

بين خالد بن صفوان ومكثار

وسمع خالدُ بن صَفْوان رجلاً يتكلم ويُكثِر فقال : أعلم رحمك الله أنّ البلاغة ليست بخِفّة اللسان ، وكثرة الهَذَيان ، ولكنها بإصابة المَعْنى ، والقَصْدِ إلى الحُجّة . فقال له : أبا صَفْوان ، ما من ذَنْب أعظم من اتّفاق الصّنعة[(٣)] .

بين ربيعة الرأى وأعرابى

وتكلّم ربيعة الرّأى يومًا فأكثر [وأعجب بالذى كان منه[(٤)]] وإلى جَنْبه أعرابىٌّ ، فالتفتَ إليه ، فقال : ما تَعُدّون البلاغةَ يا أعرابى ؟ قال : قِلّة الكلام وإيجاز الصّواب ؛ قال : فما تعُدّون العِىّ ؟ قال : ما كُنت فيه منذُ اليوم . فكأنما ألقمه حَجراً .

من أمثالهم فى البلاغة

ومن أمثالهم فى البلاغة قولُهم : يُقِلّ الحَزّ ويُطبّق المِفْصل . وذلك أنّهم شَبّهوا البَليغَ المُوجز الذى يُقل الكلام ، ويُصيب الفُصول والمَعانى ، بالجزّار الرّفيق يُقل حَزّ اللّحم ويُصيب مَفاصله .

ومثله قولُهم :

يَضَع الهِناء مواضع النُّقْبِ

---

(١) نسب هذا الكلام فى زهرة الآداب (ج ١ ص ١٣٤) مع اختلاف يسير لإبراهيم الإمام .
(٢) رواية هذا الخبر فى عيون الأخبار والبيان والتبيين تختلف عنها هنا ، فارجع إليهما .
(٣) يقول : إنه لم يأت بذنب يستحق عليه هذا التعنيف من خالد إلا اتفاقهما فى صناعة واحدة .
(٤) التكملة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٧) .

أى لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلامُ ، مِثْل الطالِي الرَّفيق الذى يضع الْهِناء مواضع النُّقب . والْهِناء : القَطِران . والنُّقب : الجَرَب .

وقولهم : قَرْطَس[1] فلان فأصاب الثغرة ، وأصاب عَيْن القِرْطاس . كل هذا مَثل للمُصيب فى كلامه الْمُوجز فى لفظه .

العتابى [قيل للعَتّابى : ما البلاغة ؟ قال : إظهار ما غمض من الحقّ ، وتَصْوِير الباطل فى صُورة الحق .

لأعرابى وقيل لأعرابىّ : مَن أبلغ الناس ؟ قال : أسهَلهم لَفظاً وأحسنهم بَدِيهة .

لبعضهم وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : نَشْر الكلام بمعانيه إذا قَصُر ، وحُسْن التأليف له إذا طال .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ فقال : قَرْع الحُجّة ودُنُوّ الحاجة .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز فى غَير عَجْز ، والإطناب فى غَير خَطَل .

وقيل لغيره : ما البلاغة ؟ قال : إقلال فى إيجاز ، وصَواب مع سُرعة جواب .

لليونانى قيل لليُونانىّ : ما البلاغة ؟ قال : تَصْحيح الأقسام واختيار الكلام .

لبعضهم وقيل لبعضهم : مَن أبلغ الناس ؟ قال : مَن ترك الفُضُول واقتصر على الإيجاز .

وكان يقال : رسولُ الرجل مكان رَأْيه ، وكِتابه مكان عقله .

لجعفر بن محمد وقال جَعفر بن محمد عليه السلام : سُمِّى البليغ بليغاً لأنه يَبْلُغ حاجته بأهْون سَعْيه .

لبعض الحكماء وسُئل بعضُ الحكماء عن البلاغة فقال : مَن أخذ مَعانى كثيرة فأدّاها بألفاظ قليلة ، وأخذ معانى قليلة فولّد منها لفظاً كثيراً ، فهو بَليغ .

(١) يقال : قرطس فلان ، إذا رمى فأصاب القرطاس . والقرطاس : كل أديم ينصب للنضال . وفيه خمس لغات تثليث القاف ، وجعفر ، وكدرهم .

لبعضهم

كلام وشعر غير منسوب

وقالوا : البلاغة ما حَسُن من الشعر المنظوم نَثره ، ومن الكلام المنثور نَظْمه .

وقالوا : البلاغة ما كان من الكلام حَسناً عند استماعه ، مُوجزاً عند بَدِيهته[1]

وقيل : البلاغة : لَمْحة دالّة على ما فى الضَّمير .

وقال بعضُهم : إذا كفاك الإيجاز فالإكثار عِىّ ، وإنما يَحْسن الإيجاز إذا كان هو البَيان :

ولبعضهم :

خَيْر الكلامِ قليلُ على كَثير دَليلُ
والعِىُّ مَعنًى قَصِيرُ يَحْويه لفظٌ طَوِيلُ

وقال بعضُ الكتّاب : البلاغةُ مَعْرفة الفَصْل من الوَصْل . وأحْسن الكلام القَصْد وإصابةُ المعنى .

قال الشاعر :

وإذا نَطقتَ فلا تكُن أَشِرًا واقْصِدْ فخيرُ الناس مَن قَصَدَا

وقال آخر :

وما أحدٌ يكونُ له مَقالٌ فيَسْلَمَ من مَلامٍ أو أثامِ

وقال :

الدَّهرُ يَنقُص تارةً ويَطولُ والمَرْء يَصْمت مَرّةً ويَقُول
والقولُ مُخْتلف إذا حَصَّلْته بَعْضٌ يُرَدّ وبعضُه مَقبول

وقال :

إذا وَضَح الصوابُ فلا تَدَعْه فإنّك كلّما ذُقْتَ الصَّوابَا
وجدتَ له على اللّهوات بَرْدًا كبَرْد الماء حين صَفَا وطابَا

(١) فى البيان والتبيين : « حسن الاقتضاب عند بداهته » .

وقال آخر :

ليس شأنُ البليغ إرسالَه القو ... لَ بطُول الإسْهاب والإكثارِ
إنما شأنُه التلطُّف لِلمَعْـ ... نَى بحُسْنِ الإيراد والإصْدارِ (١)

وجوه البـــلاغة

للمؤلف فى معنى هذا العنوان وبعض ما استشهد به من نثر وشعر

البلاغة تكون على أرْبعة أوْجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدِّلالة ، وكلٌّ منها له حظٌّ من البلاغة والبَيان ، ومَوْضع لا يجوز فيه غيرُه ، ومنه قولهم : لكل مَقام مَقال ، ولكل كلام جَواب ، ورُبَّ إشارة أبلغُ من لفظ . فأما الخطّ والإشارة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة . وأما الدِّلالة : فكل شىء دلَّك على شىء فقد أخبرك به ، كما قال الحكيم (٢) : أشهد أنّ السمواتِ والأرضَ آياتٌ دالاّت ، وشَواهد قائمات ، كلٌّ يُؤدّى عنك الحُجّة ، ويَشهد لك بالرُّبوبية .

وقال آخر (٣) : سَلِ الأرض [فقُلْ] (٤) : مَن شَقّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثمارك ؛ فإن لم تُجِبك إخباراً (٥) ، أجابتك اعتباراً .

وقال الشاعر :

لقد جِئْتُ أبغِى لِنَفْسى مُجِيرًا ... فَجِئْتُ الجِبَالَ وجِئْتُ (٦) البُحُورَا

(١) يلاحظ أنه قد سقط من نسخة (ى) التى نقلنا عنه هذه الزيادة ورقة فيها تتمة ، ولعلها ناقصة أيضا من النسخة المخطوطة بالأستانة المنقولة عنه النسخة التى بين أيدينا .
(٢) فى البيان والتبيين (ج١ ص٤٦) : « وقال بعض الخطباء » . وفى الكلام ثم زيادة كثيرة ، فارجع إليه .
(٣) فى البيان والتبيين : « وقال الأول » وقد نسب هذا الكلام فى الصناعتين (ص ١٤) الرقاشى .
(٤) هذه الكلمة عن البيان والتبيين .
(٥) فى الصناعتين : « حوارا » .
(٦) فى ى : لجبت ... وجبت » .

فقال لِىَ البحرُ إذ جِئْتُه⁽١⁾ وكيف يُجِـــير ضريرٌ ضَرِيرا

وقال آخر :

* نَطَقتْ عَينُه بما فى الضَّمير *

وقال نُصَيب بن رَباح :

فعاجُوا فأَثْنَوْا بالذى أنت أهلُه ولو سَـكتوا أثنت عليك الحَقَائِبُ⁽٢⁾

يُرِيد : لو سكتوا لأثنت عليك حقائبُ الإبل التى يَحْتَقبها الرَّكب من هِباتك . وهذا الثّناء إنما هو بالدّلالة لا باللفظ .

وقال حَبِيب .

الدار ناطِقةٌ وليست تَنْطِقُ بدُثورها أنّ الجديدَ سيَخْلُقُ⁽٣⁾

وهذا فى قديم الشعر وحَديثه ، وطارفِ الكلام وتَليده ، أكثرُ من أن يُحِيط به وَصْف ، أو يأتىَ من ورائه نَعْت . ٢١٥/١

بين العتابى ورجل فى معنى البلاغة

وقال رجل للعَتّابى : ما البلاغة ؟ قال : كل من بَلّغك حاجته وأفهمك معناه ، بلا إعادة ولا حُبْسة ولا استعانة ، فهو بَليغ . قالوا : قد فَهِمنا الإعادة والحُبسة ، فما معنى الاستعانة ؟ قال : أن يقول عند مَقاطع كلامه : أَسمع منّى ، وافهم عنّى ، أو يمسح عُثْنونه ، أو يَفْتِل أصابعه ، أو يُكثِر التفاته من غير مُوجِب ، أو يَتَساعل من غير سُعْلة ، أو يَنْبهر فى كلامه⁽٤⁾ .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

---

(١) فى ى : « جيته » .

(٢) هذا البيت من أبيات لنصيب فى مدح سليمان بن عبد الملك .

(٣) البيت مطلع قصيدة لحبيب فى عقبة بن أبى عاصم .

(٤) ورد هذا الخبر فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) وزهر الآداب للحصرى بهامش العقد (ص ١٢٣) . وهو يختلف عنه هنا فى ألفاظه كما أن فيه ثم زيادة على ماهنا .

مَلِء ببُهْر والتفاتٍ وسُعْلة ومَسْحةِ عُثْنون وفَتْل الأصابعِ

وهذا كلُّه من العِيّ .

بين أبرويز وكاتبه

وقال أبْرويز لكاتبه : اعلم أنّ دعائم المَقالات أربع ، إن التُمس لها خامسة لم تُوجد ، وإن نَقصت منها واحدة لم تتمّ ، وهى : سُؤالك الشىء ، وسُؤالك عن الشىء ، وأمْرك بالشىء ، وإخبارك عن الشىء . فإذا طلبت فأسْجح ، وإذا سألتَ فأوْضح ، وإذا أمرتَ فأحكم ، وإذا أخبرت فحقِّق . واجمع الكَثِير مما تريد فى القَليل مما تقول[1] . يريد الكلام الذى تَقِلّ حروفه ، وتَكثر معانيه .

لربيعة الرأى

وقال ربيعة الرَّأْى : إنى لأسمع الحديثَ عُطْلاً فأشنِّفه وأُقرِّطه فيَحْسُن ، وما زِدْت فيه شيئاً ولا غيَّرت له معنى .

لبعضهم

وقالوا : خيرُ الكلام ما لم يُحْتج بعدَه إلى كلام .

ليحيى

[وقال يحيى : الكلامُ ذُو[2] فنون ، وخيره ما وُفِّق له القائل ، وانتفع به السامع

شعر للحسن بن جعفر

وللحسن بن جعفر :

عجبتُ لإدْلالِ العَيّ بنفسه وصَمْتِ الذى قد كان بالحقّ أعْلَما
وفى الصَّمْتِ سَتْرٌ للعَيّ وإنما صَحيفة[3] لُبّ المَرْء أن يَتكلّما

لأعرابى فى وصف بليغ

وصف أعرابىٌّ بليغاً فقال : كأنّ الألسن رِيضَتْ فما تَنْعقِد إلاّ على وُدِّه[4] ، ولا تَنطق إلا ببَيانه .

ولأبى الوجيه

وَصف أبو الوَجيه بلاغةَ رجل فقال : كان والله يَشُول بلسانه شولان

---

(١) ورد هذا الكلام باختلاف ضمن كلام كثير من أبرويز لكاتبه فى عيون الأخبار (ج ١ س ٤٦) .

(٢) فى ى التى أثبتنا عنها هذه الزيادة : « در » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه

(٣) كذا فى عيون الأخبار (ج ٢ س ١٧٥) . وفى ى : « صفيحة » . وقد ورد هذان البيتان فى العيون غير منسوبين .

(٤) أى على مايوده .

البَرُوق[1] ويتخلّل به تخلُّل الحيّة] .

وللعرب من مُوجز اللّفظ ولَطِيف المعنى ، فُصول عَجيبة ، و بدائع غريبة[2] ، وسنأتى على صَدْر منها إن شاء الله تعالى .

فصول من البلاغة

لقتيبة بن مسلم

قدم قُتيبة بن مُسلم خُراسانَ والياً عليها فقال : مَن كان فى يده شىء من مال عبد الله بن خازم[3] فَلْيَنْبِذْه ، وإن كان فى فِيه فَلْيَلْفِظه ، وإن كان فى صَدْره فَلْيَنْفُثْه . فعَجب الناس من حُسن ما فصّل .

لأبى السمال

وقيل لأبى السَّمّال[4] الأسدىّ أيامَ مُعاوية : كيف تركتَ الناس ؟ قال : تركتُهم بين مظلوم لا يَنْتَصف ، وظالم لا يَنْتهى .

لشبيب بن شيبة

وقيل لشَبيب بن شَيْبة عند باب الرَّشيد : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رايت الداخلَ راجياً ، والخارجَ راضياً .

شعر لحسان فى عبد الله بن عباس

وقال حسّان بن ثابت فى عَبْد الله بن عبّاس :

إذا قال لم يَترك مَقالاً لقائلٍ   بمُلْتَقطات لا ترَى بينها فَضْلاً[5]

---

(١) كذا فى البيان (ج ١ ص ٩٥) ويشول : يرفع . والبروق : إذا الناقة طلبت الفحل ، فإنها حينئذ ترفع ذنبها . والذى فى ى : « يشول لسانه ... الخ » .

(٢) فى ى : « طريفة » .

(٣) كذا فى المعارف لابن قتيبة والكامل للمبرد . والذى فى الأصول ونهاية الأرب (ج ٧ ص ١٠) : « حازم » بالحاء المهملة .

(٤) كذا فى شرح القاموس (مادة سمل) ولسان العرب مادة (صرى) والشعر والشعراء . وفى المشتبه : « أبو سمال » بدون تعريف . والذى فى الأصول وعيون الأخبار : « ابن السماك » . وهو تحريف .

(٥) فى أكثر الأصول وديوان حسان والبيان والتبيين : « فصلا » . (بالصاد المهملة) . وما أثبتناه عن ى ونهاية الأرب . والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

كَفَى وَشَفَى مافى النُّفوس(١) ولم يَدَعْ لذى إِرْبَة فى القَوْل جِدًّا ولا هَزْلا

بين الحسين بن على والفرزدق

ولَقِى الحُسين بن علىّ رضوان الله عليهما الفرزدقَ فى مَسيره إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال: القُلوب معك، والسُّيوف عليك، والنَّصر فى السماء.

لمجاشع النهشلى فى الحق

وقال مُجاشع النهشلى: الحق ثَقيل، فمَن بَلَغه اكتفى، ومن جاوزه اعتدى.

لعلى بن أبى طالب فى بعد ما بين المشرق والمغرب والسماء والأرض

وقيل لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام: كم بين المَشرق والمَغرب؟ فقال: مَسيرة يوم للشمس؛ قيل له: فكم بين السماء والأرض؟ قال: مَسيرة ساعة لدَعْوة مُستجابة.

لأعرابى فى البعد بين موضعين

وقيل لأعرابى: كم بين مَوْضع كذا وموضع كذا؟ قال: بَياضُ يوم وسَواد ليلة.

للمسيح عليه السلام

وشكا قوم إلى المَسيح عليه السلام ذُنوبَهم، فقال: اتركوها تُغفَر لكم.

لعلى بن أبى طالب

وقال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه: قِيمة كلِّ إنسان ما يُحسن.

لخالد بن يزيد

وقيل لخالد بن يَزيد بن مُعاوية: ما أقربُ شىء؟ قال: الأجل؛ قيل له: فما أبعدُ شىء؟ قال: الأمل؛ قيل له: فما أوْحش شىء؟ قال: الميّت؛ قيل له: فما آنس شىء؟ قال: الصاحب المُواتى.

لعمرو بن عبيد وقد مر بسارق يقطع

مَرّ عمرو بن عُبيد بسارق يُقْطع، فقال: سارق السَّريرة(٢) يَقطع سارق العلانية.

للخليل بن أحمد فى روايته الشعر دون قوله

٢١٦/١ وقيل للخليل بن أحمد: مالك تَرْوِى الشِّعر ولا تَقُوله؟ قال: لأنى كالمِسَنّ، أَشحذ(٣) ولا أقطع.

(١) فى ى: «الصدور».
(٢) السريرة: السر.
(٣) فى ى: «أحد».

لعقيل بن علفة

وقيل لعَقِيل بن عُلَفةَ : مالَكَ لا تُطيل(١) الهجاء ؟ قال : يَكْفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنق .

لخالد بن صفوان فى مصلوب

٢١٦/١ ومَرَّ خالد بن صَفْوان برجل صَلَبه الخَليفة ، فقال : أنبتته الطاعة ، وحَصَدته المَعْصية .

لأعرابى فى هذا أيضاً

ومرَّ أعرابىٌّ برجل صَلبه السلطان ، فقال : مَن طَلّق الدنيا فالآخرة صاحبتُه ، ومن فارق الحق فالجِذْع راحلتُه .

ومن النطق بالدّلالة ما حدّث به العبّاس بن الفرج الرِّياشى قال :

بين النعمان بن المنذر وعدى ابن زيد

نزل النعمان بن المنذر ومعه عدىٌّ بن زيد العِبَادىّ فى ظل شَجرة مُورقة ليلهوَ النُّعمان هناك ، فقال له عَدِىٌّ : أبيتَ اللعنَ ، أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : ما تقول؟ قال تقول :

رُبَّ شَرْبٍ(٢) قد أناخُوا حولَنا ... يَمْزُجون(٣) الخمرَ بالماء الزُّلالْ
ثم أضحَوْا عَصَفَ الدهرُ بهم ... وكذاكَ الدهرُ حالٌ بعد حال

فتنغّص على النعمان ما هو فيه .

للفضل فى الإيجاز

[وقال ابنُ الأعرابى : قلت للفضل : ما الإيجاز عندك ؟ قال : حَذْفُ الفُضول ، وتقريب البعيد] .

لخالد بن صفوان فى الإكثار

وقال رجلٌ لخالد بن صَفْوان : إنك لتُكْثِر ؛ قال : أُكْثِر لضَرْبين ، أحدهما فيما لا تُغنى فيه القِلّة ، والآخر لتمرين اللّسان ، فإنّ حَبْسه يُورِث العُقلة .

وله فى البليغ

وكان خالدُ بن صَفْوان يقول : لا تكونُ بليغاً حتى تُكلِّم أَمتك السَّوداء فى

(١) فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٨٤) : « ألا تطيل ... الخ » .
(٢) فى الكامل للمبرد (ص ٢٨٣ طبعة أوربه) : « رب ركب » .
(٣) فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ٣٠٤ والكامل : « يشربون » .

اللّيلة الظّلماء[١] فى الحاجة المُهِمّة بما تتكلّم به فى نادى قومك .

وإنما اللّسان عُضْو إذا مَرّنته مَرَن ، وإذا تركته[٢] لَكِنَ[٣] ، كاليد تُخشّنها بالمُمارسة ، والبَدنِ الذى تُقوِّيه برَفْع الحجر وما أشبهه ، والرِّجل إذا عُوِّدت المشىَ مَشت .

بين نوفل بن مساحق وامرأته

وكان نوفلُ بن مُساحق إذا دخل على امرأته صَمت ، فإذا خرج عنها تكلّم ، فقالت له : إذا كنتَ عندى سكتَّ ، وإذا كنتَ عند الناس تَنْطِق ؟ قال : إنى أُجلّ عن دَقيقك وتَدِقّين عن جَليلى[٤] .

لشبيب بن شيبة فى خالد بن صفوان

وذكر شَبيبُ بن شيبة خالدَ بن صَفْوان فقال : ليس له صَديق فى السِّر ، ولا عدوٌّ فى العَلانية . وهذا كلام لا يَعرف قَدْره إلا أهلُ صناعته .

لبعضهم

[ووَصف رجلٌ آخرَ فقال : أتيناه فأخرج لسانه كأنّه مِخْراق[٥] لاعب .

بين المنصور ومعن بن زائدة

ودَخل مَعن بن زائدة على المَنْصُور يُقارب خَطْوه ، فقال المنصور : لقد كَبِرتْ سِنّك ؛ قال : فى طاعتك ؛ قال : وإنك لَجلْد ؛ قال : على أعدائك ؛ قال : أرَى فيك بقيّة ؛ قال : هى لك .

لمعاوية فى عبد الله ابن عباس

وكان عبدُ الله بن عبّاس بليغاً ، فقال فيه مُعاوية :

إذا قال لم يَترك مقالاً ولم يَقِفْ لِعِىّ ولم يَثْنِ اللسانَ على هُجْرِ
يُصَرِّفُ بالقول اللسانَ إذا انتحَى ويَنظُر فى أعْطافه نَظَرَ الصَّقْر

(١) خص الليلة الظلماء بالذكر لأن فيها لا يستعين المتكلم بالإشارة على ما لم يقو على أدائه بالعبارة .
(٢) فى ى « أهملت » .
(٣) لكن : ثقل وعىّ . والذى فى ا و ى : « كان » . والذى فى سائر الأصول : « لان » . وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .
(٤) فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٧٦) : « أدق عن جليلك وتجلين عن دقيق » .
(٥) المخراق : المنديل يلف ليضرب به .

بين معاوية وصعصعة بن صوحان

وتكلّم صَعْصَعَةُ بن صُوحان عند مُعاوية فَعَرِق[١] ، فقال له مُعاوية : بَهرك القولُ ؛ قال : الجِياد نَضَّاحة بالعَرَق .

من ابن سيابة إلى عمرو بن بانة

وكتب ابنُ سَيَابة إلى عمرو بن بانة : إن الدّهر قد كَلَحَ فجَرح ، وطَمَحَ فجَمح ، وأفسد ما صَلَح ، فإن لم تُعِنْ عليه فَضَح .

لرجل من طيء فى مدح كلام آخر

ومَدح رجل من طَيِّئ كلامَ رجل فقال : هـذا الـكلامُ يُكْتَفَى بأولاه ، ويُشْتَفَى بأُخْراه .

لأعرابى فى وصف رجل

ووَصف أعرابىّ رجلا فقال : إنّ رِفْدَكَ لَنجيح ، وإن خيرك لصَرِيح[٢] ، وإن مَنْعك لمُرِيح .

بين إياس بن معاوية وقاض لعبد الملك

ودخل إياسُ بنُ معاويةَ الشامَ وهو غلام ، فقـدّم خصماً له إلى قاضٍ لعبد الملك ، [وكان خَصْمه شيخاً كبيراً][٣] . فقـال له القاضى : أتقدّم شيخاً كبيراً ؟ فقال له إياس : الحقُّ أكبرُ منه ؟ قال له : اسكت ؛ قال . فمن يَنْطق بحُجّتى ؟ قال : ما أظنّك تقول حقًّا حتى تقوم ؛ قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى فدخل على عبـد الملك فأخبره بالخبر ؛ فقال : أقضِ حاجتَه الساعة وأخرجه من الشأم لا يُفسِد علىّ[٤] الناسَ .

بين ابن القرية وفتى من عبد القيس

ومن الأسجاع قولُ ابن القِرِّيّة ، وقد دُعى لـكلام فاحتَبس القولُ عليـه فقال : قد طال السَّمر ، وسَقَط القمر ، واشتدّ المَطر ، فما أنتظر . فأجابه فتًى من عبد القَيْس : قد طال الأَرَق ، وسقَط الشَّفق ، فَلْينطق من نَطَق .

---

(١) فى ى ، وهى التى أثبتنا عنها هذه الزيادة : «ففرق» . والتصويب عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٨٢) .

(٢) هذه الـكلمة مطموسة فى الأصل . وما أثبتناه أنسب بالسياق وأقرب إلى صورة ما هو فى الأصل .

(٣) التكملة عن عيون الأخبار والبيان والتبيين .

(٤) فى الأصول : « عليك » . وما أثبتناه عن البيان والتبيين .

كتاب عمرو ابن مسعدة إلى المأمون فى أرزاق الجند وإعجاب المأمون به

قال أحمدُ بنُ يوسف الكاتب : دخلتُ على المأمون وبيده كتابٌ لعمرو ابن مَسْعدة ، وهو يُصَعِّدُ فى ذُراه ويقوم مَرّةً ويَقعد أُخرى ، ففعل ذلك مِراراً ثم التفت إلىّ فقال : أحْسَبك مُفكّراً فيما رأيتَ ؟ قلتُ : نعم ، وَقَى اللهُ عزّ وجلّ أميرَ المؤمنين المَكاره ؛ فقال : ليس بمَكْروه ، ولكن قرأتُ كلاماً نَظِيرَ خَبرٍ خَبّرنى به الرشيدُ ، سمعتُه يقول: إنّ البَلاغة لتَقاربٌ من المَعنى البَعيد وتباعدٌ من حَشْو الكلام ، ودَلالة بالقَليل على الكثير . فلم أتوهّم أنّ هذا الكلامَ يَسْتَتِبّ على هذه الصِّفة حتى قرأتُ هذا الكتابَ، فكان استعطافاً على الجُنْد وهو :

كتابى إلى أمير المؤمنين أيّده الله ، ومَن قِبَلى من أجناده وقُوّاده فى الطاعة والانقياد على أفضل ما تكون عليه طاعةُ جُنْد تأخّرت أرزاقُهم واختلّت أحوالُهم.

فأمر بإعطائهم ثمانيةَ أشهر .

من توقيعات جعفر إلى كتابه

ووَقّع جَعْفر البَرمكىّ إلى كُتّابه : إن استطعتم أن تكون كُتُبكم توْقيعات فافعلوا[1] .

منها إلى الفضل بعزله عن الخاتم وأخذه إليه

وأمره هارون الرشيد أن يَعْزِل أخاه الفضلَ عن الخاتَم ويأخذَه إليه عَزْلاً لَطيفاً . فكتب إليه : قد رَأى أميرُ المؤمنين أن يَنقُل خاتَم خِلافته من يمينك إلى شِمالك ، فكتب إليه الفضلُ : ما انتقلتْ عنّى نِعمة صارت إليك ، ولا خصّتك دونى .

ومنها لمتنصل من ذنب

ووَقّع جعفرٌ فى رُقْعة رجل تنصّل إليه من ذَنْب : تقدمت لك طاعة ، وظَهرت منك نَصيحة ، كانت بينهما نَبْوة ، ولن تَغلِب سيّئة حسنتَين .

بين الفضل بن يحيى وأبيه

قال الفضل بن يحيى لأبيه : ما لنا نُسْدِى إلى الناس المَعروف فلا نرى من السُّرور فى وُجوههم عند انصرافِهم بِبرِّنا ما نراه فى وُجوههم عند انصرافهم بِبِرِّ

(١) فى الوزراء والكتاب : « إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات اختصارا فافعلوا » .

غيرنا ؟ فقال له يحيى : إنّ آمال الناس فينا أطولُ منها فى غيرنا ، وإنما يُسَرّ الإنسانُ بما بَلّغه أملَه .

ليحيى فى الإجابة من أشياء

قيل ليحيى : ما الكرمُ ؟ قال : مَلِك فى زِىّ مِسكين ؛ قيل : فما الفَرْعنة ؟ قال : مِسكين فى بَطْش عِفريت ؛ قيل : فما الجودُ ؟ قال : عَفْو بعد قُدرة .

بين المأمون ورجل حد

أُتِى المأمونُ برجل قد وَجَب عليه الحدُّ ، فقال وهو يُضرب : قَتَلْتنى يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : الحقُّ قَتَلك ؛ قال : ارْحَمْنى ؛ قال : لستُ أرْحَمَ بك ممن أوجبَ عليك الحدَّ .

بين المأمون وعبد الله بن طاهر

وسأل المأمون عبدَ الله بن طاهر فى شىء ، فأسرع فى ذلك ؛ فقال له المأمون : فإنّ الله عزّ وجلّ قد قَطع عُذْر العَجول بما مكّنه من التثبُّت ، وأوْجب الحُجّة على القَلِق بما بَصّره من فضْل الأناة . قال : أتأذن لى يا أميرَ المؤمنين أن أكتُبه ؟ قال : نعم ، فكتبه .

بين المأمون وإبراهيم بن المهدى

قال إبراهيمُ بن المهدىّ قال لى المأمونُ : أنت الخليفة الأسْود ؟ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، أنت مَنَنْت علىّ بالعفو ، وقد قال عبدُ بنى الحَسْحاس :

أشعارُ عَبْد بنى الحَسْحاس قُمْنَ له عند الفَخار مَقامَ الأصْل والوَرِقِ
إن كنتُ عبدًا فنفسى حُرّةٌ كَرَمًا أو أسْودَ الجِلْد إنى أبيَضُ الخُلُقِ

فقال المأمون : يا عمّ ، خرَجك الهزْل إلى الجِدّ ، ثم أنشأ يقول :

ليس يُزْرِى السوادُ بالرّجل الشَّهْـم ولا بالفتى الأديب الأريبِ
إن يكُن للسواد مِنك نَصِيبٌ فبَيَاض الأخلاق منك نَصِيبى

ما كان يستحسنه المأمون من قول الحكماء

قال المأمون : أستحسن من قول الحكماء : الجودُ بَذْل المَوْجود ، والبُخل بَطَر بالمَعْبود عزّ وجلّ .

بين المأمون وزبيدة

قالت أمُّ جعفر زُبيدة بنت جعفر للمأمون حين دَخلت عليه بعد قتْل ابنها :

الحمد لله الذى ادّخرك لى لمّا أثكلنى وَلَدى ، ما ثكلت ولداً كنتَ لى عوضاً منه . فلما خرجَت قال المأمون لأحمد بن أبى خالد : ما ظننتُ أن نِساء جُبِلن على مِثل هذا الصّبر] .

بين أبى جعفر وعمرو بن عبيد

وقال أبو جعفر لعمرو بن عُبيد : أعِنّى بأصحابك يا أبا عُثمان ، قال : ارفع عَلَمَ الحقّ يَتْبعك أهلُه .

آفات البـــلاغة

لأبى داود

قال محمد بن منصور كاتبُ إبراهيم[1] ، وكان شاعراً راويًا وطالبًا للنحو علّامة ، قال سمعتُ أبا دُواد [بن جرير الإيادى[2]] ، وجرى شىء من ذِكر الخُطَب وتَمْييز[3] الكلام ، فقال : تَلْخيصُ المَعانى رِفق ، والاستعانة بالغَريب عَجْز ، والتَّشادُق فى غير أهل البادية نَقْص ، والنَّظر فى عُيون الناس عِىّ ، ومَسّ اللِّحية هَلَع ، والخُروج عما بُنى عليه الكلام[4] إسْهاب .

قال : وسمعتُه يقول : رَأسُ الخَطابة الطَّبْع ، وعَمُودها الدُّربة ، [وجناحاها[5] رواية الكلام] ، وحَلْيُها الإعراب ، وبَهاؤها تخيّر اللّفظ ، والمَحبّة مَقرونة بقلّة الاستكراه . وأنشدنى[6] بيتاً فى خُطباء[7] إياد :

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « محمد كاتب إبراهيم » . والذى فى البيان والتبيين (ج ١ س ٢٦) : « محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ، ومولى بجيلة ، من سبى دابق » .

(٢) فى الأصول : « أبا داود » . والتصويب والتكملة عن البيان والتبيين (ج ١ س ٨٧) .

(٣) فى ى والبيان : « وتحبير » .

(٤) فى البيان (ج ١ س ٢٦) : « أول الكلام » .

(٥) التكملة عن البيان (ج ١ س ٢٦) .

(٦) فى البيان والتبيين : « بيتا له فى صفة خطباء » .

(٧) كذا فى ا ، ى والبيان . والذى فى سائر الأصول : « خطبة » . وهو تحريف

يَرْمُون بالخُطب الطِّوال[١] وتارةً وَحْىَ الملاحظ خِيفَـةَ الرُّقباء

للفضل فى الإيجاز

وقال ابنُ الأعرابىّ : قلتُ للفضـل : ما الإيجاز عندك ؟ قال : حَذْف الفُضول ، وتَقريب البَعيد .

بين ابن السماك وجارية له

وتكلم ابنُ السَّمّاك يومًا وجارية له تَسمع [كلامه][٢] ، فلما دخـل [إليها][٢] قال لها : كيف سمعتِ كلامى ؟ [قالت : ما أحسنَه ! لولا أنك تُـكثِر تَرْدادَه ! قال : أردِّدُه حتى يَفهمه ، مَن لم يفهمه][٣] ؛ قالت : إلى أن تُفهِّمه من لم يَفْهمه يكون [قد][٣] مَلَّه من فَهِمه .

باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة

قال الله تبارك وتعالى : (وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

بين عمرو بن العاص ورجل

وقال رجلٌ لعمرو بن العاص : والله لأتفرّغنّ لك ؛ قال : هُنالك وقعتَ فى الشُّغل ؛ قال : كأنّك تهدِّدُنى ، والله لئن قلتَ لى كلمةً لأقولنّ لك عشْرًا ؛ قال : وأنت والله لئن قلتَ لى عَشْرًا لم أقُل لك واحدة .

بين أبى بكر ورجل توعده بالسب

وقال رجل لأبى بكر رضى الله عنه : والله لأَسُبَّنك سبًّا يَدْخـل القبرَ

٢١٧/١ معك ؛ قال : معك يَدْخل لا معى .

لعمرو بن عبيد وقد نال منه أيوب السختيانى

وقيل لعمرو بن عُبيد : لقد وَقع فيك اليومَ أيّوبَ السَّخْتِيانى حتى رَحِمناك ؛ قال : إياه فارْحموا .

---

(١) فى بعض الأصول : « يرمون باللفظ الخفى » .
(٢) التكملة عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٧٨) .
(٣) التكملة عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٧٨) .

بين الشعبي وبعض من شتمه

وشتم رجلٌ الشّعبيّ ، فقال له : إن كنتَ صادقاً فغفر الله لى ، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك .

بين أبى ذر وآخر فى مثل ذلك

وشتم رجلٌ أبا ذرّ فقال : يا هذا ، لا تُغرق فى شتمنا ودَعْ للصُّلح مَوْضعاً ، فإنا لا نُكافئُ مَن عصى الله فينا بأكثرَ من أن نُطيع اللهَ فيه .

بين المسيح وقوم من اليهود

ومرّ المَسيح بن مَريم عليه الصلاةُ والسلام بقوم من اليهود ، فقالوا له شرًّا ، فقال خيراً ؛ فقيل له : إنّهم يقولون شرًّا وتقول لهم خيراً ؟ فقال : كلٌّ واحد يُنفق مما عنده .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

ثالَبنى عَمْـرٌو وثالبتُه ... فأثِمَ المَثْلوب والثّالبُ
قلتُ له خيراً وقال الخَنى ... كلٌّ على صاحبِه كاذِبُ

وقال آخر (١) :

وذِى رَحِمٍ قَلّمْتُ أظفارَ ضِغْنِه (٢) ... بِحِلْمىَ عنه حين ليس له حِلْمُ
إذا سُمتُه وَصْـلَ القَرابة سامَنى ... قَطيعَتَها تلك السَّـفاهة والإثْمُ
فداوَيتُه بالحِلْمِ والمَـرْءُ قادِرٌ ... على سَهْمِه ما كان فى كَفِّه السَّهم

للنبي صلى الله عليه وسلم

[وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما تجرّع عَبد فى الدنيا جَرْعةً أحبّ إلى الله من جَرْعة غيظ رَدّها بحِلْم ، أو جَرْعة مُصيبة ردها بصَبْر] .

من بعض الشعراء الى صديق له

وكتب رجل إلى صديق له ، وبلغه أنه وَقع فيه :

لئن ساءنى أن نِلْتنى بمَساءةٍ ... لقد سَرّنى أنّى خَطَرْتُ ببالكِ (٣)

(١) الشاعر هو معن بن أوس .

(٢) فى بعض الأصول : « جهله » .

(٣) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة ... ونشك الهوى ثم افعلى ما بدالك

والذى فى الأصول : « ببالكا » .

لطاهر بن عبد العزيز

وأنشد طاهرُ بن عبد العزيز :

إذا ما خليــلى أسا مَرّةً ... وقد كان فيما مضى مُجْمِلاً[(١)]
ذكرتُ ٱلْمُقَدَّم من فعلِه[(٢)] ... فلم يُفْسِـد الآخرُ الأوّلا

صفة الحلم وما يصلح له

للأحنف بن قيس عن حلم قيس ابن عاصم

قيــل للأحنف بن قيس : ممن تعلّمت الحِلْمَ ؟ قال : من قيس بن عاصم المِنْقرىّ ، رأيتُه قاعداً بفِناء داره مُحْتبيًا بحمائل سَيْفه يُحَدِّث قومه ؛ حتى أُتِىَ برجُل مكتوف ورجُـل مقتول ، فقيل له : هذا ٱبن أخيك قتَل ٱبنك ؟ فوالله ما حَلّ حَبْوته ، ولا قطَع كلامه ، ثم التفت إلى ٱبن أخيه فقال له : يا بن أخى ، أثِمت برَبّك ، ورَمَيت نفسَك بسَهْمك ، وقتلتَ ٱبنَ عمك . ثم قال لأبن له آخر : قم يا بُنىّ فوارِ أخاك ، وحُلّ كِتاف ابن عمك ، وسُـق إلى أمّه مائة ناقة ديةَ ابنها فإنها غَريبة ، ثم أنشأ يقول :

إنّى أمرؤ لا شائنٌ[(٣)] حَسَبى ... دَنَسٌ يُهَجِّنــه ولا أفَنُ
من مِنْقرٍ فى بيت مَكْرُمة ... والغُصن يَنْبُتُ حولَه الغُصُنُ
خُطَباء حين يقول قائلُهم ... بيضُ الوُجوه أعفّــة لُسُنُ
لا يَفْطَنــون لعَيْب جارهمُ ... وهمُ لِحفْظ جِواره فُطُنُ

بين الأحنف ورجل طلب إليه أن يعلمه الحلم

وقال رجل للأحنف بن قَيْس : عَلِّمنى الحِلم يا أبا بَحْر ؛ قال : هو الذُّل يا بن أخى ، أفتصبر عليه ؟

للأحنف

وقال الأحنف : لستُ حليمًا ولكنّى أتحالم .

(١) فى بعض الأصول : « وقد كان من قبل ذا مجملا » .
(٢) فى بعض الأصول : « تحملت ما كان من ذنبه » .
(٣) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٨٦) . والذى فى الأصول : « لا يطبى » .

له فى تفضيل معاوية عليه فى الحلم

وقيل [له] : مَن أحلمُ : أنت أم مُعاوية ؟ قال : تالله ما رأيتُ أجهلَ منكم ، إنّ معاويةَ يَقدِر فيَحلُم ، وأنا أحلُم ولا أقدِر ، فكيف أقاس عليه أو أدانيه !

لخالد بن صفوان فى الأحنف

وقال هشامُ بن عبد الملك لخالد بن صَفْوان : بم بلغ فيكم الأحنفُ ما بلَغ ؟ قال : إن شئتَ أخبرتُك بخَلّة ، وإن شئتَ بخلّتين ، وإن شئت بثلاث ؛ قال : فما الخَلّة ؟ قال : كان أقوى الناس على نفسه ؛ قال : فما الخَلّتان ؟ قال : كان مُوَقّى الشرّ مُلَقّى الخَيْر ؟ قال : فما الثلاث ؟ قال : كان لا يجهل ولا يبْغى ولا يَبْخل . ٢١٨/١

لقيس بن عاصم فى الحلم

وقيل لقَيْس بن عاصم : ما الحِلْم ؟ قال : أن تَصِل مَن قطَعك ، وتُعطى مَن حرَمَك ، وتعفو عمَّن ظلَمك .

لبعضهم

وقالوا[1] : ما قُرِن شىء إلى شىء أزينُ من حِلْم إلى عِلْم ، ومن عَفْو إلى قُدْرة .

للقمان الحكيم

وقال لُقمانُ الحكيم : ثلاثة لا تَعرفهم إلا فى ثلاثة : لا تعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحَرْب ، ولا تَعْرف أخاك إلا إذا احتجت إليه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

ليْست الأحلامُ فى حين الرِّضا إنما الأحلامُ فى حين الغضَبْ

فى الحديث

وفى الحديث : أقرب ما يكون المَرْء من غَضَب الله إذا غَضِب .

للحسن

وقال الحسن : المؤمن حَلِيم لا يجهل وإن جُهِل عليه ، وتلا قولَ الله عزّ وجلّ : (وَإِذَا خاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) .

لمعاوية

وقال معاوية : إنى لأستحى من ربّى أن يكون ذَنْبٌ أعظمَ من عفوى ، أو جَهْل أكبرَ من حِلْمى ، أو عوْرة لا أواريها بسَتْرى .

(١) فى ا ، ى : « وقال » .

لمورق العجلى

وقال مُوَرِّق العِجْلِيّ : ما تكلّمت فى الغَضب بكلمة ندمتُ عليها فى الرِّضا .

ليزيد بن أبى حبيب

وقال يزيدُ بن أبى حَبيب : إنما غضبى فى نَعْلَيّ ، فإذا سمعتُ ما أكره أخذتُهما ومَضيت .

لبعضهم

وقالوا : إذا غَضِب الرجلُ فَلْيَسْتَلْق على قفاه ، وإذا عَيِيَ فَلْيُرَاوِح بين رِجْلَيْه(1) .

للأحنف

وقيل للأحنف : ما الحِلْم؟ فقال : قولٌ إن لم يكن فِعْل ، وصَمْت إن ضرَّ قول

لعلى بن أبى طالب

وقال [أمير المؤمنين] علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : مَن لانَتْ كلمته ، وجبت محبّتُه .

وقال : حِلْمُك على السّفيه يُكثِر أنصارَك عليه .

للأحنف

وقال الأحنف : مَن لم يصبر على كلمة سَمِع كلمات .

وقال : رُبَّ غَيْظ تجرّعتُه مخافةَ ما هو أشدُّ منه ، وأنشد :

رَضيتُ بِبَعْض الذُّلّ خوفَ جميعه ... كذلك بعضُ الشرّ أهونُ من بَعْضِ

بين عمر بن عبد العزيز ورجل أراد أن يستفزه

وأسمع رجلٌ عمرَ بنَ عبد العزيز بعضَ ما يكره ، فقال : لا عليك ، إنما أردتَ أن يَسْتَفِزّنى الشيطانُ بعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله(2) منى غداً ، انصرفْ إذا شئت .

لبعض الشعراء فى معنى ما سبق

وقال الشاعرُ فى هذا المعنى :

لَنْ يُدْرِكَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا ... حتى يَذِلّوا وإن عَزّوا لِأقوامِ

ويُشْتَموا فَتَرى الألوانَ كاسفةً ... لا ذُلَّ عجزٍ ولكنْ ذُلَّ أحلام(3)

---

(1) فى ى : كذا . والذى فى الأصول . « فليرفع رجليه » .

(2) فى ا ، ى : « ما تقتصه » .

(3) فى عيون الأخبار (ج ١ س ٢٨٧) : « مصرفة » لاصفح ذل ولكن صفح أحلام » مكان « كاسفة ... الخ » .

ولآخر :

إذا قِيلت العوراء أغضى كأنه ذَليل بلا ذُلّ ولو شاء لانتصرْ

لكعب بن زهير

وأحسن[١] بيتٍ فى الحِلْم قولُ كَعْب بنِ زُهير :

إذا أنت لم تُعرِض عن الجَهْل والخَنَى أصبتَ حَليما أو أصابكَ جاهلُ

للأحنف

وقال الأحنفُ آفةُ الحِلْم الذّلّ .

وقال : لا حِلْم لمن لا سَفِيه له .

وقال : ما قلّ سُفهاء قَوْم إلا ذَلّوا . وأنشد :

لا بُدّ للسُّودَد من رِماحِ ومِن رِجالٍ مُصَلّتى السِّلاحِ

يُدَافعون دونه بالرّاح ومِنْ سَـفيهٍ دَائمِ النُّباح[٢]

للنابغة الجعدى

وقال النّابغة الجعدىّ :

ولا خَيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم تَـكُنْ له بَوادرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُـكَدّرَا

[ولا خير فى جَهْل إذا لم يَـكُن له حَلِيم إذا ما أَوْرد الأمر أصْدرا]

ولما أنشدَ هذين البيتين للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : لا يَفْضُض الله فاك ، [قال] : فعاش مائة وثلاثين سنةً لم تَنْغُض[٣] له ثَنِيّة .

لبعضهم

وقالوا : لا يَظهر الحِلْم إلا مع الانتصار ، كما لا يَظهر العَفو إلا مع الاقْتدار . ٢١٩ / ١

بين الأصمعى وأعرابى يصف سنانا بالحلم

وقال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيًّا يقول : كان سِنانُ بن أبى حارثة أحلَمَ من فَرْخ الطائر ؛ قلت : وما حِلْم فرخ الطائر ؟ قال : إنه يخرج من بَيْضة فى رأس نِيق[٤] ولا يتحوّل[٥] حتى يتوفّر ريشُه ، ويَقْوى على الطيران .

(١) فى ا ، ى : « ومن أشعر بيت » .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « القباح » .
(٣) كذا فى ا ، ى . وتنغض : تضطرب وتتحرك . والذى فى سائر الأصول : « تنفض » . وهو تحريف .
(٤) النيق (بالكسر) : أرفع موضع فى الجبل . (٥) فى ى : « ولا يتحرك » .

[وللأشْنَنْدَانىّ : — للأشناندانى

وفى اللِّين ضَعْفٌ والشَّراسة هَيْبةٌ   ومن لا يُهَبْ يُحْمَلْ على مَرْكَب وَعْرِ
وَلَلْفقر خَـيْرٌ من غِنًى فى دَنَاءة   ولَلْموتُ خيرٌ من حَياة على صُغْر
وما كُلّ حِين يَنفع الحِلْمُ أهْلَه   ولا كُلّ حال يَقْبُح الجَهْلُ بالصَّبر
وما بِى على مَن لانَ لِى مِن فَظاظةٍ   ولـكنّنى فَظٌّ أبىٌّ على القَسْر

وقال آخر فى مَدح الحِلْم : — لآخر فى مدح الحلم

إنى أرى الحِلْم مَحْمُودًا عواقبُـه   والجَهْـلُ أفنَى من الأقْوام أقوامًا

ولِسَابق : — لسابق

ألم تَرَ أنّ الحِلْم زَيْنٌ مُسَوِّدٌ   لصاحبه والجَهْـلَ لِلْمرء شائنُ
فـكُن دافنًا للجهل بالحِلْم تَسْتَرِح   من الجهل إنّ الحِلم للجَهْلِ دافِنُ

ولغيره : — لبعض الشعراء

ألاَ إنّ حِلم المَرْء أكبر نِسْبةٍ   يُسامى بها عند الفَخار كريمُ
فيارَبِّ هَبْ لى منك حِلمًا فإننى   أرى الحِلْم لم يندم عليـه حليم

وقال بعضُ الحُكَماء : ما حَلاَ[1] عِندى أفضل من غَيْظ أتجرّعه . — لبعض الحكماء

وقال بعضُهم : — لبعض الشعراء

وفى الحِلم رَدْعٌ للسَّفيه عن الأذَى   وفى الخُرْق إغراء فلاَ تَكُ أخْرَقَا
فتَنْدَمَ إذ لا تَنفَعَنْكَ ندامةٌ   كما نَدِم المَغْبُـونُ لَمّا تَفرَّقا

وقال علىٌّ عليه السلام : أوّل عِوَض الحَليم عن حِلْمه أنّ النّاسَ أنصارُه على الجاهل . — لعلى عليه السلام

(١) فى ى التى زدنا عنها وحدها هذه الزيادة : « خلد » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

لكسرى عن قدر الحلم

سُئل كِسْرى أنوشِروان : ما قَدْر الحِلْم ؟ فقال : وكيف تَعْرِفُ قَدْر ما لم يَرَ كالَه أحد .

لخالد بن معمر عن حبه لعلى

وقال مُعاوية لخالد بن المُعَمَّر : كيف حُبُّك لعلى بن أبى طالب عليه السلامُ ؟ قال : أُحِبّه لثلاثِ خِصال : على حِلمه إذا غَضِب ، وعلى صِدقه إذا قال ، وعلى وَفائه إذا وَعد .

لبعضهم فى ثلاث يكمل بها الإيمان

وكان يُقال : ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه استكمل الإيمان : من إذا غَضِب لم يُخرِجْه غَضَبُه عن الحقّ ، ومَن إذا رَضى لم يُخرجه رِضاهُ إلى الظُّلم والباطل ، ومن إذا قَدَر لم يَتناول ما ليس له .

لعمر بن الخطاب فى الكلمة المؤذية

وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه : إذا سمعت الكلمةَ تُؤذيك فطَأطِئْ لها حتى تَتخطّاك .

للحسن

وقال الحسنُ : إنما يُعْرف الحِلم عند الغَضَب . فإذا لم تَغْضب لم تَكنْ حليمًا

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وليس يَتِمُّ الحِلْم لِلمَرْء راضِيًا إذا هو عند السُّخط لم يَتَحَلَّمِ
كما لا يَتِمُّ الجُود للمرء مُوسِرًا إذا هو عند العُسْر لم يَتَجَشّمِ

لبعض الحكماء

وقال بعضُ الحكماء : إنّ أفضلَ وادٍ تُرى به الحِلْمُ ، فإذا لم تكن حَليمًا فتحلَّمْ ، فإذا[1] لم تكن عَليمًا فتعلّمْ ، فقلّما تشبّه رجلٌ بقَوْم إلا كان منهم .

وقال بعضُهم : الحِلم عُدّةٌ على السّفيه ، لأنك لا تُقابل سفيهًا بالإعراض عنه والاستخفاف بِفعْله إلا أذْللْتَه .

ويقال : ليس الحَليم مَن ظُلِم فحَلُم حتى إذا قَدَر انتقم ، ولكنّ الحَليم من ظُلِم فحَلُم ثم قَدَر فعَفا .

---

(١) يلوح لنا أن قبل هذه العبارة عبارة فى العلم سقطت من الناسخ تقابل قوله فى الحلم أولا « إن أفضل واد ترى به الحلم » .

وللأحنف أو غيره : — للأحنف

ولرُبَّما ضَحِكَ الحليمُ من الأذَى   وفؤادُه من حَرِّه يتــأوَّهُ
ولرُبَّما شَــكَلَ الحليمُ لسانَه   حَــذَرَ الجوابِ وإنّه لمُفَوَّه

وقيل : ما استَبَّ اثنان إلا غَلبَ ألأَمُهما . — لبعضهم

وقال الأحنف : وجدتُ الحلم أنصرَ لى من الرِّجال . — للأحنف

وقال بعضُهم : إيّاك وعِزّةَ الغَضب فإنها تُصيِّرك إلى ذلّ الاعتذار . — لبعضهم

وقيل : مَن حَلُم ساد ، ومن تَفهَّم ازداد .

وقال الأحنف : ما نازعنى[1] أحد قطُّ إلا أخذتُ أمرى بإحدى ثلاث : إن كان فوقى عرفتُ قدرَه ، وإن كان دُونى أكرمتُ نفسى عنه ، وإن كان مثلى تفضَّلت عليه . — للأحنف

ولقد أحْسن الذى أخذ هذا المعنى فنظَمه فقال : — لبعض الشعراء فى معنى قول الأحنف

إذا كَان دُونى مَنْ بُليت بجهْله   أبَيْتُ لِنفْسى أن تُقارِع بالجهْلِ
وإن كَان مثلى ثم جاء بزَلّةٍ   هَويتُ لصَفْحى أن يُضاف إلى العَدْلِ
وإن كنت أدنى منه قدراً ومَنْصِبا   عَرفت له حقّ التقــدّم والفَضْل

وفى مِثْله قال بعضُ الشعراء :

سأُلزِم نَفسى الصَّفحَ عن كل مُذْنبٍ   وإن كَثُرت منــه إلىَّ الجرائمُ
وما الناسُ إلا واحــدٌ من ثلاثةٍ   شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوِم
فأمَّا الذى فَوقى فأعْرِف فضــلَه   وأتبع فيــه الحقَّ والحقُّ قائم
وأمّا الذى دونى فإن قال صُنْت عن   إجابتـــه نَفْسى وإن لامَ لائِم

---

(١) فى ى : « دارعنى » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

وأمّا الذى مِثْلى فإنْ زلَّ أو هَفَا ... تفضّلت إنّ الفضْل للحرّ لازم

لأصرم بن قيس

ولأصْرم بن قَيْس ، ويُقال إنها لعلىّ عليه السلامُ :

أصَمُّ عن الكَلِمِ المُحْفِظاتِ ... وأحْلُمُ والحِلْمُ بى أشْبَهُ

وإنّى لأتْرُكُ جُلَّ[1] الكلام ... لئلاَّ أجابَ بما أكْرَه

إذا ما اجْتَرَرْتُ سِفاه السّفيه ... علىَّ فإنّى أنا الأسْفَه

فلا تَغْترر برُوَاء الرِّجال ... وما زَخْرَفوا لك أو مَوَّهوا

فكم من فَتًى يُعْجِب الناظرين ... له ألسُنٌ وله أوْجُه

ينام إذا حَضَر المَكْرُماتِ ... وعند الدَّناءة يَسْتَنْبه

شعر للحسن بن رجاء

وللحَسن بن رجاء :

أحِبُّ مكارِم الأخلاق جَهْدِى ... وأكْره أن أعيب وأن أعابا

وأصْفَح عن سِباب النّاس حِلْماً ... وشرُّ الناس من يَهْوَى[2] السِّبابا

ومن هَاب الرجالَ تَهَيَّبوه ... ومن حَقَر الرِّجال فلن يُهابا

ومن قَضَت الرجالُ له حُقوقاً ... ولم يَقْض الحُقوق فما أصابا

لمحمد بن على

وقال محمد بن علىّ رضوان الله عنهما : مَن حَلُمَ وَقَى عِرْضَه ، ومن جادت كَفُّه حَسُن ثناؤه ، ومن أصْلح مالَه استَغْنى ، ومن احتمل المَكْروه كثُرت محاسنُه ، ومن صَبر حُمِد أمرُه ، ومن كظَمَ غيظَه فشا إحسانُه ، ومن عَفا عن الذُّنوب كثُرت أياديه ، ومن اتّقى الله كفاه ما أهمَّه .

بين على بن أبى طالب وكبير من الفرس

وسأل أميرُ المؤمنين علىٌّ عليه السلامُ كبيراً من كُبراء الفُرْس : أىُّ شىء لمُلوكِكم كان أحمدَ عندكم ؟ قال : كان لأرْدَشير فضل السَّبْق فى المَمْلكة ،

(١) جل الكلام ، أى كثيره . أو لعلها : « حل الكلام » بالحاء المهملة ، أى ما يحل ويباح منه .

(٢) فى ى : « يهدى » .

غيرَ أنَّ أحمدَهم سيرةً أنو شِرْوان . قال : فأىّ أخلاقِه كان أغلبَ عليه ؟ قال : الحِلْم والأناة . قال : هما توأمان يُنتجهما عُلوّ الهِمّة .

ولمحمود بن الحسن الورّاق : — لمحمود الوراق

إنى وَهَبْتُ لظالمِى ظُلْمِى … وغفَرْتُ ذاك له على عِلمِ
ورأيتُه أسدَى إلىَّ يداً … لما أبان بجهْله حِلْمِى
رَجَعَتْ إساءتُه عليه وإحْ … سانِى إلىَّ مُضاعَف الغُنْم[1]
وغدوتُ ذا أجْرٍ ومَحْمدةٍ … وغدا بكَسْب الظُّلم والإثْم
وكأنما الإحسانُ كان له … وأنا المُسىء إليه فى الحُكْم
ما زال يَظْلمنى وأرْحمه … حتى رَثَيْتُ له من الظُّلْم

ولمحمد بن زياد يصف حُلماء : — شعر لمحمد بن زياد

تخالُهمُ فى الناس صُمًّا عن الخَنَى … وخُرْساً عن الفحشاء عند التَّهاجُرِ
ومَرْضَى إذا لُوقُوا حياءً وعِفّةً … وعند الحِفَاظ كاللُّيوث الخوادِرِ
كأنّ لهم وَصْماً يخافون عارَه … وما ذاك إلا لاتقاء المَعايِر

وله أيضاً :

وأرْفع نفْسى عن نُفوسٍ وربّما … تَذلّلتُ فى إكرامها لنُفوسِ
وإنْ رامنى يوماً خَسيسٌ بجهْله … أبى اللهُ أن أرْضَى بعِرْض خَسيسِ

قال وهب : مكتوب فى الإنجيل : لا ينبغى لإمام أن يكون جائراً ومنه يُلْتَمس العَدْل ، ولا سَفيهاً ومنه يُقْتبس الحِلْم . — لوهب

ولبعضهم : — لبعض الشعراء

وإذا استشارك مَنْ تَوَدّ فقُلْ له … أطِعِ الحَليم إذا الحليمُ نَهاكا

(١) فى الأصول . « الحزم » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .

وأعلم بأنّك لن تَسُود ولن ترَى ... سُبل الرّشادِ إذا أطعتَ هَواكا

وقال آخر :

وكن مَعْدِناً للحِلم واصفَحْ عن الأذى ... فإنّك راءٍ ما عملتَ وسامِعُ

وأحْبِب إذا أحببتَ حُبًّا مُقارِباً ... فإنك لا تَدْرِى متى أنتَ نازِع

وأبغِض إذا أبغضتَ غيرَ مُباين ... فإنّك لا تَدْرِى متى أنت راجِع]

باب السودد

لعدى بن حاتم

قيل لعَدِىّ بنِ حاتم : ما السُّودد ؟ قال : السّيد الأحمق فى ماله ، الذّليل فى عِرْضه ، المُطّرِح لِحقده .

لقيس بن عاصم

وقيل لقَيْس بن عاصم : بم سَوَّدك قومُك ؟ قال : بكفّ الأذى ، وبذْل النّدى ، ونَصْر المَوْلى .

للأحنف فى تسويد قومه له

وقال رجلٌ للأحْنف ، بم سوَّدك قومُك وما أنت بأشرفهم بَيْتاً ، ولا أصْبحهم وَجهاً ، ولا أحسنهم خُلُقا ؟ قال : بخِلاف ما فيك يابنَ أخى ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : بتَرْكى من أمْرك ما لا يَعْنِينى كما عَناك من أمْرى ما لا يَعْنِيك .

بين عمر بن الخطاب ورجل

وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه لرجل : مَن سيِّد قَوْمك ؟ قال : أنا ؛ قال : كذبت ؛ لو كنتَ كذلك لم تَقُله .

أوس بن حارثة وحاتم بن عبدالله وإياس بن قبيصة بين يدى النعمان

وقال ابنُ الكَلْبى : قَدِم أوسُ بنُ حارثة بن لأم الطائى وحاتم بنُ عبد الله الطّائىّ على النُّعمان بن المُنذر ، فقال لإياس بنِ قَبيصة الطائىّ : أيهما أفضل ؟ قال : أبيتَ اللعنَ أيها الملك . إنّى من أحدهما[(١)] ، ولكنْ سَلْهما عن أنفسهما فإنهما يُخْبرانك . فدخل عليه أوسٌ ، فقال أنت أفضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ

(١) فى ى : « إنى منهما » .

اللعن ، إنّ أدنَى ولد حاتم أفضــلُ منى ، ولو كنتُ أنا وولدى ومالى لحاتم لأَنْهَبَنا(١) فى غَداة واحدة . ثم دخــل عليه حاتم ، فقال له : أنت أفضلُ أم أوس ؟ فقال : أبيتَ اللعن ، إنّ أدنى ولد لأوْس أفضلُ منى . فقال النعمان : هذا والله السُّودد ، وأمر لكل واحد منهما بمائة من الإبل(٢) .

لروح بن زنباع يجيب عبد الله عن مالك بن مسمع

وسأل عبــدُ الملك بن مَروانَ روحَ بن زِنْباع عن مالك بن مِسْمع ، فقال : لو غَضِب مالكٌ لغَضِب معه مائةُ ألف سيف(٣) لا يسأله واحدٌ منهم : لم غضبتَ ؟ فقال عبدُ الملك : هذا والله السُّودد .

جزائر ملك اليمن إلى مكة واستئثار أبى سفيان بذبحها

أبو حاتم عن العُتْبى قال : أهدى ملكُ اليمن سبعَ جزائرَ إلى مكة ، وأوصى أن ينحرها أعزُّ قرشىٍّ بها ، فأتت وأبو سفيان عَروس بهند ، فقالت له هِنْــد : يا هذا ، لا تَشغلك النّساء عن هذه الأكرومة التى لعلّك أن تُسْــبق إليها ؛ فقال لها : يا هذه ، ذَرِى زَوْجك وما اختار لنفسه ، فوالله لا نحرها أحــدٌ إلا نحرتُه . فكانت فى عُقُلها حتى خرَج إليها بعد السابع فنحرها .

لهند فى ابنها معاوية

ونظر رجلٌ إلى مُعاوية ، وهو غلام صغير ، فقال : إنى أظنّ أنّ هذا الغلام سيسود قومَه ، فسمعته أمه هِنْد فقالت : ثَكِلتُهُ إذاً إن لم يَسُد غيرَ قومه .

للهيثم بن عدى

وقال الهيثم بن عَدِىّ : كانوا يقولون : إذا كان الصبىّ سابِل الغُرّة ، طويل الغُرْلة ، مُلتاث الإزْرَة(٤) ، فذاك الذى لا يُشكّ فى سُودده .

بين ضمرة بن ضمرة والنعمان

ودخل ضَمْرة بن(٥) ضَمْرة على النُّعمان بن المُنْذر ، وكانت به دَمامة

(١) فى ا : « لوهبنا » .
(٢) ورد هذا الخبر فى عيون الأخبار (ج١ ص ٢٣ ، ٢٤) وهو يختلف عنه هنا كثيرا .
(٣) فى ى : « مائة ألف لا يسأله » .
(٤) الإزارة (بالكسر) : هيئة الائتزار .
(٥) كذا فى ا ، ى والاشتقاق والشعر والشعراء . والذى فى سائر الأصول : « ضمرة ابن أبى ضمرة » .

شديدة ، فالتفت النعمانُ إلى أصحابه ، وقال : تَسمع بالمُعيدىّ خيرٌ من أن تَراه . فقال : أيها الملك ، إنما المرء بأصغريه قلبِه ولسانه ، فإن قال قال بِبَيان ، وإن قاتل قاتل بجَنَان . قال : صدقت ، وبِحَقٍّ سوّدك قومُك .

لعرابة فى تسويد قومه له

وقيل لعَرابة الأوْسىّ : بِم سوّدك قومُك ؟ قال : بأربع خِلال : أنْخَدع لهم فى مالى ، وأذِلّ لهم فى عِرْضى ، ولا أحْقِر صَغيرَهم ، ولا أحسُد كبيرَهم .

للشماخ فى عرابة الأوسى

وفى عَرابة الأوْسىّ يقول الشّمّاخ ، وهو [ابن] ضِرار :

رأيتُ عَرابةَ الأوْسىّ يَسمو إلى الخَيْرَاتِ مُنقطع القَرِينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجْـدٍ تلقَّـاها عَرابة باليمين

لبعضهم

وقالوا : يَسود الرجل بأربعة أشياء : بالعَقل والأدب والعِلم والمال .

مثل من حلم سلم ابن نوفل

٢٢٠/١

وكان سلم بنُ نوفل سيِّدَ بنى كِنانة فوثب رجـلٌ على ابنه وابن أخيه ، فجَرَحهما ، فأُتى به ، فقال [له] : ما أمّنك[1] من انتقامى ؟ قال : فلِم سوّدْناك إذاً ، إلا أن تكْظم الغيظ ، وتَحْلُم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه ؟ فخلّى سبيلَه ، فقال فيه الشاعر :

يُسـوَّد أقوامٌ وليسوا بسادةٍ بل السيِّد الصِّنديد سَلم بنُ نوفلِ

بين ابن الكلبى وخالد العنبرى فى السودد

وقال ابن الكلْبى : قال لى خالدٌ العَنْبرىّ[2] : ما تَعُدُّون السُّودد ؟ قلت : أمّا فى الجاهليّة فالرِّياسة ، وأما فى الإسلام فالوِلاية ، وخَيْرٌ من ذا وذاك التقوَى ؛ قال : صدقت ؛ كان أبى يقول : لم يُدرِك الأوّلُ الشرفَ إلا بالعقلِ ، ولم يُدرِك الآخرُ إلا بما أدْرك به الأوّل ؛ قلتُ له : صدق أبوك ، إنما ساد الأحنف بن قيس بحِلْمه ، ومالك بن مِسْمَع بحُبّ العشـيرة له ، وقُتيبة بن مُسلم بدَهائه ، وساد المُهلّب بهذه الخِلال كلّها .

(١) فى بعض الأصول : « ما أمكنك » وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « القسرى » .

لمنتجع بن نبهان فى السميدع

الأصمعى قال : قيل لأعرابىّ يقال له مُنْتَجِع بن نَبْهان : ما السَّميدع ؟ قال : السيّد المُوَطّأ الأكناف .

عمر بن الخطاب والعباس وأبو سفيان

وكان عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] يُفرش له فِراش فى بَيْتِه فى وَقْت خلافته ، فلا يجلس عليه أحد إلا العبّاس بن عبد المطّلب ، وأبو سُفيان بن حَرْب

للنبى صلى الله عليه وسلم فى أبى سفيان

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سُفيان : كلُّ الصَّيد فى جَوْف الفَرا . والفرأ : الحِمار الوَحْشِى ، وهو مَهموز ، وجَمْعه فِراء ، ومعناه : أنه فى الناس مثل الحِمار الوَحشى فى الوحش .

بين عمرو بن العاص وقوم ماثلوا بينه وبين أخيه هشام

ودخل عمرو بنُ العاص مكة ، فرأى قومًا مِن قُرَيش قد تحلّقوا حَلقة ، فلما رأوه رَموا بأبصارهم إليه ، فعَدل إليهم ، فقال : أحْسَبَكم كنتم فى شىء من ذِكْرِى ؟ قالوا : أجل ، كنا نُمَاثِل بينكَ و بين أخيكَ هِشام ، أيّكما أفضل . فقال عمرو : إنّ لهشام علىّ أربعةً : أمّه ابنة هِشام بن المُغيرة ، وأمى من قد عَرفتم ؛ وكان أحبَّ الناس إلى أبيه منّى ، وقد عرفتم مَعرفة الوالد بالولد ؛ وأسْلَمَ قبلى ، واستُشْهِد و بقيتُ .

قيس بن عاصم ينصح بنيه

قال قيسُ بن عاصم لبَنِيه لما حضرته الوفاة : [يا بَنىّ] ، احفَظوا عنّى فلا أحدَ أنصح لكم منّى ، أمّا إذ أنا مِتُّ فسَوِّدوا كِبارَكم ولا تُسوِّدوا صِغارَكم ، فيَحْقِر الناسُ كِبارَكم .

للأحنف بن قيس فى السودد

وقال الأحنفُ بن قيس : السُّودد مع السَّواد .

وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير : أحدهما ، أن يكون أراد بالسواد سوادَ الشعر ، يقول : من لم يَسُد مع الحَداثة لم يَسُد مع الشيخوخة . والوجه الآخر أن يكون أراد بالسَّواد سوادَ الناس ودَهْمائهم ، يقول : من لم يَطِرْ له اسمٌ على ألسنة العامّة بالسُّودد لم يَنفعه ما طار له فى الخاصّة .

شعر لأبان بن مسلمة

وقال أبانُ بن مَسْلمة(١) :

وَلسْنا كقَوْمٍ مُحْدَثين سِيادةً يُرَى ما لها ولا تُحَسّ فَعالُها(٢)
مَساعِيهمُ مَقْصورَةٌ فى بُيوتِهم ومَسْعاتُنا ذُبيانُ طرًّا عِيالُها

سفيان بن عيينة بعد موت نظرائه

الهَيْثم بن عَدِىّ قال : لما انفرد سُفيان بن عُيينة ومات نُظراؤه من العُلَماء تكاثر الناسُ عليه ، فأنشأ يقول :

خَلَت الدِّيارُ فَسُدت غَيْرَ مُسَوَّد ومِنَ الشَّـقاء تَفَرُّدِى بالسُّودَدِ

سودد الرجـــل بنفسه

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : مَن أسْرع به عَمَلُه لم يُبْطِىء به حَسَبُه ، ومَن أبطأ به عمله لم يُسرع به حسبُه(٣) .

لقس بن ساعدة

وقال قُسُّ بن ساعدة : مَن فاتَه حَسَبُ نَفْسه لم يَنْفعه حَسَب أبيه .

لبعضهم

وقالوا : إنما الناس بأبدانهم .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدت عِصاما(٤) وعَـلَّمته الـكَرَّ والإقْـداما

شعر لعبد الله بن معاوية

وقال عبدُ الله بن مُعاوية :

٢٢١/١

لَسْنا وإن كَرُمَت أَوائِلُنا يومًا على الأحْساب نَتَّكِلُ
نَبْنى كما كانت أوائلُنـا تَبْنى ونَفْعل مثـلَ ما فَعلوا

---

(١) فى عيون الأخبار : « زبان بن سيار » .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « يريد ما لها ذلا يحسن فعالها » . وفيه تحريف ظاهر .
(٣) فى بعض الأصول : « نسبة » .
(٤) عصام : عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة :

فإنى لا ألوم على دخـــول ولـــكن ما وراءك ياعصام

لقس بن ساعدة فى اللؤم والكرم

وقال قُسُّ بنُ ساعدة : لأقضِيَنَّ بين العرب بقَضِيَّة لم يَقْضِ بها أحدٌ قبلى ، ولا يَرُدُّها أحدٌ بعدى ، أيّما رجلٌ رمَى رجلا بملَامة دُونها كَرَم فلا لَوْمَ عليه ، وأيما رجلٌ ادّعى كَرَماً دونه لُؤم فلا كَرَم له .

لعائشة

وقالت عائشةُ رضى الله عنها : كُلُّ كرم دونه لُؤم فاللُّؤم أوْلَى به ، وكلّ لُوم دونه كَرم فالكَرَم أولى به .

تريد أنّ أوْلى الأمور بالإنسان خِصال نَفْسه ، فإن كان كَرِيمًا وآباؤه لِئام لم يَضُرّه ذلك ، وإن كان لئيما وآباؤه كِرَامٌ لم ينفعه ذلك .

شعر لعامر بن الطفيل

وقال عامرُ بن الطفيل العامرىّ :

وإنّى وإن كُنت ابنَ سيّد عامرٍ وفارِسِها المَشْهور فى كُلِّ مَوْكِبِ
فما سَوَّدَتنى عامرٌ عَنْ وِراثةٍ أبَى اللهُ أنْ أسْمُو بجَدٍّ[1] ولا أب
ولكنّنى أحْمِى حِماها وأتّقِى أذاها وأرْمِى مَن رَماها بمَنْكِبِى

بين عبد الملك ورجل أعجبه

وتكلم رجلٌ عند عبد الملك بن مَرْوان بكلام ذَهب فيه كلَّ مَذهب ، فأعْجب عبدَ الملك ما سمع من كلامه ، فقال له : ابنُ من أنت ؟ قال : أنا ابنُ نَفْسى يا أميرَ المؤمنين التى بها توَصَّلت إليك ؛ قال : صدقتَ .

لشاعر فى هذا المعنى

فأخذ الشاعرُ هذا المعنى ، فقال :

مالِيَ عَقْلِى وَهِمّتِى حَسَبِى ما أنا مَوْلًى ولا أنا عَرَبِى
إذا انتمَى مُنْتَمٍ إلى أحد فإنّنى مُنْتَمٍ إلى أدَبِى

لبعض المحدثين

وقال بعض المُحْدَثين :

رأيتُ رِجالَ بَنِى[2] دَالِقٍ مُلوكًا بِفَضْل تِجاراتِهِمْ

(١) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢٧) : « بأم » .
(٢) فى بعض الأصول : « دانق » . وفى بعض آخر : « دابق » . وما أثبتناه هو ما عليه أكثر الأصول .

وبَرْبَرنا عنــد حِيطانهم يَخُوضون فى ذِكْر أمْواتهم
وما النـاسُ إلا بأبْدانهم وأحْسابُهم[1] فى حِرِ أمَّاتهم

المروءة

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : لا دِين إلّا بمرُوءة .

لربيعة الرأى

وقال ربيعةُ الرّأْى : المُروءة سِتّ خِصال : ثلاثة فى الحَضَر وثلاثة فى السَّفر ، فأمّا التى فى السَّفر : فبذْل الزّاد ، وحُسْن الْخلق ، ومُداعبة الرّفيق ؛ وأما التى فى الحَضَر : فتِلاوة القُرآن ، ولُزوم المَساجد ، وعَفاف الفَرْج .

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : المُروءة مُروءتان : مُروءة ظاهرة ، ومُروءة باطنة ، فالمرُوءة الظاهرة الرِّياش ، والمرُوءة الباطنة العَفاف .

بين معاوية ووفد قوم عليه

وقدم وفد على مُعاوية فقال لهم : ما تعَدّون المروءة ؟ قالوا : العَفاف وإصلاح المَعيشة ؛ قال : اسمع يا يزيد .

لأبى هريرة

وقيل لأبى هُريرة : ما المرُوءة ؟ قال : تَقوى الله وتَفقُّد الضَّيعة .

للأحنف

وقيل للأحنف : ما المرُوءة ؟ قال : العِفّة والحِرْفة .

لعبد الله بن عمر

وقال عبدُ الله بن عمر رضى الله عنهما : إنّا مَعْشَرَ قُريش لا نعدُ الحِلْم والجُود سُودداً ، ونعُد العَفافَ وإصلاحَ المال مُروءة .

للأحنف

قال الأحنف : لا مُروءة لـكَذُوب ، ولا سُودد لبَخِيل ، ولا وَرَع لسَيِّئ الْخلق

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبىُّ صلّى الله عليه وسـلّم : تجَاوزوا لِذَوى المرُوآت عن عَثَراتهم ، فوالذى نَفْسى بيده إنّ أحدَهم ليَعْثُر وإنّ يدَه لبِيَد الله .

(١) فى ى : « بأفعالهم * وآباؤهم » .

وقال العُتْبِيّ عن أبيه : لا تَتِمّ مُروءة الرجل إلا بخَمس : أن يكون عالِمًا ، صادِقًا ، عاقلاً ، ذا بَيان ، مُستَغنِيًا عن الناس . للعتبي عن أبيه

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

وما المَرْء إلا حَيْثُ يَجعل نَفْسَه فَفِي صالح الأَخْلاق نَفسَك فاَجْعَلِ

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان : أكان مُصْعب بن الزُّبير يَشْرب الطِّلاء ؟ لعبد الملك بن مروان فى مصعب

٢٢٢ / ١ فقال : لو عَلِم مُصعب أنّ الماء يُفسِدُ مُروءته ما شَرِبه .

وقالوا : من أخذ من الدِّيك ثلاثةَ أشياء ، ومن الغُراب ثلاثة أشياء ، تَمّ بها أدبُه ومُروءته : مَن أخذ من الدِّيك سَخاءه وشَجاعته وغَيْرته ، ومن الغُراب بُكوره لطَلَب الرِّزق وشدَّة حَذَره وسَتْر سِفاده . لبعضهم

طبقـــات الرجال

قال خالد بن صَفْوان : الناسُ ثلاثُ طبقات : طَبقة عُلماء ، وطَبقة خُطباء ، وطبقة أُدباء ؛ ورِجْرِجة بين ذلك يُغْلُون الأسعار ، ويُضَيِّقون الأسواق ، ويُكدِّرون المِياه . لخالد بن صفوان فى معنى هذا العنوان

وقال الحسن : الرِّجال ثلاثة : فرَجل كالغِذاء لا يُستغنى عنه ، ورَجُل كالدَّواء لا يحتاج إليه إلا حِينًا بعد حِين ، ورَجل كالدّاء لا يُحتاج إليه أبداً . الحسن

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير : الناسُ ثلاثة : ناسٌ ونَسْناس وناس غُمِسوا فى ماء الناس . لمطرف بن الشخير

وقال الخليل بن أحمد : الرجالُ أربعة : فرَجل يَدْرِي ويَدْرى أنه يَدْرى ، فذلك عالم فَسَلُوه ، ورجُل يَدْرى ولا يَدْرى أنه يَدْرى فذلك النّاسى فذَكِّروه ، للخليل بن أحمد

ورجُل لا يَدْرى ويَدْرى أنه لا يَدْرى ، فذلك الجاهلُ فعلّموه ، ورجُل لا يَدْرى ولا يَدرى أنه لا يَدرى ، فذلك الأحمقُ فارفضُوه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

أليس من البَلْوى بأنّك جاهلٌ وأنك لا تَدْرى بأنك لا تَدْرى
إذا كنت لا تَدْرى ولستَ كمَن دَرَى فكيف إذاً تَدْرِى بأنك لا تَدْرى *

ولآخر :

وما الدّاء إلاّ أن تُعلِّم جاهلا ويَزْعُم جهلاً أنه منك أعْلَمُ

لعلى بن أبى طالب

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الناس ثلاثة : عالمٌ ربّانى ، ومُتعلِّمٌ على سَبِيل نَجَاة ، ورَعَاع هَمَجٌ يميلون مع كل ريح .

للحكماء

وقالت الحُكماء : الإخوانُ ثلاثة : فأخٌ يُخْلِص لك وُدّه ، ويَبْذُلُ لك رِفْدَه ، ويَستَفْرغ فى مُهِمّك جُهْده ؛ وأخٌ ذو نِيّة يَقتصر بك على حُسن نيّته دون رِفْده ومَعُونته ، وأخٌ يتملّق لك بلِسانه ويَتَشاغَل عنك بشانه ، ويُوسعك مِن كَذِبه وأيْمانه .

لعبد الله بن مسعود فى رجل مر به

وقال الشعبىّ : مَرّ رجُل بعَبد الله بن مَسعُود ، فقال لأصحابه : هذا لا يَعْلم ، ولا يَعْلم أنه لا يَعْلم ، ولا يتعلّم ممن يَعْلم .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : كُنْ عالماً أو مُتعلماً ولا تكُن الثالثة فتَهْلِك

الغـــوغاء

الغوغاء : الدَّبا ، وهى صِغار الجَراد ، وشُبِّه بها سَوَادُ الناس

لعبد الله بن عباس فى الغوغاء

وذُكر الغَوْغاء عند عبد الله بن عبّاس فقال : ما اجتمعوا قطُّ إلا ضَرُّوا ، ولا افترقوا إلاّ نفعوا .

وقيل له : قد عَلِمْنا ما ضَرُّ اجتماعهم ، فما نَفْع افتراقهم ؟ قال : يَذْهب الحجَّام إلى دُكَّانه ، والحدّاد إلى أكياره ، وكلُّ صانع إلى صِناعته .

لعمر بن الخطاب فى قوم

ونظر عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه إلى قَوْم يَتبعون رجلاً أُخذ فى رِيبَة ، فقال : لا مَرْحبًا بهذه الوُجوه التى لا تُرَى إلا فى كلِّ شَرٍّ .

لأبى تمام

وقال حبيب بن أوس الطائى :

إنْ شِئْتَ أن يَسْوَدَّ ظَنُّك كُلُّهُ   فأَجِلْهُ فى هذا السَّوَادِ الأعْظَمِ

لدعبل

وقال دِعْبل :

ما أكْثرَ النَّاسَ لا بَلْ ما أقلَّهم   اللهُ يَعْلم أنّى لم أقُلْ فَنَدَا
إنّى لأفتح عَيْنِى حِينَ أفتَحها   على كَثِيرٍ ولكنْ لا أرَى أحدا

الثقلاء

لعائشة

قالت عائشةُ أم المؤمنين رضى الله عنها : نزلتْ آيةٌ فى الثُّقلاء : (فإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا ولا مُسْتَأْنِسِين لِحَدِيث) .

للشعبى

وقال الشَّعبى : مَن فاتَتْه رَكْعتا الفَجْر فَلْيلعن الثقلاء .

لجالينوس

٢٢٣/١ وقيل لجالينوس : بِمَ صار الرجلُ الثقيلُ أثقلَ من الحِمْل الثقيل ؟ فقال : لأنّ الرجلَ الثقيل إنما ثِقَلُه على القَلْب دون الجوارح . والحِمْل الثَّقيل يَسْتَعِين فيه المرء[1] بالجَوارح .

لسهل بن هارون

وقال سَهْل بن هارون : من ثَقُل عليك بنَفْسه ، وغَمَّك بسُؤاله ، فأَعِرْه أُذنًا صَمّاء ، وعَيْنًا عَمْياء .

---

(١) فى الأصول : « القلب » . والصواب ما أثبتناه .

لأبى هريرة

وكان أبو هُرَيرة إذا استثقل رجلا ، قال : اللهم اغفِر له وأرِحْنا منه .

للأعمش

وكان الأعمشُ إذا حَضر مجلسه ثقيلٌ يقول :

فما الفيلُ تَحْمِلُه مَيِّتًا بأثقلَ من بَعْض جُلّاسِنا

بين أبى حنيفة والأعمش

وقال أبو حَنيفة للأعمش ، وأتاه عائدًا فى مرضه : لَوْلا أن أثقُل عليك أبا محمّد لعُدْتك والله فى كلِّ يوم مرّتين ؛ فقال له الأعمش : والله يابن أخى ، أنتَ ثقيل علىَّ وأنتَ فى بَيْتِك ، فكيف لو جِئْتنى فى كلِّ يوم مرّتين .

لبعضهم

وذكر رجلٌ ثقيلاً كان يَجْلِس إليه ، فقال : والله إنى لأُبغِضُ شِقِّى الذى يليه إذا جلس إلىّ .

ونَقَشَ رجل على خاتَمه : أبْرَمْتَ فَقُم . فكان إذا جَلس إليه ثقيلٌ ناوَله إيّاه وقال : اقرأ ما على هذا الخاتم .

لحماد بن سلمة

وكان حَمّاد بن سَلَمة إذا رأى من يَستثقله قال : (رَبَّنا اكْشِفْ عَنّا العَذابَ إنّا مُؤْمِنُون) .

لبشار فى أبى عمران

وقال بشّار العُقَيلىُّ فى ثقيل يُكنى أبا عِمْران :

رُبَّما يَثقُل الجَليسُ وإنْ كا نَ خفيفًا فى كِفّة المِيزانِ

ولقد قلتُ إذْ أطَلَّ عَلَى القَوْ مِ ثقيلٌ يُرْبى عَلَى ثَهْلانَ

كيفَ لا تَحْمِل الأمانةَ أرْضٌ حَمَلَتْ فوقَها أبا عِمْرانِ

لبعض الشعراء

ولآخر :

أنتَ يا هذا ثقيلُ وثقيل وثقيلُ

أنتَ فى المَنْظَر إنسا نٌ وفى المِيزانِ فِيل

للحسن بن هانئ فى ثقيل

وقال الحَسَن بن هانئٌ فى رجل ثقيل :

ثقيل يُطالِعُنا من أمَمْ إذا سَرّه رَغمُ أنفى ألَمّْ

أقولُ له إذا بَدَا لا بَدَا ... ولا حَمَلَتْهُ إلينا قَدَم
فَقدتُ خيالَكَ لا مِن عَمًى ... وصوتَكَ(١) كلامك لا من صَمَم

وله فيه :

وما أظُنُّ القِلَاصَ(٢) مُنْجِيَتِى ... منك ولا الفُلْكَ أيها الرَّجلُ
ولو رَكِبْتُ البُرَاقَ أدْرَكَنِى ... منك على نَأْى دَارِكَ الثِّقَلُ
هل لك فيما مَلَكْتُهُ هِبَةً(٣) ... تَأْخُذه جُمْلَةً وتَرْتَحِلُ

وله فيه :

يا مَن على الجُلَّاسِ كالفَتَقِ ... كلامُكَ التَّخْديشُ فى الحَلْقِ
هل لك فى مالى وما قد حَوَتْ ... يَدَاىَ من جِلٍّ ومن دِقِّ
تَأْخُذه مِنِّى كذا فِدْيَةً ... وأذْهب فى البُعْد وفى السُّحْقِ

وله فيه :

ألا يا جَبَل المَقْت الّـ ... ـذى أرْسَى فما يَبْرَحْ
لقد أكْثرتُ تفْكِيرِى ... فما أدْرِى لما تَصْلُحْ
فما تَصْلح أنْ تُهْجَى ... ولا تَصْلُحْ أن تُمْدَح ٢٢٤/١

أهْدى رجلٌ من الثُّقلاء إلى رجل من الظُّرفاء جَمَلًا(٤) ، ثم نَزَل عليه حتى أبْرمه ، فقال فيه : لبعض الشعراء فى تقبل أهدى إليه جملا ثم نزل عليه

يا مُبْرِمًا أهْدَى جَمَلْ ... خُذْ وانْصرِف ألْفَىْ جَمَل

(١) كذا فى الأصول وديوان أبى نواس . والذى فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣١٠) : « وأذنى » . وقد جاء هذا الشعر والذى بعده فى العيون غير منسوب .
(٢) فى عيون الأخبار : « الفلاة » .
(٣) فى عيون الأخبار : « ملكت نافلة » .
(٤) فى مجانى الأدب (ج ٣ ص ٢٣٠ طبع بيروت) هنا وفيما سيأتى : « حمل » وهو تحريف .

قالَ وما أوْقارُها قلتُ زَبِيبٌ وعَسَلْ
قال ومَن يَقُودها قلتُ له ألفا رَجُل
قال ومَن يَسُوقها قلتُ له ألفا بَطَل
قال وما لِباسُهم قلتُ حُلِيٌّ وحُلَل
قال وما سِلاحُهم قلتُ سُيوف وأسَل
قال عَبِيد لى إذن قلتُ نَعم ثم خَوَل
قال بهذا فاكتبوا إذن عليكم لى سِجل
قلت له ألفى سِجل فاضمَنْ لنا أن تَرْتحل
قال وقد أضجرتُكم قلتُ أجَل ثم أجَل
قال وقد أبرَمتُكم قلتُ له الأمر جَلَل
قال وقد أثقلتكم قلتُ له فوق الثِّقل
قال فإنى راحلٌ قلتُ العَجَل ثم العَجَل
يا كوكبَ الشُّؤم ومَن أرْبى على نَحْس زُحَل
يا جبَلاً مِن جبَلٍ فى جبَلٍ فوق جبَل

شعر للحمدونى فى بغيض

وقال الحَمْدونىّ فى رجل بَغِيض مَقِيت:

أيابْنَ البَغِيضة وابْن البَغِيض ومَن هو فى البُغض لا يُلْحَقُ
سـألتُك باللّه إلاّ صَدَقْتَ وعِلْمى بأنّكَ لا تَصْدُق
أتبغِضُ نَفسك مِن بُغضها وإلاّ فأنتَ إذن أحْمَقُ

وله فيه:

فى حَمِير الناس إن كُنْـ ـتَ من الناس تُعَدُّ
ولقد أنبئت: إبليـ ـسَ إذا راك يَصُد

لأبى تمام فى مثله

ولحبيب الطائى فى مثله ، أى فى رجل مَقِيت :

يا مَن تَبَرَّمت الدنيـا بطَلعته … كما تَبَرَّمت الأجفـان بالرَّمدِ
يَمشى على الأرض مُختالاً فأَحْسِبه … لبُغض طَلعتـه يَمشى على كَبِدى
لو أنّ فى الأرض جُزءاً من سَماجتِه … لم يَقْدَم المَوْتُ إشفاقاً على أحد

لأبى نواس فى الفضل الرقاشى

والحسن بن هانئ فى الفضل الرَّقاشى :

رأيتُ الرَّقاشىَّ فى مَوْضِــع … وكان إلىَّ بَغيضـــا مَقِيتا
فقال اُقترح بعضَ ما تَشْتَهِى … فقلتُ اُقترحتُ عليك السُّكوتا

الشعبى

وأنشد الشَّعبىُّ :

إنّى بُليتُ بمَعشر … نَوْكَى أخَفُّهُمُ ثَقيلْ
بُلْهٌ إذَا جالسـتُهم … صَدِئَتْ لقُرْبهمُ العُقول
لا يُفهمـــونى قولهم … ويَدِقُّ عنهم ما أقول
فهُمُ كثيرٌ بى كما … أنِّى بقُرْبهم قليـــل

٢٢٥/١

من الكسائى إلى الرقاشى

وقال العُتْبىّ : كتب الكسائىّ إلى الرَّقاشىّ :

شَكَوْتَ إلينا مَجانينَكم … وأشكُو إليك مَجانينَنا
وأنشأتَ تَذْكر قَذَّاركم[1] … فأَنْتِنْ وأقْذِرْ بمَنْ عِندنا
فلَوْلا السَّلامة كُنَّا كَهُم … ولوْلا البَلاء لكانوا كَنا[2]

لأبى تمام

وقال حبيب الطائى :

وصاحبٍ لى مَلِلتُ صُحبتَه … أفقدَنى الله شَخصَه عجِلاَ

---

(١) فى ى : « قذرانكم » .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . ويلاحظ أن الشاعر استعمل الضميرين « هم » و « نا » فى غير موضعيهما ضرورة . والذى فى ى : « لهم » و « لنا » مكان قوله « كلهم » و « كنا » .

سَرَقْتُ سِكِّينه وخاتَمه(١) أقطـع ما بيننا فما فعلا

وقال حبيب :

يا مَن لهُ فى وَجْهه إذ بَدَا كُنوز قارُون من البُغْضِ
لو فرَّ شىءٌ قطُّ مِن شكله فرَّ إذاً بَعْضُكَ من بَعْض
كَوْنُك فى صُلْبِ أبينا ، الّذِى أهْبَطنا جَمعًا إلى الأرْض

لأبى زيد الأنصارى

وقال أبو حاتم : وأنشدنى أبو زَيْد الأنصارىّ النّحوى صاحبُ النّوادر :

وَجْهُ يحيى يدْعو إلى البَصْق فيه غير أنّى أصُـون عنه بُصاق

للعتبى

قال أبو حاتم : وأنشدنى العُتْبىّ :

له وَجْه يَحِلّ البَصـقُ فيه ويَحْرُم أن يُلَقّى بالتَّحيّـة

قال وأنشدنى :

قَميصُ أبى أُميّة ما عَلِمتم وأوْسَخُ منه جِلْدُ أبى أُميّه

التفاؤل بالأسمـاء

بين عمر بن الخطاب وظالم ابن سراقة

سأل عُمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً أراد أن يَسْتعين به على عَمل عن اسمه واسم أبيه . فقال : ظالم بن سُراقة ، فقال : تَظْلِم أنت ويَسْرِق أبوك ؟ ولم يَسْتَعِن به فى شىء .

وبينه وبين شهاب بن حرقة

وأقبل رجلٌ إلى عُمَر بن الخطاب فقال له عمر : ما اسْمُك ؟ فقال : شِهاب ابن حُرْقة ، قال : ممَّن ؟ قال : من أهل حَرَّة النار(٢) ، قال : وأين مَسكنك ؟ قال : بذات لَظى ، قال : اذهب فإن أهلَك قد احترقوا . فكان كما قال عمر رضى الله عنه(٣) .

---

(١) أو لعله : « وخنجره » . (٢) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ١٤٤) : « حرة ليلى » . وهما موضعان قرب المدينة . (٣) فى الخبر فى نهاية الأرب طول وخلاف فارجع إليه .

وبينه وبين مسروق ابن الأجدع

ولقى عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه مَسْروق بن الأَجْدع ، فقال له : من أنتَ ؟ قال : مَسْروق بن الأجدع . قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : الأجدع شيطان .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى البريد

وروى سُفيان عن هِشام الدَّسْتُوائىّ عن يحيى بن أبى كَثير قال : كَتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أمرائه : لا تُبْردوا بريداً إلّا حَسَن الوجه ، حَسَنَ الأسم .

بين الحجاج ومالك ابن بشير رسول المهلب اليه

ولمّا فَرغ المُهلّب بن أبى صُفْرة من حرب الأزارقة وجّه بالفتح إلى الحجّاج رجلاً يقال له مالك بن بَشِير ؛ فلما دخل على الحجّاج ، قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بَشِير ، قال : مُلْك و بِشارة .

وقال الشاعر :

وإذا تكُون كريهةٌ فرّجْتها أدعو بأسْلم مَرّةً ورَباحِ

يُرِيد التّطيّر[1] بأسْلم ورَباح ، للسّلامة والرِّبح .

من تفاؤل النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل بأنصارى فى المدينة

٢٢٦/١ الرِّياشى عن الأصمعىّ قال : لما قَدِم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ نَزَل على رجل من الأنصار ، فصاح الرجلُ بغُلامَيه : يا سالم ويا يسار ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : سَلِمت لنا الدّار فى يُسْر .

بين حزن بن أبى وهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال سَعيد بن المسيَّب بن حَزْن بن أبى وَهْب المَخْزومى : قَدِم جَدِّى حَزْن بن أبى وَهْب على النّبى صلّى الله عليه وسلم ، فقال له : كيف اسمُك ؟ قال : حَزْن ، قال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بل سَهْل ؛ قال : ما كنتُ لأدع اسماً سَمّتنى به أُمّى . قال : سَعِيد : فإنا لنَجد تلك الحُزُونة فى أخلاقنا إلى اليوم .

---

(١) فى الأصول : « النظير » . وهو تصحيف . والتطير يستعمل فى معنى التفاؤل بالخير كما هنا .

وإنما تطيّرت العرب من الغُراب للغُربة ، إذ كان اسمُه مُشتقًّا منها .

لأبى الشيص

وقال أبو الشِّيص :

أشاقَكَ واللّيلُ مُلْقِي الجِرانِ غُرابٌ يَنُوح على غُصْن بانِ
وفى نَعَبات الغُراب اغْتِراب وفى البان بَيْنٌ بَعيد التّدانِ

لأبى الشيص فى السفرجل

ولآخر فى السَّفَرْجل :

أهْدَى إليه سَفَرْجلاً فتطيّرا منه فظَلّ مُفكّرًا مُستعبِرا
خَوْفَ الفِراق لأنّ شَطْر هِجائه سَفَر وحَقّ له بأن يتطيّرا

لآخر فى السوسن

ولآخر فى السَّوْسن :

يا ذا الّذى أهْدَى لنا السَّوْسَنا ما كنتَ فى إهدائه مُحْسِنا
شَطْرُ اسمه سَوء فقد سُؤتنى ياليت أنّى لم أرَ السَّوْسَنا

ولآخر فى الأترج

ولآخرَ فى الأُتْرُجّ :

أهْدَى إليه حبيبُه أُتْرُجّة فبكَى وأشفَق من عِيافة زاجرِ
خافَ التّبدّل والتّلوّن إنّها لَوْنان باطنُها خلافُ الظّاهر

للطائى فى الحمام

وقال الطائى فى الحَمام :

هُنّ الحَمام فإن كَسَرتَ عِيافةً مِن حائهنّ فإنهن حِمامُ

بين أشعب وقينة بالمدينة

وكان أشعبُ يختلف إلى قَيْنة بالمَدينة ، فلمّا أراد الخُروج سألها أن تُعطيه خاتَم ذَهب فى يَدِها ليُذكّرها به ، قالت : إنه ذَهب ، وأخاف أن تَذهب ، ولكن هذا العُود فلعلّك أن تعود .

باب الطيرة

للنبى صلى الله عليه وسلم فى الطيرة

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : ثلاثة لا يَكاد يَسْلم منهنّ أحد : الطِّيرة والظّن والحَسد ، قيل : فما المَخْرج منهنّ يا رسولَ الله ؟ قال : إذا تطيّرتَ فلا

تَرْجع ، و إذا ظَنَنت فلا تُحقِّق ، و إذا حَسَدت فلا تبْغ .

لأبي حاتم

وقال أبو حاتم : السانح ما وَلاَّكَ مَيامِنه ، والبارِح ما وَلاَّكَ مَياسره ، والجابه ما استقبلك من تِجاهك ، والقَعِيد الذى يَأْتيك من خَلْفك .

للنبي صلى الله عليه وسلم فى العدوى والطيرة

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا عَدْوَى ولا طِيَرة .

وقال : ليس منّا من تَطيّر .

وقال : إذا رَأَى أحدُكم الطِّيرة فقال : اللهمّ لا طَير إلا طَيْرك ، ولا خَيْر إلا خَيْرك ، ولا إله غَيْرك ، لم تَضُرّه .

تطير العرب وشعر لبعضهم

وقد كانت العَرب تتطيّر ، ويأتى ذلك فى أشعارهم ، وقال بعضُهم :

وما صَدَقَتْكَ الطَّيْرُ يوم لَقِيتَنا وما كان مَنْ دَلاَّكَ فينا بخابِر

لحسان بن ثابت

وقال حسّان رضى الله تعالى عنه :

يا ليتَ شِعْرى ولَيت الطَّير تُخبِرنى ما كان بين علىّ وابن عفّانا
لَتسمعنّ وشِيكاً فى دِيارِهمُ اللهُ أكبرَ يا ثاراتِ عُثْمانا

للحسن بن هانئ

وقال الحَسَن بن هانئ :

قامَ الأميرُ بأمر الله فى البَشَر واستَقْبل المُلْكَ فى مُسْتَقبل العُمُر
فالطَّير تُخْبِرنا والطَّيرُ صادقةٌ عن طِيبِ عَيْش وعن طُول من العُمر

قتيبة بن مسلم فى خراسان

وقال الشَّيْبانى : لما قَدِم قُتيبة بن مُسْلِم والِيًا على خُراسان ، قام خَطِيبًا ، فَسقطت المِخْصَرَة من يَدِه فتطيّر بها أهلُ خُراسان ، فقال : أيها الناس ، ليس كما ظَنَنتم ولكنه كما قال الشاعر :

فألْقت عَصاها واستقرّت بها النّوى كما قرّ عَيْناً بالإيابِ المُسافِرُ

اتخاذ الإخوان وما يجب لهم

وصية داود لابنه سليمان عليهما السلام

رَوَى الأوزاعىّ عن يَحْيَى بن أبى كَثير أنّ داود قال لابنه سُليمان عليهما السلام : يا بُنىّ لا تَستقلّ عَدُوًّا واحداً ولا تَستكثِر ألف صَديق ، ولا تَستبدل بأخٍ قديم أخاً مُستحدَثاً ما أستقام لك .

فى الأثر

وفى الحديث المرفوع : المَرْء كَثير بأخيه .

لشبيب بن شيبة

وقال شَبِيب بن شَيْبة : إخوان الصَّفاء خير مَكاسب الدُّنيا ، هم زِينةٌ فى الرَّخاء ، وعُدَّة فى البَلاء ، ومَعُونة على الأعداء .

لابن الأعرابى

وأنشد أبنُ الأعرابىّ :

لَعَمْرُك ما مالُ الفَتَى بذَخيرة ولكن إخوانَ الصَّفاء الذَّخائرُ

للأحنف بن قيس

وقال الأحنف بن قَيْس : خَيْرُ الإخوان إن أستغنيت عنه لم يَزِدْك فى المَودّة ، وإن احتجْت إليه لم يَنقُصك منها ، وإن كُوثِرت عَضدك ، وإن أسترفدت رَفَدَك ، وأنشد :

أخوكَ الذى إن تَدْعُه لِمُلِمّة يُجِبْك وإن تَغضب إلى السَّيف يَغضب

لبعض الشعراء

ولآخر(١) :

أخاكَ أخاكَ إنّ مَن لا أخا له كَساعٍ إلى الهَيْجا بغَيْر سِلاحِ
وإنّ أبن عمّ المَرْء فاعلَم جَناحُه وهل يَنْهض البازِى بغَيْرِ جَناحِ

مما يجب للصديق على الصديق

ومما يَجب للصَّديق على الصَّديق النصيحةُ جَهْده . فقد قالوا : صَدِيق الرجل مِرْآتُه تُرِيه حَسناتِه وسيّآته .

---

(١) هو مسكين الدارى ، واسمه ربيعة بن عامر . (انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ١ س ٤٦٦ طبعة بلاق) . والأغانى (ج ١٨ س ٧٠) .

لبعضهم فى الصديق

وقالوا الصَّدِيق من صَدَقك وُدّه ، وبَذَل لك رِفْدَه .

[وقالوا : أربعة لا تُعْرَف إلا عِنْد أربعة : لا يُعرف الشجاع إلا عند الحَرْب ، ولا الحَلِيم إلا عند الغَضَب ، ولا الأمين إلا عند الأخْذ والعَطاء ، ولا الإخوانُ إلا عند النّوائب] .

وقالوا : خير الإخوان مَن أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

فإنّ أوْلَى المَوالى أن تُواليه ... عند السُّرور لِمَن واساكَ فى الحَزَن[1]
إنّ الكِرامَ إذا ما أُسهِلوا ذَكَرُوا ... مَن كان يألفهُم فى المَنزِل الخَشِن

ولآخر[2] :

البِرُّ من كَرَم الطَّبيعه ... والمَنّ مَفْسدة الصَّنِيعه
تَرْكُ التعهُّد للصَّديق يكون داعيةَ القَطِيعه

لعبد الصمد بن المعذل فى الحسن ابن إبراهيم

أنشد محمدُ بن يزيد المبرِّد لعبد الصَّمد بن المُعذَّل فى الحسن بن إبراهيم[3] :

يا مَن فَدَت نَفْسَه نفسى ومن جُعِلت ... له وِقاءً لِمَا يخشى وأخشاهُ
أبْلِغ أخاكَ وإنْ شطَّ المَزار به ... أنّى وإنْ كُنتُ لا ألقاه ألقاه[4]
وأنّ طَرْفِىَ مَوْصول برُؤْيته ... وإنْ تَباعد عن مَثْواى مَثْواه
الله يَعْلم أنّى لستُ أذكُره ... وكيف يَذْكره مَن ليس يَنْساه[5]

(١) هذان البيان لأبى تمام من قصيدة له فى أبى الحسن على بن مرة . ورواية البيت الأول فى الديوان :

أولى البرية حقا أن تراعيه ... عند السرور الذى آساك فى الحزن

(٢) فى ا ، ى : « وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه » .

(٣) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « إبراهيم بن الحسن » . وهو تحريف ، فالبيت الخامس من هذا الشعر يؤيد ما أثبتناه .

(٤) لسب هذا البيت والبيتان بعده فى عيون الأخبار (ج ٣ س ٢٧) لعلى بن الجهم .

(٥) فى عيون الأخبار . « وكيف أذكره إذ لست أنساه » .

عُدُّوا فهل حَسَنٌ لم يَحْوِهِ حَسَنٌ(١) وهَلْ فتًى عَدَلَت جَدْواه جَدْوَاه
فالدَّهر يَفْنى ولا تَفْنى مَكارمه والقَطْر يُحْصَى ولا تُحْصَى عَطَاياه

لبعض الولاة فى الأصدقاء

وقيل لبعض الوُلاة(٢) : كم صديقاً لك ؟ قال : لا أدرى ، الدُّنيا مُقْبِلة علىَّ والناس كلّهم أصْدقائى ، وإنما أعرِف ذلك إذا أدبرَتْ عنّى . ٢٢٨/١

بين المنصور ورجل من بطانته

ولما صارت الخِلافة إلى المَنْصور كتب إليه رجلٌ من إخوانه كتاباً فيه هذه الأبيات :

إنّا بِطَانتُك الأُلَى كُنّا نُكابِد ما نُكابِدْ
ونُرَى فنُعْرَف بالعَدا وَةِ والبِعاد لمن تُباعد
ونَبِيت فى شَفَق عَلَيـــك رَبيئةً والليلُ هاجِد

أصناف الإخوان(٣)

للعتابى فى معنى هذا العنوان

قال العَتّابى : الإخوانُ ثلاثة أصناف : فَرْع بائنٌ من أصله ، وأصْل مُتّصل بفَرْعه ، وفَرْع ليس له أصْل . فأمّا الفرع البائن من أصله ، فإخاء بُنى على مودّة ثم انقطعت فحُفِظ على ذمام الصُّحبة ؛ وأما الأصل المتّصل بفَرْعه ، فإخاء أصله الكرم وأغصانه التّقوى ؛ وأما الفرع الذى لا أصل له ، فالمُموَّه الظاهر الذى ليس له باطن .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : الصاحب رُقْعة فى قيصك فانظر بم تُرَقِّعه .

لبعضهم فى علامة الصديق

ويقال : من علامة الصَّديق أن يكون لصَديق صديقه صديقاً ولعدوّه عدوًّا .

إطراء دحية الكلبى لمعاوية بين يدى على وشعر على فى الرد عليه

وقَدِم دِحْية(٤) الكَلْبىّ على أمير المؤمنين علىّ عليه السلامُ ، فما زال يَذْكر

(١) هو الحسن بن إبراهيم المدوح .
(٢) فى ا ، ى : « وقيل لرجل من الولاة » .
(٣) جاء هذا الباب متأخراً فى أكثر الأصول عن موضعه هذا بعد الكلام على « رد المأمون على الملحدين وأهل الأهواء » . وقد أثبتناه هنا من ى .
(٤) فى الأصول : « دحيم » . وهو تحريف .

مُعاويةَ ويُطْرِيه فى مجلسه ؛ فقال علىٌّ عليه السلام :

صَدِيقُ عَدُوِّى داخلٌ فى عَدَاوَتى ... وإنِّى لمن وَدَّ الصَّديقَ وَدُودُ
فلا تَقْرَبَاً منّى وأنت صَديقُهُ ... فإنَّ الذى بين القُلوب بعيدُ

شعر للعتابى فى معنى ما سبق

وفى هذا المعنى قول العتابىّ :

تَوَدُّ عدوِّى ثم تَزعُم أنَّنى ... صديقُك إنّ الرَّأىَ عنك لعازِبُ
وليس أخى مَن وَدَّنى رَأْىَ عَيْنِه ... ولكنْ أخى مَن وَدَّنى وهو غائبُ

شعر غير منسوب

وقال آخر :

ليس الصديقُ الذى إن زَلَّ صاحبُه ... يومًا رَأَى الذنبَ منه غيرَ مغْفُورِ
وإنْ أضاع له حَقًّا فعاتَبَه[1] ... فيه أتاه بتَزْوِيق المَعاذِرِ
إنّ الصَّديق الذى أَلْقاه[2] يَعذِر لى ... ما ليس صاحبُه فيه بمَعْذُور

وقال الآخر :

كم مِن أخٍ لك لم يَلِدْه أبُوكا ... وأخٍ أبوهُ أبوكَ قد يَجْفُوكَا
صافِ الكِرَامَ إذا أردتَ إخاءَهم ... وٱعْلَمْ بأنّ أخا الحِفاظ أخُوكا
والناسُ ما ٱستغنيتَ كُنتَ أخاهُمُ ... وإذا ٱفتقرتَ إليهمُ رَفَضُوكا

وقال بعضهم :

أخوك الذى إن قمتَ بالسَّيْف عامِدًا ... لتَضْرِبَه لم يَسْتغشَّك فى الوُدِّ
وإن[3] جئتَ تَبْغى كفَّه لتُبِينَها ... لبادَرَ إشفاقًا عليك من الرَّدِّ
يَرى أنّه فى الودّ وانٍ مُقصِّرٌ[4] ... على أنّه قد زادَ فيه على الجَهْد

وقال آخر :

إنْ كنتَ مُتَّخذًا خَلِيلاَ ... فتَنَقَّ وٱنتَقِد الخَلِيلاَ

(١) فى بعض الأصول : « فكاتبه » . (٢) فى بعض الأصول : « تلقاه » .
(٣) فى بعض الأصول : « ولو » .
(٤) فى بعض الأصول : « كان مقصرا » مكان قوله « وان مقصر » .

مَن لم يكُن لك مُنصِفاً في الوُدِّ فابْغِ به بَدِيلا
وَلَقلّمـا تَلقى اللّئِيـم عليك إلا مُسْتَطِيلا

للمطوى

ولِلمَطوِيّ:

صُنِ الوُدَّ إلاّ عن الأكرمين ومَن بمُؤاخاته تَشرُفُ
ولا تغترِرْ مِن ذَوِي خَلّة بما مَوّهوا لك أو زخرفوا
وكم من أخٍ ظاهر وِدُّه ضَمِـيرُ مودّته أحْيَفُ(١)
إذا أنت عاتبتَـه في الإخا ء تُنْكِرُ منه الذي تَعرِف

شعر العباس بن جرير إلى الحسن ابن مخلد

وكتب العبّاس بن جَرير إلى الحَسن بن مَخْلد:

أرْعَ الإخاء أبا مُحمَّـد للّذى يَصْفو وصُنْهُ
وإذا رأيتَ مُنافِسـا في نَيْل مَكْرُمة فكُنْهُ
إنّ الصـديقَ هو الذى يَرعاكَ حَيْثُ تَغِيب عنه
فإذا كَشَفتَ إخاءَهُ أحمدتَ ما كَشّفتَ منهُ
مِثْل الحُسام إذا انتضا هُ أخُو الحَفِيظة لم يَخُنْهُ
يَسْـمى لما تَسْمى له كرَمًا وإنْ لم تَسْتَعِنْهُ

لآخرين

وقال آخر:

خَيْرُ إخوانِكَ المُشارِك في المُـرّ وأين الشَّرِيكُ في المُرّ أينا
الذي إنْ شَهدتَ زادَك في البِـرّ(٢) وإن غِبْتَ كان أُذْنا وعَيْنا

وقال آخر:

ومِنَ البَلاء أخٌ جنايتُه عَلَقٌ بنا ولِغَيرِنا سَلَبُهْ

(١) أحيف، أى مجدب مقفر. والذى فى ى: «أخيف». والذى فى سائر الأصول: «أجيف». وظاهر أنهما مصحفتان عما أثبتناه.
(٢) فى بعض الأصول: «فى الحضر انسر» مكان قوله «زادك فى البر».

ولآخر :

إذا رأيتُ انحرافاً من أخِي ثِقَةٍ ضاقتْ علىَّ برُحْبِ الأرض أوْطاني
فإن صددتُ بوَجْهى كَىْ أكافئه فالعَينُ غضْبَى وقَلْبى غيرُ غضْبان

بين بعض الشعراء ومحمد بن بشار

وكتب بعضُهم إلى محمد بن بَشّار .

مَنْ لم يُرِدْكَ فلا تُرِدْهُ لِيَكُنْ[1] كَمَنْ لم تَسْتَفِدْهُ[2]
باعِدْ أخاكَ لبُعْدِه وإذا دَنا شِبْراً فزِدْه
كم مِن أخٍ لك يابنَ بَشّارٍ وأُمُّك لم تَلِدْه
وأخِي مُناسَبةٍ يَسُوءُك ، غَيْبُه[3] لم تَفْتَقِدْه

فأجابه محمد بن بَشّار :

غَلِطَ الفَتى فى قوْله : مَن لم يُرِدْكَ فلاَ تُرِدْه
مَن يَأْنس[4] الإخْوان لم يَبْذُ العِتابَ ولم يُعِدْه
عاتِبْ أخاك إذا هَفا واعْطِفْ بوُدِّك واسْتَعِدْه
وإذا أتاك بِعَيْبِه واشٍ فقُل لم تَعْتمده

معاتبة الصديق واستبقاء مودته

للحكماء

قالت الحكماء : مما يجب للصَّديق على الصديق الإغضاء عن زلاّته ، والتّجاوز عن سيِّآته ، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبتَه بلا إكثار ، فإنّ كثرةَ العتاب مَدْرجة للقَطيعة .

لعلى بن أبى طالب

وقال علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه : لا تَقْطَع أخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون استِعْتاب .

---

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « وكن » .
(٢) فى أكثر الأصول : « تستعده » . والتصويب عن ا ، ى .
(٣) فى الأصول : « عيبه » . وهو مصحف مما أثبتناه .
(٤) كذا فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول : « نافس » .

لأبى الدرداء

وقال أبو الدَّرداء : مَن لك بأخيك كلّه .

لبعضهم

وقالوا : أىّ الرجال المُهذّب .

لبشار

وقال بشّار العُقَيْلىّ :

إذا أنتَ لم تَشْرب مِراراً على القَذَى   ظَمِئْتَ وأىُّ النّاسِ تَصْفو مَشارِبُه

لبعضهم

وقالوا : مُعاتبة الأخ خَيْرٌ من فَقْدِه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

إذا ذَهب العِتاب فليْسَ وُدٌّ   ويَبْقَى الوُدُّ ما بَقِى العِتابُ

لمحمد بن أبان

ولمحمد[1] بن أبان :

إذا أنا لم أصْبِرْ على الذّنب مِن أخٍ   وكنتُ أجازيه فأين التفاضلُ
[إذا ما دهانى مِفْصَلٌ فقطعتُه   بَقيتُ وما لى للنُّهوض مَفاصل]
ولكنْ أداويه فإن صَحّ سَرّنى   وإنْ هو أعْيا كان فيه تَحامُل

للأحنف

وقال الأحنف : مِن حقّ الصّديق أن يتحمّل ثلاثاً : ظُلم الغضب ، وظُلم الدالّة ، وظُلم الهَفوة .

لعبدالله بن معاوية

لعبد الله بن مُعاوية :

ولستُ ببادى صاحِبى بقَطِيعة   ولستُ بمُفْشٍ سِرَّه حين يَغْضبُ
عَليك بإخوان الثِّقَات فإنهم   قليلٌ فصِلْهم دُون مَن كنت تَصْحب
وما الخِدْن إلا مَن صَفا لك وُدّه   ومَن هو ذو نُصْح وأنت مُغَيَّب

ومما يستجلب الإخاء والمودة ولين الكلمة[2]

لعلى بن أبى طالب

قال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : مَن لانت كَلِمته وَجَبت مَحبّته . وأنشد :

(١) كذا فى ى وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « أحمد » .
(٢) جاء هذا الباب ضمن الكلام على أصناف الإخوان من غير هذا العنوان . وقد أثبتناه هنا مستقلا بعنوانه عن ى .

كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسيتَ ممَّا ... يُنبِتُ(١) الوُدَّ فى فؤادِ الكريمِ

ما يجب للصديق على الصديق

وعَلَى الصديقِ ألاَّ يلقَى صديقه إلا بما يُحب، ولا يُؤذِى جليسَه، فيما هو عنه بمعزِل، ولا يأتى ما يَعيب مِثْلَه، ولا يعيب ما يأتى شَكْلَه. وقد قال المتوكِّل اللَّيثى:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأْتِىَ مِثْلَه ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عَظِيمُ

لعمر بن الخطاب

وقال عمرُ بن الخطَّاب رضى الله عنه: ثلاثٌ تُثْبِت لك الوُدَّ فى صَدْرِ أخيك: أن تَبدأه بالسَّلام، وتُوسع له فى المَجْلس، وتَدْعوه بأحبّ الأسماء إليه.

وقال: ليس شىءٌ أبلغَ فى خَيْرٍ(٢) ولا شَرٍّ من صاحب.

لبعض الشعراء

وقال الشاعر:

إن كُنتَ تبغى الأَمْرَ(٣) أو أصلَه ... وشاهداً يُخبر عن غائبِ

فاعْتَبِرِ الأرضَ بأشْباهِها(٤) ... واعْتَبِرِ الصَّاحبَ بالصَّاحبِ

لعدى بن زيد

لعَدِىّ بن زَيْد:

عَنِ المَرْءِ لا تَسَلْ وسَلْ عَنْ قَرِينِه(٥) ... فكُلُّ قرينٍ بالمُقارِنِ يَقْتَدِى

لعمرو بن جبيل

ولعمرو(٦) بن جَمِيل التَّغْلبى:

سأصْبِرُ من صَديقى إنْ جَفانى ... على كلِّ الأذَى إلاَّ الهَوانَا

فإنَّ الحُرَّ يأْنَفُ فى خَلاءٍ ... وإن حَضَر الجماعةَ أن يُهانَا

بين مطيع بن إياس وخاطب لمودته

وقال رجلٌ لمُطِيع بن إياس: جِئْتُك خاطبًا مَوَدَّتك؛ قال: قد زَوَّجتكها على شَرط أن تجعل صَداقها أن لا تَسمع فىَّ مقالَ الناس.

لبعضهم

ويقال فى المَثَل: مَن لم يَزْدَرِد الرِّيق لم يستكثر من الصديق.

(١) فى بعض الأصول. «يثبت». وفى بعض آخر: «يغرس»

(٢) كذا فى ى. والذى فى سائر الأصول: «ليس شر فى خير». وفيها تحريف ونقص.

(٣) فى أكثر الأصول: «المرء». والتصويب عن ا، ى.

(٤) كذا فى ى. والذى فى سائر الأصول: «بأسمائها».

(٥) فى بعض الأصول: «وأبصر قرينه» مكان «وسل عن قرينه».

(٦) فى ى: «ولعمر».

لإبراهيم بن العباس

وما أحسنَ ما قال إبراهيمُ[(١)] بن العبّاس :

يا صديقى الذى بَذَلْت له الو دَّ وأنزلته على أحشائى
إنَّ عَيْناً أفدِيتُها لَتَراءِ كَ على ما بها مِن الإقذاء
ما بها حاجةٌ إليك ولكنْ هى مَعقودة بحَبْل الوَفاء

لابن أبى حازم

ولابن أبى حازم :

أَرْضَ من المَرْء فى مَوَدّته بما يُؤَدِّى إليكَ ظاهرُه
مَن يَكْشِف الناسَ لا يَرَى[(٢)] أحداً تَصِحّ منه له[(٣)] سَرائرُه
تُوشِك أن لا تُتِم[(٤)] وَصْلَ أخٍ فى كلّ زَلّاته تُنافِره
إنْ ساءنى صاحِبى احتملتُ وإن سَرّ فإنى أخوه شاكِرُه
أصْفَح عَنْ ذَنْبه وإن طَلَب الـ ـعُذْرَ فإنّى عليه عاذِرُه

لبعض الشعراء

ولغيره :

لعمرى لئن[(٥)] أبطأتُ عنك فلم أزَل لأحْداث دَهْرٍ لا يزال يَعُوق[(٦)]
لقد أصبحتْ نَفْسى عليك شَفيقةً ومِثْلى على أهلِ الوَفاء شَفيق
أَسَرّ بما فيه سُرُورك إنّنى جَديرٌ بمكنون الإخاء حَقِيق
عَدُوٌّ لمن عاديتَ سَلْم مُسالِمٌ لكل أمرئٍ يَهْوَى هواكَ صَدِيق

لأبى عبد الله بن عرفة

ولأبى عبد الله بن عُرْفة :

هُمُومُ رجالٍ فى أمور كَثيرةٍ وهَمِّى من الدُّنيا صديقٌ مُساعِدُ
يكون كرُوح بين جِسْمين فُرِّقا فَجِسْماهما جِسْمان والرُّوح واحِد

(١) فى بعض الأصول : « على » .
(٢) فى بعض الأصول : « لم يجد » .
(٣) فى بعض الأصول : « غدا » .
(٤) فى بعض الأصول : « يوشك أن لا يتم » .
(٥) فى بعض الأصول : « انى إذا » مكان « لعمرى لئن » .
(٦) فى بعض الأصول : « يضيق » .

لبعض الحكماء

قال بعض الحكماء :

الإخاء جَوْهرة رقيقة ، وهى مالم تُوَقِّها وتَحْرُسها مُعرَّضة للآفات ، فَرُض الإخاء[1] بالحدّ له حتى تصل إلى قُربه ، وبالكَظْم حتى يَعتذِر إليك مَن ظَلَمك ، وبالرِّضى حتى لا تَستَكثِر من نَفسك الفَضْل ولا من أخيك التَّقْصير .

لمحمود الوراق

لمحمود الورّاق :

لا بِرَّ أعظمُ من مُساعدةٍ   فاشكُرْ أخاك على مُساعَدَتِهْ
وإذا هَفا فأَقِلْه هَفْوَتَه   حتى يَعودَ أخاً كعادته
فالصَّفْح عن زَلَل الصَّديق وإن   أعْياك خيرٌ من مُعاندته

لعبد الصمد بن المعذل

لعبد الصمد بن المُعذَّل :

مَن لم يُرِدْك ولم تُرِدْهُ   لم يَستَفِدْك ولم تُفِدْهُ
قَرِّبْ صديقَك ما نَأى   وَزِدِ التقاربَ واسْتَزِدْهُ
وإذا وَهَتْ أركان وُدٍّ   مِن أخى ثِقةٍ فَشِدْهُ

فضل الصداقة على القرابة

لبزرجمهر

قيل لبُزُرجمهر : مَن أحبُّ إليك : أخوك أم صديقك ؟ فقال : ما أُحِبُّ أخى إلا إذا كان لى صديقاً .

لأكثم بن صيفى

وقال أكثم بن صَيْفِيّ : القرابة تحتاج إلى مودّة ، والمودّة لا تحتاج إلى قرابة .

لعبد الله بن عباس

وقال عبد الله بن عبّاس : القرابة تُقْطع ، والمعروف يُكفر ، وما رأيتُ كتقارب القلوب .

وقالوا : إيّاكم ومَن تكرهه قلوبُكم فإن القُلوب تُجارِى القلوب .

(١) فى بعض الأصول : « الأبى » مكان « الإخاء » .

لعبد الله بن طاهر

وقال عبد الله بنُ طاهر الخُراسانى[١] :

أمِيل مع الذِّمام[٢] على ابن أُمّى ... وأحْمِل للصديق على[٣] الشّقِيقِ

وإن ألفيتَنى مَلِكاً[٤] مُطاعاً ... فإنك واجدِى عبدَ الصّديق

أُفرِّق بين معروفى ومَنِّى ... وأَجْمع بين مالى والحُقوق

لأبى تمام

وقال حَبيب الطائى :

ولقد سَبَرتُ الناس ثم خَبرتُهم ... ووصفتُ ما وَصفوا من الأسباب

فإذا القرابةُ لا تُقرِّب قاطعاً ... وإذا المودّةُ أقرب الأنساب ٢٢٩/١

للمبرد

وللمبرِّد :

ما القربُ إلا لمن صحّت مَوَدّته ... ولم يَخُنْك وليس القرْبُ للنسَبِ

كم مِن قريبٍ دَوِىّ الصَّدْرِ مُضْطَغِنٍ ... ومن بَعيدٍ سَلِيم غَيْرِ مُقترب

للحكماء

وقالت الحكماء : رُبَّ أخٍ لك لم تَلِدْه أمُّك .

وقالوا : القَريب من قَرُب نَفْعه .

وقالوا : رُبّ بعيدٍ أقرب من قَريب .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

رُبَّ بعيدٍ ناصحُ الجَيْب[٥] ... وابن أبٍ مُتّهم الغَيْبِ

وقال آخر :

أخُو ثقةٍ يُسَرّ ببعض شأنى ... وإنْ لم تُدْنِه منى قَرابهْ

أحبُّ إلىّ من ألفْ قَريب ... تَبِيتُ صُدورهم لى مُسْترابه

---

(١) نسب هذا الشعر فى الأغانى (ج ٩ ص ٢٣ طبعة بلاق) لإبراهيم بن العباس .

(٢) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار والأغانى . والذى فى سائر الأصول : « الرفاق » .

(٣) فى عيون الأخبار : « وأحتمل الصديق على » . وفى الأمالى : « وآخذ للصديق من » .

(٤) فى الأغانى : « حرا » .

(٥) الجيب : القلب والصدر . وناصح الجيب ، أى أمين .

وقال آخر :

فَصِلْ حِبَال البعيد إن وَصَل الْـحَبْلَ وأقص القَرِيبَ إن قَطَعَهْ
قد يَجْمع المالَ غيرُ آكله ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعه
فارْض من الدهر ما أتاك به من قَرّ عَيْنا بعَيْشِه نَفَعه

وقال .

لِكلِّ شيء(١) من الهُموم سَعَةْ والليلُ والصُّبح لا بقاء معهْ
لا تَحْقِرَنَّ الفقيرَ عَلَّكَ أن تركع يوماً والدَّهرُ قد رفعَهْ

لابن هرمة

وقال ابن هَرْمة(٢) :

لله درُّك من فَتَى فَجعت به يومَ البَقِيع حوادِثُ الأيَّام
هَشٌ إذا نَزَل الوُفودُ ببابه سَهْل الحِجاب مُؤَدَّب الخُدَّام(٣)
وإذا رأيت صديقه وشَقِيقه لم تَدْرِ أيهما أخو(٤) الأرحام

التحبب إلى الناس

فى الأثر

فى الحديث المَرْفوع : أحبُّ الناس إلى الله أكثرُهم تَحَبُّبًا إلى الناس .
وفيه أيضاً : إذا أحبَّ الله عبداً حبَّبه إلى الناس .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى .

وَجْهٌ عليه من الحَيَاء سَكِينةٌ ومحبَّـةٌ تَجرى مع الأنفاسِ

(١) فى بعض الأصول : « ضيق » .
(٢) كذا فى الأصول وعيون الأخبار . وقد نسب هذا الشعر فى الحماسة (ص ٣٧٦ طبعة أوربة) لمحمد بن بشير الخارجى . كما نسب فى ابن خلكان : « لمحمد بن بشير ، وقيل لأبى البلهاء عمير بن عامر » . ولم يعرض مرجع من هذه المراجع للإشارة إلى يوم البقيع بكلمة .
(٣) فى الحماسة :

سهل الفناء إذا حللت ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام

(٤) فى الحماسة : « ذوو » .

وإذا أحبَّ الله يوماً عبدَه ألقى عليه محبَّة للناس

من عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقّاص : إن الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبه إلى خَلْقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أنّ مالك عند الله مثلُ ما للناس عندك .

بين أبى دهمان وسعيد بن مسلم حين حجبه سعيد

وقال أبو دُهْمان[1] لسعيد بن مُسلم[2] ووقف إلى بابه فحجبه حيناً ، ثم أذن له ، فمثل بين يديه وقال : إنّ هذا الأمر الّذى صار إليك وفى يديك ، قد كان فى يدَىْ غيرك فأمسى والله حديثاً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتحبَّب إلى عباد الله بحُسن البِشْر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فإن حُبَّ عبادِ الله مَوْصولٌ بحُبّ الله ، وبُغضهم مَوْصول ببغض الله ، لأنهم شُهداء الله على خَلْقه ، ورُقباؤه على من أعوجّ عن سبيله .

الجارود

وقال الجارود : سُوء الخُلق يُفسِد العَمل ، كما يُفسد الخَلُّ العَسل .

لمعاوية فى أحب الناس إليه

وقيل لِمُعاوية : من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : مَن كانت له عِندى يدٌ ٢٣٠ / ١
صالحة ؛ قيل له : ثم مَن ؟ قال : من كانت لى عِنده يدٌ صالحة .

بين محمد بن يزيد والخليل

وقال محمدُ بن يزيد النَّحوى : أتيتُ الخليلَ فوجدتُه جالساً على طُنْفسة صَغِيرة ، فوسّع لى وكَرِهتُ أن أضيِّق عليه ، فانقبضتُ ، فأخذ بِعَضُدى وقرَّبنى إلى نَفْسه ، وقال : إنه لا يَضِيق سَمُّ الخياطِ بمُتحابين ، ولا تَسع الدنيا مُتباغضين

لابن عبد ربه

ومن قَولنا فى هذا المَعنى .

صِل من هَويتَ وإن أبدى مُعاتبةً فأطيبُ العَيْش وَصْلٌ بين إلفين
واقطَعْ حَبائل خِدْنٍ لا تُلائمه فربّما ضاقتِ الدُّنيا بإثنين

---

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ س ٨٤) من الجزء الأول من هذه الطبعة .

(٢) كذا فى أكثر الأصول والبيان والتبيين (ج ٢ س ١٠٥) . والذى فى ا : « سلم » والذى فى ى : « سالم » .

صفة المحبة

بين المأمون وعبد الله بن طاهر فى الحب

أبو بكر الورّاق قال : سأل المأمونُ عبدَ الله بنَ طاهر ذا الرّياستين عن الحبّ ما هو ، فقال : يا أمير المؤمنين إذا تقادحتْ جواهر النُّفوس المُتقاطعة بوَصْل المُشاكلة أنبعثت منها لَمْحَة نور تَسْتضىء بها بواطنُ الأعضاء ، فتحرّك لإشراقها طَبائع الحَياة ، فيتصوّر من ذلك خَلْق حاضر للنَّفس ، مُتّصِل بخَواطِرها يُسمى الحب .

لحماد الراوية فى مثل ذلك

وسُئل حمّاد الراوية عن الحبّ ، فقال : شَجرة أصلها الفِكْر ، وعُروقها الذِّكر ، وأغصانُها السَّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتُها المَنِيّة .

لمعاذ بن سهل

وقال مُعاذ بن سَهْل : الحبُّ أصعبُ ما رُكب ، وأسْكر ، ما شُرِب ، وأفظع ما لُقِى ، وأحْلَى ما اشتُهى ، وأوْجع ما بَطَن ، وأشهى ما عَلَن ، وهو كما قال الشاعر :

وِللحُبّ آياتٌ[1] إذا هى صَرّحت ... تَبدَّت علاماتٌ لها غُرَرٌ صُفْرُ
فباطِنُه سُقْم وظاهِرُه جوًى ... وأوّله ذِكْر وآخرُه فِكْر

لبعضهم

وقالوا : لا يكن حُبّك كَلَفا ، ولا بغضك سَرَفا .

لبشار

وقال بشّار العُقَيْلِىّ .

هل تَعلَمِينَ وَراء الحبّ مَنزِلةً ... تُدْنى إليكِ فإنّ الحبّ أقْصَانِى[2]

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « آفات » .

(٢) نسب هذا البيت فى الأغانى (ج ٩ س ٢٧٧ طبعة دار الكتب) ليعقوب بن إسحاق الربعى المخزومى بين أبيات له .

لبعض الشعراء

وقال غيرُه :

أُحِبّكِ حُبًّا لو تُحِبِّينَ مِثْلَه(١) أصابكِ من وَجْدٍ علىّ جُنُونُ
لَطِيفاً مع الأحْشاء أمّا نهارُه فدَمْعٌ(٢) وأمّا لَيْلُه فأنِينُ

مواصلتك لمن كان يواصل أباك

للنبي صلى الله عليه وسلم

من حديث ابن أبى شَيْبة(٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم : لا تَقْطع مَن كان يواصلُ أباك تُطفِئ بذلك نُورَه ، فإنّ وُدّك وُدُّ أبيك .

لعبد الله بن مسعود

وقال عبدُ الله بن مَسعود : مِن برّ الحىّ بالميِّت أن يَصِل مَن كان يصلُ أباه .

لأبى بكر

وقال أبو بكر : الحبُّ والبغضُ يُتوارثان .

من أمثالهم

ومن أمثالهم فى هذا المعنى : لا تقْتنِ من كلب سَوْء جِرْواً .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

تَرْجُو الوليدَ وقد أعياك والدُه وما رَجاؤُك بعد الوالدِ الوَلَدَا

منازعة تميم بن مر لبكر بن وائل عند بعض ملوك العرب

واجتمع عندَ مَلِكٍ من ملوك العرب . تميمُ بن مُرّ(٤) وبكر بن وائل ، فوقَعت بينهما مُنازعة ومُفاخرة ، فقالا : أيُّها الملكُ ، أعطِنا سَيْفين نتجالد بهما بين يدَيك حتى تَعلم أيُّنا أجْلد . فأمر الملكُ فنُحِت لهما سَيفان من عُودين ، فأعطاهما [إياهما] ، فجعلا يَضْطربان مَاليًا من النهار ، فقال بكرُ بن وائل :

* لو كانَ سيفانا حديداً قطَعا *

---

(١) فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٣) : « لو بليت ببعضه » مكان « لو تحبين مثله » .
(٢) فى عيون الأخبار « فسبت » . والسبت : السكون والراحة .
(٣) لعله أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة .
(٤) كذا فى ى وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٨٥) . والذى فى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى : « مرة » . وهو تحريف .

فقال تميم بن مُرّ : * أو نَحِتا من جَنْدل تَصدّعا *

وحال الملكُ بينهما ، فقال تميم بن مُرّ لبكر بن وائل :

* أساجِلك العَداوةَ ما بَقِينا *

فقال له بكر : * وإنْ مِتْنا نُورِّثها البَنِينا *

فيُقال إن عداوة بكر وتميم من أجل ذلك إلى اليوم .

من عداوة بكر لتميم وشعر ابن حلزة

أبو زيد : قال أبو عُبيدة : بُنِي دُكّان بسجستان بَنَتْه بكر بن وائل ، فهدّمته تميم ، ثم بنَته تميم فهدّمته بكر ، فتواقعوا فى ذلك أربعةً وعشرين وَقعة . ٢٣١/١

فقال ابن حِلِّزة اليَشْكُرى فى ذلك :

قَرِّبى يا خَلِىُّ وَيْحك دِرْعى لَقِحَت حَرْبُنا وحربُ تميمِ
إخوة قَرّشوا[1] الذُّنوب علينا فى حديث من دَهْرِهم وقَدِيم
طَلَبُوا صُلْحنا ولاتَ أوانٍ إنّ ما يَطلبون فوق النُّجُوم

الحسـد

لعلى بن أبى طالب

قال علىٌّ رضى الله عنه : لا راحةَ لِحَسُود ، ولا إخاءَ لمَلُول ، ولا مُحِبٌّ لسَيِّئ الخُلُق .

الحسن

وقال الحسن : ما رأيت ظالمًا أشبهَ بمظلوم من حاسِد ، نَفَس دائم ، وحُزن لازم ، وغم[2] لا يَنفَد .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : كاد الحَسد يَغْلِب القَدَر .

لمعاوية

وقال مُعاوية : كلُّ الناس أقدِر أُرْضِيهم إلاّ حاسدَ نِعْمة ، فإنه لا يُرضيه إلاّ زَوَالُها .

(١) قرشوا الذنوب : جمعوها من هاهنا وهاهنا .
(٢) فى ا ، ى : « وعبرة لا تنفد » .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

كلُّ العَداوة قد تُرْجَى إماتتها إلاَّ عَداوَة مَن عاداكَ مِن حَسَدِ

لعبد الله بن مسعود فى عداوة نعم الله

وقال عبدُ الله بن مَسعود : لا تُعادُوا نِعَم الله ؛ قيل له : ومن يُعادى نِعَم الله ؟ قال : الذين يحسُدون الناسَ على ما آتاهم الله من فَضْله . يقول الله فى بعض الكتب : الحَسُود عدوُّ نِعْمَتى ، مُتَسخِّطٌ لقضائى ، غيرُ راضٍ بِقِسْمَتى .

لبعضهم

ويقال : الحَسَد أوّل ذَنب عُصِى الله به فى السماء ، وأوّل ذَنبٍ عُصِى الله به فى الأرض ؛ فأمّا فى السماء فَحَسدُ إبليس لآدمَ ، وأما فى الأرض فحَسد قابيلَ هابيل .

وقال بعضُ أهل التفسير ، فى قوله تعالى : (رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهما تحتَ أقدامِنا لِيَكُونا من الأَسْفَلِين) . إنه أراد بالذى من الجن إبليس ، والذى من الإنس قابيل ، وذلك أن إبليس أولُ من سَنّ الكفر ، وقابيل أوّل من سَنّ القتل ؛ وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

لأبى العتاهية

ولأبى العتاهية :

فيا رَبِّ إنّ الناس لا يُنصفوننى وكيفَ ولَوْ أنصفتهم[1] ظَلَمُونى
وإنْ كانَ لِى شىءٌ تَصَدَّوْا لأخْذه وإن جئت أبغى سَيْبهم[2] مَنَعُونى
وإن نالَهم بَذْلى فلا شُكْرَ عِندهم وإنْ أنا لم أَبْذُل لهم شَتَمُونى
وإن طَرَقَتْنِى نِقْمَةٌ فَرِحُوا بها وإن صَحِبَتْنى نِعْمَةٌ حَسَدُونى
سأَمْنَع قَلْبِى أن يَحِنّ إليهمُ وأَحْجُب عنهم ناظرى وجُفُونى

لقيس بن زهير حين مر بغطفان

أبو عُبيدة مَعمر بن المُثنّى قال : مَرّ قيس بن زُهير ببلاد غَطَفان ، فرأى ثَرْوَةً وعدداً ، فكَرِه ذلك ؛ فقيل له : أيسُوءك ما يَسرُّ الناس ؟ قال : إنك لا تَدْرى

(١) فى ديوان أبى العتاهية . « وإن أنا لم أنصفهم » .
(٢) كذا فى ى وديوان أبى العتاهية . والذى فى سائر الأصول : « منهم » .

أنّ مع النِّعمة والثَّرْوة التّحاسدَ والتخاذلَ ، وأنّ مع القلّة التحاشُد والتناصُر .

لبعضهم

وكان يقال : ما أثْرَى قَوْمٌ قطّ إلا تحاسدوا وتخاذلوا .

لبعض الحكماء فى ألزم الناس للكآبة

وقال بعضُ الحكماء : ألزَم الناس للكآبة أربعة : رجل حَديد ، ورجل حَسُود ، وخَليط الأدباء وهو غيرُ أديب ، وحَكيم مُحقَّر لدى الأقوام .

شعر لابن المبارك

علىّ بن بِشْر المَرْوزىّ[1] قال : كتب إلىّ ابنُ المُبارك هذه الأبياتَ :

كلّ العَداوة قد تُرْجَى إماتَتُها ... إلاّ عَداوةَ مَنْ عاداكَ من حَسَدِ

فإنّ فى القَلْبِ منها عُقْدَةً عُقِدَتْ ... وليس يَفْتحها راقٍ إلى الأبدِ

إلاّ الإله فإن يَرْحم تُحَلّ به[2] ... وإنْ أباه فلا تَرْجُوه من أحد

لبعض الحكماء فى العدو الذى لا يرغب فى صداقته

سُئِلَ بعضُ الحكماء : أىّ أعدائك لا تُحِبّ أن يَعُود لك صديقاً ؟ قال : الحاسِد الذى لا يَرُدّه إلى [مودتى] إلا زوالُ نِعْمَتى .

لسليمان التيمى فى الحسد

وقال سُلَيمان التَّيْمِىّ : الحَسد يُضْعِف اليَقِين ، ويُسْهِر العَيْن ، ويُكْثِرُ الهمّ .

للأحنف فى رثاء حارثة بن قدامة

الأحنفُ بن قَيْس صَلَّى على حارثة بن قُدامة السَّعْدىّ ، فقال : رَحِمك الله ، كنتَ لا تَحْسُد غَنيا ولا تَحْقِر فقيراً .

لبعضهم

وكان يُقال : لا يُوجَد الحرُّ حَرِيصاً ، ولا الكَرِيم حَسُوداً .

لبعض الحكماء فى أجهد البلاء

وقال بعضُ الحكماء : أجهدُ البَلاء أن تَظْهَرَ الخَلّة ، وتَطول المُدّة ، وتَعْجِز الحِيلة ، ثم لا تعْدَم صَدِيقاً مُوَلّيا[3] ، وابنَ عمٍّ شامتاً وجاراً حاسِدًا ، ووليًّا قد ٢٣٢ / ١
تَحوّل عدوًّا ، وزَوْجة مُخْتلِعة[4] ، وجارية مُسْتَبِيعة[5] ، وعَبداً يَحْقِرك ، وولداً

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « على بن بشير » . والذى فى مجانى الأدب (ج ٣ ص ١١٤) . « كتب ابن بشير المروزى إلى ابن المبارك هذه الأبيات » .

(٢) فى بعض الأصول : « يحللها » . (٣) فى بعض الأصول « مواليا » . وهو تحريف .

(٤) كذا فى ى . والمختلعة : التى تطلب الخلع والطلاق من زوجها . والذى فى سائر الأصول : « مختلفة » . وهو تصحيف .

(٥) كذا فى ى . ومستبيعة ، أى تطلب أن تباع لتخرج من ملك سيدها . والذى فى سائر الأصول : « مستعتبة » وهو تصحيف .

يَنتهرك ، فانظرُ أين مَوْضِع جَهْدك فى الهرَب :

شعر لقرشى فى الحسد

لرجل من قُرَيش :

حَسَدُوا النِّعمةَ لمَّا ظَهَرَت فرَمَوْها بأباطيلِ الكَلِمْ
وإذا ما اللهُ أسْدَى نِعْمَةً لم يَضِرْها قولُ أعداء النِّعَم

لبعضهم

وقيل : إذا سَرّك أن تَسْلم من الحاسد فعَمِّ عليه أمْرَك .

شعر كانت تتمثل به عائشة

وكانت عائشةُ رضى الله عنها تتمثّل بهذين البيتين :

إذا ما الدهرُ جَرَّ على أُناس حوادثَه أناخ بآخَرِينا[1]
فقُلْ للشَّامِتين بنا أفِيقُوا سيَلْقى الشامِتُون كما لَقِينا

لبعض الشعراء فى التحذير من الحسد

ولبعضهم :

إيّاك والحسدَ الذى هو آفةٌ فتَوَقَّه وتَوَقَّ غِيرةَ[2] مَنْ حَسد
إنَّ الحَسُودَ إذا أراكَ مَوَدَّةً بالقَوْل فهو لك العَدُوُّ المُجْتَهِدْ

تحذير إبليس لنوح عليه السلام الحسد والشح

الليثُ بن سَعْد قال : بَلَغنى أنَّ إبليس لقى نُوحًا صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال له إبليس : اتق الحَسد والشح ، فإنى حَسَدتُ آدمَ فخرجتُ من الجنة ، وشَحَّ آدم على شَجرة واحدة مُنِع منها حتى خَرَج من الجنَّة .

الحسن فى أصول الشر وفروعه

وقال الحسنُ : أُصول الشرِّ [ثلاثة] وفُروعه ستَّة ، فالأصول الثلاثة : الحَسَد ، والحِرْص ، وحُبُّ الدُّنيا . والفُروع الستة[3] : [حُبّ النوم ، وحُبّ الشِّبع ، وحُبُّ الراحة ، و] حُبُّ الرآسة وحُبُّ الثناء ، وحُبُّ الفَخْر .

---

(١) نسب هذا الشعر فى الأغانى (ج ١٩ س ٤٩ طبعة بلاق) للعلاء بن قرظة ، خال الفرزدق .

(٢) فى بعض الأصول : « غرة » .

(٣) كذا فى ى ، وعنها التكملة أيضا . والذى فى سائر الأصول : « كذلك » مكان قوله « الستة ... الراحة و » .

وله فى الحسد

وقال الحسن : يَحْسُدُ أحدُهم أخاه حتى يَقَعَ فى سَرِيرته وما يَعْرِف علانِيَته ، ويَلُومه على ما لا يَعْلمه منه ، ويَتعلَّم منه فى الصَّداقة ما يُعَيِّره به إذا كانت العداوة ، واللهِ ما أرى هذا بمُسْلِم .

دعاء لعمر بن ذر

ابنُ أبى الدُّنيا قال : بَلغنى عن عُمر بن ذَرّ[١] أنه قال : اللهم من أرادنا بشرٍّ[٢] فاكفِناه بأىّ حُكْمَيْك[٣] شئت ، إمّا بتَوْبة وإمّا براحة . قال ابنُ عبّاس : ما حسدتُ أحداً على هاتين [الكلمتين] .

لابن عباس

وقال ابنُ عبّاس : لا تحْقِرَنَّ كلمة الحكمة أن تَسْمعها من الفاجر ، فإنما مَثَلُه كما قال الأول : رُبَّ رَمْيَة من غير رام .

لبعض الحكماء فى الحاسد

وقال بعضُ الحكماء : ما أمحقَ للإيمان ، ولا أهتكَ للسّتر من الحسد ، وذلك أنّ الحاسدَ مُعاند لحكم الله . باغٍ على عباده ، عاتٍ على رَبِّه ، يَعْتَدّ نِعم اللهِ نِقَما ، ومَزِيده غِيَرا ، وعَدْل قضائه حَيْفا ، للناس حال وله حال ، ليس يهدأ لَيلُه ، ولا يَنام جَشَعُه ، ولا ينفعه عَيْشُه ، مُحْتقِر لنِعَم الله عليه ، مُتسخِّط ما جرت به أقدارُه ، لا يَبردُ غَليله ، ولا تُؤْمَن غوائله ، إن سالمتَه وَتَرَك[٤] ، وإن وَاصلتَه قَطَعك ، وإن صَرَمْتَه سَبَقك[٥] .

لبعض الحكماء فى مثله

ذُكِر حاسِدٌ عند بعض الحكماء فقال : يا عَجَبا لرجل أسْلَكه الشيطانُ مهاوِى الضَّلالة ، وأورده قُحَم الهَلَكة ، فصار لنعمِ الله تعالى بالمرصاد ، إن أنالها من أحبَّ من عِباده أشْعِر قلبُه الأسف على ما لم يُقْدَر له ، وأغاره الكَلَفُ بما لم يكن لِينالَه .

(١) هو أبو ذر عمر بن ذر الفقيه القاضى ، وكان صالحا عابدا . والذى فى الأصول : « عمر بن أبى ذر » . وهو تحريف . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ س ٥٤٠ طبعة بلاق) .

(٢) فى ى : « بسوء » .

(٣) فى بعض الأصول : « بحكمتك » .

(٤) وترك : أصابك بمكروه .

(٥) أى سبقك إلى الصرم ، وهو القطع .

لبعض الشعراء فى الصبر على حسد الحسود

أنشدنى فتًى بالرَّملة(١) :

اصبِرْ على حَسَد الحَسو د فإنّ صَبْرَكَ قاتِلُه

النَّــارُ تأكل بعضَها إن لم تَجِدْ ما تأكله

الحجاج يصف عيوبه بين يدى عبد الملك

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان للحجّاج : إنه ليس من أحدٍ إلا وهو يَعرف عَيب نفسه ، فصِفْ لى عيوبك . قال : أَعْفِنى يا أمير المؤمنين ؛ قال : لستُ أفعل ؛ قال : أنا لَجُوج لَدُود حَقُود حَسُود(٢) ؛ قال : ما فى إبليس شرٌّ(٣) من هذا . ٢٣٣/١

بين المنصور وسليمان بن معاوية

وقال المنصور لسُليمان بن مُعاوية المُهلَّبى : ما أسرعَ الناسَ إلى قومك(٤) ! فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العَرانِينَ(٥) تَلْقاها مُحَسَّدةً ولن تَرَى للئام الناس حُسَّادَا

شعر لنصر ابن سيار فى الحسد

وأنشد أبو موسى لنصر بن سيَّار :

إنِّى نشأتُ وحُسَّادى ذَوُو عَدَدٍ يا ذا المَعارج لا تَنْقُص لهم عَدَدَا

إنْ يَحْسُدُونى على حُسْنِ البَلاء بهم(٦) فمِثْل حُسْن بَلائى جَرَّ لى حَسَدا

لبعض الشعراء فى معنى ما سبق

وقال آخر :

إن يَحْسُدُونى فإنّى غيرُ لائمهم قبلى من الناس أهلِ الفضل قد حُسِدُوا

فَدَام لى ولهم ما بى وما بهــمُ وما أكثَرُنا غَيظاً بما يَجِد

(١) بالرملة ، أى بقرطبة . (انظر نفح الطيب)

(٢) فى الأمالى : « أنا حديد حسود حقود لجوج ذو قسوة . فبلغ هذا الكلام خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بحذافيره » .

(٣) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « شىء » .

(٤) يعجب من إسراع الناس إلى قومه بالذم والعيب .

(٥) العرانين : السادة الأشراف ؛ الواحد : عرنين .

(٦) بهم ، أى فيهم .

وقال آخر:

إنَّ الغُراب وكان يمشى مِشْيَةً ... فيما مضى من سالف الأحْوالِ[1]
حَسَد القطاة فَرَام يمشى مَشْيَها ... فأصابَه ضَرْبٌ من العُقّال
[فأضلَّ مِشْيته وأخطأ مَشْيها ... فلذاك كنَّـوه أبا مِرْقال]

لأبى تمام

وقال حبيب الطائى:

وإذا أراد الله نَشرَ فَضيلةٍ ... طُوِيت، أتاح لها لسانَ حَسُودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاوَرَت ... ما كان يُعْرف طِيبُ عَرْف العُودِ

شعر لابن مناذر فى حاسد

وقال محمد بن مُناذر:

يأيُّها العائبى وما بىَ من ... عَيبٍ ألاَ ترْعَوِى وتزْدَجِرُ
هلْ لك عِندى وِترٌ فتطْلُبه ... أم أنت مما أتيتَ مُعتَذِرُ
إنْ يَكُ قَسْمُ الإله فَضّلنى ... وأنت صَلْدٌ ما فيك مُعْتَصر
فالحمدُ والشُّكر والثَّناء له ... ولِلْحَسود التُّرابُ والْحَجَرُ
فما الذى يجتنى جَليسُك أوْ ... يَبْدُو لهُ منك حينَ يَختبر
أقرأ لنا سورة تُذَكِّرنا ... فإنّ خيْرَ المواعِظ السُّوَرُ
أو صِف لنا الحُكم فى فرائضنا ... ما نَستَحِقُّ الأنثى أو الذَّكَر
أوِ ارْوِ فِقْهًا تُحيى القُلوبَ به ... جاء به عن نبيِّنا الأثَرُ
أو مِن أعاجيب جاهِلِيَّتنا ... فإنها حِكمةٌ ومُخْتَبر[2]
أو ارْوِ عن فارس لنا مثلاً ... فإنّ أمثالَها لنا عِبَرُ
فإن تكن قد جَهِلت ذاك وذا ... ففيكَ للناظِرين مُعْتَبَر

(١) الأحوال: السنين، جمع حول. وفى رواية: «والأجبال».
(٢) فى أكثر الأصول: «ومعتبر». وما أثبتناه عن ى.

فَغَنِّ صوتاً تُشْجَى النُّفوس[1] به — وبعضُ ما قد أتيتَ يُغتفرُ

بين بصرى وآخر يحسده قومه حتى على الصلب

الأصمعىّ قال : كان رجلٌ من أهل البصرة بذيئاً شِرِّيراً ، يؤذى جيرانه ويَشْتُمُ أعراضهم ، فأتاهُ رجلٌ فوَعظه ، فقال له : ما بالُ جيرانك يَشكونك ؟ ٢٣٤/١ قال : إنهم يَحسدُوننى ؛ قال له : على أىّ شىء يَحسدُونك ؟ قال : على الصَّلْب ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : أَقْبِلْ معى . فأقبل معه إلى جيرانه ، فقعد مُتحازِناً ، فقالوا له : مالَكَ ؟ قال : طَرَق الليلة كتابُ مُعاوية أن أُصْلب أنا ومالك بن المُنذر وفلان وفلان — فذكر رجالاً من أشراف أهل البصْرَة — فوَثبوا عليه ، وقالوا : يا عدوّ الله ، أنت تُصْلب مع هؤلاء ولا كرامةَ لك ! فالتفت إلى الرجل فقال : أما تراهم قد حَسدونى ، على الصَّلب ، فكيف لو كان خيراً !

لأبى عاصم النبيل حين بلغه حسد يحيى ابن سعيد له

وقيل لأبى عاصم النَّبيل : إنّ يحيى بن سَعيد يَحْسُدك وربما قَرَّضك[2] ، فأنشأ يقول :

فلستَ بحىّ ولا مَيِّتٍ — إذا لم تُعادَ ولم تُحْسَدِ

محاســدة الأقارب

من عمر بن الخطاب إلى أبى موسى فى ذوى القرابات

كتب عُمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرىّ : مُرْ ذَوى القَرَابات أن يتزاوروُا ولا يتجاوروُا .

لأكثم

وقال أكثم بن صَيْفِىّ : تباعَدُوا فى الدار تقاربُوا فى المودّة .

لبعضهم

وقالوا : أزْهدُ الناس فى عالمٍ أهلُه .

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « القلوب » .

(٢) كذا فى ى . وقرضك ، أى ذمك . وكما يستعمل التقريض فى المدح يستعمل فى الذم . والذى فى سائر الأصول : « قرظك » .

بين أمية بن الأسكر وابن عم له

فرَج بن سلاّم قال : وَقف أميّة بن الأسكر[1] على ابن عمّ له فقال :

نَشَدْتُك بالبَيت الذى طافَ حولَه   رجالٌ بَنَوه من لُؤَىَّ بن غالبِ
فإنك قد جَرَّبتنى فوجـدتنى   أُعينك فى الجُلّى وأكفيك جانبى
وإن دبَّ من قومى إليك عداوةً   عقاربُهم دبّتْ إليهم عَقارِبى

قال أكذلك أنتَ ؟ قال : نعم ؛ قال : فما بالُ مِثبرك[2] لا يزال إلىَّ دسيسا ؟ قال : لا أعود ؛ قال : قد رضيتُ ، وعفا الله عما سلف .

ليحيى بن سعيد

وقال يحيى بن سعيد : من أراد أن يَبين عملُه ؛ ويَظهر علمُه ، فلْيَجلس فى غير مَجلس رَهْطه .

لبعضهم

وقالوا الأقارب هم العقارب .

لعطاء بن مصعب فيما غلب به على البرامكة

وقيل لعطاء بن مُصعب : كيف غلبتَ على البرامكة[3] وكان عندهم من هو آدبُ منك ؟ قال : كنتُ بعيدَ الدار منهم ، غريبَ الاسم ، عظيمَ الكِبْر ، صغيرَ الجِرْم ، كثيرَ الالتواء ، فقرّبنى إليهم تبعُّدِى منهم ، ورغَّبهم فىَّ رَغبتى عنهم ، وليس للقُرباء طَرافة الغرباء .

بين خالد بن صفوان ورجل ذكر أنه يحبه

وقال رجلٌ لخالد بنِ صَفْوان : إنّى أُحبك ؛ قال : وما يَمنعك من ذلك ولستُ لك بجار ولا أخٍ ولا ابن عم . يريد أن الحسد مُوكل بالأدنى فالأدنى .

بين أبى العباس وأعرابى

الشَّيبانى قال : خَرج أبو العبّاس أميرُ المؤمنين مُتنزِّها بالأنبار فأمعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه ، فوافَى خِبَاءً لأعرابىّ . فقال له الأعرابىّ : ممن الرجل ؟ قال : مِن كِنانة ؛ قال : من أىّ كِنانة ؟ قال : من أبغض كِنانة إلى كِنانة ؛ قال:

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٥٦ طبعة بلاق) والأمالى (ج ٣ ص ١٠٩) . والذى فى الحماسة للبحترى : « أميـة بن الأشكر » . والذى فى سائر الأصول : « أمية بن أبى الأشـكر » .

(٢) المثبر : النميمة والإفساد .

(٣) أى عظمت منزلتك عندهم .

فأنت إذاً من قُريش ؟ قال : نعم ؛ قال : فمن أىّ قريش ؟ قال : من أبعض قريش إلى قُريش ؛ قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ؛ قال : نعم ؛ قال : فمن أىّ وَلَد عبد المطّلب أنت ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المُطلب ؛ قال : فأنت إذاً أميرُ المؤمنين ، السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته . فاستحسنَ ما رأى منه وأمر له بجائزة .

شعر لذى الإصبع العدوانى فى ابن عم له محاسد

وقال ذو الإصبع العَدْوانىّ .

لىَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُق مُحاسِدٌ(١) لِىَ أقليه ويَقْلِينى
أَزْرَى بنا أنّنا شالتْ نعامتُنا فخالنى دُونه أو(٢) خِلْتُه دونى
يا عمرو إلا تَدَعْ شَتْمِى ومَنْقصتى أضْرِبْك حتى تقول الهامةُ اسقونى
ماذا عَلَىّ وإن كنتم ذَوِى رَحِمِى أن لا أُحبَّكمُ إن لم تُحبونى
لا أسألُ الناس عما فى ضمائرهم ما فى ضَمِيرى لهم من ذاك يكفينى

لبعض الشعراء

وقال آخر :

مَهلاً بنى عمِّنا مهلاً مَوالينا لا تَنْبِشُوا بيننا ما كان مَدْفونا(٣)
لا تَطمعوا(٤) أن تُهينونا ونُكرمكم وأن نَكُفَّ الأذى عنكم وتُؤذونا ٢٣٥/١
الله يعلم أنا لا نحبُّكمُ ولا نَلومكمُ إن لم تُحِبُّونا

وقال آخر :

ولقد سَبرتُ الناسَ ثم خَبرتُهم ووصفت ما وصفوا من الأسبابِ
فإذا القرابة لا تقرِّب قاطعا وإذا المودة أقرب الأنساب

---

(١) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٤٨) : « مخالف » .
(٢) فى عيون الأخبار : « بل » .
(٣) رواية هذا الشطر فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢١٣) :
* سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
(٤) فى بعض الأصول : « لا تجمعوا » .

المشاكلة ومعرفة الرجل لصاحبه

لبعضهم فى معنى هذا العنوان

قالوا : أقرب القرابة المُشاكلة ، وقالوا : الصاحب المُناسب .

لأبى تمام حبيب فى معنى ما سبق

وقال حبيب :

وقُلت أخى ؟ قالوا أخٌ من قرابة ؟ فقلت لهم إنّ الشُّكول[1] أقاربُ

وقال أيضاً :

ذو الودّ منّى وذو القُـربى بمنزلةٍ وإخوَتى أسوةٌ عنـدى وإخوانِى
عِصـابةٌ جَاوَرَتْ آدابُهم أدَبى فهُم وإن فُرِّقوا فى الأرض جِيرانى

وقال أيضاً :

إنْ نَفْتَرِقْ نَسَبًا يُؤلِّفْ بيننا أدبٌ أقمْناه مُقـــام الوالدِ
أوْ نَخْتَلف فالوَصْـلُ منَّا ماؤه عَذبٌ تَحـدَّرَ من غَمامٍ واحـد

لبعض الشعراء

وقال آخر :

إنَّ النفوس لأجْنادٌ مُجنَّـدَةٌ بالإذْن من رَبِّنا تجْرى وتَختَلِفُ[2]
فما تَعارفَ منها فهو مُؤتلفٌ وما تَناكر منهـا فهو مُختلف

لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : الأنفس أجْناد مُجنَّدة ، وإنها لتَتَشامّ[3] فى الهَوَى كما تَتشام الخَيْل ، فما تعارف منها ائْتلف ، وما تَنا كر منها اُختلف .

وقال صلى الله عليه وسلّم : الصاحبُ رُقْعة فى الثّوب ، فَلينظر الإنسان بم يَرْقع ثوبه[4] .

---

(١) الشكول : جمع شكل ، وهو ما يوافقك ويصلح لك .
(٢) تختلف : تتردد .
(٣) يقال : شاممت فلانا ، إذا قاربته وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف ، وهى مفاعلة من الشم ، كأنك تشم ما عنده ويشم ما عندك لتعملا بمقتضى ذلك .
(٤) روى هذا الكلام فى عيون الأخبار (ج ٤ ص ٣) مع اختلاف يسير غير منسوب .

وقال عليه الصلاة والسلام : امتحنوا الناس بإخوانهم .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

فاعتبر الأرضَ بأشباهها[1] واعتبر الصاحبَ بالصاحبِ

لبعضهم

وقيل : كلُّ إلف إلى إلفه يَنزِع[2] .

وقال الشاعر :

والإلفُ يَنزِع نحو الآلِفين كما طَيرُ السماء على أُلّافها تَقعُ

لامرئ القيس

وقال امرؤ القيس :

أجارتَنا إنا غريبان هاهنا وكلُّ غريب للغريب نَسِيبُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

إذا كنت فى قومٍ فصاحِبْ خِيارَهم ولا تَصْحب الأرْدى فتردَى مع الرَّدِى

عن المرء لا تَسأل وسَلْ عن قرينه فكلُّ قرين بالمُقارِن يَقتدى[3]

وقال آخر :

أَصحَبْ ذَوِى الفضْل وأَهْلِ الدِّين فالمرْءُ مَنسوبٌ إلى القرينِ

داود عليه السلام وحديث النسر والقصر

أيوب بن سُليمان قال : حدّثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم[4] ، قال : بينما سُليمان بن داود عليهما السلام تحمله الرِّيح ، إذ مرّ بنَسْر واقع على قَصْر ، فقال له : كم لك مذ وقعتَ هاهنا ؟ قال : سبعمائة سنة ؛ قال : فمن بَنى

(١) فى بعض الأصول : « بأسمائها » . وفى بعض آخر : « بسكانها » .
(٢) فى بعض الأصول : « كل إلف يحن إلى إلفه » .
(٣) جاء هذا البيت الثانى فى ديوان طرفة (ص ١٥٣ طبعة أوربة) من بين الأبيات المنسوبة إليه . والراجح أنه لعدى بن زيد من داليته المشهورة التى ذكرها القرشى فى جمهرة أشعار العرب والتى أولها :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد

(٤) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقى . (انظر الديباج ص ١٤٦) .

هذا القصر ؟ قال : لا أدرى ، هكذا وجدتُه ؛ ثم نظر فإذا فيه كتاب مَنْقور بأبيات من شعر وهى :

خَرَجْنا من قُرَى اصطَخرٍ   إلى القصْرِ فَقِلْنــاهُ[1]
فمن يسأل عن القصْرِ   فَمَبْنِيًّــا وَجَــدناه
فلا تَصْحب أخا السّوْء   وإيّــاكَ وإيّــاه
فكم من جاهلٍ أرْدَى   حَكِيما حين آخاه
يُقــاس المرْءُ بالمرْءِ   إذا ما المرْءُ ماشاه
وفى النّاس من النّاس   مقــاييسٌ وأشــباه
وفى العَيْنِ غِنًى للمَيْــن   أن تنطق أفــواه[2]

٢٣٦/١

السعاية والبغى

قال الله تعالى ذِكْرُه : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُم) . وقال عزّ وجل : (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ) .

لبعض الشعراء فى معنى هذا العنوان

وقال الشاعر :

فلا تَسْبِق إلى[3] أحدٍ بِبَغْيٍ   فإنّ البَغْى مَصرعه وَخِيمُ

للعتابى

وقال العتّابى :

بَغَيْتَ فلم تَقعْ إلاّ صَرِيعاً   كذاك البَغْى يَصرع كلَّ باغِى

للمأمون ينصح بعض ولده

وقال المأمون يوماً لبعض وَلده : إياك وأن تُصْغى لاستماع قول السُّعاة ، فإنه ما سَعَى رجلٌ برجل إلا انحطّ من قَدْرِه عندى ما لا يتلافاه أبداً

---

(١) قلناه ، أى تخذناه مقيلا .

(٢) ورد بعض هذا الشعر فى عيون الأخبار (ج ٣ س ٧٩) غير منسوب . كما جاء بعضه أيضاً فى عيون الأخبار (ج ٣ س ٨) منسوبا لأبى العتاهية . غير أنا لم نجده فى ديوان أبى العتاهية .

(٣) فى بعض الأصول : « فلا تسعى على » .

من بعض توقيعاته فى رقاع بعض السعاة وكلامه فيهم

ووقَّع فى رُقعة ساعٍ : سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين .

ووقَّع فى رُقعة رجل سعَى إليه ببعض عُمّاله : قد سَمِعنا ما ذكره الله عزَّ وجلَّ فى كتابه ، فانصرفْ رَحِمك الله .

فكان إذا ذُكر عنده السُّعاة ، قال : ما ظنُّكم بقومٍ يَلعنهم الله على الصِّدق ؟[1]

بين بلال بن أبى بردة وساع

وسعَى رجلٌ إلى بلال بن أبى بُردة ، فقال له : انصرف حتى أكشِفَ عما ذكرت . ثم كشف عن ذلك فإذا هو لغير رِشْدَة[2] ، فقال : أنا أبو عمرو وما كَذبْتُ ولا كُذِبت .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الساعى

حدثنى أبى عن جدّى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السَّاعى لِغَيْر رِشْدة .

بين عبد الملك ورجل أراد الخلوة به

وسأل رجلٌ عبدَ الملك الخَلْوَة ، فقال لأصحابه : إذا شِئْتم فقوموا . فلما تهيَّأ الرجل للكلام ، قال له : إيَّاك أن تَمدحنى ، فأنا أعلم بنفسى منك ، أو تكذِبنى ، فإنه لا رَأْى لكَذُوب ، أو تَسْعى إلىَّ بأحد ، وإن شئتَ أقلتُك ؟ قال : أقِلْنى .

بين الوليد بن عبد الملك وساع بجاره

ودخل رجلٌ على الوليد بن عبد الملك[3] ، وهو والى دِمشق لأبيه ، فقال : للأمير عندى نصيحة ؟ فقال : إن كانت لنا فاذكُرها ، وإن كانت لِغيرنا فلا حاجةَ لنا فيها ؟ قال : جارٌ لى عَصَى وفرَّ مِنْ بَعْثه ؟ قال : أما أنت فتُخبِر أنك جارُ سَوْء ، وإن شئتَ أرسلنا معك ، فإن كنتَ صادقاً أقصَيناك ، وإن كنتَ كاذباً عاقبناك ، وإن شئتَ تاركناك ؟ قال : تارِكْنى .

---

(١) فى ى : « يمقتهم » .

(٢) الرشدة : ضد الزنية (بالكسر فيهما ويفتحان) . ويقال هذا ولد رشدة ، إذا كان لنكاح صحيح . ورواية عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٠) : « فإذا هو لغير أبيه الذى يدعى له » .

(٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٩٩) : « عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك » مكان « الوليد بن عبد الملك » . وبين الخبرين غير هذا خلاف .

بين الإسكندر وبعض الوشاة

وفى سِيَرِ العجم : أنّ رجلاً وَشَى برجل إلى الإسكندر ، فقال : أتُحِب أن تَقْبَل مِنه عليك ومِنك عليه ؟ قال : لا ؛ قال : فَكُفَّ الشر يُكَفَّ عنك الشرُّ .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

إذا الواشى نَعَى[1] يومًا صَدِيقًا فلا تَدَعِ الصديق لقَوْلِ واشِى

لذى الرياستين فى قبول النميمة

وقال ذو الرِّياستين : قَبول النَّميمة شرٌّ من النميمة ، لأنّ النميمة دِلالة ، والقَبُول إجازة ، وليس مَن دَلَّ على شىء كمن قَبِله وأجازه .

لرجل فى السعاة

ذُكِر السُّعاة عند المأمون ، فقال [رجل ممن حَضر] : لو لم يكن من عَيْبهم إلا أنّهم أصدق ما يكونون أبغضُ ما يكونون إلى الله تعالى [لكَفاهُم] .

بين مصعب بن الزبير والأحنف

وعاتب مُصْعبُ بن الزبير الأحنفَ فى شىء ، فأنكره ، فقال : أخْبَرَنى الثقةُ ؛ قال : كلا ، إنّ الثقة لا يُبلِّغ .

وقد جَعل الله السامعَ شريكَ القائل . فقال : (سَمّاعُون للكَذِبِ أكّالُون للسُّحْتِ) .

لبعضهم

وقيل : حَسْبك من شرٍّ سماعُه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

لَعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوُّه ولكنّما سَبَّ الأميرَ المُبَلِّغُ

وقال آخر :

لا تَقبلنّ نَميمةً بُلِّغتَها وتحفَّظَنَّ مِن الذى أنباكَها

إنّ الذى أنباك عنه نَميمةً سَيَدِبُّ[2] عنك بمثلها قد حاكَها

٢٣٧/١ لا تَنقُشَنّ بِرِجْل[3] غيرك شَوْكةً فتَقِي بِرِجْلك رِجْلَ مَن قد شاكَها

(١) كذا فى بعض الأصول وعيون الأخبار . ونعى ، أى نعى الصداقة التى بينك وبينه والذى فى سائر الأصول : « بغى » . وبغى ، أى أراد الصداقة التى بينك وبينه بسوء .

(٢) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٠٢) : « سينم » .

(٣) النقش : استخراج الشوك . والباء فى قوله « برجل » أقيمت مقام « عن » . يقول : لا تنقش عن رجل غيرك شوكا فتجعله فى رجلك . (انظر لسان العرب مادة نقش) .

لدعبل

وقال دِعْبل[١] :

وقد قطَع الواشُون ما كان بيْننا ... ونحنُ إلى أن نُوصِلَ الحَبلَ أحْوَجُ

رَأَوْا عَوْرةً فاستَقْبلوها بألبهم[٢] ... فلم يَنْهِهم حِلْمٌ ولم يتحرَّجوا

وكانوا أناسًا كنتُ آمنُ غَيْبَهم ... فراحُوا على ما لا نُحبّ فأدْلجوا[٣]

الغِيبَـــة

للنبي صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا العنوان

قال النبىّ صلى الله عليه وسلَّم : إذا قلتَ فى الرجل ما فيه فقد اغتَبْته ، وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بهَتّه :

بين محمد بن سيرين وقوم نالوا منه

ومرّ محمدُ سِيرين بقوم ، فقام إليه رجل منهم فقال : أبا بكر ، إنّا قد نِلْنا منك فحلِّلنا ؛ فقال : [إنى] لا أُحِلّ لك ما حرّم الله عليك ، [فأمّا ما كان إلىّ فهو لك] .

بين رقبة بن مصقلة وبعض جلسائه فى رجل ذكروه بشىء

وكان رَقَبة[٤] بن مَصْقلة جالسًا مع أصحابه فذَكَروا رجلاً بشىء ، فاطّلع ذلك الرجلُ ، فقال [له] بعضُ أصحابه : ألاَ أُخْبره بما قُلنا فيه لئلاّ تكون غِيبة ؟ قال : أخْبِره حتى تكون نميمة .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا وعيون الأخبار والشعر والشعراء : « أبو دهبل » . وفى ى : « أبو نفيل » .

(٢) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار . والألب : الجمع . والذى فى سائر الأصول : « بيالهم » وهو تحريف .

(٣) فى بعض الأصول : « ما لا نحس فأدلجوا » . وزيد فى ا بعد هذا : « تم الجزء السادس من كتاب العقد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وهو ولى الحمد . ويتلوه فى السابع بمشيئة الله تعالى بقية كتاب الياقوتة فى العلم والأدب » ثم زيد قبل العنوان الآتى : « الجزء السابع من العقد ، وهو الثانى من كتاب الياقوتة فى العلم والأدب تأليف أحمد بن محمد بن عبد ربه » .

(٤) فى الأصول : « رقية » بالمثناة التحتية ، وهو تصحيف . (انظر المعارف لابن قتيبة وخلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للخزرجى) .

بين قتيبة بن مسلم ورجل يغتاب عنده آخر

اغتاب رجلٌ رجلاً عند قُتيبة بن مُسلم ، فقال له [قُتَيبة] : أمْسك عليك أيها الرجل ، فوالله لقد تلمّظت بمُضْغة طالما لَفَظها الـكِرام .

بين ابن سيرين ورجل اتهمه بالنيل منه

محمد بن مُسلم الطائىّ قال : جاء رجلٌ إلى ابن سِيرين ، فقال [له] : بَلغنى أنك نِلْتَ منّى ، قال : نفسى أعزّ [علىّ] من ذلك .

بين بكر بن محمد وآخر فى مثل ذلك

وقال رجل لبَـكْر بن محمد بن عِصْمة[1] : بلَغنى أنَّك تقع فىّ ؛ قال : أنتَ إذًا علىَّ أ كْرم من نفسى .

بين سعد بن أبى وقاص ورجل وقع عنده فى طلحة وابن الزبير

وَوَقع رجلٌ فى طَلْحة والزُّبير عند سَعد بن أبى وَقّاص ، فقال له : اسكُتْ ، فإن الذى بيننا لم يَبْلُغ دِينَنا[2] .

بين بعض الأشراف ورجل عاب عنده آخر

وعاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف ، فقال له : قد اُستدللتُ على كَثْرة عُيوبك بما تُكثِر من عُيوب الناس ، لأن طالبَ العُيوب إنما يَطْلبها بقَدْر ما فيه منها ، أمَا سمعتَ قولَ الشاعر :

لا تَهْتِكَنْ من مَساوِى الناسِ ما سَتَرُوا ... فيَهْتِكَ اللهُ سِتْرًا مِن[3] مَساوِيكَا
واذ كُرْ محاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ... ولا تَعِبْ أحداً منهم بما فِيكا

لبعض الشعراء

وقال آخر :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتِىَ مِثْلَه ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عَظِيمُ[4]
وابْدأْ بنفسك فانهها عن غَيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنتَ حَكِيمُ

لمحمد بن السماك فى تجنب القول فى الإخوان

وقال محمد بن السَّماك : تَجنّب القول فى أخيكَ لخَلّتين : أمّا واحدة ،

(١) فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٨) : « بكر بن محمد بن علقمة » .
(٢) رواية هذا الخبر فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٦) تختلف عنها هنا اختلافا كثيراً .
(٣) فى عيون الأخبار : « لا تلتمس ... * فيكشف ... عن » .
(٤) نسب هـذا البيت للمتوكل الليثى فيما مر من هـذا الجزء عند الـكلام على أصناف الإخوان .

فعلك تعييبه بشىء هو فيك ؛ وأما الأخرى ، فإنْ يَكُن الله عافاك ممّا ابتلاه به ، كان[1] شُكْرك الله على العافية تعييراً لأخيك على البَلاء .

لبعض الحكماء

وقيل لبعض الحُكماء : فلانٌ يَعِيبك ؛ قال : إنما يَقْرِض الدِّرهمَ الوازنُ .

لبزرجمهر فيمن لا عيب فيه

[وقيل لبُزُرْجَمِهر : هل تعلم أحداً لا عيبَ فيه ؛ قال : إن الذى لا عيب فيه لا يموت]

لعمرو بن عبيد وقد بلغه وقوع أيوب فيه

وقيل لعمرو بن عُبيد : لقد وَقع فيك أيُّوب السَّخْتيانيّ حتى رَحِمْناك ؛ قال : إياه فارحَمُوا .

لابن عباس فيما تذكر به أخاك

وقال ابن عبّاس : اذكُر أخاك إذا غاب عنك بما تُحب أن يذْكرك به[2] ، ودَعْ منه ما تُحِبُّ أن يدَع منك .

شعر أنشده العلاء بن الحضرمى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحبب الى ذوى الأضغان

وقَدِم العلاء بن الحَضْرَميّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هل تَرْوِى من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنشِدنى ؛ فأنشَده :

تَحبَّبْ ذَوِى الأضغان تَسْبِ نُفوسَهم ... تَحَبُّبَك[3] القُرْبَى فقد تَرْقع النَّعَلْ

وإن دَحسوا[4] بالكُرْه[5] فاعفُ تكرُّمًا ... وإن غَيَّبُوا عنك الحديثَ فلا تَسَل

فإنّ الذى يُؤْذيك منه سَماعُه ... وإن الذى قالوا وراءك لم يُقَل

٢٣٨/١ فقال النبيّ عليه السلام : إنّ من الشِّعر لحِكْمة .

---

(١) فى ا : « فأن يكون ... ، فسكان » .
(٢) فى بعض الأصول : « تذكر به » .
(٣) فى ا ، ى وعيون الأخبار : « حى ... تحيتك » مكان « تحبب ... تحببك » .
(٤) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار ولسان العرب (مادة دحس) . ودحس بين القوم : أفسد بينهم . والذى فى سائر الأصول : « حسدوا » .
(٥) كذا فى ى وعيون الأخبار . وفى اللسان : « بالشر » . والذى فى سائر الأصول : « بالكفر » .

الحسن البصرى فيما يجوز فيه الغيبة

وقال الحسنُ البَصْرِىّ : لا غِيبةَ فى ثَلاثة[1] : فاسقٍ مُجاهر [بالفِسْقِ] ، وإمام جائر ، وصاحب بِدْعة لم يَدَع بِدْعته .

شعر الكسائى إلى الرقاشى وقد ترك المسجد

وكتب الكِسائىُّ إلى الرَّقاشىِّ :

تركتَ المَسْجِدَ الجامِـ ـعَ والتَّركُ له رِيبَهْ
فلا نافلةً تَقضى ولا تَقضى لمكتوبَه
وأخبارُكَ تأتينا على الأعْلام مَنصوبَه
فإنْ زِدْتَ من الغَيْـ ـبة زِدْناك من الغِيبه

مداراة أهل الشر

للنبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا العنوان

قال النبىّ عليه الصلاة والسلام : شَرّ الناس من اتّقاه الناسُ لشَرّه .

وقال عليه الصلاة والسلام : إذا لقيتَ اللئيمَ فخالِقه ، وإذا لقيتَ الكريمَ فخالِطه[2] .

لأبى الدرداء فى مثله

وقال أبو الدَّرداء : إنا لنَكْشِرُ فى وُجوه قوم وإنّ قلوبنا لتَلْعنهم .

لشبيب بن شبة فى خالد بن صفوان

وسُئل شَبيب بن شَيْبة عن خالد بن صَفْوان ، فقال : ليس له صديق فى السرّ ولا عدوّ فى العَلانية .

للأحنف فى النافع والضار من الرجال

وقال الأحنف : رُبَّ رجل لا تَغيب فوائدُه وإن غابَ ، وآخرَ لا يسلم منه جليسهُ وإن احترس .

لكثير بن هراسة فى مثل ما تقدم

وقال كثير بن هَراسة : إنّ من الناس ناسًا يَنقصونك إذا زِدْتهم ، وتَهُون

(١) فى عيون الأخبار : (ج ٢ س ١٣) : « لا غيبة إلا لثلاثة » .
(٢) روى هذا الكلام فى عيون الأخبار (ج ٣ س ٢١) مع اختلاف يسير منسوبا لصعصعة بن صوحان .

عندهم[١] إذا خاصصْتَهم ، ليس لرضاهم مَوْضِع تَعْرِفه ، ولا لسُخْطهم موضع تَحْذره ، فإذا عرفتَ أولئك بأعْيانهم فابذُل لهم موضعَ المَوَدّة ، واحرمهم موضعَ يَكُن ما بذلتَ لهم من المودّة حائلا دون شَرّهم ، وما حَرَمتَهم من الخاصة ، قاطعًا لحُرْمتهم .

شعر للعتبى فى صديق السوء

وأنشد العُتْبىّ :

لى صـديقٌ يَرَى حُقوقى عليه نافلاتٍ وحقَّـه الدهرَ فَرْضا
لو قطعتُ البـلادَ طُولاً إليه ثم من بَعْـد طُولها سِرْتُ عَرْضا
لرَأى ما فعلتُ غَـيْرَ كَثِير واشتهى أن يَزِيد فى الأرْض أرْضا

لدعبل فى مثل ذلك

وفى هذه الطَّبقة من الناس يقول[٢] دِعْبل الخُزاعىّ :

أسـقِهم السُّمّ إن ظَفِرت بهم وأمْزُجْ لهم من لِسانك العَسَـلاَ

من سهل بن هارون إلى موسى بن عمران فى أبى الهذيل

كَتب سهلُ بن هارون إلى مُوسى بن عِمْران فى أبى الهُذَيل العَلاّف[٣] :

إنّ الضَّمِير إذا سألتُكَ حاجةً لأبى الهُذَيل خلافُ[٤] ما أُبدِى
[فألِن له كَنفًا لِيَحْسُن ظنّه فى غَيْر مَنْفَعَـــة ولا رِفد]
حتى إذا طالتْ شَقاوةُ جَدِّه[٥] وعَنَـاؤه فاجْبَهْـه[٦] بالرَّدّ

شعر لصالح بن عبد القدوس فى صديق السوء

وقال صالحُ بن عبد القدُّوس :

تَجَنَّب صَدِيق السّوء واصرِمْ حِبالَه وإن لم تَجِدْ عنـه مَحِيصًا فَدَارِهِ
ومَن يَطلب المَعْروف من غير أهله يَجِدْه وراء البحـر أو فى قَرارِهِ

(١) فى ى : « عليهم » .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : «من يقول فيه » مكان قوله «يقول» .
(٣) كان أبو الهذيل العلاف أحد رءوس المعتزلة ، وكان يبخل . (انظر البخلاء للجاحظ) .
(٤) فى بعض الأصول : « أخاف » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « شقاوته » .
(٦) فى بعض الأصول : « فأجبه » .

ولله فى عَرْضُ السموات جَنَّةٌ ولكنها مَحْفُوفة بالمكاره

لبعض الشعراء فى عداوة من لاحسب ولا دين له

وقال آخر :

بَلاءٌ ليس يُشْبِهه بَلاءٌ عداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودينِ
يُبيحك منه عِرْضاً لم يَصُنْه لِيَرْتَع(١) منك فى عِرْضٍ مَصونِ

بين أبى مسلم وقواده وقد عرض عليه فرس

عُرِض على أبى مُسلِم صاحبِ الدَّعْوة فرسٌ جواد ، فقال لقوّاده : لماذا يَصْلُح مثلُ هذا الفرس ؟ قالوا : إنا نَغْزو عليه العدوّ ؛ قال : لا ، ولكن يركبه الرجلُ فيَهْرُب عليه من جار السّوء .

ذم الزمان

للحكماء فيما جبل عليه الناس من ذم زمانهم

قالت الحكماء : جُبِل الناسُ على ذمّ زَمانهم وقلّة الرِّضا عن أهل عَصْرهم ، ٢٣٩/١ فمنه قولهم : رضا الناسُ غايةٌ لا تُدرك . وقولهم : لا سبيلَ إلى السلامة من أَلسنة العامّة . وقولهم : الناسُ يعيّرون ولا يَغْفِرون ، والله يَغفر ولا يُعيِّر .

فى الحديث

وفى الحديث : لو أن المؤمن كالقِدْح المُقوّم لقال الناس : ليت ولو(٢) .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

مَن لا بَسَ(٣) النَّاسَ لم يَسْلَم من الناس وضرّسُوهُ بأنيابٍ وأضراسِ

إعجاب عائشة ببيت للبيد

هِشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : رَحِمَ الله لَبِيداً كان يقول :

ذَهب الذين يُعاش فى أكنافهم وبَقِيتُ فى خَلْف كجِلْد الأجْرَبِ

فكيف لو أبصر زماننا هذا .

قال عُروة : ونحن نقول : رَحِم الله عائشة ، فكيف لو أدركت زماننا هذا .

(١) فى ى : « ويرتع » .
(٢) فى بعض الأصول : « ليس ولولا » .
(٣) فى ى : « سالم » .

لبعضهم فى معنى ما سبق

وكان بعضهم يقول : ذهب الناسُ وبَقِيَ النَّسْناس ، فكيف لو أدْرك زماننا هذا .

جواب مسلم بن يزين لعبد الملك فيما أدركه من الملوك والزمان

دخل مُسلم بن يَزِيد[1] بن وَهْب على عبد الملك بن مَرْوان[2] ، فقال له عبدُ الملك : أىُّ زمان أدركتَ أفضَل ؛ وأىُّ الملوك أكمل ؟ قال : أمّا المُلوك فلم أرَ إلا حامدًا أو ذامًّا ، وأما الزمان فيَرْفع أقوامًا ويَضع أقواماً ، وكلّهم يَذم زمانَه لأنه يُبْلِي جديدَهم ، ويُفرّق عديدَهم ، ويُهْرِم صغيرَهم ؛ ويُهلك كبيرَهم .

لبعض الشعراء فى ذم الزمان

وقال الشاعر :

أيا دهرُ إن كنتَ عاديتَنا ... فها[3] قد صَنعتَ بنا ما كفا كا
جعلتَ الشِّرارَ علينا خِياراً ... ووَلّيتنا بعــد وَجْهٍ قَفاكا

وقال آخر[4] :

إذا كان الزمانُ زمانَ تيْم[5] ... وعُــكْلٍ فالسلامُ على الزَّمانِ
زمان صارَ فيه الصدرُ عَجْزاً[6] ... وصار الزُّجّ[7] قُدّامَ السِّنانِ[8]
لعــلّ زماننا ســيعود يومًا ... كما عاد الزمانُ على بِطانِ[9]

بين أبي مياس وقوم يذكرون الزمان

أبو جعفر الشّيبانى قال : أتانا يوماً أبو مَيّاس الشاعر ونحن فى جماعة ،

---

(١) فى ا ، ى : « مسلمة بن زين بن وهب » .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « عبد الملك بن هارون » .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فما » .
(٤) نسب هـذا الشعر فى الأمالى (ج ٣ ص ٧٩) للبردخت على بن خالد الضبى أحد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة .
(٥) كذا فى ى والأمالى والذى فى سائر الأصول : « يتم » . وهو تصحيف .
(٦) فى الأمالى : « العز ذلا » مكان « الصدر عجزا » .
(٧) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح .
(٨) فى رواية : « قادمة السنان » .
(٩) هو بطان بن بشر الضبى .

فقال : ما أنتم [فيه] وما تتذاكرون ؟ قلنا : نَذْكُر الزمانَ وفَساده ؛ قال : كلا ، إنما الزمانُ وِعاء وما أُلْقِيَ فيه مِن خَيْرٍ أو شرّ كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أَرَى حُللاً تُصان على أناسٍ | وأخلاقاً تُدَاس[1] فما تُصَانُ
يَقولون الزمانُ به فَسـادٌ | وهُم فَسدوا وما فَسد الزمان

لفرج بن سلام

أنشد فَرج بن سلاّم :

هـذا الزمانُ الذى كُنّا نُحذَّرُه | فيما يُحدِّث كَعْبٌ وابن مسعودِ[2]
إن دام ذا الدهرُ لم نَحْزَن على أحدٍ | يموتُ منّا ولم نَفْرح بمَوْلودِ[3]

لأبى تمام

وقال حَبِيب الطائيّ :

لم أبكِ فى زَمن لم أرضَ خَلَّته | إلا بكيتُ عليه حين يَنْصَرِمُ

لشاعر فى طاهر ابن الحسين

وقال آخر فى طاهر بن الحسين :

إذا كانت الدُّنيا تُنال بِطاهرٍ | تَجنَّبت منها كلَّ ما فيه طاهرُ
وأعرضتُ عنها عِفّةً وتكرُّماً | وأرجأتُها حتى تَدورَ الدوائرُ

لمؤمن بن سعيد فى معقل الضبى وابن أخيه عثمان

وقال مُؤمن بن سَعيد فى مَعْقل الضَّبِّىّ[4] وابن أخيه عثمان :

لقـد ذلَّت الدنيا وقد ذلّ أهلُها | وقد مَلّها أهلُ النَّدى والتَّفضُّـلِ
٢٤٠/١ إذا كانت الدُّنيا تَميل[5] بخَـيْرِها | إلى مِثْـل عُثمانٍ ومِثْـل المُحوَّلِ
ففى أُستِ أم دُنيانا وفى أُست أُم خَيْرِها | وفى أُست أم عُثمان وفى أُست أم مَعقِل

(١) فى ى : « تدال » .
(٢) كعب ، كعب الأخبار . وابن مسعود ، هو عبد الله بن مسعود الهذلى . صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) فى هامش ى أمام هذا البيت . « ويروى :
إن دام هذا ولم يحدث له فرج | لم يبك ميت ولم يفرح بمولود »
(٤) فى ا ، ى : « القينى » .
(٥) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « تجود » .

شعر لمحمد بن مناذر فى ذم الزمان

وقال محمد بن مُناذر :

يا طالبَ الأشعار والنَّحوِ ... هذا زمانٌ فاسدُ الحَشْوِ
نهارُه أوْحشُ من لَيْله ... ونَشْوُه من أخْبَث النَّشْو
فدَع طِلَابَ النَّحو لا تبغِهِ ... ولا تقل شعراً ولا تَزْو
فما يجوز اليومَ إلاَّ أمرؤٌ ... مُسْتَحكم العَزْف أو الشَّدْو
أو طِرْمِذان[1] قولُه كاذب ... لا يَفعل الخير ولا ينوى

شعر لابن عبد ربه فى مثل ما سبق

ومن قولنا فى هذا المعنى :

رَجاءٌ دُون أقربه السَّحابُ ... ووَعْدٌ مثلُ مالَمع السَّرابُ
ودَهْر سادت العُبْدانُ فيه ... وعاثَتْ فى جوانبه الذِّئاب
وأيام خلَتْ من كلِّ خَيْرٍ ... ودُنيا قد توَزَّعها الكِلَاب
كلابٌ لو سألتهم تُرَابا ... لقالوا عندنا انقطع التّراب
يُعاقَب مَن أساء القولَ فيهم ... وإنْ يُحْسِن فليس له ثَوَاب

كتاب للجاحظ إلى إخوانه فى ذم الزمان

كتب عَمْرو بن بحر الجاحظ إلى بعض إخوانه فى ذمِّ الزمان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حَفِظك الله حِفْظ مَن وَفَّقه للقناعة ، واستعمله فى الطّاعة . كتبتُ إليك وحالى حالُ من كَثُفت غُمومه ، وأشكلت[2] عليه أموره ، واشتبَه عليه حالُ دَهْره ، ومَخْرج أمْره ، وقَلّ عنده من يَثِق بوَفائه ، أو يَحمد مَغَبَّة إخائه ، لاُستحالة زمانِنا ، وفساد أيامنا ، ودَوْلة أنذالنا . وقِدْمًا كان يقال مَن قَدَّم الحياء على نَفْسه ، وحكَّم الصِّدْق فى قوله ، وآثر الحقَّ فى أموره ، ونَبَذ المُشتبِهات عليه من شُئونه ، تمَّتْ له السلامة ، وفاز بوُفورِ حظّ العافية .

(١) الطرمذان : المدعى والمتمدح بما ليس عنده ، والصلف المفاخر النفاج .
(٢) فى ا : « وشكلت » وهما بمعنى .

وتَحمد مَغَبّة مكروه العاقبة ؛ فنظرنا إذ حال عِندنا حُكْمه ، وتحوّلت دولتُه ، فوَجَدْنا الحياء متّصلا بالحِرْمان ، والصِّدْق آفةً على المال ، والقصْدَ فى الطّلَب بتَرْك استعمال القِحة وإخلاقِ العِرض فى طريق التوكّل دليلاً على سَخافة الرأى ، إذ صارت الحُظْوة السابقة والنِّعمة السابغة فى لُؤم النِّيَّة[١] ، وتناوُل[٢] الرِّزق من جهة محاشاة الوفاء[٣] ومُلابسة مَعَرّة العار . ثم نَظَرنا فى تعقّب المتعقّب لقولنا ، والكاسِر لحجّتنا ، فأقمنا له عَلَمًا واضحا ، وشاهِدًا قائمًا ، ومنارًا بيّنًا ، إذ وَجَدْنا مَن فيه السُّفولية الواضحة ، والمَثالب الفاضحة ، والكَذِب المُبرِّح ، والخُلْفَ المُصرِّح ، والجهالة المُفْرطة ، والرَّكاكة المُسْتَخِفّة[٤] ؛ وضَعْف اليَقين والاستيثاب[٥] ، وسرْعة الغَضب والخِفّة[٦] ، قد استكمل سُروره ، واعتدلت أمورُه ، وفاز بالسَّهْم الأغلب ، والحظّ الأوفر ، والقَدْر الرَّفيع ، والجواب الطّائع[٧] ، والأمْر النافِذ ، إن زلّ قيل حَكَمُ[٨] ، وإنْ أخطأ قيل أصاب ، وإن هَذَى فى كَلامه وهو يَقْظان ، قيل رُؤْيا[٩] صادِقة فى سِنَة[١٠] مُباركة ، فهذه حُجّتنا [أبقاك الله] على مَن زعم أنّ الجَهْل يَخْفِضُ ، وأن الحُمق يَضَع ، وأنّ النَّوْك يُرْدى ، وأن الكَذِب يَضُرّ[١١] وأنّ الخُلْفَ يُزْرِى .

---

(١) فى بعض الأصول : « المشيئة » .
(٢) فى بعض الأصول : « وثناء » .
(٣) فى بعض الأصول : « الرجاء » . وفى بعض آخر : « الرخاء » .
(٤) فى ا ، ى « المستحقة » .
(٥) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول « الاستثبات » .
(٦) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « الجرأة » .
(٧) كذا فى ى . أى أنه لا يجاب إلا بما فيه طاعته . والذى فى ا : وجواز الطائع » . والذى فى سائر الأصول : « والجواز الطائع » .
(٨) كذا فى أكثر الأصول . وحكم : صار حكيما . والذى فى ا ، ى : « حلم » .
(٩) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « لرؤيا » .
(١٠) فى بعض الأصول : « من نسمة » .
(١١) فى ى : « يضير » .

ثم نَظَرْنا فى الوَفاء والأمانة ، والنُّبْل والبَراعة[١] ، وحُسْن المَذهب وكمال المُروءة ، وسَعة الصَّدْر ، وقِلّة الغَضب ، وكَرَم الطبيعة ، والفائق فى سَعة عِلْمه ، والحاكم على نَفْسه ، والغالِب لِهَواه ، فَوَجدنا فُلانَ بن فلان ، ثم وَجدنا الزَّمان لم يُنْصفه من حقّه ، ولا قامَ له بوَظائف فرْضه . وَوَجَدْنا فضائلَه القائمة له قاعدةً
٢٤١/١ به . فهذا دليلٌ على أنّ الطَّلاح أجدَى من الصَّلاح ، وأنّ الفَضْل قد مَضى زمانُه ، وعفَتْ آثارُه ، وصارت الدائرة عليه ، كما كانت الدائرة على ضِدّه ؛ وَوَجدْنا العَقْلَ يَشْقى به قرينُه ، كما أن الجَهْل والحُمْق يَحْظَى به خَدِينُه . وَوَجدْنا الشعرَ ناطقاً على الزّمان ، ومُعْرِباً عن الأيّام حيث يقول :

تَحامَقْ مع الحَمْقَى إذا ما لَقيتَهم ولاقِهِمُ بالجَهْل فِعْلَ أخِي الجَهْلِ
وخَلِّط إذا لاقَيْت يوماً مُخَلِّطاً يُخَلِّط فى قَوْلٍ صَحِيح وفى هَزْل
فإنّى رأيتُ المَرْء يَشْقَى بعَقْلِه كما كان قبلَ اليوم يَسْعد بالعَقْل

فبقيتُ أبقاكَ الله مثلَ مَن أصبح على أوْفاز[٢] ، ومن النُّقلة على جَهاز ؛ لا تَسوغ له نِعْمة ، ولا يُطْعِم عَيْنيه غَمْضة ؛ فى أهاويل يُباكره مكْرُوهها ، وتُراوحه عقابيلُها ، فلو أنّ الدُّعاء أُجيب ، والتّضرُّع سُمع ، لكانت الهَدّة العُظمى ، والرّجفة الكُبْرى ؛ فليتَ الذى يا أخى ما أَستَبْطئه من النَّفْخة ، ومن فَجْأة الصَّيحة ، قُضى فحان ، وأُذن به فكان ؛ فوالله ما عُذِّبت أُمةٌ بِرَجْفة ، ولا ريح ولا سَخْطة ، عذابَ عَينيَ برُؤْية المُغايظة المُضْنية[٣] ، والأخبار المُهلِكة ، كأنّ الزّمان توكّل بِمَذابى ، أو انتصب لإيلامى[٤] ؛ فما عَيْشُ مَن لا يُسَرّ بأخ شقيق ،

(١) فى بعض الأصول : « والبلاغة » .
(٢) على أوفاز : على عجلة .
(٣) فى الأصول : « المدمنة » . ولعله محرف عما أثبتناه .
(٤) فى الأصول : « بأيامى » . ولعله محرف عما أثبتناه .

[ولا خِدْن[1] شفيق] ، ولا يَصْطبح فى أوّل نهارِه إلا برُؤْية من تُكْره [رؤيتُه] ، ونَغْمة من تَغُمه طَلْعته ، فبدَّل الله [لى أى] أخى بالمسكن مَسكنا وبالرَّبع رَبْعا ، فقد طالت الغُمة ، وواطنت الكُرْبة ، وادْلَهَمَّتْ الظُّلمة ، وخَمد السِّراج ، وتباطأ الانفِراج . [والسلام]

فساد الإخوان

لأبى الدرداء فى معنى هذا العنوان

قال أبو الدَّرداء : كان الناس وَرَقاً لا شَوْك فيه ، فصاروا شَوْكاً لا وَرَق فيه .

لعروة بن الزبير وقد سئل الانتقال إلى المدينة

وقيل لعُرْوة بن الزُّبير : ألاَ تَنْتقل إلى المدينة ؟ قال : ما بَقِى بالمدينة إلا حاسدٌ على نِعْمة ، أو شامت بمُصِيبة .

للرياشى

الخُشنى[2] قال أنشدنى الرِّياشىّ :

إذا ذَهَب التكرُّم والوَفاء ... وباد رِجالُه وَبقِى الغُثاء
وأسْلَمنى الزَّمانُ إلى رِجالٍ ... كأمْثال الذِّئاب لها عُواء
صَديق كُلَّما استَغْنيت عنهم ... وأعْداء إذا جَهَدَ البَلاء
إذا ما جِئْتهم يَتَدافَعونى ... كأنّى أجربٌ آذاه[3] داء
أقولُ —ولا ألاَم على مَقال— ... على الإخوان كُلِّهم العَفاء

للحكماء فى المودة الضائعة

وقالت الحُكماء : لا شىء أضْيع من مَوَدَّةِ من لا وَفاء له : واصطناع مَن لا شُكْر عِنده ، والكريمُ يَوَدُّ الكريم عن لُقْية واحدة ، واللئيم لا يَصِل أحداً إلا عن رَغْبة أو رَهْبة .

(١) كذا فى ى . والذى فى ا : « حدب » .
(٢) هو محمد بن عبد السلام الخشنى . والذى فى الأصول : « الحسنى » ، وهو تصحيف (انظر الأنساب للسمعانى وبغية الوعاة للسيوطى) .
(٣) فى بعض الأصول : « أعداه » .

للهند

وفى كتاب لِلْهند : إنّ الرّجل السّوْء لا يتغيّر من طبْعه ، كما أنّ الشّجرة المُرّة لو طَلَيْتها بالعَسل لم تُثمِر إلا مُرًّا .

شعر لأبى العتاهية فى أصدقاء السوء

وسمِع رجلٌ أبا العتاهية يُنشِد :

فارْمِ بطَرْفك حيث شئْـ ـتَ فلا تَرى إلا بَخيـلاَ

[فقال له : بَخَّلت الناس كُلَّهم ؛ قال : فأكذبنى بسَخِىّ واحد] .

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

لله دَرُّ أبيـك أىّ زَمانٍ أصبحتُ فيـه وأىّ أهل زَمانِ
كلٌّ يُوازنك[1] المودّة جاهدًا[2] يُعْطِى ويأخُـذ منك بالميزانِ
فإذا رأى رُجْحانَ حَبّة خَرْدلٍ مالتْ مَودّتُه مع[3] الرُّجحان

وقال فيه أيضاً :

أرَى قوماً وُجُوهُهمُ حِسانٌ إذا كانت حَوائجُهم إلينا
وإن كانت حَوائجُنا إليهم يُقبِّح حُسْن أوْجههم علَينا
فإن مَنع الأشِحّةُ ما لَدَيهم فإنّا سوف نَمنح[4] ما لَدَينا

وقال :

٢٤٢/١ مَوالينا إذا اُحتاجوا إلينا وليسَ لنا إذا احتجنا موالى[5]

شعر للبكرى فى خليل خان

للبَكرىّ :

وخَليـلٍ لم أخُنْه ساعةً فى دَمِى كفّيه ظُلْمًا قد غَمَسْ

(١) كذا فى ديوان أبى العتاهية . والذى فى الأصول : « يواربك » . وهو تصحيف .
(٢) فى ديوان أبى العتاهية : « دائبا » .
(٣) كذا فى ديوان أبى العتاهية . والذى فى الأصول : « إلى » .
(٤) فى الأصول : « نمنع » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « وليس لنا احتياج الموالى » .

كان فى سِرِّى وجَهْرِى ثِقَتى ... لستُ عنه فى مُهِمٍّ أحترس
سَتَرَ البُغضَ بألفاظِ الهوَى ... وادَّعى الوُدَّ بغِشٍّ ودَلَس
إنْ رآنى قال لِى خيرًا وإنْ ... غِبْتُ عنه قال شرًّا ودَحَس(١)
ثم لمّا أمكنَتْه فُرْصةٌ ... حَمَلَ السيفَ على مَجْرَى النَّفَس
وأرادَ الرُّوحَ لكنْ خانَهُ ... قَدَرٌ أيقظَ مَن كانَ نَعَس

وأنشد العُتْبى :

شعر للعتبي

إذا كنتَ تَغضب من غير ذَنب ... وتَعْتِب من غير جُرْمٍ عَلَيّا
طَلَبتُ رِضاكَ فإن عَزَّنى ... عَدَدْتُكَ مَيْتًا وإن كنتَ حَيّا
فلا تَعْجَبَنَّ بمَا فى يَدَيْكا ... فأكْثَرُ منه الذى فى يَدَيّا

وقال ابن أبى حازم :

شعر لابن أبى حازم

وصاحب كانَ لى وكنتُ لهُ ... أشفقَ من والدٍ عَلَى وَلَدِ
كُنّا كَساقٍ تَسْعى بها قَدَمٌ ... أو كَذِراعٍ نِيطت إلى عَضُدِ
حتى إذا دَبَّت الحوادثُ فى ... عَظْمِى وحَلَّ الزّمانُ من عُقَدى
أزْوَرَّ(٢) عنّى وكان ينظُرُ مِنْ ... طَرْفى ويَرْمِى بساعِدِى ويَدِى

وقال :

وخِلٍّ كان يَخفِض(٣) لى جَناحًا ... أعادَ غِنًى(٤) فنابذَنى جِماحَا
فقلتُ لهُ ولِى نَفْس عَزُوف ... إذَا حَمِيت تَقَحَّمت الرِّماحا
سأبدِل بالمَطامع فيك يأسًا ... وباليأس اُستَراح من اُستَراحا

(١) دحس : أفسد . (٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « أحول » .
(٣) كذا فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول : « يحفظ » . وهو تحريف .
(٤) فى بعض الأصول : « فودعنى » مكان « أفاد غنى » .

شعر لعبد الله ابن معاوية بن جعفر

وقال عبدُ الله بن مُعاوية بن [عبد الله بن] جعفر :

وأنتَ أخِى مالم تكن لىَ حاجةٌ … فإنْ عَرَضت أيقنتُ أنْ لا أخا لِيا

فلا زاد[1] ما بَيْنى وبَيْنك بعدَ ما … بَلَوْتُكَ فى الحاجاتِ إلا تمادِيا

كِلَانا غنِىٌّ عن أخِيه حياتَه … ونحنُ إذا مِتْنا أشدُّ تغانِيا

وعيْنُ الرِّضا عن كلِّ عَيْبٍ كليلةٌ … كما[2] أنّ عينَ السُّخط تُبدِى المَساوِيا

شعر للبحترى

وقال البُحترىّ :

أُشرِّق أم أُغرِّبُ يا سَعِيدُ … وأَنقُص من ذِمامِى[3] أو أَزِيدُ

عدَتنى عن نَصيبِينَ العَوادِى … فبَخْتى أبلهٌ فيهـا بَليدُ

وخلّفنى الزّمانُ على رِجالٍ … وُجوهُهمُ وأيديهمْ حَـديد

لهم حُلَلٌ حَسُنّ فهنّ بِيضٌ … وأخلاقٌ سَمُجن فهنّ سُود

ألاَ ليتَ المَقادِرَ لم تُقدَّر … ولم تَكُنِ المطايا والجُدودُ ٢٤٣/١

شعر لابن أبى حازم

وقال ابن أبى حازِم :

وقالُوا لو مَدحتَ فَتًى كَرِيمًا … فقلتُ وكيفَ لى بفتًى كَرِيمِ

بُلِيتُ ومَرَّ بى خمسون حَوْلاً[4] … وحَسْبُك بالمُجرَّبِ من عَلِيم

فلا أحدٌ يُعَدُّ ليوم خَيْرٍ … ولا أحدٌ يَعود على عَدِيم

وقال :

قد بلوتُ النّاسَ طُرًّا … لم أجِدْ فى النّاسِ حُرًّا

صار حُلْوُ الناسِ فى العَيْـ … ـنِ إذا ما ذِيقَ مُرًّا

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « زال » .
(٢) فى ى : « ولكن » مكان « كما أن » .
(٣) فى أكثر الأصول : « رباعى » . وما أثبتناه عن ا ، ى .
(٤) فى ى : « عاما » .

وقال :

مَن سَلاَ عنِّىَ أطْلَقْ — تُ حِبالِى من حِبالِهْ
أو أجَدَّ الوَصْلَ سارَعْ — تُ بجَهْدِى فى وصالِه[1]
إنَّما أحْذو على نَعْ — لِ صَدِيقى بمِثَالِه
غيرَ مُستَجْدٍ إذا ازْوَرْ — رَ كأنى مِن عِيَالِه
لَنْ ترانى أبداً أعْ — ظِمُ ذا مالٍ لماله
لا ولا أزْرَى[2] بمَنْ يَهْ — قِلُ عندى سُوءُ حاله
إنما أقضى عَلَى ذَا — كَ وهذا بفِعَاله
كيفما صَرَّفنى[3] الدَّهْ — رُ فإنى من رِجاله

شعر لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

أبا صالحٍ جاءتْ على الناس غَفْلَةٌ — على غَفْلَةٍ باتَتْ بكلٌّ كَرِيمِ
فَلَيتَ الأُلَى باتُوا[4] يُفادون بالأُلَى — أقاموا فَيُفْدَى ظاعنٌ[5] بمُقيمِ
ويالَيتَها الكُبْرَى فتُطوى سماؤنا — لها وتُمَدَّ الأرضُ مَدَّ أَدِيمِ[6]
فما الموتُ إلاّ عَيْش كلٍّ مُبَخَّلٍ — وما العَيْش إلا موت[7] كل ذَمِيمِ

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فصاله » وهو تحريف .
(٢) فى ا ، ى : « يزرى » .
(٣) فى بعض الأصول : « يصرفنى » .
(٤) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « كانوا » .
(٥) فى ى : « فتفدى ظاعنا » .
(٦) جاء هذا البيت وما بعده فى غير (ا ، ى) متأخرا عن موضعه هنا عند الكلام على الكبر بعد كلام للعتبى (ص ٣٥٤ من هذا الجزء) . وجاءت قبلها هذه العبارة : « وقال بعض الحكماء » . مع أنها تتمة لأبيات ابن عبد ربه التى قبلها .
(٧) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « ترك » .

وأعذَرُ ما أدمى الجُفونَ من البُكا ... كَريمٌ رأى الدُّنيا بكفِّ لئيمِ[١]

ومثلُه[٢] فى هذا المعنى :

أبا صالحٍ أينَ الكِرامُ بأسْرِهم ... أفِدْنى كريماً فالكريمُ رِضَاه[٣]
أحقًّا يقول الناسُ فى جود حاتمٍ ... وابن سِنان[٤] كان فيه سَخاء
عَذيرىَ مِن خَلْق تَخَلَّق[٥] منهمُ ... غَباءٌ[٦] ولُؤْم فاضحٌ وجَفاء
حِجارةُ بُخْلٍ ما تَجود ورُبَّما ... تَفجَّر من صُمّ الحِجارة ماء
ولو أنّ موسى جاء يَضْربُ بالعَصا ... لما انبجَسَت من ضَرْبه البُخلاء
بَقاءُ لِئامِ الناس مَوْتٌ عليهمُ ... كما أنّ موتَ الأكرمين بَقاء
عَزيزٌ عليهم أن تَجود أكفُّهم ... عليهم مِن الله العَزيزِ عَفاء

ومثلُه قولُنا فى هذا المعنى :

ساقٌ تَرنَّحُ[٧] يَشْدُو فوقَه ساقُ[٨] ... كأنّه لِحَنِين الصَّوتِ مُشتاقُ
يا ضَيْعَةَ الشِّعر فى بُلْهٍ جَرامقةٍ[٩] ... تَشابهت منهمُ فى اللُّؤم أخلاقُ
[غُلَّت بأعناقِهم أيدٍ مُقَفْقَعَةٌ[١٠] ... لا بُورِكت منهمُ أيدٍ وأعناق

---

(١) يقول : إن رؤية الكريم الدنيا يملكها اللئيم أقوى ما يعتذر به عن حزنه وبكائه .
(٢) هذا الشعر وما بعده إلى قوله « ياضيعة ... أخلاق » جاء فى أكثر الأصول متأخرا عن موضعه هذا عند الكلام على الكبر . وقد أثبتناه هنا عن ا ، ى .
(٣) فى ى : « فى الكريم وفاء » .
(٤) كذا فى ى . ويريد بابن سنان : هرم بن سنان ، وقطع الهمزة للشعر . والذى فى سائر الأصول : « وإن سنانا » .
(٥) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « خلف تخلف » .
(٦) كذا فى ا ، ى . والذي فى سائر الأصول : « عياء » . وهو تصحيف .
(٧) فى الأصول : « ترنم » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتناه .
(٨) الساق (الثانى) : الحمام .
(٩) الجرامقة : قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام ؛ والواحد جرمقانى .
(١٠) كذا فى ى . واليد المقفعة : المتشنجة . والذى فى ا : « معتقة » . وهو تحريف .

كأنما بينهم فى مَنْع سائلهم وحَبْس نائلهم عَهْد وميثاقُ
كم سُقْتهم بأماديحى وقُدْتُهمُ نحو المَعالى فما انقادُوا ولا انْساقوا
وإن نَبا بىَ فى ساحاتهم وَطنٌ فالأرض واسعة والناس أفراق(١)
ما كنتُ أوّلَ ظمآن بمَهمهة يَغرُّه من سراب القَفْر رقراق
رِزْقٌ من الله أرضاهم وأسخطَنى والله للأنوك المَعْتوه رزّاق
يا قابضَ الكفّ لا زالت مُقبَّضة فما أناملُها للناس أرزاق
وغِبْ إذا شئت حتى لا تُرى أبداً فما لفقدك فى الأحشاء إقلاق
ولا إليك سبيلُ الجود شارعةٌ ولا عليكَ لنور المجد إشراق
لم يَكتنفنى رَجاء لا ولا أمَل إلاّ تكنّفه ذُلٌ وإملاقُ

شعر المؤمل بن سعيد

وقال مُؤمَّل بن سَعيد فى هذا المعنى :

إنما أزرى بقَدْرى أنّنى لستُ من نابهِ أهلِ البلدِ
ليس منهم غيرُ ذى مَقْلية لذوى الألباب أو ذى حَسَد
يتحامَوْن لِقائى مثلَ ما يتحامَوْن لِقاء الأسد
طَلَعى أثقلُ فى أعينهم وعلى أنفسهم من أُحُد
لو رأونى وَسْط بحرٍ لم يكن أحَدٌ يأخذ منهم بيَدى]

باب فى الكبر(٢)

للنبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا العنوان

[قال النبى صلى الله عليه وسلم : يقول الله تبارك وتعالى : العَظمة إزارى ، والكِبْرياء ردائى ، فمن نازعنى واحداً منهما قصمتهُ وأهنته .

(١) أفراق : أقسام ؛ الواحد : فرق (كقسم ، وزنا ومعنى) .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « من قاده الكبر إلى النار » . وما أثبتناه أولى بما اندرج تحت العنوان من أخبار .

وقال عليه السلام : لا يدخل حَضْرةَ[1] القدس مُتكبِّرٌ .

وقال : فَضل الإزار فى النار . معناه : من سَحب ذيلَه فى الخُيلاء قاده ذلك إلى النار .

الحسن فى عبدالله ابن الأهتم وقد رآه يخطر فى المسجد

و[نَظر الحسنُ إلى عبد الله بن الأهتم يَخْطِر فى المَسْجِد ، فقال : انظروا إلى هذا ، ليس منه عُضْو إلا ولله عليه نِعْمة ، وللشيطان فيه لَعْنَة .

لسعد بن أبى وقاص يحذر ابنه الكبر

وقال سَعد بن أبى وَقّاص لابنه : يا بُنى : إيّاك والكِبْرَ ، وليكُنْ فيما تَسْتَعِين به على تَرْكه : عِلْمُك بالذى منه كنتَ ، والذى إليه تَصِير ، وكيف الكِبْر مع النُّطفة التى منها خُلقتَ ، والرحِم التى منها قُذِفْتَ ، والغِذاء الذى به غُذِيت .

ليحي بن حيان فى الشريف والوضيع

وقال يحيى بن حَيّان : الشريفُ إذا تقوّى تواضَع ، والوَضِيع إذا تقوّى تَكَبّر[2] .

لبعض الحكماء

وقال بعضُ الحُكماء : كيف يَسْتقِرّ الكِبر فيمن خُلِق من تُرَاب ، وطُوِى على القَذَر ، وجَرى مجرى البول .

الحسن فى المتكبرين

وقال الحسن : عجباً لابن آدم كيف يَتكبر وفيه تِسْع[3] سُموم كلها يُؤْذِى[4]

وذكر الحسنُ المُتكبرين فقال : يُلْفَى أحدهم يَنُص [رَقَبَتَه] نصًّا ، ينفض مِذْرويه[5] ، ويَضرب أصْدَريه[6] ، يَمْلَخ فى الباطل[7] مَلْخا ، يقول : ها أناذا

---

(١) فى ا : « حظيرة » . (٢) روى هذا الخبر فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٦٥) مع خلاف يسير منسوبا الى يحيى بن خالد .

(٣) فى ى : « سبع » . ويلاحظ أنه لم يفصل هذه السموم ، فلعل ذلك سقط من الناسخ

(٤) فى بعض الأصول : « يقذى » .

(٥) النفض : التحريك . والمذروان : فرعا الأليتين والمنكبين وطرفا كل شىء ، والمراد بهما هنا فرعا المنكبين . ويقال ذلك للرجل إذا جاء باغياً يتهدد . (انظر اللسان مادتى نفض وذرو) .

(٦) ويروى : « أسدريه » و « أزدريه » أى عطفيه ، أى يضرب بيديه عليهما . يضرب مثلا للفارغ الذى لا شغل له .

(٧) يملخ فى الباطل : يتردد فيه ويكثر ؛ وقيل : يمر فيه مرا سهلا .

فاعرِفُونى ؛ قد عرَفناك يا أحمق ، مَقتك الله ومَقتك الصالحون .

عيينة بن حصن بباب عمر بن الخطاب

ووَقف عُيينة بن حِصْن بباب عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : استأذِنُوا لى على أمير المؤمنين وقولُوا له : هذا ابنُ الأخيار بالباب . فأذِن له ، فلما دَخل عليه ، قال له : أنتَ ابنُ الأخيار ؟ قال نعم ؛ قال له : بل أنتَ ابنُ الأشرار ، وأما ابنُ الأخيار فهو يُوسف بن يَعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . ٢٤٤/١

مثل من كبر عبيدالله بن ظبيان

وقيل لعُبيد الله[1] بن ظَبْيان : كثَّرَ اللهُ فى العَشِيرة أمثالك ، فقال : لقد سألتُم الله شَططا .

من كبر رجل من بنى عبد الدار

وقيل لرجُل من بنى عبد الدّار عَظِيم الكِبْر : ألا تأتى الخَليفة ؟ قال : أخشى ألاَّ يحمل الجِسْرُ شرفى[2] .

وقيل له : ألاَ تَلبَس فإنَّ البَرْدَ شدِيد ؟ قال : حَسَبى يُدْفئنى .

الحجاج ومقاتل وابن ظبيان ومعبد وأبو السمال

قيل للحجّاج : كيف وجدتَ منزلَك بالعِراق أيها الأمِير ؟ قال : خَيرَ منزِل ، لو أدركتُ بها أربعةَ نفر فتقرّبت إلى الله سُبحانه وتعالى بدمائهم ؛ قيل له : ومَن هم ؟ قال : مُقاتل بن مِسْمع ، وَلِى سِجِسْتان ، فأتاه الناسُ فأعطاهم الأموال ؛ فلما قَدِم البصرة بسط له الناسُ أرديتهم فمشى عليها ؛ فقال : لمثْل هذا فليعمل العامِلُون . وعُبيد الله بن ظَبيان خطَب خُطْبة أوْجَز فيها ، فناداه الناسُ من أعْراض المَسْجد . كثَّر الله فينا أمثالك ؛ قال : لقد كلَّفتم ربكم شططا . ومَعْبد بن زُرارة ، كان ذات يوم جالساً على طريق ، فمرَّت به امرأةٌ ، فقالت : يا عبدَ الله ، أين الطَّريق لِمكان كذا ؟ فقال لمِثْلى يُقال يا عبدَ الله ! وَيلك ! وأبو السَّمّال[3]

(١) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار والذى فى سائر الأصول « عبد الله » .

(٢) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « ألا يحمل الحس فى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « أبو سماك » . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٦٧ من هذا الجزء) .

الحَنَفِىّ ، أضلَّ ناقَته ، فقال : والله لئن لم تَرُدَّ علىَّ ناقتى لا صلّيتُ أبداً .

وقال ناقلُ الحديث : ونَسِىَ الحجّاج نفسَه ، وهو خامسُ هؤلاء الأربعة ، بل هو أشدُّهم كُفْراً(١) وأعظَمهم إلحاداً ، حين كتب إلى عبد الملك بن مروان فى عَطْسة عَطَسها فشَمّته أصحابُه وردَّ عليهم : بَلغنى ما كان من عُطاس أمير المؤمنين وتَشْميت أصحابه له وردّه عليهم ، فياليتنى كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيما .

وكتابُه إليه : إنّ خَليفة الرَّجل فى أهلِه أكرمُ عليه من رَسوله إليهم ، وكذلك الخُلفاء يا أميرَ المؤمنين أعلَى منزلةً من المُرسلين .

محرز مولى باهلة وعاقبة كبره

العُتْبىّ قال : رأيتُ مُحرِزاً مولَى باهلة يَطوف على بَغْلة بين الصَّفا والمرْوة ، ثم رأيتُه بعد ذلك على جِسْر بَغْداد راجلاً ، فقلتُ له : أراجلٌ أنتَ فى مِثْل هذا المَوْضع ؟ قال : نعم ، إنّى رَكِبتُ فى مَوْضع يَمْشى الناسُ فيه ، فكان حقيقا على الله أن يُرجِّلنى فى مَوْضع يرْكب الناس فيه .

لبعض الحكماء يوصى ابنا له

وقال بعضُ الحكماء [لابنه : يا بُنى ، عليك بالترحيب والبِشر ، وإياك والتقطيبَ والكبر ، فإنَّ الأحرار أحبُّ إليهم أن يُلقَوْا بما يُحبون ويُحرَموا ، مِن أن يُلقَوْا بما يكرهون ويُعْطَوْا . فانظر إلى خَصْلة غطّت على مِثْل اللؤم فالزمها ، وانظر إلى خَصلة عَفَّت على مثل الكرم فاجتنبها . ألم تسمع قول حاتم الطائى(٢) :

أُضاحِكُ ضيفى قبل إنزال رَحْله ... ويُخصب عندى المَحلُّ جديبُ
وما الخِصب للأضياف أن يَكثُرَ القِرى ... ولكنما وجهُ الكريم خَصيب

شعر لمحمود الوراق فى ذم التيه والبخل

وقال محمود الوراق :

---

(١) كذا فى ى والذى فى سائر الأصول : « كبرا » . وهو تحريف ، إذ ليس فى القصة ما يدل على كبره .

(٢) نسب هذا الشعر فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٣٩) للخريمى . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٧٥ من الجزء الأول من هذه الطبعة) .

التِّيه مَفسدة للدِّين مَنْقصة للعَقل مَجلبة للذمّ والسَّخَطِ
مَنْع العطاء وبَسْط الوجه أحسنُ من بَذْل العطاء بوَجْه غير مُنبسط

وقال أيضاً :

بِشْرُ البخيل يكاد يُصْلِح بُخْلَه والتِّيهُ مَفْسدة لكلّ جوادِ
ونَقِيصة تَبْقى على أيامه ومَسَبّة فى الأهل والأولاد

لبعض الشعراء فى ذم الكبر

وقال آخر فى الكِبْر :

مع الأرض يابنَ الأرض فى الطَّيران أتأمُل أن تَرْقَى إلى الدَّبَرَانِ(١)
فوالله ما أبصرتُ يومًا مُحلِّقًا ولو حَلّ بين الجَدْى والسَّرطان
حَمَاهُ مكانُ البُعد مِن أن تَنَاله بسَهْم من البَلْوى يدُ الحَدَثان

التسامح مع النعمة والتذلل مع المصيبة

كلام غير منسوب فى معنى هذا العنوان

قالوا : من عزّ بإقبال الدّهر ذَلّ بإدْباره .

وقالوا : مَن أبْطره الغِنَى أذلّه الفقر .

٢٥٤ / ١ وقالوا : مَن وَلِيَ وِلاية يرَى نفسَه أكبر منها لم يتغيَّر لها ، ومَن وَلِيَ ولاية يراها أكبر من نفسه تغيَّر لها .

ليحيى بن حيان فى الشريف والوضيع

وقال يحيى بن حَيّان : الشَّريف إذا تقوّى تواضع ، والوضيعُ إذا تقوّى تكبَّر(٢) .

لكسرى فى الكريم واللئيم

وقال كِسرى : أحذَرُوا صَوْلة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شَبِع .

(١) الدبران (محركة) : منزلة للقمر .

(٢) مر هذا الخبر فى باب الكبر (ص ٣٠٢ من هذا الجزء) ولم يرو هنا فى ا ، ى .
فلعله من تكرار الناسخ .

شعر ابن الجهم إلى ابن الزيات

وكتب علىُّ بن الجَهْم[(١)] إلى ابن الزَّيَّات :

أبا جَعْفرٍ عَرِّجْ على خُلَطائِكا ... وأقصِر قليلاً من مَدى غُلَوائكا
فإن كنتَ قد أُوتيت فى اليوم[(٢)] رِفْعةً ... فإنّ رَجائى فى غَدٍ كرَجائكا

شعر لعبد العزيز ابن زرارة الكلابى

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكِلابىّ :

لَقَدْ عَجِبَتْ منهُ اللّيالى لأنّهُ ... صَبُورٌ[(٣)] على عَضلاء تلك البلابِلِ[(٤)]
إذا نال لم يَفْرَح وليس لنَكْبة ... أَلَمّت به بالخاشع[(٥)] المُتَضائل

شعر للحسن ابن هانئ

وقال الحسنُ بن هانئ :

ولقد حَزِنْتُ فلَمْ أمُتْ تَرَحا[(٦)] ... ولقد فَرِحْتُ فلم أمُتْ فَرَحا

بين عقيل بن أبى طالب وأخيه على

كتب[(٧)] عقيلُ بن أبى طالب إلى أخيه علىّ بن أبى طالب عليه السلامُ يسأله عن حاله ، فكتب إليه علىٌّ رضى الله عنه :

فإنْ تَسأليني[(٨)] كيفَ أنتَ فإننى ... جَليدٌ[(٩)] على عَضِّ[(١٠)] الزَّمان صَليبُ

---

(١) فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٧٣) : «إبراهيم بن العباس» مكان «على بن الجهم» .
(٢) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : «فى القوم» . وهو تحريف .
(٣) فى ا ، ى : «لقد عجبت منى الليالى ابن نكبة * صبورا» والمعنى يستقيم عليه أيضاً .
(٤) البلابل : الوساوس والهموم .
(٥) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : «بالجاشم» بالجيم ، وهو تصحيف .
(٦) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : «حزنا» .
(٧) فى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ٥٤) : «ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبى طالب فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء ، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل» . وفى آخر كتاب على هذا : «ولكنه كما قال أخو بنى سليم» . وذكر البيتين . ثم قال الشارح : «والشعر ينسب إلى العباس بن مرداس ، ولم أجده فى ديوانه» .
(٨) كذا فى شرح نهج البلاغة . والذى فى الأصول . «تسألنى» .
(٩) فى ا وشرح نهج البلاغة : «صبور» .
(١٠) فى ا : «غط» . وهما بمعنى . وعض الزمان وغطه : شدته . والذى فى شرح نهج البلاغة : «ريب» .

عَزِيزٌ علىَّ أنْ ترى بى كآبةٌ فيفرح واشٍ[١] أو يُسَاء حَبِيب

ما جاء فى ذم الحمق والجهل[٢]

للنبى صلى الله عليه وسلم فى الجاهل

قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « الجاهلُ يظلم مَن خالطه ، ويعتدى على مَن هو دُونه ، ويتَطاول على مَن هو فوْقه ، ويتكلّم بغير تمييز ، وإن رَأَى كريمةَ أعْرض عنها ، وإن عَرَضت فتْنة أرْدَتْه وتهوَّر فيها .

لأبى الدرداء فى معنى ما سبق

وقال أبو الدَّرداء : عَلامة الجاهل ثلاث : العُجْب ، وكَثرة المَنطق ، وأن يَنْهَى عن شىء ويأتيه .

لأردشير فى الجهل

وقال أرْدشير : حَسْبُكم دَلالة على عَيْبِ الجهل أنَّ كلَّ الناس تنفر[٣] منه وتَغضب من أن تُنسب إليه .

فى التحذير من الاتصال بالجاهل

وكان يُقال : لا تَغرُرْك من الجاهل قَرابة ولا أُخوَّة ولا إلْف ، فإنّ أحقَّ الناس بتَحريق النَّار أقربُهم منها .

فيما يقربك من الأحمق

وقيل : خَصْلتان تُقرِّبانك من الأحمق ، كثرةُ الالتفات ، وسرعة الجواب .

فى التحذير من مصاحبة الجاهل

وقيل : لا تَصْطحب الجاهِلَ ، فإنّه يُريد أن يَنفعك فيضُرّك .

لبعض الشعراء فى الحماقة

ولبعضهم :

لِكلِّ دَاء دواءٌ يُستَطَبُّ به إلا الحماقةَ أعْيَتْ مَن يُدَاويها

شعر لأبى العتاهية فى التحذير من الأحمق

ولأبى العتاهية :

احْذَرِ الأحمقَ أنْ تَصْحبَه[٤] إنما الأحمقُ كالثّوْبِ الخَلَقْ

كلَّما رَقّعْتَه مِن جانبٍ زَعْزعتْه الريحُ يوماً فانْخرق

---

(١) فى شرح نهج البلاغة : « يعز ... * فيشمت عاد » . (٢) قدمنا هذا الباب وأثبتناه هنا عن ا ، ى . وقد جاء فى سائر الأصول عقب « رد المأمون على الملحدين وأهل الأهواء » . (٣) فى ا ، ى : « تنتفى » .
(٤) فى ديوان أبى العتاهية « واحذر وده » مكان « لا تصحبه » .

أو كصَدْع فى زُجاج فاحشٍ هل ترَى صَدْعَ زُجاجٍ يَلْتَصق
فإذا عاتبتَــــه كى يَرْعَوِى زادَ شرًّا وتمادَى فى الحُمق

باب فى التواضع

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : مَن تَواضَع لله رَفعه الله .

للحكماء

قالت الحُكَماء : كلُّ نِعْمة يُحسد عليها إلا التَّواضع .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان ، رَفعه إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم(١) : أفضَل الرِّجال مَن تَوَاضع عن رِفْعة ، وزَهِد عن قُدْرة ، وأنصف عن قوة .

وقال ابن السَّماك لعيسى بن موسى : تواضُعك فى شَرَفك أكبرُ من شَرَفك .

مثل من تواضع النجاشى

وأصبح النَّجاشىّ يومًا جالسًا على الأرض والتّاجُ عليه ، فأعظمت بَطارقته ذلك ، وسألوه عن السَّبب الذى أوْجبه ، فقال : إنّى وَجدتُ فيما أنزل الله على المَسيح : إذا أنعمْتُ عَلَى عَبْدِى نِعمةً فَتواضَع أتْممْتُها عليه ، وإنه وُلِد لى هذه الليلةَ غلامٌ فتواضعتُ شكراً لله .

بين عمر بن الخطاب والمعلى ابن الجارود وخولة بنت حكيم

خرج عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه ، ويدُه على المُعلَّى بن الجارود العَبْدىّ ، فلَقِيَتْه امرأةٌ من قُرَيش ، فقالت له : يا عُمر ، فوَقف لها ؛ فقالت : كنّا نعرفك مُدةً(٢) عُميراً ، ثم صِرْت من بعد عُمير عُمر ، ثم صِرْت من بعد عمر أميرَ المؤمنين ، فاتق الله يابن الخطّاب وانظرُ فى أمور الناس ، فإنه مَن خاف الوَعيد قَرُبَ عليه البَعيد ، ومَن خاف الموتَ خَشِىَ الفَوْت . فقال المُعلّى :

(١) هذه العبارة « رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم » ساقطة فى ا ، ى . وقد زيد فى بعض الأصول بعد قوله : « عن قوة » كلمة « الحديث » .
(٢) فى بعض الأصول : « مرة » .

إيها[1] يا أمةَ الله ، فقد أبكيتِ أميرَ المؤمنين . فقال له عُمر : أسكت ، أتدرى مَن هذه [ويحك] ؟ هذه خَولة بنت حَكيم التى سمع الله قولها من سمائه ، فعُمَر أحرى أن يَسمع قولها ويَقتدى به .

لأبى عباد الكاتب

وقال أبو عَبّاد [الكاتب] : ما جَلس إلىّ رجل قطُّ إلا خُيِّل إلىّ أنى سأجلس[2] إليه .

للحسن

وسُئل الحسنُ عن التواضع فقال : هو أن تَخرج من بَيتك فلا تَلقى أحداً إلا رأيتَ له الفضلَ عليك .

بين بكر بن عبد الله ورجل سأله أن يعلمه التواضع

وقال رجل لبَكر بن عبد الله : عَلِّمنى التواضع ؛ فقال : إذا رأيتَ مَن هو أكبرُ منك فقُل : سَبقنى إلى الإسلام والعَمل الصالح ، فهو خَيرٌ منّى ، وإذا رأيت [من هو] أصغرُ منك فقُل : سبقتهُ إلى الذُّنوب والعمل السيِّء[3] ، فأنا شرٌّ منه .

شعر لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية :

٢٤٦/١ يا مَن تَشرَّف بالدُّنيا وزينتها[4] ليسَ التشرُّف رَفعَ الطِّين بالطِّينِ
إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلّهمِ فانظرْ إلى مَلِك فى زىٍّ مِسكين
[ذاكَ الذى عَظُمت فى الناس هِمّته[5] وذاكَ يَصْلح للدُّنيا وللدِّين]

---

(١) فى ى : « إليك » مكان « إيها » .
(٢) كذا فى ى . وفى ا : « إلى أن سأجلس » . والذى فى سائر الأصول : « أنا جالس » مكان قوله « سأجلس » .
(٣) فى ى : « المعاصى » مكان « والعمل السيء » .
(٤) فى ديوان أبى العتاهية : « وطينتها » .
(٥) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « فى الله نعمته » . والذى فى الديوان : « فى الناس حرمته » .

الرفق والأناة

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : مَن أُوتِىَ حظَّه من الرِّفق فقد أُوتى حظّه من خَيْر الدُّنيا والآخرة .

لبعض الحكماء فيما يدرك بالرفق

وقالت الحُكماء : يُدْرَك بالرِّفق ما لا يُدْرَك بالعُنْف ، ألاَ ترى أنّ الماء على لِينه يَقْطع الحَجَر على شِدَّته ؟

شعر لأشجع فى جعفر البرمكى

وقال أشجعُ [بن عمرو] السُّلَمىّ لجعفر بن يحيى بن خالد :

ما كان يُدْرَك بالرجال ولا بالمـال ما أدركتَ بالرِّفقِ

شعر النابغة فى الرفق والأناة

وقال النابغة :

الرِّفقُ يُمْنٌ والأَناةُ سـعادةٌ فاسْتَأْنِ فى رِفق تُلاقِ نَجَاحا

لبعضهم فى العجلة

وقالوا : العَجل بَرِيدُ الزَّلل .

شعر القطامى فى معنى ما سبق

أخذ القَطامىّ التَّغلبىّ هذا المعنى فقال :

قد يُدْرِكُ المُتأَنِّى بعضَ حاجتِه وقد يكونُ معَ المُستَعْجِـل الزَّللُ

شعر لعدى بن زيد

وقال عَدِىُّ بن زَيد :

قد يُدْرِكُ المُبْطِئُ مِن حظّـه والخَيْرُ[1] قد يَسْبِقُ جُهْدَ الحَرِيصْ

استراحة الرجل بمكنون سره إلى صديقه

عبارات للعرب فى إفضاء المرء بما يكتم

تقول العـرب : أَفْضَيْتُ إليك بشُـقُورى[2] . وأطلَعْتُك على عُجَرى وبُجَرى[3] . ولو كان فى جَسدى بَرص ما كَتمتُه .

---

(١) فى ا : « والخير » وفى عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٩١) : « والرزق » . وكلا اللفظين محرف عما أثبتناه .

(٢) الشقور : الأمور اللاصقة بالقلب المهمة له .

(٣) عجرى وبجرى ، أى عيوبى وأحزانى ، وما أبدى وما أخفى .

وقال الله تبارك وتعالى : (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ) .

للحكماء

وقالت الحكماء : لكلِّ سِرٍّ مُستودع .

فى مكاتمة الأدنين

وقالوا : مُكاتمة الأدنين صَرِيحُ العُقوق .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وأبثثتُ عَمراً[1] بعضَ ما فى جَوانحى ... وجرَّعتُه من مُرِّ ما أتجرَّعُ
[ولا بُدَّ من شَكْوى إلى ذى حَفِيظةٍ[2] ... إذا جَملتْ أسرارُ نَفْسٍ تَطَلَّعُ[3]]

شعر لحبيب

وقال حبيب :

شكوتُ وما الشَّكْوَى لِمِثْلِىَ عادةٌ ... ولكنْ تَفِيضُ النفسُ عند امتلائها

شعر لأبى الحسن البصرى

وأنشد أبو الحسن محمدُ البَصرىُّ[4] :

لَعِبَ الهَوَى بمَعالِمى ورُسُومى ... ودُفِنْتُ حيًّا تحت رَدْمِ هُمُومِى
وشكوتُ هَمِّى حين ضِقْتُ ومَن شكا ... هَمًّا يَضِيقُ به فغير مَلُوم

لبعض الشعراء

وقال آخر :

إذا لم أُطِقْ صَبْرًا رَجعتُ إلى الشكوى ... وناديتُ تحتَ اللَّيْلِ ياسامع[5] النَّجْوَى
وأمطَرْتُ صحْنَ الخدِّ غيثاً من البُكا ... على كَبِدٍ حَرَّى لِتَرْوَى فما تَرْوَى

الاستدلال باللحظ على الضمير

للحكماء فى معنى هذا العنوان

قالت الحكماء : العينُ بابُ القَلْب ، فما كان فى القلب ظهرَ فى العين .

لعثمان بن إبراهيم فى دلالة العيون على ما تكنه النفوس

أبو حاتم عن الأصمعى عن يونس بن[6] مُصْعَب عن عثمان بن إبراهيم

(١) فى البيان والتبيين (ج ٣ ص ٢١٦) : « بكراً كل » مكان « عمراً بعض » .
(٢) الحفيظة : اسم من المحافظة والحفاظ للذب عن المحارم والمنع لها عند الحرب .
(٣) كذا فى ى والبيان . والذى فى ا : « تقطع » . وهو تحريف .
(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « المصرى » .
(٥) فى ا : « من يسمع » مكان « ياسامع » .
(٦) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « يونس عن ابن مصعب » . وهو تحريف .

ابن محمد قال :

إنى لأعرف فى العين إذا عرفتْ ، وأعرف فيها إذا أنكرتْ ، وأعرف فيها إذا لم تَعرف ولم تنكر ، أما إذا عرفت فتخواصّ(١) ، وأما إذا أنكرت فتَجْحظ ، وأما إذا لم تَعرف ولم تُنكر فتَسْجُو .

صريع الغوانى فى معنى ما سبق

وقال صريعُ الغوانِي :

جَعلنا عَلامات ٱلمَوَدَّة بَيْننا مَصايدَ لَحْظٍ هُنّ أخفَى من السِّحْرِ
فأعرفُ فيها الوَصْلَ فى لِينِ(٢) طَرْفِها وأعرِف فيها(٣) الهَجْرَ فى النَّظر الشَّزْرِ

شعر لمحمود الوراق فى معناه أيضا

وقال محمودٌ الورّاق :

إنّ العُيون على القُلوبِ شَواهدٌ فَبغيضُها لكَ بَيِّنٌ وحبيبُها ٢٤٧/١
وإذا تَلاحظت العُيون تَفاوضَت وتَحدّثت عمّا تُجِنّ قُلوبها
يَنطِقْنَ والأفواهُ صامِتةٌ فما يَخْفى عليك بَريئُها ومُريبُها

شعر لابن أبى حازم فى مثله

وقال ابنُ أبى حازم :

خُذْ مِن العَيْش ما كَفى ومِن الدّهر ما صَفا
عَيْنُ من لا يُحب وَصْلك تُبْدِى لكَ ٱلجَفا

شعر لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

صاحب(٤) فى ٱلحُبّ مَكْذُوبُ دَمْعه للشَّوق مَسْكوب(٥)

(١) فى بعض الأصول : « فتحواص » بالحاء المهملة . والخوص (بالخاء المعجمة) : غؤور العين . (وبالمهملة) : ضيقها .
(٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « يمن » . وهو تحريف .
(٣) فى ى : « منها » فى الموضعين .
(٤) فى بعض الأصول : « صادق » .
(٥) فى ى : «مصبوب» .

كلُّ ما تَطوِى جوانحُهُ فهو فى العَيْنين(١) مكتوب

شعر لأبى نواس

وقال الحسنُ بن هانىء :

وإنّى لِطَيْرِ(٢) العَيْن بالعَيْن زاجِر فقد كِدْتُ لا يَخْفَى علَىَّ ضَمِيرُ

الاستدلال بالضمير على الضمير

من حكيم إلى حكيم

كتب حكيمٌ إلى حكيمٍ : إذا أردتَ معرفةَ مالَكَ عِندى فضَع يدَك على صدرِك فكما تجِدُنى كذلك أجِدُك .

فى التحذير ممن تبغضه القلوب

وقالوا : إيّاكم ومَن تُبغضه قلوبُكم ، فإنّ القُلوب تُجازى القلوبَ .

شعر لذى الإصبع

وقال ذو الإصبع :

لا أسألُ النّاسَ عمّا فى ضَمائرِهم ما فى ضَمِيرى لهم مِن ذاك يَكْفِينِى

شعر لمحمود الوراق

وقال محمود الورّاق :

لا تَسْألَنّ المرءَ عمّا عِنده واسْتَمْلِ ما فى قَلْبه من قَلْبِكا
إنْ كان بُغضاً كان عندك مِثْلُه أو كان حُبًّا فازَ منك بحُبِّكا

الإصابة بالظن

لعمرو بن العاص فى معنى هذا العنوان

قيل لعمرو بن العاص : ما العَقْل ؟ قال الإصابة بالظّن ومَعْرفة ما يكون بما قد كان .

لعمر بن الخطاب

[وقال عمر بن الخطاب : مَن لم يَنْفعه ظَنُّه لم يَنْفعه يَقِينُه] .

لعلى فى ابن عباس

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لله دَرُّ ابن عبّاس ، إن كان لينظر إلى الغَيْب من سِتْر رَقيق .

(١) فى ا ، ى : « عينيه » .
(٢) فى ى . « لطرف » .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وقلَّما يَفجأ المكْرُوهُ صاحبَه حتى يَرى لوجوه الشَّرِّ أسْبابَا

فى حكمة تمييز الله للإنسان بالعقل

وإنما ركَّب اللهُ العقلَ فى الإنسان دون سائر الحيوان ليستدلّ بالظاهر على الباطن ، ويَفهم الكثيرَ بالقليل .

شعر لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

يا غافلاً ما يَرى إلا محاسِنَه ولو دَرَى ما رأى إلّا مَساوِيهِ

انظُر إلى باطنِ الدُّنيا ، فظاهِرُها[1] كلُّ البهائم يَجرى طَرْفُها فيه

تقديم القرابة وتفضيل المعارف

الشيبانى فى عثمان

قال الشَّيبانىّ : أوّل مَن آثر القرابة والأولياء عثمانُ بن عفّان رضى الله عنه ، وقال : كان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يمنع أقاربَه ابتغاء وجه الله . فلا يُرى أفضل من عمر .

وقال[2] لما آوى طريدَ[3] النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما نَقِم الناسُ علىّ أن وصلتُ رحماً وقرّبت عمّا .

كلمة لمعاوية فى آذنه يبرر عمله فى تقديمه الأقارب والمعارف

وقيل لمُعاوية بن أبى سُفيان : إنّ آذِنَك يُقدِّم معارفَه وأصدقاءه فى الإذْن على أشرافِ الناس ووُجوههم ! فقال : وَيلَكم ! إنّ المَعْرفة لتَنْفع فى الكلْب العَقور ، والجَمَل الصَّؤول ، فكيف فى رَجُل حَسيب ذى كرم ودين .

قول زياد فى رجل يدل بمكانته منه

وقال رجلٌ لزياد : أصلح الله الأميرَ ، إنّ هذا يُدِلّ بمَكانةٍ يَدَّعيها منك ؛ قال : نعم ، وأُخبرك بما يَنفعه من ذلك ، إنْ كان الحق له عليك أخذتُك به ٢٤٨/١

---

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « بظاهرها » .

(٢) وقال ، أى عثمان بن عفان .

(٣) الطريد ، هو الحكم بن أبى العاص . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف .

أخذاً شديداً ، وإن كان لك عليه قَضيته عنه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

أقولُ لجارى إنْ أتانى مُخاصِماً يُدِلُّ بحقٍ أو يُدِلُّ بباطـــلِ
إذا لم يَصِلْ خَيْرى وأنتَ مُجاورِى إليك فما شَرِّى إليك بواصِلِ

لخالد القسرى حين اتهمه البصريون بالمحاباة

العُتْبىّ قال : وَلِى عبدُ الله بنُ خالد بن عبد الله القَسْرِى [قَضَاء] البَصرة ، فكان يُحابى أهل مودَّتِه ؛ فقيل له : أىّ رجلٍ أنت لولا أنك تُحَابى ! قال : وما خَيْر الصَّديق إذا لم يَقْطع لصديقه قِطْعة من دينه .

لابن شبرمة حين عزل عن قضاء البصرة

ووَلِى ابنُ شُبرمة قَضَاء البَصرة وهو كاره ، فأحسن السِّيرة . فلما عُزِلَ اجتمع إليه أهلُ خاصَّتِه ومَودَّته ، فقال لهم : والله لقد وَليتُ هذه الوِلاية وأنا كارهٌ ، وعُزلت عنها وأنا كاره ؛ وما بى من ذلك إلا مخافةَ أن يلى هذه الوُجوهَ من لا يعرف حقَّها . ثم تمثَّل بقول الشاعر :

فما السِّجنُ أبكانى ولا القَيْد شَـفَّنى ولا أنَنى من خَشْية المَوْت أجْزَعُ
بَلَى إنَّ أقواماً أخافُ عليهـــمُ إذا مِتُّ أن يُعطوا الذى كنتُ أمنع

فى نفع محبة السلطان

[وتقول العامَّة : مَحبَّة السلطان أردّ عليك من شُهودك]

لبعض الشعراء فى مثله

وقال الشاعر :

إذا كان الأمير عليك خَصما فَلَيس بقابلٍ منك الشُّهودَا

لزياد فى محبة الولاية وكرهها

وقال زياد : أُحب الوِلايةَ لثلاث ، وأكرهها لثلاث : أحبها لِنَفْع الأَوْلياء ، وضَرّ(1) الأعْداء ، واستِرْخاص الأشياء ؛ وأكرهها لِرَوْعة البريد ، وقُرْب(2) العَزْل ، وشَماتة العدوّ .

---

(1) فى ا : « وضرر » . وفى ى : « وحين » .
(2) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « وموت » . وهو تحريف .

للحكماء

ويقول الحُكماء : أحقُّ مَن شاركك فى النِّعمة شُركاؤك فى المُصِيبة .

لبعض الشعراء

أخذه الشاعر(١) فقال :

وإنَّ أَوْلَى الموالى أنْ تُواسِيه عند السُّرُور لمن آساك(٢) فى الحزَن
إنَّ الكِرام إذا ما أسْهلُوا ذَكَروا مَن كان يَألفهم(٣) فى المَنْزِل الخشِن

لحبيب

وقال حَبيب :

قَبَح الإلهُ عداوةً لا تُتقى ومَودّةً يُدْلَى بها لا تَنفعُ

فضل العشيرة

لعلى بن أبى طالب

قال علىّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : عشيرةُ الرجل خيرٌ للرجل من الرجل للعَشِيرة(٤) ، إن كَفّ عنهم يداً واحدة كَفُّوا عنه أيديًا كثيرة ، مع مودّتهم وحِفَاظهم ونُصْرتهم . إنَّ الرجل ليَغضَب للرجل لا يَعرِفه إلا بِنَسبه ، وسأتلُو عليكم فى ذلك آياتٍ من كِتاب الله [تعالى] ، قال الله عزّ وجلّ فيما حكاه عن لُوط : « لَوْ أنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيد) يعنى العشيرة ، ولم يكن للوط عَشيرة . فوالذى نفسى بيده ما بعث الله نبيًّا من بعده إلا فى ثَرْوَة من قومه ، ومَنعة من عَشِيرته ، ثم ذكر شُعيبا إذ قال له قومُه : (إنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً ولَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ) ، وكان مَكْفوفا ، والله ما هابُوا [الله ولا هابوا] إلا عشيرتَه .

لبزرجمهر

وقيل لِبُزُرْجِمهر : ما تقول فى ابن العم ؟ قال : هو عدوُّك وعدوُّ عدوِّك .

---

(١) الشاعر هو أبو تمام .
(٢) كذا فى ى والديوان . والذى فى سائر الأصول : « تواسيه ... واساك » .
(٣) فى ا : « تابعهم » .
(٤) كذا فى ى . والذى فى ا : «خير للرجل من العشيرة» . والذى فى سائر الأصول : « خير للرجل من غير العشيرة » .

الدَّين

مِن حَدِيث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : الدَّيْنُ يَنْقُص ذا الحَسَب (1) .

لعمر فى أسيفع

وقال عمر [ألا إنّ] لأُسَيْفع أُسَيْفع (2) جُهينة رَضِى مِن دِينه وأمانته أن يُقال : سَبق الحاجّ (3) ، ألا وإنه قد أدّان مُعرِضاً (4) وأصبح قد رِينَ (5) به ، فمن كان له عِنْده شىء فليأتنا بالغداة نَقْسم [له] ما [له] بين غُرمائه ، وإيّاكم والدَّينَ فإنّ أوّله هَمٌّ وآخره حُزْن .

وقال مولًى (6) قُضاعة :

شعر لمولى قضاعة

فلو كنتُ مولَى قَيْسِ عَيْلانَ لم تَجد ... علىَّ لإنسان من النـاس دِرْهَما
ولـكنّنى مولَى قُضـاعة كُلّها ... فلستُ أبالى أن أَدِينَ وتَغْرَما

٢٤٩ / ١

وقال آخر :

لبعض الشعراء فى قضاء الدين بالدين

إذا ما قضيْتَ الدَّينَ بالدَّين لم يكُن ... قَضاء ولـكِن كان غُرْماً على غُرْمِ

لسفيان الثورى فى مضار الدين

وقال سُـفيان الثَّورىّ : الدَّين هَمٌّ بالَّليل وذُلٌّ بالنهار ، فإذا أراد الله أن يُذِلَّ عَبداً جَعله قِلادة فى عُنقه .

---

(1) فى ا ، ى : « الدين والحسب » مكان « ذا الحسب » .

(2) كذ فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول : « لأسيقع أسيقع » . وفيه تحريف . (انظر الإصابة لابن حجر ج ١ س ١٠٩) .

(3) وذلك أنه كان يشترى الرواحل فيتغالى بها ثم يسرع السير فيسبق الحاج فأفلس فرفع أمره الى عمر .

(4) المعرض : الذى يعرض للناس فيستدين ممن أمكنه ، وقيل هو الذى يأخذ الدين ولا يبالى أن لا يؤديه ولا ما يكون من التبعة .

(5) كذا فى ى ولسان العرب والنهاية . ورين به ، أى أحاطت بماله الديون وعلته ، أو وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به . والذى فى سائر الأصـول : « دين » . وهو تحريف .

(6) هو شقران القضاعى . انظر عيون الأخبار (ج ١ س ٢٥٦) .

بين عمر بن الخطاب ورجل متقنع

ورأى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً مُتقنعًا ، فقال له : كان لقمان الحكيم يقول : القِناع رِيبةٌ بالليل ذُلٌّ بالنهار ؛ فقال الرجلُ : إنّ لُقمان الحكيم لم يكن عليه دَيْن.

شعر المقنع الكندى

وقال المُقنّع الكِنْدىّ[1] :

يُعيبونى[2] بالدَّين قَومى وإنما تداينتُ فى أشياء تُكْسِبهم حَمْدَا
إذا أكلوا لَحْمى وَفَرتُ لحُومهم وإن هَدَمُوا مَجْدِى بنيتُ لهم مَجْدَا

مجانبة الخُلْف والكذب

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : الكَذِب مُجانب الإيمان[3] .

للحكماء

وقالت الحُكماء : لَيس لكَذّاب مُروءة .

فيمن لم يجز صدقه

وقالوا : مَن عُرف بالكَذِب لم يَجُزْ صِدْقه .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يجُوز الكَذِب فى جِدّ ولا هَزْل .

وقال : لا يكون المؤمن كَذّابًا .

لابن عمر فى خلف الوعد

وقال عبدُ الله بن عُمر : خُلْف الوَعْدِ ثُلُث النِّفاق .

لحبيب فى ذم عياش بالخلف والكذب

وقال حبيب الطائىّ فى عَيّاش :

يا أكثَرَ الناسِ وَعْدًا حَشْوُه خُلُفٌ وأكثرَ الناسِ قولاً حَشْوُه كَذِبُ

للمؤلف فى الخلف

ومن قولنا فى هذا المعنى :

---

(١) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢٦ وشرح الحماسة ص ٢٢٦) . والذى فى ى : « المقفع الغنوى » والذى فى سائر الأصول : « ابن المقفع الغنوى » . وهو تحريف .

(٢) ويروى : « يعاتبنى فى الدين » و « يعيرنى فى الدين » .

(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « مجانبة الكذب الإيمان » .

صَحِيفةٌ أُنْفِيَتْ[١] لِيتٌ بِها وعسى عُنْوانها راحةُ الرَّاجي إذا يَئِسا
وَعْدٌ لَهُ هاجِسٌ في القَلْبِ[٢] قد بَرِمَتْ أحشاهُ صَدْرى به من طُول ما أُحبِسا[٣]
مَوَاعِدٌ غرَّنى منها وَمِيضُ سَنًى حتى مَدَدْتُ إليها الكَفَّ مُقْتَبِسا
فَصادفتْ حَجَرًا لو كنتَ تَضْرِبه مِن لُؤْمه بعصَا مُوسى لما انْبَجَسا
كأنما صِيغ من بُخْلٍ ومن كَذِبٍ فكان ذاكَ لهُ رُوحا وذا نَفَسا

التنزه عن استماع الخنا والقول به

اعلم أنّ السامع شَرِيك القائل فى الشرّ[٤]. قال الله [تعالى] : (سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ).

وقال العُتبى : حَدَّثنى أبى عن سَعد القصير[٥] قال : نَظَر إلىّ عمرو بن عُتبة[٦] ورجل يَشْتُم رجلاً بين يدىّ ، فقال لى ، ويلك — وما قال لى ويلك قبلها — نَزِّه سَمْعك[٧] عن استماع الخَنا كما تُنزِّه لِسانَك عن الكلام به ، فإنّ السامعَ شريكُ القائل ، وإنه[٨] عَمَد إلى شرّ ما فى وعائه فأفرغه فى وِعائك ، ولو رُدَّت كلمة جاهل فى فِيه لَسَعِدَ رادُّها كما شَقى قائلُها .

بين عمرو بن عتبة وسعد القصير

(١) فيما مر فى الجزء الأول (ص ٢٩٢) من هذه الطبعة : « كتبت » .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فى الفدر » .
(٣) فى ى هنا وفيما مر من الجزء الأول : « هجبا » .
(٤) فى ا ، ى : « فى الخير والشر » .
(٥) كذا فى ا ، ى والمعارف لابن قتيبة وفيما سيأتى عند الكلام على فضل المال . والذى فى سائر الأصول هنا والكامل : « القصر » . والذى فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٠٠) : « سعيد القصرى » .
(٦) فى ا : « عمرو بن عبيد » .
(٧) فى بعض الأصول : « نفسك » .
(٨) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « وإن » . ولا يستقيم الكلام بها .

باب فى الغلو فى الدين

رثاء ابن ذر لرجل مسرف فى الذنوب

تُوفِّى رجل فى عَهد عمرَ بن ذَرّ ممن أسرَف على نفسه فى الذنوب ، وجاوَزَ فى الطُّغيان ، فتحَامَى[1] الناسُ عن جِنازته ، فحضرَها عمرُ بن ذرّ وصلّى عليه ، فلما أُدْلِىَ فى قبره قال : يَرْحمك الله أبا فُلان ، صَحِبْت عُمْرك بالتوحيد ، وعَفَّرت وجهك لله بالسُّجود ، فإن قالوا مُذْنِب وذُو خَطايا ، فمَن منّا غيرُ مُذنِب وذِى خطايا .

النبى صلى الله عليه وسلم

ومن حديث أبى هُريرة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : إنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : (يـأَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وأَعْملوا صالِحًا إنّى بما تعمَلون عَليم) ، وقال : (يـأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ) ، ثم ذكر الرجلَ يُرى أشعثَ أغبرَ يَمُدُّ يديه إلى السماء يقول : يا رَبّ يا رَبّ ، ومَطْعَمه حرَام ومشْرَبه حرَام ومَلْبسه حرَام ، فأنّى يُستجاب له ؟

٢٥٠/١ قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنّ الله بَعثنى بالْحَنِيفيّة السَّمْحة ولم يبْعثنى بالرَّهْبانيّة الْمُبْتَدعة ، سُنّتى الصلاة والنوم ، والإفطار والصَّوم ، فمن رَغِب عن سُنّتى فليس منى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إنّ هذا الدِّينَ مَتِين فأوْغل فيه برِفق ، فإنّ الْمُنْبَتَّ لا أرْضًا قَطع ولا ظَهْرًا أبقى .

على بن أبى طالب فى التوسط فى الأمور

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : خَيرُ هذه الأمّة هذا النَّمط الأوْسط ، يَرْجع إليهم الغالى ويَلحق بهم التّالى .

لمطرف يعظ ابنه بالتوسط فى أمر الدين

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير لابنه ، وكان قد تعبَّد : يا بُنىّ ، إن

(١) كذا فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول : « فتجافى » .

الحَسَنة بين السيئتين — يعنى أن الدين بين الإفراط والتقصير — وخَير الأمور أوْسطها ، وشَرّ السَّير الحَقْحقة[1] .

لسلمان الفارسى فى القصد والدوام

وقال سلمان الفارِسىّ : القَصْدَ والدَّوامَ فأنت الجَواد السابق .

فى طالب العلم وعامل البر

وقالوا : [طالب العِلم و] عاملُ البِرِّ كآكِل الطَّعام ، إن أكل منه قوتاً عَصمه وإن أسْرَف منه أبْشَمه .

بين عيسى بن مريم ورجل متعبد

وفى بعض الحديث : إن عيسى بنَ مريم عليه السلام لَقِىَ رجلاً فقال له : ما تَصْنع ؟ قال : أتعبَّد ؛ قال : فمن يَعود عليك ؟ قال : أخى ؛ قال : هو[2] أعْبَد منك .

بين النبى صلى الله عليه وسلم وبعض الأشعريين فى متعبد منهم

ونظير هذا أن رُفْقة من الأشعريين كانوا فى سَفر ، فلما قَدِموا قالوا : ما رأينا يارسولَ الله بعدَكَ أفضلَ من فلان ، كان يَصُوم النهار ، فإذا نَزَلنا قام من الليل حتى نَرْتحل ؛ قال : فَمَن كان يَمْهَن له ويَكفُله[3] ؟ قالوا : كلّنا ؛ قال : كلّكم أفضلُ منه .

للزهرى فى الزهد

وقيل للزُّهرى : ما الزّهد فى الدنيا ؟ قال [أمّا] إنه ما هو بتَشْعيث اللِّمة ، ولا قَشَف الهيئة ، ولكنّه ظَلَف[4] النَّفس عن الشَّهوة .

مثل من ترف ابن الحنفية

علىّ بن عاصم عن أبى إسحاق[5] الشَّيبانى قال :

رأيتُ محمد بن الحنفيّة واقفاً بعَرَفات على بِرْذَوْن وعليه مُطْرَف خز أصْفر .

---

(١) الحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر .
(٢) فى ى : « أخوك » .
(٣) فى ى : « يهيء له ويكفيه » . وفى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣٢٦) : « يعهد له أو يكفيه أو يعمل له » .
(٤) كذا فى ا ، ى . وظلفت النفس عن الشهوة : كفت عنها . والذى فى سائر الأصول : « خلف » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى ا ، ى وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « إسحاق عن الشيبانى » .

من ترف ابن عباس

السُّدِّى[1] عن ابن جُرَيج عن [عثمان بن أبى سليمان : أن][2] ابن عباس[3] كان يرتدى رِدَاء بألف[4] .

بعض ما كان يلبس النبى صلى الله عليه وسلم

إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم عليه ثوبان مَصْبُوغان بالزّعفران : رداء وعمامة .

بين معمر وأيوب السختيانى فى قميص لأيوب

وقال مَعمر : رأيتُ قميص أيوب السَّختيانى يكاد يَمس الأرض ، فسألتُه عن ذلك ؛ فقال : إن الشُّهرة كانت فيما مضى فى تَذْييل[5] القَمِيص ، وإنّها اليومَ فى تَشميره .

ابن عون ومعاذة العدوية وابن سيرين فى برنس لابن عون

أبو حاتم عن الأصمعى : أن ابن عَوْن اشترى بُرْنسا[6] فمرّ على مُعاذَة العَدَويَّة ، فقالت : مِثْلُك يَلْبس هذا ؟ فذكرتُ ذلك لابن سيرين ، قال : أفلاَ أخبرتَها أن تميماً الدارمى[7] اشترى حُلَّة بألف فصلّى فيها .

كلام حماد بن سلمة لفرقد السبخى فى ثوب صوف لفرقد

قدم حمّاد بن[8] سَلمة البَصرة فجاءه فَرْقد السَّبَخى[9] وعليه ثيابُ صُوف ، فقال له حمّاد : ضَعْ[10] عنك نَصْرَانيّتك هذه ، فلقد[11] رأيتُنا ننتظر إبراهيم[12]

---

(١) لعله « الثورى » . انظر عيون الأخبار (ج ١ س ٢٩٨) .
(٢) التكملة عن عيون الأخبار .
(٣) فى الأصول : « ابن عباس قال » . وظاهر أن « قال » مقحمة .
(٤) كذا فى ا وعيون الأخبار : « رداء بألف » . وفى ى : « برداء قيمته ألف » . والذى فى سائر الأصول : « برداء بألف » .
(٥) كذا فى ى وعيون الأخبار . والذى فى سائر الأصول : « تبذيل » .
(٦) فى عيون الأخبار : « برنسا من عمر بن أنس بن سيرين » .
(٧) فى ا ، ى : « القارى » . وهو تحريف .
(٨) فى ى : «حماد بن مسلمة» . وفى عيون الأخبار وحلية الأولياء (ج ٤ س ٢٢١) : «حماد بن أبى سليمان » .
(٩) فى الأصول : « السنجى » . والتصويب عن الأنساب وعيون الأخبار .
(١٠) كذا فى ى وحلية الأولياء . والذى فى سائر الأصول : « دع » .
(١١) كذافى عيون الأخبار وفى ى: «قال: ولقد» . وفى سائر الأصول : «فقال له : قد» .
(١٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعى الفقيه .

[فيخرج إلينا] وعليه مُعَصْفرة ، ونحن نرى أن المَيْتة قد حلّتْ له

بين قتيبة بن مسلم ومحمد بن واسع

أبو الحسن المدائنىّ قال : دخل محمد بن واسع على قُتيبة بن مسلم وَالِى خُراسان فى مِدْرَعة صوف ، فقال له : مايدعوكَ إلى لِباس هذه ؟ فسكَت ؛ فقال له قتيبة : أُكلّمك ولا تُجيبنى ؟ قال : أَكرَه أن أقولَ زُهدًا فأزَكّى نفسى ، أو أقولَ فقرًا فأشكو ربى ، فما جوابُك إلا السُّكوت .

لابن السماك فى لابسى الصوف

قال ابن السَّماك لأصحاب الصُّوف : والله لئن كان لباسُكم وَفْقًا لسرائركم فقد أحبَبْتم أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفًا لها فقد هَلَكتم .

محمد بن القاسم وسالم بن عبد الله وما كانا يلبسان

وكان القاسمُ بن محمد يَلْبس الخزّ ، وسالم بن عبد الله يَلْبس الصُّوف ، ويَقْعُدان فى مجلس المدينة ، فلا يُنكر هذا على هذا [شيئًا] ولا ذا على هذا .

بين محمد بن المنكدر ورجل جاء يسأله عن التزين

ودَخل رجلٌ على محمد بن المُنْكَدر فوجده قاعداً على حَشايا مُضاعَفة ، وجاريةٌ تُغَلِّفه[1] بالغالية ، فقال : رَحمك الله ، جئتُ أسألُك عن شىء وجدتك فيه — يريد التزيّن — قال : على هذا أدركتُ الناس .

بين الأعمش وإمام كان يطيل الصلاة

وصلّى الأعمشُ فى مسجد قوم فأطال بهم الإمام ، فلما فَرَغ ، قال له : يا هذا ، لا تُطِلْ صلاتك ، فإنه يكون خَلْفك ذو الحاجة والكَبير والضَّعيف ؛

٢٥١/١ قال الإمام : وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ؛ فقال له الأعمش : أنا رسولُ الخاشعين إليك ، إنهم لا يَحتاجون إلى هذا منك .

عيادة على بن أبى طالب الربيع ابن زياد وما حدث بين على وعاصم

العُتْبىّ قال : أصابت الربيعَ بن زياد نُشّابةٌ[2] فى[3] جبينه ، فكانت تنتقض عليه كل عام ، فأتاه علىُّ بن أبى طالب عائداً ، فقال له : كيف تَجدك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أجدُنى لو كان لا يذهب ما بى إلاّ بذَهاب بَصَرى لتمنّيت ذهابَه ، قال له : وما قيمة بَصرك عندك ؟ قال : لو كانت لى الدُّنيا فديتُه

(١) فى ا : « تغلله » . (٢) النشابة : واحدة النشاب ، وهو النبل .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول « على » .

بها ؛ قال : لا جرَم ، ليُعطينَّك[1] الله على قَدْر الدُّنيا ، لو كانت لك لأنفقتها فى سبيله ، إنّ الله يُعطى على قَدْر الألم والمُصيبة وعنده بعدُ تَضْعيفٌ كثير . قال له الرَّبيع : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أشكو[2] إليك عاصمَ بن زِياد ؟ قال : وماله ؟ قال : لَبِسَ العَباء ، وتَرَك المُلاء ، وغَمّ أهْلَه ، وأحْزن وَلَده ؛ قال : علىَّ عاصماً . فلما أتاه عَبس فى وَجْهه ، وقال : وَيْلكَ يا عاصم ! أترى الله أباح لك اللذّاتِ وهو يكره [منك] أخْذَك منها ، أنت أهونُ على الله من ذلك ، أو ما سَمِعْته يقول : (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَان) حتى قال : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ) . وتالله لابتذال نِعَم الله بالفِعال ، أحبُّ إلىَّ من ابتذالها بالمَقال ، وقد سمعته يقول : (وأمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث) وقوله : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) . قال عاصم : فعلامَ اقتصرتَ أنت يا أميرَ المؤمنين ؟ على لِبْس الخَشِن وأكْل الحَشِف[3] ؟ قال : إنّ الله افترض على أئمة العَدْل أن يُقدِّروا أنفسَهم بالعوامّ لئلاّ يَشْنعَ بالفقير فَقرُه . قال : فما بَرِح[4] حتى لبِس المُلاء وترك العَباء .

عبد الله بن عمرو وقد شكته زوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد بن حاطب الجُمَحىّ قال : حدّثنى من سَمِع عمرو بن شُعيب ، وكنتُ سمعتهُ أنا وأبى جميعاً ، قال : حدّثنى عمرو بن شُعيب عن أبيه عن جدّه عن [عبدالله بن مَسعود قال : أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ذاتَ يوم أمّ] عبد الله بن عمرو [بن العاص] ، وكانت امرأة تَلْطُف[5] برسول الله صلى الله عليه

(١) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « يعطيك » .

(٢) كذا فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول : « إنى لأشكو » .

(٣) كذا فى ى . والحشف (بالفتح) : الخبز اليابس . (وبالتحريك) : أردأ التمر . والذى فى سائر الأصول : « الخشب » .

(٤) فى بعض الأصول : « فما خرج » .

(٥) لطف به وله : رفق .

وسلّم ، فقال : كيف أنتِ يا أمَّ عبد الله ؟ قالت : كيف أكونُ وعبدُ الله بن عمرو رجلٌ قد تخلّى من الدنيا ، قال لها : كيف ذلك ؟ قالت : حرّم النوم فلا ينام ، ولا يُفطر ، ولا يَطْعم اللحم ، ولا يؤدِّى إلى أهله حقَّهم ؛ قال : فأين هو ؟ قالت : خرج ويُوشك أن يَرْجع الساعة ، قال : فإذا رجع فاحبسيه علىّ . فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجاء عبدُ الله وأَوْشك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الرَّجعة ، فقال : يا عبدَ الله بنَ عمرو ، ما هذا الذى بلغنى عنك ، [قال : وما ذاك يا رسولَ الله ؟ قال بَلَغنى] أنك لا تنام [ولا تُفْطر] ؟ قال : أردتُ بذلك الأَمْنَ من الفزع الأكبر ؛ قال : وبَلَغنى أنك لا تَطْعم اللّحم (١) ؛ قال : أردتُ بذلك ما هو خيرٌ منه فى الجنّة ؛ قال : وبلغنى أنك لا تؤدِّى إلى أهلك حقَّهم ؛ قال : أردتُ بذلك نساء هنَّ خير منهنّ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يا عبدَ الله ابن عمرو ، إن لك فى رسول الله أُسْوة حَسَنة ، فرسولُ الله يَصوم ويُفطر ويأكل اللّحم ، ويُؤدِّى إلى أهله حقوقَهم . يا عبد الله بن عمرو ، إنَّ لله عليك حقّا ، وإنَّ لبدنك عليك حقّا ، وإن لأهلك عليك حقّا . فقال : يا رسول الله ، ما تأمرنى أن أصوم خمسة أيام وأفطر يوما ؟ قال : لا ؛ قال : فأصوم أربعة وأفطر يوما ؟ قال : لا ؛ قال : فأصوم ثلاثة وأفطر يوما ؟ قال : لا ؛ قال : فيومين وأفطر يوما ؟ قال : لا ؛ قال : فيوماً [وأُفطِر يوماً] ؟ قال : ذلك صيام أخى داود ، يا عبد الله بن عمرو ، كيف بك إذا بَقِيت فى حُثالة من الناس قد مَرِجَت (٢) عهودُهم ومواثيقُهم فكانوا هكذا — وخالف بين أصابعه . قال : فما تأمرنى [به] يا رسول الله ؟ قال : تأخذ ما تَعرف ، وتَدَع ما تُنكر ، وتَعمل بخاصَّة نَفْسك ، وتَدَع الناس وعوامَّ أمرهم . قال : ثم أخذه بيده وجعل يمشى به حتى وضَع يده

(١) فى بعض الأصول : « لا تفطر » .

(٢) مرجت : فسدت .

فى يد أبيه ، وقال له . أطِـع أباك . فلما كان يومُ صِفّين ، قال له أبوه عمرو : يا عبد الله ، اخرج فقاتل ؛ فقال : يا أبتاه ، أتأمُرنى أن أخرج فأقاتل وقد سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت وعَهِد إلىّ [ما عهد] ؟ قال : أنشدك ٢٥٢/١
الله ، ألم يكن آخر ما قال لك أن أخذ بيدك فوضعها فى يدى ، وقال لك : أطِـع أباك ؟ قال : اللهم بلى ؛ قال : فإنى أعزم عليك أن تخرُج فتقاتل . قال : فخرج فقاتل متقلِّداً بسيفين .

القول فى القدر

دعاء لمحمد بن المنكدر

أتى قومٌ من أهل القَدر محمد بن المُنْـكدر . فقالوا له : أنت الذى تقول : إن الله يُعذِّب الخلق على ما قدَّر عليهم ؟ فصرف وجهه عنهم ولم يُجبهم . فقالوا له : أصلحك الله ، إن كنت لا تُجيبنا فلا تُخلِنا من بركة دعائك ؛ فقال : اللهم لا تُرْدِنا بعُقوبتك ، ولا تمـكُر بنا حِيلتك(١) ، ولا تُؤاخذنا بتقصيرنا عن رِضاك ، قليلَ أعمالنا تقبّل ، وعظيمَ خطايانا اغفر ، أنت الله الذى لم يكن شىء قبلك ، ولا يكونُ شىء بعدك ، ولىّ الأشياء ، ترفع بالهُدى من تشاء ؛ لا مَن أحسن استغنى عن عَونك ، ولا مَن أساء غَلَبك ، ولا استبدّ شىء عن(٢) حُـكومتك وقُدرتك ، [لا ملجأ إلا إليك] ، فـكيف لنا بالمغفرة وليست إلاّ فى يديك ، وكيف لنا بالرحمة وليست إلا عندك ، حفيظ(٣) لا ينسى ، قديم(٤) لا يَبلى ، حىّ لا يموت ، بك عرفناك ، وبك اهتدينا إليك ، ولولا أنت لم نَدْرِ ما أنت ، سُبحانك وتعاليت . فقال القوم : قد والله أخبر وما قصّر .

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « خلتك » .
(٢) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول . « ولا من استبد بشىء من ... الخ » .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « يا حفيظ » .
(٤) فى ا ، ى : « جديد » .

الحسن البصرى فى القدر

وقال : ذُكر القَدر فى مجلس الحسن البصرىّ ، فقال : إن الله خلق الخلق للابتلاء ، لم يُطيعوه بإكراه ، ولم يَعصُوه بغَلبة ، لم يُهْمِلهم[1] من المُلْك وهو القادر على ما أقدرهم عليه ، والمالك لما ملَّكهم إياه ، فإن يأتمر العِباد بطاعة الله لم يكن الله مُثَبِّطًا [لهم] ، بل يَزيدهم هُدًى إلى هُداهم ، وتَقوَى إلى تَقْواهم ، وإن يأتمروا بمَعْصية الله ، كان الله قادراً على صَرْفهم إن شاء ، وإن خَلّى[2] بينهم وبين المَعْصية ، فمن بعد إعذار وإنذار .

بين غيلان وربيعة الرأى

مروان بن موسى قال : حدّثنا أبو ضَمْرة[3] أنّ غَيْلان قَدِم بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة[4] ، فقال له : أنت الذى تزعم أنّ الله أحبَّ أن يُعصَى ؟ فقال له رَبيعة : أنت الذى تزعم أن الله يُعصى كَرهاً ؟ فكأنما ألقمه حجراً .

لطاوس فى قتادة

قيل لطاوس : هذا قَتادة يُحب أن يأتيك ؛ فقال : إن جاء لأقُومنَّ ؛ قيل له : إنه فقيه ؛ قال : إبليس أفقه منه ، قال : (رَبِّ بما أغْوَيْتَنى) .

للشعبى فى قتادة

وقيل للشعبىّ : رأيتَ قتادة ؟ قال : نعم ، رأيت كُناسة بين حَشَّين[5] ، القَدَر هو العِلْم والكِتاب والكَلِمة والإذْن والْمَشِيئة .

لأعرابى فى القدر

قال الأصمعى : سألتُ أعرابيا فقلت له : ما فَضلُ بَنى فُلان على بَنى فلان ؟ قال : الكِتاب ، يعنى القَدَر .

وقال الله عزّ وجلّ : (إنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر) . وقال : كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِين) . وقال : (ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِين) يعنى القَدَر . وقال : (وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا) .

---

(١) فى بعض الأصول : « يمهلهم » .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « حال » .
(٣) هو أنس بن عياض الليثى المدنى .
(٤) هو ربيعة الرأى أبو عثمان بن عبد الرحمن .
(٥) الحش (بالفتح والضم) : موضع قضاء الحاجة .

مذهبا الأعشى ولبيد فى بيتين لهما

قال الخُشَنى أبو عَبدِ الله محمد بن عبد السّلام : شاعران من فُحُول الجاهليّة لهما [بَيْتان] ذَهب [أحدهما فى بيته] مَذهب العَدْلية ، والآخر ذَهب مَذْهب الجَبْرية ، فالذى ذَهب مَذهب العَدْلية أعشى بَكْر حيثُ يقول :

أَسْتأْثر اللهُ بالوَفاء وبالـ ـعَدْل وَوَلَّى المَلامة الرَّجلا

والذى ذَهب مذْهب الجَبْرية لَبيد بن رَبيعة حيثُ يقول :

إنّ تَقوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَل وبإذْن اللهِ رَيْثى وعَجَلْ[1]
مَن هَداه سُبلَ الخيْر اهتدَى ناعِمَ البالِ ومَن شاء أَضَل

لإياس بن معاوية فى القدرى

وقال إياسُ بن مُعاوية : كلَّمتُ الفِرَق كلَّها ببعض عَقْلى ، وكلَّمتُ القدَريّ بعَقْلى كلِّه ، فقلت له : دُخولك فيما ليس لك ظُلْم منك[2] ؟ قال : نعم ؛ قلت : فإنّ الأمر كله لله .

ومن قوْل الله عز وجل فى القدَر : (قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) . وقال : (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . ٢٥٣/١

لابن شهاب

ابنُ شِهاب قال : أنزل اللهُ على نبيّه آيةً فى القدَريّة : (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وقال : (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) .

لابن سيرين

وقال محمد بنُ سِيرين : ما يُنْكر القدَريّة أن يكونَ الله [قد] عَلِم مِن خَلْقه عِلْمًا فكتبه عليهم .

بين على بن أبى طالب وقدرى

وقال رجلٌ لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : ما تقول فى القدَر ؟ قال :

---

(١) فى ى : « والعجل » . (٢) فى بعض الأصول : « منا » .

وَيْحك ! أخبرنى عن رحمة الله ، أكانَتْ قبلَ طاعة العِباد ؟ قال نعم ؛ قال علىّ : أسْلَمَ صاحبُكم وقد كان كافراً ؟ فقال الرجلُ له : أليس بالمَشيئة الأولى التى أنشأنى بها [وقوّم خَلقى] ، أقوم وأقعد ، وأَقْبِضُ وأَبْسُط ؟ قال له [علىّ] : إنك بعدُ فى المشيئة ؛ أمَا إنى أسألك عن ثلاث ؛ فإن قلتَ فى واحدة منهن لا ، كفرتَ ؛ وإن قلت نعم ، فأنت أنت ، فمدّ القومُ أعناقهم ليسمعوا ما يقول ، فقال له علىّ : أَخْبِرنى عنك ، أخلقك الله كما شِئْت أو كما شاء ؟ قال : بل كما شاء ؛ قال : فخَلَقك الله لما شِئْت أو لما شاء ؟ قال : بل لما شاء ؛ قال : فيومَ القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء ؟ قال : بل بما شاء ؛ قال : قمْ فلا مَشيئة لك .

مناظرة الأوزاعى لغيلان بين يدى هشام وما قال غيلان

قال هشام بن محمد بن السائب الكَلْبى : كان هِشام بن عبد الملك قد أنكر على غَيْلان التكلّم فى القَدَر ، وتقدّم إليه فى ذلك أشدّ التقدّم ، وقال له فى بعض ما توعّده به من الكلام : ما أحْسبك تَنْتهى حتى تَنْزِل بك دعوةُ عمرَ بن عبد العزيز إذ احتجّ عليك فى المَشيئة بقول الله عزّ وجل : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ، فزعمتَ أنك لم تُلقِ لها بالا ؛ فقال عمر : اللهم إن كان كاذباً فاقطَع يدَه ورجله ولسانه واضرب عُنُقَه ، فانتهِ[1] أوْلى لك ، ودَع عنك ما ضَرُّه إليك أقربُ من نَفْعه ، فقال له غَيْلان ، لِحَيْنه وشِقْوته : ابعث إلىّ يا أميرَ المؤمنين من يُكلّمنى ويحتجّ علىّ ، فإن أخذتْه حُجّتى أمسكتَ عنّى فلا سبيلَ لك إلىّ ، وإن أخذتنى حجتُه ، فسألتك بالذى أكرمك بالخلافة إلاّ نفذتَ فىّ ما دعا به عمرُ علىّ . فغاظ قولُه هشاماً ، فبعث إلى الأوْزاعىّ فحكى له ما قال لغيلان ، وما ردّ غيلان عليه ؛ فالتفت إليه الأوزاعىّ ، فقال له : أسألك عن خمس أو عن ثلاث ؟ فقال غَيلان : بل عن ثلاث ؛ قال الأوزاعىّ : هل

(١) فى بعض الأصول : « فأنت » . وهو تحريف .

علمتَ أنّ الله أعان على ما حرّم ؟ قال غيلان : ما علمت ، [وعَظُمت عنده] . قال : فهل علمتَ أن الله قضى على ما نهى ؟ قال غيلان : هذه أعظمُ ! ما لى بهذا من عِلْم ؛ قال : فهل علمتَ أنّ الله حال دون ما أمر ؟ قال غيلان : حال دون ما أمر ؟ ما علمتُ ؛ قال الأوزاعى : هذا مرتاب[1] من أهل الزّيغ . فأمر هشامُ بقَطع يده ورِجْله ، ثم أُلقى فى الكُناسة . فاحْتَوشه[2] الناسُ ، يعجبون من عَظيم ما أنزل الله به من نِقمته . ثم أقبل رجلٌ كان كثيراً ما يُنْكر عليه التكلّم فى القَدَر ، فتخلّل الناس حتى وَصل إليه ، فقال : يا غيلانُ ، اذكُر دُعاء عمر رحمه الله ؛ فقال غيلان : أفلح إذًا هشام ، إن كان الذى نزَل بى بدُعاء عمر أو بقضاء سابق فإنه لا حَرج على هشام فيما أمر به ، فبلغت كلمته هشاما ، فأمر بقَطْع لسانه وضَرب عُنقه لتمام دَعْوة عمر . ثم التفت هشام إلى الأوزاعىّ وقال له : قد قلتَ يا أبا عمرو فَفَسِّر ؛ فقال : نعم ، قَضى على ما نَهى عنه ، نَهى آدم عن أكل الشجرة ، وقضى عليه بأكلها ؛ وحال دُون ما أمر ، أمر إبليس بالسُّجود لآدم ، وحال بينه وبين ذلك ؛ وأعان على ما حرّم ، حرّم المَيْتة ، وأعان المُضطر على أكلها .

بين ابن أبى عروبة وقتادة فى القدر

الرّياشى عن سعيد بن عامر عن جُوَيرِية[3] عن سَعيد بن أبى عَرُوبة ، قال : لما سألتُ قتادةَ عن القَدَر ، فقال : رَأْيَ العرب تُريد فيه أم رأى العَجم ؟ فقلت : بل رَأْيَ العرب ؛ قال : فإنه لم يكن أحدٌ من العرب إلا وهو يُثْبت ٢٥٤/١
[القدر] ، وأنشد :

ما كان قَطْعِى هَوْلَ كلِّ تَنُوفة   إلا كتاباً قد خلا مَسْطُورَا[4]

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « موات » . وهو تحريف .
(٢) احتوشه الناس ، أى جعلوه وسطهم .
(٣) فى ا ، ى : « حويرثة » . وهو تصحيف . (٤) فى ا : « متسطراً » .

لبعض الأعراب فى قدر الله

وقال أعرابىّ : الناظرُ فى قَدَرِ الله كالناظر فى عَين الشمس ، يعرف ضَوْءها ولا يَقِف على حدودها .

شعر لكعب ابن زهير

وقال كعب بن زُهَير :

لو كنتُ أعجبُ من شىء لأعجبنى ... سَعْىُ الفتى وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ
يَسْعى الفتى لأمور ليس يُدْرِكها ... فالنَّفْس واحدةٌ والهَمّ مُنْتَشِر [(١)]
والمَرْء ما عاش مَمْدُودٌ له أَمَل ... لا تَنْتهى العينُ حتى يَنْتهى الأثَر

شعر لبعضهم فى الجد

وقال آخر :

والجَدّ أنهض بالفتى من عَقْله ... فانهضْ بجَدٍّ فى الحَوادث أو ذَرِ
ما أقربَ الأشياء حين يَسُوقها ... قَدَرٌ وأبعدَها إذا لم تُقْدَرِ

بين النبى صلى الله عليه وسلم وقدرى

عبد الرحمن القَصِير[(٢)] قال : حدّثنا يونس بن بلال عن يَزيد بن أبى حَبيب ، أنّ رجلاً قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، أيقدّر الله علىّ الشرّ ثم يُعذِّبنى عليه ؟ قال : نعم ، وأنت أظلم .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى النهى عن مجالسة أهل القدر

وحدّث[(٣)] أبو[(٤)] عبد الرحمن المُقْرِئ ، يَرْفعه إلى أبى هُرَيرة ، عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُجَالسوا أهلَ القَدَر ولا تُفاتحوهم .

من حديث لابن مسعود فى التكذيب بالقدر

ومن حديث عبد الله بن مَسعود ، قال : ما كان كُفْر بعد نُبوّة قط ، إلا كان مِفْتاحه التّكْذيب بالقَدَر[(٥)] .

---

(١) فى ا : « مستتر » . (٢) فى بعض الأصول : « عبد الرحمن بن القصير » .
(٣) كذا فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول : «قال وحدثنى » مكان « وحدث » .
(٤) فى بعض الأصول : « ابن عبد الرحمن » . وهو تحريف . وهو أبو عبد الرحمن المقرئ بن يزيد العدوى ، مولى آل عمر . (انظر تهذيب التهذيب والمعارف لابن قتيبة) .
(٥) فى ا : « بالله وبالقدر » .

بين أبى العتاهية وثمامة بن أشرس فى حضرة المأمون

ثُمامة بن أشرَس قال : دَخل أبو العَتاهية على المأمون لما قَدِم العراق ، فأمر له بمال ، وجَعل يُحادثه ، فقال له يومًا : ما فى الناس أجهل من القَدرِيّة ؛ فقال له المأمون : أنت بصناعتك أبصر ، فلا تتخطّها إلى غيرها ؛ قال له : يا أميرَ المؤمنين ، أجمع بينى و بين من شئتَ منهم . فأرْسَلَ إلىّ ، فدخلتُ عليه ، فقال لى : هذا يَزعم أنك وأصحابك لا حُجّة عندكم . قلت : فليَسأل عمّا بدا له . فحرّك أبو العتاهية يدَه وقال : مَن حرّك هـذه ؟ قلتُ مَن ناك أمّه ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، شتَمنى ؛ قلت له : نقَضت أصلَك ياماص[1] بَظْر أمّه ؛ فضَحك المأمونُ ؛ فقلت له : يا جاهل ، تُحرِّك يدك ، ثم تقول : مَن حرّكها ؟ [فإن كان الله حرّكها] فلم أشْتُمك ، وإن كنتَ أنت المُحرّك لها ، فهو قولى[2] ؛ قال له المأمون : عندك زيادةٌ فى المسألة .

الكندى

قال الكندى فى الفنّ التاسع من التّوحيد : اعلم أن العالَم كله مَسوس بالقضاء والقدَر — أعنى بالقضاء — ما قُسم لكل مَفلول[3] مما هو أصلح وأحكم وأتقن فى بِنْية الكل ، لأنه — جل ثناؤه — خلَق وأبدع مُضطرًا ومُختارًا بتمام القُدْرة ، فلما كان المختار غيرَ[4] تامّ الحِكْمة ، لأن تمام الحِكمة لِمُبدع الكل ، كان لو أُطلق واختيارَه لاختار كثيراً مما فيه فَسادُ الكل ، فقدّر — جلّ ثناؤه — بِنْية للكلّ تقديراً مُحْكمًا . فصيّر بعضَه سوانحَ لبعض ، يختار بإرادته ومَشيئته غيرَ مقْهور مما هو أصْلح وأحْكم فى بِنْية الكل ، فتقدير هذه السّوانح هو القدَر ، فبالقضاء والقدَر ساسَ — جلّ ثناؤه — جميع ما أبدع

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول . « ياماص » .

(٢) فهو قولى ، أى شتمه إياه . والذى فى ا ، ى : « قل لى » مكان « فهو قولى » .

(٣) كذا فى ا . وهنا وفيما سيأتى . والذى فى سائر الأصول فى الموضعين « مفعول » .

(٤) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « عن تمام » .

بهذه السِّياسة المُحكمة المُنظمة ، التى لا يَدْخلها زَلَل ولا نَقْص ، فاتَّضح[1] أنّ كل مَعْلول فيما قَسم له ربُّه من الأحْوال لا خارج عنها ، وأنّ بعضَ ذلك باُضطرار و بعضَه باُختيار ، وأنّ المُختار عن سَوانح قَدَره [اختار] ، و بإرادته لا بالكُرْه [منه] فَعل .

لأعرابى سئل عن القدر

سُئل أعرابىّ عن القَدَر فقال : ذاك عِلْم اختَصَمت فيه الظُّنون ، وكَثر فيه المُختلفون ، والواجب علينا أن نَرُد ما أشْكل من حُكْمه إلى ما سبق فى عِلْمه .

بين مجوسى وقدرى

٢٥٥/١ واُصْطَحب مَجوسى وقَدَرى فى سَفَر ، فقال القدرىّ المجوسىّ : مالَك لا تُسلم ؟ قال : إن أذِن اللهُ فى ذلك كان ؛ قال : إن الله قد أذِن إلا أنّ الشيطان لا يدَعك ؛ قال : فأنا مع أقواهما .

بين هشام بن الحكم وقدرى

وقال رجلٌ لهشام بن الحَكَم : أنت تزعُم أن الله فى فَضْله و كَرمه وعَدْله كَلَّفنا ما لا نُطِيقه ، ثم يُعذِّبنا عليه ؟ قال هشام : قد والله فَعل ، ولكن لا نَستطيع أن نتكلَّم .

بين عمرو بن عبيد والحارث ابن مسكين

اجتمع عمرو بن عُبيد مع الحارث بن مِسْكين بمِنَى ، فقال له : إنّ مِثْلى ومثلك لا يَجْتمعان فى مثل هذا المَوْضع ، فيَفترقان من غير فائدة ، فإن شِئْتَ فقُلْ ، وإن شئتَ فأنا أقول ؛ قال له : قل ؛ قال : هل تَعلم أحداً أقبلَ للعُذر من الله عز وجل ؟ قال : لا ؛ قال : فهل تَعْلم عذرًا أبينَ من عذر مَنْ قال لا أقدر ، فيما تَعلم أنت أنه لا يَقدر عليه ؟ قال : لا ؛ قال : فلِمَ لا يَقْبَلُ — مَن لا أقبلَ للعُذر منه — عُذْرَ مَن لا أبينَ من عُذْره[2] ؟ فانقطع الحارث بن مِسْكين فلم يرُدّ شيئا .

(١) فى ى : « فصح » .

(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « فلم تقبل قول من لا أقبل للعذر معه عذراً لا أبين من عذر » . وفيها اضطراب ظاهر .

رد المأمون على الملحدين وأهل الأهواء

بين المأمون وثنوى

قال المأمون للثَّنوى الذى تكلّم عنده : أسألك عن حرفين لا أزيد عليهما ، هل نَدِم مُسىء قطُّ على إساءته ؟ قال : بلى ؛ قال : فالنَّدم على الإساءة إساءةٌ أم إحسان ؟ قال : بل إحسان ؛ قال : فالذى نَدِم هو الذى أساء أم غَيْره ؟ قال : بل هو الذى أساء ؛ قال : فأرَى صاحبَ الخَيْر هو صاحبُ الشر ؛ قال : فإنى أقول : إن الذى نَدِم غير الذى أساء ؟ قال : فنَدِم على شىء كان منه أم على شىء كان من غَيْره ، فسكت .

قال له أيضا : أخبرنى عن قولك باثنين ، هل يَستطيع أحدُهما أن يَخلُق خلقاً لا يَستعين فيه بصاحبه ؟ قال : نعم ؛ قال : فما تَصنع باثنين ؟ واحدٌ يَخلق كلَّ شىء خيرٌ لك وأصح .

بينه وبين المرتد الخراسانى

وقال المأمون للمُرتد الخُراسانىّ الذى أسلم على يدَيه وحمله معه إلى العِراق فارتدَّ عن الإسلام : أخبرنى ما الذى أوْحَشك مما كنتَ به آنساً من دِيننا ؟ فوالله لأن أستَحْييك[1] بحق ، أحبّ إلىَّ من أن أقتلك بحق ، وقد صِرْتَ مُسلماً بعد أن كنت كافراً ، ثم عُدت كافراً بعد أن صِرْت مُسلماً ، وإن وجدتَ عندنا دواء لدائك تداويتَ به ، وإن أخطأك الشِّفاء ، وتَباعد[2] عنك ، كنتَ قد أبليتَ العُذْر فى نَفْسك ، ولم تُقصِّر فى الاجتهاد لها ، فإن قتلناك قتلناك فى الشَّريعة[3] ، وترجع أنت فى نفسك إلى الاستبصار واليَقين ، ولم تُفرِّط فى الدُّخول من باب الحزْم ؛ قال المرتد : أوْحشنى منكم ما رأيتُ من كثْرة الاختلاف فى

---

(١) فى بعض الأصول : « أستجيبك » . وهو تصحيف .

(٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « ونبا عنك » . والذى فى البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٨٦) : « ونبا عن دائك » . (٣) فى ى : « بالشريعة » .

دِينكم ؛ قال المأمون : لنا اختلافان : أحدُهما كاختلافِنا فى الآذان ، وتكبير الجنائز ، وصلاة العِيدين ، والتشهّد ، والتّسليم من الصلاة ، ووُجوه القراآت ، واختلاف وُجوه الفُتيا ، وما أشبه ذلك ، وهذا ليس باُختلاف ، وإنما هو تخيير وتَوْسعة وتخفيف من السنّة ، فمن أذّن مَثنى وأقام مَثْنى لم يَأْثم ، ومَن ربّع لم يأثم . والاختلاف الآخر كنَحْو اختلافنا فى تأويل الآية من كتاب الله ، وتأويل الحديث عن نبينّا ، مع اجتماعنا على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عَيْن الخبر ، فإن كان إنما أوْحشك هذا ، فينبغى أن يكون اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله كما يكون متفقاً على تنزيله ، ولا يكون بين اليهود والنّصارى اختلافٌ فى شىء من التأويلات ، ولو شاء الله أن يُنزِّل كُتبه مُفَسَّرة ، ويجعل كلامَ أنبيائه ورسله لا يُختلف فى تأويله لفعل ، ولـكنّا لم نجد شيئاً من أمور الدِّين والدُّنيا وقع إلينا على الـكفاية إلا مع طُولِ البحث والتّحصيل والنّظر ، ولو كان الأمر كذلك لسَقطت البَلْوى والمِحن ، وذَهَب[1] التفاضُل والتبايُن ، ولمَا عُرف الحازم من العاجز ، ولا الجاهل مِن العالم ، وليس على [هذا] بُنِيت[2] الدنيا . قال المُرتد : أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأنّ المَسيح عبدُ الله ، وأنّ محمداً صادق ، وأنك أمير المؤمنين [حقًا][3] .

٢٥٦/١

مناظرة المأمون لعلى الرضا فى أمر الخلافة

وقال[4] المأمون لعلىّ بن موسى الرِّضا : بِمَ تَدَّعون هذا الأمر ؟ قال : بقرابة علىّ مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعلى آله و بقرابة فاطمة منه] ؛ فقال له المأمون : إنْ لم يكن ها هنا إلا القرابة ، فقد خَلَّف رسول الله صلّى الله عليه وسلم

(١) فى بعض الأصول : « وزال » .
(٢) كذا فى ا . وفى ى : « ثبتت » . والذى فى سائر الأصول : « بينة » . وهو تحريف .
(٣) بين رواية الخبر هنا وهناك فى البيان والتبيين خلاف كثير فارجع إليه .
(٤) يلاحظ أن هذا الخبر لا صلة له بما نحن فيه من الـكلام على القدر .

من أهل بَيْته مَن كان أقربَ إليه من علىّ ، أو مَن فى مِثْل تُقْـدُدِه[١] ، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنّ الحقّ بعد فاطمة للحسن والحسين ، وليس لعلىّ فى هذا الأمر حق وهما حيَّان ، فإذا كان الأمر كذلك ، فإنّ عليًّا قد ابتزّهما حقهما وهما صحيحان ، واستولى على ما لا يَجب له . فما أجابه علىّ بن موسى بشىء .

كتاب واصل ابن عطاء إلى عمرو بن عبيد

كتب واصل بنُ عَطاء الغزّال[٢] إلى عمرو بن عُبيد : أما بعد ، فإنّ استلاب[٣] نِعمة العبد وتَعْجيل المُعاقبة[٤] بيد الله ، ومهما يكن ذلك فباستكمال[٥] الآثام ، والمُجاوَرة للجِدال الذى يَحُول بين المرء وقَلْبه[٦] ، وقد عرفتَ ما كان يُطعن به عليك ويُنسب إليك ونحن بين ظَهْرانى الحسن بن أبى الحسن رحمه الله ، لاستِبْشاع قُبْح مَذْهبك ، نحن ومَن قد عرفتَه من جميع أصحابنا ، ولُمَّة إخواننا ، الحاملين الواعين عن الحسن ، فلّله تلكم[٧] أُمّة وأوْعياء[٨] وحَفَظة ، ما أدْمثَ الطبائع ، وأرْزن المجالس ، وأبينَ الزُّهد ، وأصدقَ الألسنة ، اقتدَوْا والله بمن مَضى شَبهًا بهم ، وأخذوا بهَدْيهم[٩] . عَهدى والله بالحسن وعَهدكم به أمس فى مَسْجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرقىّ الأجنحة[١٠] ، وآخرحديث حدَّثنا إذ ذَكر الموت وهول المُطَّلع ، فأسف على نفسه واعترف بذنبه ، ثم التفت والله يَمنة ويَسرة

(١) قعدده ، أى قرب نسبه .
(٢) فى بعض الأصول : « الغزالى » .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول . « انسلاب » .
(٤) فى ا ، ى : « العاقبة » .
(٥) فى ى : « فهما باستكمال » . وفى ا : « فيها باستكمال » .
(٦) فى ا ، ى : « والاستعتاب » مكان « وقلبه » .
(٧) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « فبالله بل كم » .
(٨) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « وأعيان » .
(٩) فى بعض الأصول : « بعهدهم » .
(١٠) كذا فى الأصول .

مُعتبرًا(١) باكيًا ؛ فكأنى أنظر إليه يمسح مُرْفَضَّ العَرَق عن جبينه ، ثم قال : اللهم إنى قد شَدَدْتُ وَضِينَ(٢) راحلتى ، وأخذت فى أُهبة سَفَرى إلى(٣) محلِّ القبر وفَرْشِ العَفْر ، فلا تؤاخذنى بما ينسبون إلىَّ من بعدى ، اللهم إنى قد بلَّغْتُ ما بلَغنى عن رسولك ، وفسَّرت من مُحْكم تأويلك(٤) ما قد صدَّقه حديثُ نبيِّك ، ألا وإنى خائفٌ عَمْرًا ، ألا وإنى خائف عَمْرًا ، شكاية لك إلى ربِّه جَهْرًا ، وأنت(٥) عن يمين أبى حُذيفة أقربنا إليه ؛ وقد بلغنى كبير(٦) ما حمَّلته نفسَك ، وقلَّدته عنقك ، من تفسير التنزيل ، وعبارة التأويل ، ثم نظرتُ فى كتبك ، وما أدَّته(٧) إلينا روايتك من تنقيص المعانى ، وتفريق المَبانى(٨) ، فدلَّت شكاية الحسن عليك بالتَّحقيق بظهور ما ابتدعت ، وعظيم ما تحمَّلت ، فلا يَغْرُرْك [أى أخى] تَدْبيرُ(٩) مَن حولك ، وتعظيمهم طولَك ، وخَفضهم أعينهم عنك إجلالاً لك ، غداً والله تمضى الخُيلاء والتفاخر ، وتُجْزى كلُّ نَفْس بما تَسعى ، ولم يكُن كتابى إليك ، وتجليبى عليك ، إلا لتذْكيرك بحديث الحسن رحمه الله ، وهو آخر حَديث حدَّثناه ، فأدِّ المَسموع ، وأنطق بالمفرُوض ، ودَعْ تأويلك الأحاديث على غير وَجْهها ، وكن من الله وَجِلاً [فكأن قد](١٠) .

---

(١) فى ا ، ى : « متفيرا » .
(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر ، أولا يكون إلا من جلد .
(٣) فى بعض الأصول « إلا » . وهو تحريف . (٤) فى بعض الأصول : « كتابك » .
(٥) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « وأنت لا أنت » .
(٦) فى بعض الأصول : « كثيرا مما » .
(٧) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « أهدته » .
(٨) فى ا ، ى . « المغازى » . (٩) فى ى : « تنزيه » .
(١٠) هذه التكملة عن ا ، ى . وقد جاء بعدها فى ى : « تم الجزء الحادى عشر من كتاب العقد بحمد الله وعونه ، يتلوه الجزء الثانى عشر ، وهو الجزء الثانى من كتاب الياقوتة فى العلم والأدب ، وأوله باب من أخبار الخوارج » . وجاء قبل هذه التكملة فى كثير من النسخ : « انتهى النصف من كتاب الياقوتة فى العلم والأدب يتلوه باب من أخبار الخوارج » .

باب من أخبار الخوارج[1]

إنكارهم الحكومة على على رضى الله عنه

لما خرجت الخوارجُ عَلَى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكانوا من أصحابه، وكان مِن أمرِ الحَكمين ما كان، واختِداع عمرو لأبى مُوسى [الأشعرىّ]، قالوا : لا حُكْم إلا لله . فلما سمع علىٌّ رضى الله عنه نِداءهم، قال : كلمة حق يُراد بها باطل، وإنما مَذهبهم أن لا يكون أمير، ولا بُدّ من أمير بَرًّا كان أو فاجرًا . وقالوا لعلىّ : شككتَ فى أمرك، وحكّمت عدوّك فى نَفْسك . وخرجوا إلى حَرُوراء، وخرج إليهم علىٌّ رضى الله عنه، فخَطَبهم متوكِّئًا على قَوْسه، وقال : هذا مَقام مَن أفلح فيه أفلح[2] يومَ القيامة، أَنْشُدكم الله، هل عَلِمتم أنّ أحداً كان أكرَه للحكومة منّى ؟ قالوا : اللهم لا ؛ [قال : أفعلمتم أنكم أكرهتمونى عليها حتى قبِلْتُها ؟ قالوا : اللهم نعم] ؛ قال : فعلامَ خالفتمُونى ونابذتمونى ؟ قالوا : إنّا أتينا ذنباً عظيما فتُبْنا إلى الله منه، فتُب إلى الله منه، واستغفره نعُدْ إليك . فقال علىٌّ : إنى أستغفر الله من كلّ ذنب، فرَجَعوا معه وهم فى ستّة آلاف . فلما استقرُّوا بالكوفة أشاعُوا أن عليًّا رَجع عن التَّحْكيم، وتاب منه، ورآه ضلالاً . فأتى الأشعثُ بن قيس عليًّا رضى الله عنه ؛ فقال : ياأمير المؤمنين، إنّ الناس قد تحدّثوا أنك رأيتَ الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كُفراً وتُبْت . فخطب علىٌّ الناس فقال : مَن زَعم أنى رجعتُ عن الحكومة فقد كذَب، ومَن رآها ضلالاً فهو أضلّ منها . فخرجت الخوارج من المسجد فحكّمت، فقيل لعلىّ : إنهم خارجون [عليك] ؛ فقال : لا أُقاتلهم حتى يقاتلونى، وسيَفعلون .

إرسال على رضى الله عنه ابن عباس لهم ومناظرتهم له

فوَجّه إليهم عبدَ الله بن العبّاس، فلما سار إليهم رحّبوا به وأكرموه،

---

(١) زيد فى ى قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم » .
(٢) فى الكامل للمبرد : « فلج فيه فلج ... » . والفلج : الظفر .

فرأى لهم جباهًا قَرِحة[1] لطُول السجود، وأيديًا كثَفِنات[2] الإبل، وعليهم قمُص مُرْحَضة[3] وهم مُشمِّرُون، فقالوا: ما جاء بك يابن عبّاس؟ قال: جئتكم من عند صِهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، وأعلمنا بربّه وسنّة نبيّه، ومن عند المهاجرين والأنصار؛ فقالوا: إنا أتينا عظيما حين حكّمنا الرجالَ فى دين الله، فإن تاب كما تُبْنا ونهض لمُجاهدة عدوّنا رَجعنا. فقال ابن عبّاس: نَشدتكم الله إلاّ ما صَدَقتم أنفسَكم، أمَا علمتم أنَّ اللهَ أمر بتَحْكيم الرِّجال فى
٢٥٧/١ أرْنب تُساوى رُبع دِرْهم[4] تُصاد فى الحَرَم، وفى شِقاق رجل وامرأته[5]؟ فقالوا: اللهم نعم؛ قال: فأنشُدكم الله، هل علمتم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القِتال للمُدنة بينه وبين أهل الحُدَيبية؟ قالوا: نعم، ولكن عليًّا محا نفسَه من خِلافة[6] المسلمين. قال ابنُ عبّاس: ليس ذلك يُزيلها عنه، وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم [اسمه] من النبوّة، وقال سُهَيل[7] بن عمرو: لو علمتُ أنك رسولُ الله ما حاربتُك، فقال للكاتب: اكتُب: محمد ابن عبدالله. وقد أخذ على الحَكَمين أن لا يَجُورا، [وإن يجُورا]، فعلىٌّ أوْلى من مُعاوية وغيره؛ قالوا: إنّ مُعاويةَ يدّعى مثلَ دعوى علىّ؛ قال فأيُّهما رأيتموه أوْلى فولُّوه؛ قالوا: صدقتَ. قال ابن عباس: ومتى جار الحَكَمان فلا طاعة لهما ولا قَبُول لقولهما. فاتّبعه منهم ألفان وبَقى أربعة آلاف.

(١) فى بعض الأصول: «قرحت».
(٢) الثفنات: جمع ثفنة، وهى من البعير الركبة، وما مس الأرض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه.
(٣) مرحضة: مغسولة.
(٤) فى بعض الأصول: «ربع ربع درهم».
(٥) فى بعض الأصول: «امرأة ورجلها». (٦) فى الكامل للمبرد: «إمارة».
(٧) كذا فى ا، ى والسيرة لابن هشام والكامل للمبرد. والذى فى سائر الأصول: «سهل».

قتلهم ابن خباب وقتال على لهم

فصلّى بهم صلاتَهم ابنُ الكوّاء، وقال: متى كانت[1] حرب فرئيسكم شَبَث[2] بن رِبْعِىّ الرِّياحى. فلم يزالوا على ذلك حتى أجمعوا على البَيعة لعبد الله ابن وَهْب الرّاسبىّ، فخرج بهم إلى النَّهروان، فأوقع بهم علىّ، فقتل منهم ألفين وثمانمائة، وكان عددُهم ستةَ آلاف، وكان منهم بالكوفه زُهاء ألفين ممن يُسِرّ أمره؛ فخرج منهم رجلٌ بعد أن قال علىٌّ رضى الله عنه: ارجعُوا وادفعُوا إلينا قاتلَ عبد الله بن خبّاب؛ قالوا: كلّنا قتَله وشرِك فى دَمه، وذلك أنهم لما خرجوا إلى النَّهْروان[3] لقُوا مُسلمًا و نصرانيا، فقتلوا المُسلمَ وأوْصَوا بالنصرانىّ خيراً، وقالوا: احفظُوا ذمّة نبيّكم. ولقُوا عبدَ الله بن خبّاب، وفى عُنقه المُصحف ومعه امرأته وهى حامل، فقالوا: إنّ هذا الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك؛ فقال لهم: أحْيوا ما أحْيا القُرآن، وأميتوا ماأمات القرآن؛ قالوا: حدّثنا عن أبيك؛ قال: حدّثنى أبى قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: تكون فتنة يموت فيها قلبُ الرجل كما يموت بدنه، يُمسى مؤمناً ويُصبح كافرًا، فكُن عبدَ الله المقتول ولا تكن عبدَ الله القاتلَ؛ قالوا: فما تقول فى أبى بكر وعمر؟ فأثنى خيراً؛ [قالوا: فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وفى عثمان؟ فأثنى خيرا]؛ قالوا: فما تقول فى الحكومة والتحكيم؟ قال: أقول: إنّ عليًّا أعلمُ بكتاب[4] الله منكم، وأشد توقّيًا على دينه وأبعد بصيرةً؛ قالوا: إنك لستَ تتّبع الهدى بل[5] الرجالَ على أسمائها، ثم قرّبوه إلى شاطئ البَحر فذَبحوه، فامذقَرّ[6] دمُه، أى جرى مستقيما على دقة[7]

---

(١) فى بعض الأصول: «حدث» مكان «كانت». (٢) كذا فى ا والكامل للمبرد والاشتقاق لابن دريد والشعر والشعراء والنقائض. والذى فى سائر الأصول: «شيث» بالمثناة التحتية، وهو تصحيف. (٣) فى بعض الأصول: «إليهم» مكان «إلى النهروان». (٤) كذا فى الكامل. والذى فى سائر الأصول «بالله». (٥) فى ا، ى: «إنما تتبع الرجال». (٦) وفى رواية: «فما امذقر». ومعناها عن أبى عبيد: ما اختلط ولا امتزج بالماء. ويروى: «فما ابذقر». أى ما تفرق. (انظر شرح الكامل ج ٧ ص ١٤٢). وفى بعض الأصول: «فاندفر». (٧) كذا فى الكامل. والذى فى الأصول: «رقة».

وساموا رجلاً نَصْرانيا بنَخْلة، فقال: هى لكم هِبَة؛ قالوا: ما كُنَّا نأخذها إلا بثَمن؛ فقال: ما أعجبَ هذا! أتقتلون مثلَ عبد الله بن خبّاب، ولا تَقبلون منا [جنَى][1] نخلة إلا بثَمن!

فرقهم

ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب: الإباضية، أصحاب عبد الله بن إباض؛ والصُّفرية، واختلفوا فى نَسبهم، فقال قوم: سُمُّوا بابن الصَّفار، وقال قوم: نهكتهم العبادة فاصفرّت وجوهُهم؛ ومنهم البَيْهَسية، وهم أصحاب ابن بَيْهس؛ ومنهم الأزارقة، أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى، وكانوا قبلُ على رأْيٍ واحد لا يختلفون إلا فى الشىء الشاذّ.

هم وابن الزبير

فبلَغهم خروجُ مُسلم بن عُقبة إلى المدينة، وقَتلُه أهلَ حرَّة، وأنه مُقبل إلى مكة، فقالوا: يجب علينا أن نمنعَ حرَمَ الله منهم، ونمْتَحن ابنَ الزبير، فإن كان على رَأْينا تابعناه[2]. فلما صاروا إلى ابن الزبير عرّفوه أنفسهم، وما قَدِموا له، فأظهر لهم أنه على رأْيهم، حتى أتاهم مُسلم بن عُقبة وأهل الشام، فدافعوه إلى أن يأتى رأْىُ يزيدَ بنِ مُعاوية، ولم يُتابعوا ابنَ الزُّبير، ثم تناظَروا فيما بينهم، فقالوا: نَدخل إلى هذا الرجل فننْظُر ما عنده، فإن قدَّم أبا بكر وعمر، وبَرِئ من عُثمان وعلىّ، وكَفَّر أباه وطَلْحة بايعناه، وإن تكُن الأخرى ظَهر لنا ما عنده، وتَشاغلنا بما يجدى علينا. فدخلوا على ابن الزُّبير وهو مُتبذِّل

٢٥٨/١

وأصحابه مُتفرِّقون عنه، فقالوا له: إنَّا جِئناك لتُخبرنا رأيَكَ، فإن كنتَ على صواب بايعناك، وإن كنتَ على خلافه دَعَوْناك إلى الحق، ما تقولُ فى الشَّيخين؟ قال: خيرًا؛ قالوا: فما تقول فى عُثمان الذى حَمَى[3]

(١) التكملة عن الكامل. (٢) فى الكامل: «بايعناه».

(٣) يريدون أنه خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله: «لا حمى إلا لله ورسوله»، أى إلا ما يحمى للخيل التى ترصد للجهاد والإبل التى يحمل عليها فى =

الحِمَى ، وآوى الطَّرِيد[١] ، وأظهر لأهل مِصْر شيئاً وكَتب بخلافه[٢] ، وأَوْطأ آلَ بنى مُعيط رِقابَ الناس[٣] ، وآثرهم بفَىْء المُسلمين[٤] ؛ وفى الذى بعده الذى حكّمَ [فى دين الله] الرجالَ ، وأقام على ذلك غيرَ تائب ولا نادم ؛ وفى أبيك وصاحبه[٥] ، وقد بايَعا عليًّا ، وهو إمام عادل مَرْضى لم يَظْهر منه كُفر ، ثم نكَثا بَيْعته ، وأخرجا عائشة تُقاتل ، وقد أمرها الله وصَواحبَها أن يَقرْن فى بُيوتهن ، وكان لك فى ذلك ما يَدْعوك إلى التَّوْبة ، فإن أنتَ قَبِلت كلَّ ما نقول

= سبيل الله وإبل الزكاة وغيرها . وكان الشريف فى الجاهلية إذا نزل أرضا فى حيه استعوى كلبا لحمى مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره وهو يشارك القوم فى سائر ما يرعون فيه ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقد حمى عثمان فى آخر أيامه الشرف لإبله ولإبل الحكم بن أبى العاص ، وحمى الربذة لإبل الصدقة ، وحمى النقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بنى أمية .

(١) الطريد ، هو الحكم بن أبى العاص ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف لأنه كان يتسمع سره عليه السلام ويطلع عليه من بيته . وقد بقى الحكم منفيا بالطائف حياة الرسول وخلافة أبى بكر وعمر ، ثم آواه عثمان .

(٢) يشير إلى ما كان من عثمان حين جاءه أهل مصر يريدون خلعه أو قتله ، فأظهر الصفح عنهم . ولما انصرفوا عنه وجاوزوا طريق المدينة وجدوا غلاما له على بعير من إبل الصدقة معه كتاب فى أنبوبة من رصاص يأمر فيه عامله على مصر بجلد رؤسائهم : عبدالرحمن بن عديس وعمر بن الحمق وعروة بن البياع ، وحلق رءوسهم .

(٣) أبو معيط ، هو أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس . يريدون أنه أوطأ أقاربه رقاب الناس ، وإنما خصوا آل أبى معيط للطعن على عثمان بالوليد بن عقبة ابن أبى معيط حين ولاه عثمان الكوفة فشرب الخمر وصلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وقرأ فى صلاته .

علق القلب الربابا ... بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فشهدوا عليه ، وحدّه على بن أبى طالب .

(٤) كذا فى ا ، ى والكامل للمبرد . والفىء : ما رد الله على المسلمين من أموال من خالف دينه . يريدون المال الذى صالح عليه بطريق إفريقية عبد الله بن سعد ابن أبى سرح أمير مصر ، وكان عثمان وجهه إلى إفريقية سنة خمس وعشرين ، فصالحه ذلك البطريق على مال يؤديه إليه ، فأمر به عثمان لآل الحكم . والذى فى سائر الأصول : « وأمر لهم » . وهو تحريف .

(٥) أبوه : هو الزبير بن العوام . وصاحبه ، طلحة بن عبد الله بن عثمان .

[لك] فلك الزُّلفى عنـد الله ، والنصر على أيدينا ، إن شاء الله ، ونسأل الله لك التوفيقَ وإن أبَيتَ خَذلك الله والنصر منك بأيدينا .

فقال ابنُ الزبير : إنّ الله أمر ، وله العِزّة والقُدرة فى مُخاطبة أكفر الـكافرين ، وأعتى العاتين ، بأرقّ[1] من هذا القول ، فقال لموسى وأخيه صلى الله عليهما : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤذوا الأحياء بسَبّ المَوْتَى » . فنهى عن سبّ أبى جَهل من أجل عِكْرمة[2] ابنه ، وأبو جهل عدوّ الله وعدوّ رسوله والمُقيم على الشِّرك ، والجادّ فى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهِجْرة ، والمُحارب له بعدَها ، وكفى بالشِّرك ذَنْبًا ، وقد كان يُغنيكم عن هذا القول الذى سمّيتم فيه طلحة وأبى أن تقولُوا : أتبرأ من الظالمين ؟ فإن كانا منهم دخَلا فى غُمار الناس[3] ، وإن لم يكونا منهم لم تُحفِظونى بسبّ أبى وصاحبه ، وأنتم تعلمون أنّ الله جلّ وعزّ قال المُؤمن فى أبويه : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) . وقال : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) . وهذا الذى دعوتُم[4] إليه أمرٌ له ما بعده ، وليس يُقنعكم إلا التّوقيف[5] والتّصريح ، ولَعَمْرى إنّ ذلك أحرَى بِقطْع الحُجج ، وأوْضح لمنهاج الحقّ ، وأوْلَى بأن يَعرف كلٌّ صاحبَه من عدوّه ، فرُوحوا إلىّ من

(١) فى الـكامل : « بأرأف » .

(٢) أسلم عكرمة بعد الفتح بقليل ، وكان المسلمون يقولون : هذا ابن عدو الله أبى جهل . فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لاتسبوا أباه فإن سب الميت يؤذى الحى ، ونهاهم أن يقولوا : عكرمة بن أبى جهل .

(٣) كذا فى ا ، ى والـكامل للمبرد . والذى فى سائر الأصول : « المسلمين » .

(٤) كذا فى ا ، ى والـكامل للمبرد . والذى فى سائر الأصول : « دعيتم » .

(٥) كذا فى الـكامل للمبرد . والذى فى الأصول : « التوقف » .

عَشِيَّتكم هذه أكْشِف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى .

خطبة ابن الزبير فى الخوارج

فلمّا كان العشىّ راحُوا إليه ، فخَرج إليهم وقد لبِس سلاحه ، فلما رأى ذلك نَجْدةُ[1] ، قال : هذا خُروج مُنابذ لكم ، فجلس على رَفَع[2] من الأرض ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ، ثم ذكر أبا بكر وعُمر أحسنَ ذِكْر ، ثم ذكر عُثمان فى السِّنين الأوائل من خِلافته ، ثم وصلهنّ بالسِّنين التى أنكروا سِيرتَه فيها فجعلها كالماضية ؛ وأخبر أنه آوى الحَكَم بن أبى العاصى بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذَكر الحِمَى وما كان فيه من الصَّلاح ، وأن القومَ استعتبوه [من أمور] ما كان له أن يَفعلها ؟ أوّلاً مُصيبًا ، ثم أعتبهم بعد ذلك مُحسناً ، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضَمِن لهم العُتْبى ، ثم كُتب ذلك الكتابُ بقَتْلهم ، فدفعوا الكتابَ إليه ، فحَلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به ، وقد أمر الله عزّ وجلّ بقَبول اليمين ممّن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع له من صِهْر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكانه [من] الإمامة ، وأنّ بَيعة الرِّضوان تحت الشجرة إنما كانت بِسَببه[3] ، وعثمان الرجل الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حَلف عليها لَحَلف على حقّ ، فافتدَاها بمائة ألف ولم يَحْلِف ؛ وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَن حَلف بالله فليَصْدُق ومن حُلِف له بالله فليقْبَل[4] » . وعُثمان أمير المؤمنين [كصاحبيه]

---

(١) هو نجدة بن عاصم الحنفى الخارجى .

(٢) كذا فى ا ، ى والكامل للمبرد . والذى فى سائر الأصول : « رفيع » .

(٣) يشير الى ما كان فى الحديبية من إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحربهم وإنما جاء زائراً للبيت معظما له ، والى احتباس قريش لعثمان وما بلغ الرسول بأن القوم قتلوه ، والى قوله صلى الله عليه وسلم : لا نبرح حتى تناجز القوم ، ودعوته الناس الى البيعة ، بيعة الرضوان .

(٤) فى الكامل : « فليرض » .

٢٥٩ / ١ وأنا ولىّ وليّه ، وعدوّ عدوّه ، وأبى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ورسول الله] يقول [عن الله] عزّ وجلّ يومَ أُحد لما قُطعت إصْبع طَلْحَة(١) : « سَبَقته إلى الجنة » . وقال : « أوْجب طلحة(٢) » . وكان الصّدّيق إذا ذُكر يومَ أُحد قال : ذلك يوم كلّه [أو جُلّه] لطلحة . والزُّبير حوارىّ(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَفْوته ، وقد ذكر أنه(٤) فى الجنّة ، وقال عزّ وجلّ : (لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة) . وما أخبرَنا بعدُ أنه سَخِط عليهم ؛ وإن يكن ما صَنعوا(٥) حقًّا فأهل ذلك هم ، وإن يكن زلّة ففى عَفو الله تَمْحِيصُها ، وفيما وَفَّقهم له من السابقة مع نبيّهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذَكرتموها به ، فقد بَدأتم بأمِّكم عائشة ، فإن أَبى آبٍ أن تكون له أمًّا ، نَبذ اسم الإيمان عنه ، وقد قال جلّ ذِكْره : (النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) . فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه .

كتاب نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن الزبير

وكتب بعد ذلك نافعُ بن الأزرق إلى عبد الله بن الزُّبير يَدْعوه إلى أمره : أمّا بعد ، فإنى أحذِّرك من الله يومَ تجد كلُّ نفس ما عَمِلَت من خَيرٍ مُحْضَرًا ، وما عَمِلَت من سُوء تَوَدّ لو أنّ بينها وَبينه أمدًا بعيدًا ، [ويُحَذِّركم الله نفسه] . فاتق الله ربَّك ولا تتَولّ الظالمين فإنّ الله يقول : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإنَّهُ مِنْهُمْ) . وقال : لا يَتّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ

(١) يشير إلى بلاء طلحة يوم أحد حين لقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النبل بيده حتى شلت إصبعه .
(٢) أوجب طلحة ، أى عمل عملا أوجب له الجنة .
(٣) يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق لما ندب الناس فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال صلى الله عليه وسلم : لكل نبى حوارى وحوارى الزبير .
(٤) فى بعض الأصول : « أنهما » مكان « أنه » .
(٥) فى الكامل : « ما سعوا فيه » . مكان : « ما صنعوا » .

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِى شَىْءٍ) . وقد حضرتُ عثمانَ يومَ قُتِل ، فلَعمرى لئن كان قُتل مظلومًا لقد كَفر قاتلوه وخاذِلوه ، وإن كان قاتلوه مُهْتدين ، وإنهم لَمُهتدون ، لقد كفر مَن تولّاه ونصَره . ولقد علمتَ أنّ أباك وطَلْحة وعليًّا كانوا أشدَّ الناس عليه ، وكانوا فى أمره بين قاتل وخاذِل ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان ، فكيف ولاية قاتل مُتعمِّد ومقتول فى دِين واحد ، ولقد مَلك[1] علىٌّ بعده فَنفَى الشُّبهات ، وأقام الحُدود ، وأجْرى الأحكام مجاريها ، وأعطى الأمور حقّها فيما عليه وله ، فبايَعه أبوك وطَلْحة ، ثم خَلعا بَيْعته ظالمين له ، وإن القول فيك وفيهما لكما قال ابنُ عباس رحمه الله : إن يكُن علىٌّ فى وقت مَعْصِيتكم ومُحاربتكم له كان مؤمناً لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العَدْل ، وإن كان كافراً كما زعمتم ، وفى الحُكم جائراً ، فقد بُؤْتم بغضب من الله لفراركم من الزَّحف . ولقد كنتَ له عدوًّا ، ولسيرته عائباً ، فكيف توليته بعد موته .

كتاب نجدة إلى نافع ورد نافع عليه

وكتب نجدةُ وكان من الصُّفرية القَعَدية[2] إلى نافع بن الأزرق ، لما بلغه عنه استعراضُه[3] للناس ، وقتْلُه الأطفال ، واستحلاله الأمانة : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فإنّ عَهْدى بك وأنت لليتيم كالأب الرَّحيم ، وللضعيف كالأخ البَرّ ، لا تأخذك فى الله لومةُ لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، [كذلك كنتَ أنت وأصحابك ، أما تذكر قولَكَ : لولا أنى أعلم أنّ للإمام العادل مِثلَ أجر جميع رعيّته ما توليت أمر رجلين من المسلمين] ، فلما شَرَيْتَ نفسك فى طاعة ربّك ابتغاء رضوانه ، وأصبتَ من الحق فصّه ، [وركبتَ مُرّه] تجرّد لك الشيطانُ ، فلم يكن أحدٌ

(١) كذا فى الكامل . والذى فى الأصول : « وكيف ولى » . مكان : « ولقد ملك » .

(٢) أى من المقيمين من الخوارج بين أظهر أعدائهم من المسلمين ، وكان نافع بن الأزرق يرى إكفارهم . (انظر الكامل للمبرد) .

(٣) يريد اعتراضه الناس يقتلهم لا يبالى أمسلما قتل أم كافرا .

أثقلَ وطأةً عليه منك ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ، فغَويتَ وأكفرت الذين عَذرهم الله فى كتابه من قَعَدَة المسلمين وَضَعفتهم ، فقال جلّ ثناؤه ، وقوله الحق ، ووعدُه الصِّدق : (لَيْسَ عَلَى ٱلضعفاء وَلاَ على المَرْضَى وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُوله) ، ثم سمّاهم أحسن الأسماء فقال : (مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل) . ثم استحللتَ قتلَ الأطفال ، وقد نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قَتلهم ، وقال جلّ ثناؤه : (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . وقال فى القَعَد خيراً ، وفَضّل الله من جاهد عليهم ، ولا يدفع منزلةُ أكثرِ الناس عملاً منزلةَ مَن هو دُونه ، إلا إذا اشتركا فى أصلٍ ، أوما سمعتَ قوله تبارك وتعالى : (لا يَسْتَوِى القَاعِدُون مِن المؤمِنِين غيرُ أُولِى الضَّرَرِ

٢٦٠/١ والمُجَاهِدُونَ فى سَبِيلِ اللهِ) فجعلهم الله من المؤمنين ، وفَضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم ، ورأيتَ من رأيك أن لا تؤدّى الأمانة إلى مَن يُخالفك ، واللهُ يأمرك أن تؤدى الأماناتِ إلى أهلها ، فاتّقِ اللهَ وانظرْ لنفسك ، واتّق يومًا لا يجزى والدٌ عن ولده ولا مَولود هو جازٍ عن والده شيئاً ، فإن الله بالمِرْصاد ، وحُكمه العدل ، وقوله الفصل ، والسلام .

فكتب إليه نافعُ بن الأزرق : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فقد أتانى كتابُك تَعِظُنى فيه وتُذكّرنى ، وتَنصحُ لى وتزجرُنى ، وتصِفُ ما كنتُ عليه من الحق ، وما كنتُ أُوثِرُه من الصواب ، وأنا أسألُ الله أن يجعلنى من الذين يَستمعون القولَ فيتبعون أحسنه . وعِبْتَ على ما دِنْتُ به من إكفار القَعد ، وقَتل الأطْفال ، واستحلال الأمانة ؛ وسأفسِّر لك [لِمَ] ذلك إن شاء الله : أما هؤلاء القَعد فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بِعَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة مَقهورين مَحصورين لا يجدون إلى الهرب سَبيلا ، ولا إلى الاتصال

بالمسلمين طريقا؛ وهؤلاء قد فقهوا فى الدين، وقرءوا القرآن؛ والطريقُ لهم نهج واضح؛ وقد عرفتَ ما يقول الله فيمن كان مِثلهم إذ قال: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ . قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) . وقال: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) . وقال: (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ . وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [فخبّر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله]. وقال: (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فانظر إلى أسمائهم وسِماتهم[1].

وأما أمر الأطفال فإنّ نبيّ الله نوحا كان أعرفَ بالله يا نجدةُ منّى ومنك قال: (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) ، فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يُولَدوا ، فكيف جاز ذلك فى قوم نُوح ولا يجوز فى قومنا ؟ والله يقول: أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) . وهؤلاء كمشركى العرب لا تُقبل منهم جِزْية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استحلال الأمانات ممّن خالفنا ، فإن الله عزّ وجلّ أحلّ لنا أموالهم ، كما أحل لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال طِلْق[2] ، وأموالهم فَىْء للمسلمين ، فاتّق الله وراجِع نفسك ، فإنه لا عُذْر لك إلا بالتوبة ، ولا يسعك خِذلانُنا ، والقُعود دوننا ، [وتركُ ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا] ، والسلام على مَن أقرّ بالحق وعَمِل به .

مرداس ومال لابن زياد

وكان مِرْداس أبو بلال من الخوارج وكان مُستتراً ، فلما رأى جِدّ[3] ابن

(١) فى الأصول : فسماهم بالكفر » . مكان : « فانظر إلى أسمائهم وسماتهم » . وما أثبتناه عن الكامل .
(٢) أى حلال طيب . (٣) فى بعض الأصول : « حزم » .

زياد فى قتْل الخوارج وحَبْسهم ، قال لأصحابه : إنه والله لا يَسعنا المُقام بين هؤلاء الظالمين تجْرى علينا أحكامُهم ، مُجانبين للعدل ، مُفارقين للعقل ، والله إنّ الصبرَ على هذا لعَظيم ، وإنّ تجريد السيف وإخافةَ السبيل لعظيم[١] ، ولكنّا لا نَبتدئُهم ولا نُجرِّد سيفاً ولا نقاتل إلا مَن قاتلنا . فاجتمع عليه أصحابُه ، وهم ثلاثون رجلاً ، فأرادوا أن يُولّوا أمرَهم حُرَيث بن حَجْل[٢] ، فأبَى ، فولّوا أمرَهم مِرْداساً أبا بلال . فلما مضى بأصحابه لَقِيه عبدُ الله بن رَبَاح الأنصارى ، وكان له صديقا ، فقال له : يا أخى ، أين تُريد ؟ قال : أريد أن أهْرُب بدينى ودين أصحابى هؤلاء من أحكام هؤلاء الجوَرة والظَلَمة ؛ فقال له : أعَلِم بكم أحد ؟ قال : لا ؛ قال : فارجع ؛ قال أوَ تخاف علىّ مكروهاً ؟ قال : نعم ، [وأن يُؤْتَى بك] ؛ قال : فلا تخَفْ ، فإنّى لا أجرِّد سيفاً ، ولا أُخيف أحداً ، ولا أقاتل إلا مَن قاتلنى . ثم مَضى حتى نزل آسَك[٣] ، وهو موْضع دون خُراسان ، فمرّ به مالٌ يُحمل إلى ابن زِياد ، وقد بلغ أصحابُه أربعين رجلاً ، فحطّ ذلك المالَ ، وأخذ منه عطاءه

٢٦١/١ وأعْطيات أصحابه ، وردّ الباقى على الرُّسل ، فقال : قُولوا لصاحبكم إنّا قبضنا أعطياتِنا ؛ فقال بعضُ أصحابه : فعلامَ ندع الباقى ؟ فقال : إنّهم يَقْسمون[٤] هذا الفَيْء ، كما يُقيمون الصلاة ، فلا نقاتلهم[٥] .

ولأبى بلال مِرْداس هذا أشعارٌ فى الخُروج ، منها قولُه : شعر لمرادس

أبعدَ ابن وَهْب ذى النزاهة والتُّقى ... ومَن خاضَ فى تلك الحُروب المَهالِكَا

(١) فى بعض الأصول : « لأخف » .
(٢) فى الأصول : « حجر » . والتصويب عن الكامل للمبرد .
(٣) فى بعض الأصول : « آبل » . وهو تحريف .
(٤) فى الأصول : « يقيمون » . والتصويب عن الكامل .
(٥) فى بعض الأصول : « فلا نقاتلهم مع الصلاة » .

أُحِبّ بقاء أو أُرَجِّى سَــلامةً ... وقد قتلوا زيدَ بن حِصْنٍ(١) ومالــكا
فيا رَبِّ سَــلِّمْ نِيَّتى وبَصيرتى ... وهَبْ لى التُّقَى حتى أُلاَقِى أولئكا

مرداس وأسلم ابن زرعة الـكلابى

وقالوا : إنّ رجلا من أصحاب زياد ، قال : خرجنا فى جَيْش نُريد خُراسان ، فمرَرْنا بآسَك ، فإذا نحن بمِرْداس وأصحابه ، وهم أربعون رجلا ، فقال : أقاصدُون لقتالنا أنتم ؟ قُلْنا : لا ، إنما نُريد خُراسان ؛ قال : فأبْلِغوا مَن لَقِيتم أنَّا لم نَخْرج لنُفْسد فى الأرض ولا لنُرَوِّع أحداً ، ولـكن هَرَبنا من الظُّلم(٢) ، ولَسْنا نُقاتل إلا مَن قاتَلنا ، ولا نأخذ من الفَىْء إلا أعطياتنا ، ثم قال : أنُدِب لنا أحد ؟ فقُلْنا : نعم ، أَسْلَم بن زُرْعة الـكِلَابىّ ؛ قال : فمتى تَرَوْنه يَصِلُ إلينا ؟ قُلنا له : يومَ كذا وكذا ؛ فقال أبو بلال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

ونَدَب عُبيد الله بن زياد أسلم بن زُرْعة الـكِلَابىّ ووجّهه إليهم فى ألفين ، فلما صار إليهم صاح به أبو بلال : أتق الله يا أسلم ، فإنا لا نُريد قِتالا ولا نَحْتجز مالا ، فما الذى تُريد ؟ قال : أُريد أن أردّكم إلى ابن زياد ؛ قال : إذاً يقتلنا ؛ قال : وإنْ قَتَلـكم ؛ قال : أفَتَشْركه فى دمائنا ؟ قال : نعم ، إنه مُحق وأنتم مُبْطلون ؛ قال أبو بلال : وكيف هو مُحق وهو فاجر يُطيع الظَّلمة . ثم حَملوا عليه حملةَ رجل واحد ، فانهزم هو وأصحابه . فلما وَرد على ابن زياد غَضِب عليه غَضباً شديدا ، وقال : انهزمت وأنت فى ألفين عن أربعين رجلا ! قال له أسلم : والله لأن تَذُمّنى حيا أحبُّ إلىّ من أن تَحمَدنى مَيِّتاً . وكان إذا خرج إلى السوق ومرّ بالصبيان صاحُوا به : أبو بلال وراءك ؛ حتى شكا إلى ابن زياد ، فأمر الشُّرط أن يكفُّوا الناسَ عنه .

(١) هو زيد بن حصن بن وبرة الطائى .
(٢) فى بعض الأصول : « الضرر » .

رد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على شوذب الخارجى

الهيثم بن عَدِىّ قال : أخبرنى عوانة بن الحَكَم عن محمد بن الزُّبير قال : بَعثنى عمر بن عبد العزيز مع عَوْن بن عبد الله بن مَسْعود إلى شَوْذَب الخارجىّ وأصحابه إذ خرجوا بالجزيرة ، وكتب معنا كتاباً ، فقَدِمنا عليهم ودَفعنا كتابَه إليهم ، فبَعثوا معنا رجلاً من بنى شَيْبان ورجلاً فيه حَبَشيّة يقال له شَوْذَب . فقدما معنا على عمرَ وهو بخُناصِرة[1] ، فصَعِدْنا إليه ، وكان فى غُرْفة ومعه ابنه عبدُ الملك وحاجبُه مُزاحم ، فأخبرناه بمكان الخارجيّين ؛ فقال عمر : فتّشوهما لا يَكُن معهما حديد وأدخلوهما ، فلما دخلا قالا : السلامُ عليكم ، ثم جلسا ؛ فقال لهما عمر : أخبرانى ما الذى أخْرجكم عن حُكْمى هذا وما نَقِمْتم علىّ ؟ فتكلّم الأسود منهما ، فقال : إنّا والله ما نَقِمْنا عليك فى سِيرتك ، وتَحَرِّيك العَدْل والإحسان إلى مَن وَليت ، ولكنّ بيننا و بينك أمراً إن أعطيتَناه فنحن منك وأنت منّا ، و إن مَنَعْتناه فلستَ منا ولسنا منك ؛ قال عمر : ما هو ؟ قالا : رأيناك خالفتَ أهلَ بيتك وسَمَّيتها مظالم وسلكتَ غيرَ طريقهم ، فإن زعمتَ أنك على هُدى وهم على ضلال فالْعَنهم وابرأ منهم ؛ فهذا الذى يَجمع بيننا و بينك أو يُفرِّق . فتكلم عمر ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنى قد علمتُ أو ظننتُ أنكم لم تخرجوا مَخرجكم هذا لطلب الدنيا ومَتاعها ، ولكنّكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلَها ، و إنى سائلكما عن أمر ، فبالله اُصْدقانى فيه مَبْلغ عِلْمكما ؛ قالا : نعم ؛ قال : أخبرانى عن أبى بكر وعُمر ، أليسا من أسلافكما ، ومَن

(١) كذا فى ا ، ى . وخناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين . والذى فى سائر الأصول : « بمحاضرته » . وهو تحريف .

تتوليّان وتَشْهدان لهما بالنجاة ؟ قالا : اللهم نعم ؛ قال : فهل عَلِمْتما أنّ أبا بكر حين قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فارتدّت العرب قاتلهم فَسَفك الدّماء وأخذ الأموال وسَبَى الذّرارى ؟ قالا : نعم ؛ قال : فهل عَلِمتم أنّ عمر قام بعد أبى بكر فردّ تلك السّبايا إلى عشائرها ؟ قالا : نعم ؛ قال : فهل بَرِئ عمر من أبى بكر أو تبرءون أنتم من أحد منهما ؟ قالا : لا ؛ قال : فأخبرانى عن أهل النّهروان ، أليْسوا من صالحى أسلافكم وممّن تَشْهدون لهم بالنجاة ؟ قالا : نعم ؛ قال : فهل تَعلمون أنّ أهلَ الكوفة حين خرجوا كَفُّوا أيديَهم ، فلم يَسْفكوا دماً ، ولم يُخيفوا آمناً ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : نعم ؛ قال : فهل علمتم أن أهل البَصْرة حين خَرجوا مع مِسْعَر بن فُدَيك اسْتعرضوا الناس يَقْتلونهم ، ولقُوا عبدَ الله بن خبّاب بن الأرَتّ ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلوه وقتلوا جاريتَه ، ثم قتلوا النّساء والأطفال ، حتى جعلوا يُلقونهم فى قُدُور الأَقْط[(١)] وهى تفور؟ قالا : قد كان ذلك ؛ قال : فهل بَرِئَ أهلُ الكوفة من أهل البصرة ؟ قالا : لا ؛ قال : فهل تَبرءون أنتم من إحدى الفِئتين ؟ قالا : لا ؛ قال : أفرأيتم الدِّين ، أليس هو واحد ، أم الدِّين اثنان ؟ قالا : بل واحد ؛ قال : فهل يَسعكم منه شىء يُعْجزنى ؟ قالا : لا ؛ قال : فكيف وَسِعكم أن تولّيتم أبا بكر وعُمر وتولّى كلٌّ واحد منهما صاحبَه ، وتولّيتم أهلَ الكوفة والبَصرة وتولّى بعضُهم بعضاً ، وقد اختلفوا فى أعظم الأشياء : الدّماء والفُروج والأموال ؛ ولا يَسعنى إلاّ لَعْن أهل بَيْتى والتبرُّؤ منهم ؟ أو رأيتَ[(٢)] لَعْنَ أهل الذّنوب فَريضةً مَفْروضة لا بدّ منها ؟ فإنْ كان ذلك فمتى عَهْدك بلَعْن فِرْعون ، وقد قال : أنا ربُّكم الأعلى ؟ قال : ٢٦٦ / ١

(١) الأقط (مثلثة وككتف ، وفيها لغات أخرى) : طعام يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل .

(٢) يلاحظ أنه أفرد الضمير هنا وفيما سيأتى ، ولعله يخاطب شوذبا الخارجى .

ما أذكُر أنى لعنتُه ؛ قال : ويحك ! أيسعك أن لا تَلْعن فِرْعون وهو أخبثُ الخَلْق ، ولا يَسَعُنِى إلا أن ألعن أهلَ بَيْتى والبراءةُ منهم ؟ ويحكم ! إنكم قومٌ جُهّال أردتم أمراً فأخطأتموه ، فأنتم تَرُدّون على الناس ما قَبل منهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، بَعثه الله إليهم وهم عَبَدة أوثان ، فدعاهم إلا أن يَخْلعوا[(1)] الأوثان ، وأن يَشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فمن قال ذلك حَقَن بذلك دَمَه ، وأحرز مالَه ، ووَجبت حُرْمَتُه ، وأمِن به عند رسول الله صلّى الله علية وسلّم ، وكان إسوة المُسلمين ، وكان حسابُه على الله ، أفلستم تَلْقَون مَن خَلع الأوثان ، ورَفض الأديان ، وشَهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله تَستحلون دَمَه ومالَه ، ويُلْعن عندكم ، ومَن تَرَك ذلك وأباه من اليهود والنَّصارى وأهل الأديان فتُحَرِّمون دَمَه ومالَه [ويأمن عندكم] ؛ فقال الأسود : ما سمعتُ كاليوم أحداً أبين حُجّة ، ولا أقرب مَأْخذاً ، أمّا أنا فأشهد أنك على الحق وأنى بَرِىء ممن بَرِىء منك . فقال عمر لصاحبه : يا أخابنى شَيْبان ، ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسَنَ ما قُلتَ ووصفتَ ، غير أنى لا أفتات على الناس بأمْر حتى ألقاهم بما ذكرتَ وأنظر ما حُجّتهم ؛ قال : أنت وذاك . فأقام الحَبشىّ مع عمر ، وأمر له بالعَطاء فلم يَلْبث أن مات ، ولَحِق الشَّيبانى بأصحابه ، فقُتل معهم بعد وفاة عُمر [رضى الله عنه] .

القول فى أصحاب الأهواء

حديث الرجل الذى ذكر عند الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد

وذُكر رجلٌ عند النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فذَكروا فضلَه وشِدَّة اجتهاده فى العِبادة . فبينما هم فى ذِكْره حتى طَلَع عليهم الرجلُ ، فقالوا : يا رسولَ الله ،

(1) فى بعض الأصول : « يخلوا » .

هو هذا ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أما إنى أرى بين عَيْنيه سَفْعة[١] من الشَّيطان ، فأقبل الرجلُ حتى وقف فسلَّم عليهم ، فقال : هل حَدَّثتك نفسُك إذ طلعتَ علينا أنه ليس فى القوم أحسنُ منك[٢] ؟ قال نعم ، ثم ذهب إلى المسجد فصفّ بين قَدَمية يصلّى . فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أيكم يقومُ إليه فيقتله ؟ فقال أبو بكر : أنا يارسول الله . فقام إليه فوَجده يُصلِّى فهابه فانصرف ؛ فقال : ما صنعتَ ؟ قال وجدتُه يصلِّى يارسول الله فهِبْتُه . فقال النبى صلى الله عليه

٢٦٧ / ١

وسلم : أيكم يَقُوم إليه فيقتله ؟ قال عمر : أنا يارسولَ الله . فقام إليه فوجده يصلِّى فهابه فانصرف ، فقال : يارسولَ الله ، وجدتُه يصلِّى فهِبتُه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيكم يقوم إلية فيقْتُلَه ؟ فقال علىّ : أنا يارسول الله ؛ قال : أنت له إن أدركته . فقام إليه فوجده قد انصرف . فقال النبىُّ عليه الصلاةُ والسلام : هــذا أول قَرْنٍ[٣] يَطْلُعُ فى أمتى ، لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان ، إنّ بنى إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقةً ، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا فرقةً واحدة ، وهى الجماعة .

الرافضـــة

سبب تسميتهم بالرافضة

إنما قيل لهم رافضة ، لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ولم يَرْفضهما أحدٌ من أهل الأهواء غيرهم ، والشيعة دونهم ، وهم الذين يُفضِّلون عليًّا على عثمان ، ويتولَّون[٤] أبا بكر وعمر . فأما الرافضة فلها غُلوٌّ شديد فى علىّ ، ذهب بعضُهم

(١) السفعة : النظرة والإصابة بالعين . جعل ما به من العجب مسا من الجنون .
(٢) فى ا ، ى : « أحد مثلك » . وفى النهاية : « خير منك » .
(٣) قرن ، أى بدعة .
(٤) فى بعض الأصول : « ويتلون » . وهو تحريف .

مَذهب النّصارى فى المسيح ، وهم السَّبَئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، عليهم لعنةُ الله ، وفيهم يقول السَّيد الحِمْيرى :

قَوْمٌ غَلَوْا فى علىٍّ لا أبالَهمُ   وأجْشَموا أنفسًا فى حُبّه تَعَبَا
قالوا هو الله ، جَلَّ الله خالقُنا   من أن يكون ابنَ شىء أو يكون أبا

وقد أحْرقهم علىٌّ رضى الله عنه بالنّار .

سؤال الأعمش المغيرة بن سعد عن فضائل على وما كان بينهما

ومن الرّوافض : المُغيرة بن سعد مولى بَجِيلة . قال الأعمش : دخلتُ على المُغيرة بن سعد ، فسألتُه عن فَضائل علىّ ؛ فقال : إنك لا تَحْتَمِلها ؛ قلتُ : بلى . فَذَكر آدم صلواتُ الله عليه ، فقال : علىٌّ خير منه ، ثم ذكر مَن دونه من الأنبياء ، فقال علىٌّ خيرمنهم ، حتى انتهى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : علىٌّ مثلُه ، فقلت : كذبت ، عليك لعنة الله ؛ قال : قد أعلمتُك أنك لا تحتملها .

اعتقاد بعض الروافض بأن عليا فى السحاب وشعر فى هجائهم

ومن الروافض : مَن يزعُم أنّ علياً رضى الله عنه فى السَّحاب ، فإذا أطلّت عليهم سحابة قالوا : السلامُ عليك يا أبا الحَسن . وقد ذكرهم الشاعر فقال :

بَرِئتُ من الخوارج لستُ منهم   مِن الغَزّال منهم وابن باب[1]
ومِن قوم إذا ذكروا عليًّا   يردُّون السلامَ على السَّحاب
ولكنّى أُحِبُّ بكلّ قلبى   وأعلم أنّ ذاك من الصواب
رسولَ الله والصِّدّيقَ حقًّا   به أرجو غداً حُسن الثّواب

وهؤلاء من الرافضة يقال لهم : المَنصورية . وهم أصحاب أبى منصور الكِسْف ، وإنما سُمّى الكِسْف لأنه كان يتأوّل فى قول الله عزّ وجلّ : (وَإنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّماء سَاقِطًا يَقُولوا سَحَابٌ مَرْكُوم) ، فالكِسْفُ علىٌّ وهو فى السحاب .

(١) فى الأصول : « الغزال ... وابن داب » . والتصويب عن الكامل .

شىء عن المغيرة ابن سعد

وكان المُغيرة بن سعد من السَّبَئية الذين أحرقهم علىٌّ رضى الله تعالى عنه بالنار، وكان يقول : لو شاء علىٌّ لأحيا عاداً وثمودَ وقُروناً بين ذلك كثيراً . [وقد خرج [على] خالد بن عبد الله ، فقتله خالدٌ وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر .

بين كثير عزة وابنة أخ له حين حضرت كثيرا الوفاة

ومن الرَّوافض كُثَيِّر عَزَّة الشاعر . ولما حضرته الوفاة ، دعا ابنة أخٍ له ، فقال : يا بنتَ أخى ، إنَّ عمَّك كان يُحب هذا الرَّجلَ فأحبِّيه — يعنى علىَّ ابن أبى طالب رضى الله عنه — فقالت : نَصِيحتك يا عمّ مردودة عليك ، أُحبُّه والله خلافَ الحُبِّ الذى أحْببته أنت ؛ فقال لها : بَرِئتُ منك ، وأنشد يقول :

بَرِئتُ إلى الإله من ابن أرْوَى ومن قولِ الخوارج أجمعينَــا
ومن عُمَــرٍ برئتُ ومن عَتيق غــداةَ دُعى أميرَ المؤمنينا ٢٦٨/١

ابنُ أروى : عثمان .

ما تؤمن به الروافض وشعر فى ذلك

والرَّوافض كلها تؤمن بالرَّجعة ، وتقول : لا تقوم الساعةُ حتى يخرج المهدىُّ ، وهو محمد بن علىّ ، فيملؤُها عدْلاً كما مُلِئتْ جوْرًا ، ويُحيى لهم موتاهم فيَرْجعون إلى الدنيا ، ويكون الناسُ أمةً واحدة . وفى ذلك يقول الشاعر :

ألا إنَّ الأئمة من قُريش وُلاةَ العَدْل أربعةٌ سَواء
علىٌّ والثلاثةُ مِن بَنيــه همُ الأسباط ليس بهم خَفاء
فَسِبْطٌ سِبطُ إيمانٍ وبِرٍّ وسِــبْط غَيَّبته كَرْبلاء

أراد بالأسباط الثلاثة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفيَّة ، وهو المهدىّ الذى يخرُج فى آخر الزمان .

السيد الحميرى وشعر فى إيمانه بالرجعة

ومن الروافض : السيِّد الحِميرى ، وكان يُلقَى له وسائدُ فى مسجد الكوفة يَجلس عليها ، وكان يؤمن بالرَّجعة ، وفى ذلك يقول :

إذا ما المرءُ شابَ له قَذالٌ ... وعَلَّلهُ المَواشِطُ بالخِضابِ
فقد ذهبتْ بَشاشتهُ وأوْدَى ... فَقُم بأبيك فابكِ على الشَّباب
فليسَ بعائدٍ ما فاتَ منهُ ... إلى أحدٍ إلى يوم المآب
إلى يومٍ يؤوب الناسُ فيه ... إلى دُنياهُم قبل الحساب
أدِينُ بأنّ ذاك كذاك حقًّا ... وما أنا فى النُّشور بذى ارتياب
لأنّ الله خبَّر عن رِجالٍ ... حَيُوا من بعد دَسٍّ[1] فى التُّراب

وقال يرثى أخاه[2] :

يابنَ أُمّى فَدَتْكَ نفسى ومالى ... كنتَ رُكنى ومَفْزعى وجَمالِى
ولَعَمْرِى لئن تَركْتُكَ[3] مَيْتًا ... رَهْنَ رَمْسٍ ضَنْكٍ عليك مُهال
لوشيكًا ألقاكَ حيًّا صحيحًا ... سامِعًا مُبْصِرًا على خيرِ[4] حال
قد بُعثتم من القُبور فأنتم ... بعد ما رَمَّت العِظام البَوالى
أو كسَبْعين وافدًا مع موسى ... عاينُوا هائلاً من الأهْوال
حين رامُوا من خُبثهم رُؤية الله ... وأنَّى برُؤية المُتعالِى
فرَماهم بصَعْقة أحْرقتهم ... ثم أحياهُم شديدُ المِحال

مناظرة ثمامة بن أشرس لرجل من الحسبانية بين يدى المأمون

دخل رجل من الحِسْبانية[5] على المأمون، فقال: لثُمامة بن أشرس كلِّمه؛ فقال له: ما تقول وما مَذْهبك؟ فقال: أقول إنّ الأشياء كلّها على التوهُّم

(١) كذا فى ا. والذى فى سائر الأصول: «درس».
(٢) فى ى: «وقال آخر يرثى أخاه».
(٣) فى بعض الأصول: «لأتركنك».
(٤) فى بعض الأصول: «غير». وهو تحريف.
(٥) كذا فى ى. وفى ا. «الحسابية». والذى فى سائر الأصول: «الحسانية» وهو تحريف.

والحِسْبان ، وإنما يُدْرِك منها الناسُ على قَدْر عقولهم ، ولا حقَّ فى الحقيقة . فقام إليه ثُمامة ، فَلَطَمه لطمةً سوَّدت وَجْهه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، يفعل بى مثلَ هذا فى مجلسك ! فقال له ثُمامة : وما فعلتُ بك ؟ قال : لَطَمْتنى ؛ قال : ولعلَّ إنما دَهَنتُك بالبان ، ثم أنشأ يقول :

ولَعلَّ آدمَ أُمُّنا ... والأب حوّا فى الحِساب
ولعلّ ما أبصرتَ من ... بيض الطُّيور هو الغُراب
وعَساك حين قَعدتَ قُمْـ ... ـتَ وحين جئتَ هو الذَّهاب
وعَسى البنَفْسج زِئبقاً ... وعسى البَهار هو السَّذاب[1] ٢٦٩/١
وعَساك تأكل مِن خرَا ... ك وأنتَ تحسبه الكَباب

بين عبد الله بن عباس ورافضى

ومن حديث ابن أبى شَيْبة أن عبد الله بن شدَّاد قال : قال لى عبد الله بن عبّاس : لأُخبرنّك بأعجب شىء : قَرَع اليومَ علىَّ البابَ رجلٌ لما وضعتُ ثيابى للظَّهيرة ، فقلتُ : ما أتى به فى مثل هذا الحين إلا أمرٌ مهمّ ، أدخلوه . فلما دخل قال : متى يُبعث ذلك الرجل ؟ قلت : أى رجل ؟ قال : علىّ بن أبى طالب ؛ قلتُ : لا يُبعث حتى يَبعث الله مَن فى القبور ؛ قال : وإنك لتقول بقول هذه الجَهلة ! قلت : أخْرِجُوه عنِّى لعنه الله .

فرق الروافض

ومن الروافض الكَيْسانية ، قلتُ : وهم أصحاب المُختار بن أبى عُبيد ، ويقولون إنّ اسمه كَيْسان .

ومن الرافضة الحُسينية ، وهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، وكانوا يطوفون بالليل فى أزقّة الكوفة وينادون : يا ثاراتِ الحُسين ؛ فقيل لهم : الحُسينية .

---

(١) السذاب : من البقول ، وهو معروف .

ومن الرافضة الغُرابية : سُمِّيت بذلك لقولهم : علىٌّ أشبه بالنبىّ من الغُراب بالغراب .

ومن الرافضة : الزَّيْدِية ، وهم أصحاب زيد بن علىّ المقتول بخُراسان ، وهم أقلُّ الرافضة غُلُوًّا ، غيرَ أنهم يرَوْن الخُروج مع كل مَن خرج .

الشعبي والروافض

مالك بن مُعاوية قال قال لى الشّعبى ، وذَكَرْنا الرافضة : يا مالك ، لو أردتُ أن يُعطونى رقابَهم عَبيداً وأن يَملئوا بيتى ذَهَباً علىَّ على أن أَكْذِبَ لهم على علىّ كِذْبَةً واحدةً لقَبِلوا ، ولكنى والله لا أَكْذِب عليه أبداً ، يامالك ، إنى دَرَسْتُ[1] الأهواء كلَّها فلم أرَ قوماً أحمقَ من الرافضة ، فلو كانوا من الدوابّ لكانوا حميراً ، أو كانوا من الطير لكانوا رَخَماً . ثم قال : أحذِّرك الأهواء المُضلة شرُّها الرافضة ، فإنها يهود هذه الأمة ، يُبغضون الإسلام ، كما يُبغض اليهودُ النَّصرانية ، ولم يدْخلوا فى الإسلام رغبةً ولا رَهْبة من الله ، ولكن مَقْتاً لأهل الإسلام وبَغْياً عليهم ، وقد أحرقهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم إلى البُلْدان ، منهم : عبدُ الله بن سبأ ، نفاه إلى ساباط ، وعبدُ الله بن سباب ، نفاه إلى الجازر[2] ، وأبو الكَرَوَّس ، وذلك أن مِحْنة[3] الرافضة محنة اليهود ، قالت اليهود : لا يكون المُلك إلا فى آل داود ، وقالت الرافضة : لا يكون المُلك إلا فى آل علىّ بن أبى طالب ، وقالت اليهود : لا يكون جِهادٌ فى سبيل الله حتى يَخرج المَسيح المُنتظر ، ويُنادى منادٍ من السماء ، وقالت الرافضة : لا جهادَ فى سبيل الله حتى يخرُج المَهدىُّ ، ويَنزل سَبَب من السماء ، واليهود يُؤخِّرون صلاةَ

(١) فى بعض الأصول : « وست » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى ا . والجازر : قرية من نواحى النهروان ، من أعمال بغداد قرب المدائن . والذى فى سائر الأصول : « الحازر » . ولم نقف على ذكر لها فى معجمات البلدان التى بين أيدينا .

(٣) فى بعض الأصول : « محبة » فى الموضعين . وهو تحريف .

المغرب حتى تشتبك النُّجوم ، وكذلك الرافضة ، واليهود لا ترى الطَّلاق الثلاثَ شيئاً ، وكذا الرَّافضة ، واليهود لا ترى على النِّساء عِدَّة وكذلك الرافضة ، واليهود تَستحلّ دمَ كلّ مسلم ، وكذلك الرافضة ، واليهود حرَّفوا التَّوراة وكذلك الرَّافضة حرَّفت القرآن ، واليهود تُبغض جبريلَ وتقول : هو عَدوُّنا من الملائكة ، وكذلك الرافضة تقول : غَلِط جبريلُ فى الوَحْى إلى محمد بتَرْك علىّ بن أبى طالب ، واليهود لا تأكل لحم الجَزُور ، وكذلك الرافضة . ولليهود والنَّصارى فَضيلةٌ على الرافضة فى خَصْلتين ، سُئِل اليهود مَن خَيْر أهل مِلّتكم ؟ فقالوا : أصحابُ موسى ، وسُئِلت النصارى ، فقالوا : أصحابُ عيسى ، وسُئِلت الرافضة : مَن شرّ أهل مِلّتكم ؟ فقالوا : أصحابُ محمّد ، أمَرهم الله بالاستغفار لهم[١] فشَتَموهم ، فالسيفُ مَسْلول عليهم إلى يوم القيامةِ ، لا تَثْبُت لهم قدم ، ولا تقومُ لهم راية ، ولا تُجمع لهم كلمة ، دَعْوَتُهم مَدْحورة ، وكَلِمتهم ، مُختلفة ، وجَمْعهم مُفرَّق ، كلما أوْقدوا ناراً للحرب أطفأها الله .

وذُكرت الرَّافضةُ يوماً عند الشَّعْبىّ فقال : لقد بغَّضُوا إلينا حديثَ علىّ ابن أبى طالب .

٢٧٠/١ وقال الشّعبىّ : ما شَبَّهتُ تأويلَ الروافض فى القرآن إلا بتأويل رَجل مَضْعوف من بنى مَخْزوم من أهل مكّة وجدتُه قاعداً بفِناء الكَعْبة ، فقال ياشعبىّ[٢] : ما عِنْدك فى تأويل هذا البَيْت ؟ فإن بَنى تَميم يَغلطون فيه ويزعمون أنه إنما قيل فى رجل منهم ، وهو قولُ الشاعر :

بَيْتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائه ومُجاشع وأبو الفَوارس نَهْشَلُ

فقلت له : وما عِندك أنت فيه ؟ قال : البيتُ هو هذا البيت ، وأشار بيده

(١) أمرهم ، أى أمر الله الناس ومنهم الرافضة بالاستغفار لهم ، أى لأصحاب محمد .
(٢) فى بعض الأصول : « للشعبى » مكان « ياشعبى » .

إلى الكَعْبة ، وزُرارةُ الحجر ، زُرِّر حول البيت ؛ فقلت له : فمُجاشع ؟ قال : زَمزم جَشعت بالماء ؛ قلت : فأبُو الفوارس ؟ قال : هو أبو قُبيس جبل مكّة ؛ قلت : فنَهْشل ؟ ففكّر فيه طويلاً ثم قال : أصبتُه ، هو مِصْباح الكعبة طويلٌ أسود ، وهو النّهشل .

قولهم فى الشــيعة

قال أبو عُثمان عمرو بن بَحر الجاحظ : أخبرنى رجلٌ من رُؤساء التجّار قال : كان معنا فى السّفينة شيخٌ شَرِس الأخلاق ، طويلُ الإطْراق ، وكان إذا ذُكر له الشِّيعةُ غَضِب وأربدّ وجهُه وزَوَى من حاجبَيْه ، فقلتُ له يومًا : يَرْحمك الله ، ما الذى تَكرهه من الشِّيعة فإنى رأيتُك إذا ذُكروا غَضِبْتَ وقُبِضتَ ؟ قال : ما أكره منهم إلا هذه الشِّين فى أوّل أسمهم ، فإنى لم أجِدْها قطُّ إلا فى كلّ شرّ وشُؤم وشَيْطان وشَغْب وشقَاء وشَنَار وشَرَر وشَيْن وشَوْك وشَكْوى وشَهْوة وشَتْم وشُح . قال أبو عثمان : فما ثبت لشِيعىّ بعدها قائمة .

[باب من كلام المتكلمين

دخل[1] الْمُوبَذ على هشام بن الحَكم ، والْمُوبَذ هو عالم الفُرس ، فقال له : ياهشام : حولَ الدنيا شىء ؟ قال : لا ؛ قال : فإن أخرجتُ يدى فثَمّ شىء يردُّها ؛ قال هشام : ليس ثَمّ شىء يرُدّها ولا شىء تَخْرُج يدك فيه ؛ قال : فكيف أعلَم هذا ؟ قال له : يامُوبَذ ، أنا وأنت على طرَف الدنيا فقلت لك يا مُوبَذُ . إنى لا أرى شيئاً ، فقلتَ لى : ولِمَ لا ترى ؟ فقلت لك : ليس هاهنا ظلامٌ يمنعنى ،

(١) كذا وردت هذه القصة فى ى وعيون الأخبار . ولم نجدها فى مصدر آخر غير هذين المصدرين .

قلت لى أنتَ : ياهشام ، إنى لا أرى شيئاً ؛ فقلت لك : ولم لا ترى ؟ قلتَ : ليس ضياء أنظر به ، فهل تكافأت المِلّتان فى التناقض ؟ قال : نعم ؛ قال : فإذا تكافأتا فى التناقض لم تتكافآ فى الإبطال أن ليس شىء ؟ فأشار المُوبَذُ بيده أن أصبت](١) .

قال رجلٌ لبعض ولاة بنى العباس : أنا أجعل هِشام بن(٢) الحَكَم يقول فى علىّ رضى الله عنه إنه ظالم [فقال : إن فعلت ذلك فلك كذا وكذا ثم أحضر هشام] فقال له نَشَدْتُك الله أبا محمّد ، أما تعلم أن عليًّا نازع(٣) العبّاس عند أبى بكر ؟ قال : نعم ؛ قال : فمَن الظالم منهما ؟ فكَرِه أن يقول : العبّاس ، فيُواقع سُخْط الخليفة ، أو يقول : علىّ فينْقض أصلَه ، قال : ما منهما ظالم ؟ قال : فكيف يَتنازع اثنان فى شىء لا يكون أحدُهما ظالما ؟ قال : قد تَنازع المَلَكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم ، ولكن ليُنبّها داود على الخَطيئة ، وكذلك هذان أرادا تَنْبيه أبى بكر من خَطيئته ، فأسْكت الرجل ، وأمر الخليفةُ لهشام بِصِلة عظيمة(٤) .

بين إبراهيم النظام وأبى الهذيل العلاف

[دخلَ إبراهيمُ النَّظّام على أبى الهُذَيل العَلاّف وقد أسنّ وَبَعُد عهدُه بالمُناظرة ، وإبراهيمُ حَدَث السنّ ، فقال : أخبرْنى عن قراركم : أن يكون جَوْهرًا مخافة أن يكون جِسْما ، فهل قرّرْتم أن لا يكون جوهراً مخافةَ أن يكون عرضاً ، والعَرض أضعفُ من الجوهر . فبَصَق أبو الهُذَيل فى وجهه ؛ فقال له

---

(١) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى ى : « وأشار بيده للموبذ أن اسكت » . مكان : « فأشار الموبذ بيده أن أصبت » .

(٢) فى الأصول : « هشام بن عبد الحكم » . وهو تحريف . وهشام بن الحكم هذا صاحب الهشامية ، وكان من مشايخ الرافضة . (انظر الفرق بين الفرق والملل والنحل ، وكتاب الانتصار لابن الراوندى ومفاتيح العلوم للخوارزمى) .

(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « بارز » .

(٤) ورد هذا الخبر فى عيون الأخبار (ج ٢ س ١٥٠) ببعض اختلاف .

إبراهيم : قبّحك الله من شيخ ! ما أضعف حُجّتك وأسفه حِلْمك .

بين جهم ويونانى

قال : لَقِيَ جَهْم[1] رجلاً من اليونانيين فقال له : هل لك أن تُكلّمنى وأُكلّمك عن مَعْبودك هذا ، أرأيته قطّ ؟ قال : لا ؛ قال : فلمستَه ؟ قال : لا ؛ قال : فذُقْتَه ؟ قال : لا ؛ قال : فمِن أين عَرفتَه وأنت لم تُدْرِكه بحسّ من حواسّك الخَمْس وإنما عقلك معبِّر عنها فلا يدرك إلا ما أوصلت[2] إليه من جميع المَعْلومات . قال : فتلجلج جَهْم ساعةً ثم استدرك فعكس المسألة عليه فقال له : ما تُقِرّ أنّ لك رُوحا ؟ قال نعم ؛ قال : فهل رأيته أو ذُقْتَه أو سمِعْته أو شممته أو لمسته ؟ قال : لا ؛ قال : فكيف علمتَ أنّ لك رُوحا ؟ فأقرّ له اليُونانىّ .

باب فى الحياء

للنبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا العنوان

قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الحياء خَيْرٌ كلّه . الحَياء شُعْبة من الإيمان .
وقال عليه السلام : إنّ الله تَبارك وتَعالى يحبّ الحَيِىّ الحَليمَ المُتعفّفَ ، ويَكره البَذِىء السّآل المُلْحِف .

لعون بن عبد الله فى معنى ما سبق لابن عمرو

وقال عَوْن بن عبد الله : الحياء والحِلْم والصّمتُ من الإيمان .
وقال ابن عمر : الحياء والإيمان مَقْرونان جميعاً ، فإذا رُفِع أحدهما ارتفع الآخر معه .
وقال : مَكتوب فى التوراة : إذا لم تَسْتح فاصنع ما تَشاء . وقال : أَحْيُوا الحياء بمُجالسة من يُسْتحيا منه .

لبعض الأعراب فى وصف حى

وذكر أعرابىٌّ رجلا حيًّا فقال : لا تَراه الدهرَ إلاّ وكأنّه لا غِنى به عنك

(١) هو جهم بن صفوان صاحب الجهمية ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية . (انظر الملل والنحل للشهرستانى) .
(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ومكانها خال من الكتابة .

وإن كنتَ إليه أحوجَ ، وإن أذنبتَ غفر وكأنه المُذنب ، وإن أسأت إليه أحسن وكأنه المُسىء .

شعر لليلى الأخيلية فى مثله

لليلى الأخيلية :

فتًى هو أحيا من فتاة حَيِيّةٍ وأشجعُ من لَيْثٍ بخفّان خادِرِ

شعر لابن قيس فى مثله أيضا

ولابن قيس أيضاً :

تحالَم للحلم صُمًّا عن الخَنَا وخُرْسًا عن الفَحشاء عند التَّهاجُرِ
ومَرْضى إذا لوقُوا حَياء وعِفَّةً وعند الحِفاظ كالليوث الخوادر

الشعبى فى تعاشر الناس

وقال الشعبى : تَعاشر[1] الناس فيما بينهم زماناً بالدِّين والتَّقوى ، ثم رُفع ذلك فتعاشروا بالحَياء والتذمُّم ، ثم رُفع ذلك ، فما يَتعاشر الناس إلا بالرَّغبة والرَّهبة ، وسيجىء ما هو شر من ذلك .

لبعضهم فى الحياء

وقيل : الحياء يزيد فى النُّبل .

لبعض الشعراء فى معنى ما سبق

ولبعضهم :

فلا وأبيكَ مافى العَيْش خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذَهب الحياء[2]

وقال آخر :

إذا رُزِق الفتى وجهاً وَقاحاً تَقلّب فى الأُمور كما يشاء
ولم يَكُ للدَّواء ولا لشىء تُعالجه به فيـــه غَناء
ورُبَّ قَبيحةٍ ما حالَ بينى وبين رُكُوبها إلا الحَياء

لعلى بن أبى طالب فى ضرر الهيبة والحياء

وقال علىّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهَه : قُرِنت الهيبةُ بالخَيْبة ، والحياء بالحِرْمان .

---

(١) فى عيون الأخبار : « تعايش » .
(٢) هذا البيت لأبى تمام من شعر له فى التعريض ببعض بنى حميد ، أوله :
إذا جاريت فى خلق دنيا فأنت ومن تجاريه سواء

لبعض الشعراء

وقد قيل :

أرفع حياءكَ فيما جئتَ طالبَه إنّ الحياء مع الحِرمان مَقرونُ

وفى المثل : كثرة الحياء من التخنث .

للحسن

قال الحسن : من استتر بالحياء لبس الجهل سِربْاله ، فقطّعوا سرابيل الحياء ، فإنه مَن رَقّ وجهه رق عِلمه .

لرجل عند الأحنف فى وصف الحياء

وَصَف رجل الحياء عند الأحنف فقال : إن الحياء [لَيَتِمُّ] لمقدار من المقادير ، فما زاد على ذلك فسمِّه بما أحببت .

لبعض الشعراء فى ذم الحياء

وقال بعضهم :

إنّ الحياء مع الْحِرْمان مُقْترن كذاكَ قال أميرُ المؤمنين عَلِى

واعلم بأن من التخنيث أكثره فارفعه فى طلب الحاجات والأمَلِ

شعر للشماخ

وللشّماخ :

أجاملُ أقوامًا حياءً وقد أرى صـدورهم بادٍ عَلَىَّ مِراضُها

شعر لابن أبى حازم

ولابن أبى حازم :

وإنّى ليَثْنينى عن الجهل والخنا وعن شَتْمِ ذِى القُربى خلائقُ أربعُ

حياءٌ وإسـلام وتقْوى وأنّنى كريم ومِثْلى قد يَضُرُّ ويَنفع

لبعض الشعراء فى مدح الحياء

وقال آخر :

إذا حُرم المرء الحيـاء فإنّهُ بكلّ قبيح كان منه جـديرُ

له قِحـة فى كل أمر وسِرُّه مُباح وجـدواه جفاً وغرور

يَرى الشّتْم مَدْحًا والدناءة رِفعـة وللسّـمع منه فى العِظات نُفور

[فرجُ[1] الفتى ما دام حيًّا فإنّهُ إلى خيرِ حالات المُنيب يَصِير]

(١) فى ى المنقول عنها هذه التكملة : « فرح » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

باب جامع الآداب(١)

أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

قال أبو عُمر أحمد بن محمد : أوّل ما نبدأ به أدبُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لأمّته ، ثم الحكماء والعُلماء ، وقد أدّبَ الله نَبِيّه بأحسن الآداب كلها ، فقال له : (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطها كُلَّ الْبَسْط فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) . فنهاه عن التَّقتِير كما نهاه عن التّبذير ، وأمره بتوسّط الحالَيْن ، كما قال عزّ وجلّ : (وَالَّذِينَ إذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) ، وقد جمع الله [تبارك و] تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكَلِم فى كتابه الْمُحْكَم ، ونظم له مكارم الأخلاق كلّها فى ثلاث كلمات منه ، فقال : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ) . ففى أخْذِه العفو صِلَة مَن قطَعه ، والصّفحُ عمّن ظلَمه ؛ وفى الأمر بالمعروف تقوَى الله ، وغَض الطَّرْفِ عن المحارم ، وصَوْن اللّسان عن الكَذِب ؛ وفى الإعراض عن الجاهلين تنزيه النَّفْس عن مُماراة السّفيه ، ومُنازعة اللَّجُوج . ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدّبه باللّين فى عَرِيكته والرِّفق بأُمّته فقال : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لمن اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) . وقال : (ولَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) . وقال تبارك وتعالى :
(لا تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فإذَا الَّذِى بَيْنَكَ ٢٧١/١
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأنّهُ وَلِىٌّ حَمِيم . وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا

(١) فى ى : « جامع الآداب » . وقد جاء فى ى بعد هذا العنوان : « وهو أول الجزء الثانى من الياقوتة » .

إلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) . فلما وَعى عن الله عزّ وجلّ وكَمُلت فيه هذه الآداب ، قال الله تبارك وتعالى : (لَقَدْ جَاءكُم رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عليهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكُمْ بالمؤْمِنينَ رَءوفٌ رَحِيم . فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ اللهُ لا إله إلاّ هوَ عليهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم) .

باب أدب النبى صلى الله عليه وسلم لأمته

قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما أدّب به أُمته وحضّها عليه من مَكارم الأخْلاق وجَمِيل المُعاشرة وإصلاح ذاتِ البَيْن وصِلَة الأرحام : أوْصانى ربِّى بتِسْع [وأنا] أُوصيكم بها : أوصانى بالإخلاصِ فى السرّ والعَلانية ، والعَدْل فى الرِّضا والغَضب ، والقَصْد فى الغِنَى والفَقْر ، وأن أعْفُو عمن ظَلَمَنى ، وأُعْطِى مَن حرَمنى ، وأصِل مَن قَطَعنى ، وأن يكون صَمْتى فِكراً ، ونُطْقى ذِكْراً ، ونَظَرى عِبرًا .

وقد قال صلّى الله عليه وسلّم : نَهيتُكم عن قِيل وقال وإضاعة المال وكَثْرة السؤال .

وقد قال صلّى الله عليه وسلّم : لاتقْعدوا على ظُهور الطُّرق ، فإن أَبَيْتم فغُضُّوا الأبصار ، وأفشُوا السلام ، واهدوا الضالّ[1] ، وأعينوا الضَّعِيف .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : أَوْكُوا[2] السِّقاء ، واكْفَئُوا[3] الإناء ،

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « الضلال » .

(٢) كذا فى ا ، ى ولسان العرب والنهاية لابن الأثير (مادة وكا) . وأوكوا السقا ، أى شدوا رأسه بالوكاء لئلا يدخله حيوان أو يسقط فيه شىء . والوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . والذى فى سائر الأصول : « أوكئوا » . وهو تحريف .

(٣) كفأ الإناء : قلبه وكبه .

وأغلِقوا الأبواب، وأطفئوا المِصْباح، فإن الشيطان لا يَفْتح غَلَقا، ولا يَحُل وِكاء[1]، ولا يَكْشف[2] الإناء.

وقال صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بشرِّ الناس؟ قالوا: بلى يارسولَ الله؛ قال: من أكل وَحْدَه، ومَنَع رِفْده، وجَلَد عبدَه. ثم قال: ألا أنبئكم بشرٍّ من ذلك؟ قالوا. بلى يارسول الله، قال: [من لا يُقيل عَثْرة ولا يقبل مَعْذرة ثم قال: ألاَ أنبئكم بشرٍّ من ذلك؟ قالوا بلى يا رسول الله]؛ قال: مَن يُبغض الناسَ ويُبْغِضونه.

وقال: حَصِّنوا أموالَكم بالزَّكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصَّدَقة، واستقبِلوا البَلاء بالدُّعاء.

وقال: ما قَلّ وكَفى خيرٌ مما كثُر وألْهى.

وقال المسْلِمون تَتكافأ دِماؤُهم، ويَسْعَى بذِمَّتهم أدْناهم، وهُمْ يَدٌ على مَن سِواهم.

وقال: اليَدُ العُلْيا خَيْرٌ من اليد السُّفْلى.

[وقال]: وابدَأ بمن تَعول.

وقال: لا تَجْنِ يَمينُك على شِمالك، ولا يُلدغ المُؤمن من جُحر مرّتين.

وقال: المَرْءُ كَثيرٌ بأخيه.

وقال: أفصِلوا بين حَدِيثكم بالاستغفار، واسْتَعينوا على قضاء حَوائجكم بالكِتمان.

وقال: أفضل الأصحاب من إذا ذَكَرْت أعانك، وإذا نَسيت ذَكَّرك.

(١) فى بعض الأصول: «ولا وكيئا». مكان: «ولا يحل وكاء».
(٢) فى بعض الأصول: «يكشف». وهو تحريف.

وقال : لا يُؤَم ذو سُلْطان فى سُلْطانه ، ولا يُجْلس على تَكْرِمته إلا بإذنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول ابنُ آدم مالى مالى ، وإنما له مِن ماله ما أَكل فأفْنى ، أو لَبِسَ فأَبْلَى ، أو وهب فأَمْضى .

وقال : سَتَحْرِصون على الإمارة ، فنِعمت المُرْضعة و بئست الفاطمة .

وقال : لا يَحْكم الحاكم بين اثْنَين وهو غَضْبان .

وقال : لو تَكاشَفْتم ما تَدافَنْتم[1] ، وما هَلَكَ امرؤ عرف قَدْره .

وقال : الناس كإبلٍ مائةٍ لا تكاد تَجد فيها راحلةً واحدة ، والناس كلّهم سواء كأسنان المُشْط .

وقال : رَحِم الله عبداً قال خيراً فغَنِم أو سَكَت فَسَلِم .

وقال : خَيْر المال سِكّة مَأْبورة ، ومُهْرة مَأْمورة[2] ، وخير المال عَينٌ ساهرة لِعَين نائمة[3] .

وقال فى إناث الخَيْل[4] : بُطونها كَنْز وظُهورها حِرْز .

وقال : ما أَمْلق تاجرٌ صَدُوق ، وما أَقْفر بيتٌ فيه خَلّ[5] .

وقال : قَيِّدوا العِلم بالكتابة .

---

(١) كذا فى ا ، ى والنهاية (مادة كشف) . أى لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه . والذى فى سائر الأصول : « ما تراقبتم » .

(٢) السكة : الطريقة المصطفة من النخل . والمأبورة : الملقحة . والمأمورة : الكثيرة النسل والنتاج . أراد خير المال زرع أو نتاج .

(٣) عين ساهرة ، أى عين ماء تجرى ليلا ونهارا ، فجعل دوام جريها سهرا لها . ولعين نائمة ، أى لصاحبها .

(٤) كذا فى عيون الأخبار (ج ١ ص ١٥٣) . وفى ى : « وقال فى الخيل » . والذى فى سائر الأصول : « وقال معاذ فى الخيل » . وفيها تحريف ظاهر

(٥) ما أقفر بيت فيه خل ، أى لا عدم أهله الأدم .

وقال : زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا .

وقال : عَلِّق سَوْطك حيثُ يراه أهلُك .

باب فى آداب الحكماء والعلماء

منه فى فضيلة الأدب

لبعض الحكماء يوصى بنيه

أوصى بعضُ الحكماء بنيه فقال : الأدب أكرم الجواهر طبيعةً ، وأنفسها قيمةً ، يَرْفع الأحساب الوَضيعة ، ويُفيد الرَّغائب الجليلة ، ويُعِزّ بلا عشيرة ، ويُكثر الأنصار بغَيْر[1] رزيّة ، فألبَسُوه حُلّة ، وتزَيّنُوه حِلْية[2] ، يُؤنسكم فى الوَحشة ، ويجمع لكم القلوب المختلفة . ٢٧٢/١

من حكم لعلى ابن أبى طالب

ومن كلام[3] علىّ عليه السلام : فيما يُروى عنه أنه قال : مَن حَلُم ساد ، ومن ساد استفاد ، ومن استحَيا حُرم ، ومن هاب خاب ، ومَن طلب الرِّآسة صَبر على السِّياسة ؛ ومَن أبصر عَيْب نفسه عَمِىَ عن[4] عَيب غيره ، ومَن سلّ سيف البَغْى قُتل به ، ومن احتَفر لأخيه بئراً وقَع فيها ، ومَن نَسى زَلّته استعظم زلّة غيره ، ومن هتَك حِجاب غيره انهتكت عورات بَيته ، ومن كابر فى الأمور عَطِب ، ومن اقتحم اللُّجج غَرِق ، ومن أُعجب برأيه ضَلّ ، ومن استغنى بعَقله زلّ ، ومن تَجبّر على الناس ذَلّ ، ومن تَعمّق فى العَمَل مَلّ ؛ ومَن صاحَب الأنذال حُقِّر ، ومن جالس العلماء وُقِّر ؛ ومن دَخل مَداخل السَّوء اتُّهم ؛ ومَن

(١) بغير رزية ، أى بغير أن يرزءوك شيئا تتكلفه لهم كفاء نصرهم إياك .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « خلة » .
(٣) ورد كلام علىّ هذا فى ى بعنوان : « ومن كلام على عليه السلام » . وقدم فيها على « باب فى آداب الحكماء والعلماء » .
(٤) فى ى : « اشتغل » . مكان « عمى » .

حَسُنَ خُلقه ، سَهُلَت له طُرُقه ؛ ومن حَسَّنَ كلامه ، كانت الْهَيْبة أمامَه ؛ ومَن خَشِى الله فاز ؛ ومَن استقاد الجَهْل ، تَرَك طَرِيق العَدْل ؛ ومَن عرف أجَلَه ، قصَّر أمله ؛ ثم أنشأ يقول :

البَسْ أخاكَ على عُيوبه وأسْتُر وغَطّ على ذُنوبه
واصْبِر على بَهْتِ السَّفِيـه وللزَّمان على خُطوبه
ودَع الجوابَ تفضُّـلاً وكِلِ الظلومَ إلى حَسِيبه

لشبيب فى الحث على طلب الأدب

وقال شَبِيب بن شَيبة : اطلُبوا الأدب فإنّه مادَّة للعَقْل ؛ ودليل على المُروءة ، وصاحب فى الغُربة ، ومُؤنس فى الوَحشة ، وحِلْية[1] فى المَجْلِس ، [ويجمع لكم القلوب المختلفة] .

من عبدالملك لبنيه فى مثل ما سبق

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان لبَنِيه : عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً ، وإن اسْتَغنيتم عنه كان لكم جمالا .

فى جاه المال وجاه الأدب

وقال بعضُ الحكماء : اعلم أن جاهاً بالمال إنما يَصْحبك ما صَحِبَكَ المال ، وجاهاً بالأدب غيرُ زائل عنك .

لابن المقفع فى معنى ما سبق

وقال ابن المقفَّع : إذا أكرمكَ الناسُ لمالٍ أو لسُلطانٍ فلا يُعْجِبك ذلك ، فإنّ الكرامة تزُول بزوالها ، ولكن ليُعْجبك إذا أكرموك لدِين أو أدب .

للأحنف بن قيس

وقال الأحْنَف بن قَيس : رأسُ الأدب المَنْطِق ، ولا خَيْر فى قوْل إلاّ بفِعْل ، ولا فى مال إلا بجُود ، ولا فى صَدِيق إلا بوَفاء ، ولا فى فِقْه إلا بوَرَع ، ولا فى صدق إلا بنِيّة .

لمصقلة فيما لا يستغنى عنه الأديب

وقال مَصْقلة الزُّبيرى[2] : لا يَستغنى الأديب عن ثلاثة واثنين ؛ فأما الثلاثة :

(١) فى بعض الأصول : « وصلة » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا و ى . والذى فى سائر الأصول : « مطلقة الزبيدى » .

فالبلاغة والفصاحة وحُسن العِبارة ؛ وأما الاثنان ، فالعِلْم بالأثَر والحِفْظ للخَبر .

فيما يحتاج إليه الحسب والمعرفة

وقالوا : الحَسَب مُحتاج إلى الأدب ، والمعرفة محتاجة إلى التَّجربة .

لبزرجمهر فى خير ما يورث عن الآباء

وقال بُزُرْجَمْهر : ما وَرَّثت الآباء الأبناء شيئاً خيراً من الأدب ، لأنَّ بالأدب يَكْسِبون المال ، وبالجهل يُتْلِفونه .

للفضيل بن عياض فى رأس الأدب

وقال الفُضَيل بن عِياض : رأسُ الأدب مَعْرفه الرجل قَدْره .

فى حسن الخلق والأدب والتوفيق

وقالوا : حُسْن الخُلق خَيْر قَرِين ، والأدب خَير ميراث ، والتّوفيق خير قائد .

سفيان الثورى

وقال سُفيان الثَّورى : مَن عَرَف نفسَه لم يَضِرْه ما قال الناس فيه .

بين أنو شروان والموبذ

وقال أنو شِرْوان للمُوبَذ ، وهو العالم (بالفارسيّة) : ما كان أفضلُ الأشياء ؟ قال : الطَّبيعة النقيّة تَكْتَفى من الأدب بالرائحة ، ومن العِلْم بالإشارة ، وكما يموت البَذْر فى السِّباخ[1] ، كذلك تموت الحِكْمة بمَوْت الطبيعة ، قال له : صدقتَ ، ونحن لهذا قلّدناك ما قلّدناك .

لأردشير فى المفاضلة بين الأدب والطبيعة

وقيل لأَرْدَشِير : الأدبُ أغلبُ أم الطَّبيعة ؟ فقال : الأدب زِيادة فى العَقل ، ومَنْبهة للرأى ، ومَكْسبة للصواب ، والطَّبيعة أملك ، لأن بها الاعتقاد[2] ، ونَماء[3] الفِراسة ، وتَمام الغِذاء .

لبعض الحكماء فى الأدب المكتسب

وقيل لبعض الحُكَماء : أىّ شىء أعونُ للعقل بعد الطَّبيعة المَولودة ؟ قال : أدب مُكْتسب .

---

(١) السباخ : جمع سبخة (محركة ومسكنة) وهى أرض ذات نز وملح .

(٢) كذا فى الأصول . ولعلها محرفة عن « الافتقاد » بمعنى تعهد الشىء والقيام عليه ؛ أو « الاعتضاد » .

(٣) كذا فى ا و ى . والذى فى سائر الأصول : « وبها الفراسة » . وفيها تحريف ظاهر .

فى أنواع الأدب

وقالوا : الأدب أدَبان : أدبُ الغَريزة وهو الأصل ، وأدب الرِّواية وهو
٢٧٣/١ الفَرْع ، ولا يتفرَّع شىء إلا عن أصله ، ولا يَنْمى الأصل إلا باتصال المادة .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

[ولم أرَ فَرْعًا طال إلا بأصْلِه ولم أرَ بَدْء العِلْمِ إلا تعَلُّمَا

وقال حَبيب] :

وما السيفُ إلاّ زُبْرَةٌ(١) لو تركتَه على الحالة(٢) الأولى لما كان يَقْطعُ

وقال آخر :

ما وَهب الله لامرئٍ هِبةً أفضلَ من عَقْله ومن أدبِهْ
هُما حياةُ الفَتى فإن فَقدَا فإنّ فَقْدَ الحَياة أحسنُ به

لابن عباس فيما يحتاج إليه من الدين والأدب

وقال ابن عبّاس : كَفاك من عِلْمِ الدّين أن تَعرِف ما لا يَسعك جهلُه ، وكفاكَ من عِلْمِ الأدب أن ترْوى الشاهد والمثالَ .

لابن قتيبة فى الأديب والعالم

قال ابن قُتيبة : إذا أردتَ أن تكون [عالما فاطلب فنًّا واحداً ، وإذا أردتَ أن] تكون أديبًا فتفنَّن فى العلوم .

للحكماء فى الرجل يكون قدوة لأهله وولده

وقالت الحُكماء : إذا كان الرجل طاهرَ الأثواب ، كثيرَ الآداب ، حسنَ المذْهب ، تأدَّب بأدبه وصَلُح لصلاحه جميع أهله وولده . قال الشاعر :

رأيتُ صلاحَ المَرْء يُصْلِح أهلَه ويُفسدهم ربُّ(٣) الفَساد إذا فَسَدْ

---

(١) كذا فى ا ، ى والديوان . والزبرة : القطعة من الحديد . والذى فى سائر الأصول : « زهرة » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى ا ، ى والديوان . والذى فى سائر الأصول : « الحلفة » . ولعلها مصحفة عن « الخلقة » بالخاء المعجمة .

(٣) فى ا ، ى . « ويعديهم داء » .

يُعظَّمُ فى الدنيا لِفَضْل صَلاحه ويُحْفَظ بعد الموت فى الأهْل والوَلد

لديجانس فى أحمد الخصال عاقبة

وسُئل ديُوجانِس : أى الخِصال أحمدُ عاقبة ؟ قال : الإيمانُ بالله عزّ وجلّ ، وبِرّ الوالدين ، ومحبّة العُلماء ، وقبولُ الأدب .

للنبى صلى الله عليه وسلم فيما يفيد الأدب العقل

رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَن لا أدب له لا عقل له .

وقالوا : الأدب يَزيدُ العاقلَ فضلاً ونباهة ، ويُفيده رقّة وظَرفاً .

وفى رقة الأدب

من أدب العباس وقد سئل عن سنه وسن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال أبو بكر بن أبى شَيْبَة : قيل للعبّاس بن عبد المطّلب : أنت أكبرُ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو أكبر منّى وأنا أسنّ منه .

لأبى وائل وقد سئل عن سنه وسن الربيع بن خثيم

وقيل لأبى وائل : أيكما أكبر ، أنتَ أم الرّبيع بن خُثَيم (١) ؟ قال : أنا أكبر منه سنًّا ، وهو أكبر منّى عقلاً .

بين أبان بن عثمان وطويس فى مثل ما تقدم

وقال أبان بنُ عثمان لطُويس المغنّى : أنا أكبر أم أنت ؟ قال : جُعلتُ فداك ، لقد شَهِدْتُ زفاف أمك المُبارَكة [على أبيك الطيّب . انظر إلى حِذْقه ورقّة أدبه كيف لم يَقُل أُمك الطيبة إلى أبيك المبارك] .

لعمر بن ذر فى أدب ابنه معه

وقيل لعُمر بن ذَرّ : كيف برّ ابنك بك ؟ قال : ما مَشَيت نهاراً قطُّ إلا مَشى خَلْفى ، ولا ليلاً إلا مَشى أمامى ، ولا رَقى عِلّية وأنا تحته .

لعائشة فى تبجيل النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس

ومن حديث عائشة ، قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبجِّل أحداً تبجيلَه لعمّه العبّاس .

(١) فى الأصول : « خيثم » . وهو تحريف . (انظر الطبقات وتهذيب التهذيب والمعارف لابن قتيبة والاشتقاق لابن دريد) .

تبجيل عمر وعثمان للعباس

وكان عمر وعثمان إذا لَقِيا العبّاس نزَلا إعظاماً له ، إذا كانا راكبَيْن .

الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : هذا منزِلُك ؟

وقد تقدم هذا الخبر فى الخبر الذى فيه مخاطبة الملوك[1] ، وكذلك قول الحجّاج للشعبىّ : كم عَطاؤك[2] ؟

شعر للمؤلف فى رقة الأدب

ومن قولنا فى رقة الأدب :

أدبٌ كمثْل الماء لو أفرغتَه ... يوما لسال كما يَسيلُ الماء

مثل من أدب على بن يحيى وإسحاق ابن إبراهيم وإبراهيم بن المهدى

أحمد بن أبى طاهر قال : قلتُ لعلىّ بن يحيى ، ما رأيتُ أكملَ أدبا منك ؛ قال : كيف لو رأيتَ إسحاق بن إبراهيم ؟ فقلتُ ذلك لإسحاق بن إبراهيم ؛ قال : كيف لو رأيتَ إبراهيم بن المهدىّ ؟ فقلتُ ذلك لإبراهيم ؛ فقال : كيف لو رأيت جعفر بن يحيى ؟

مثل من رقة أدب عمر بن عبد العزيز

وقال عبدُ العزيز بن عُمر بن عبد العزيز : قال لى رَجاء بن حَيْوة : ما رأيتُ أكرمَ أدبا ولا أكرم عِشْرَةً من أبيك ، سَمَرتُ عنده ليلة ، فبينا نحن كذلك إذ عَشى المصباحُ ونام الغلام ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد عَشى المصباح ونام الغلام ، فلو أذنتَ لى أصلحتُه ؛ فقال : إنه ليس من مروءة الرجل أن يَسْتخدم ضيفَه ، ثم حطّ رداءه عن مَنْكِبيه ، وقام إلى الدَّبَّة[3] فصبّ من الزيت فى المصباح وأشْخص الفَتيلة ، ثم رَجع [وأخذ رداءه وقال : قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر .

(١) انظر هذا الخبر (ص ١٢٩ من هذا الجزء) .

(٢) ورد هذا الخبر الثانى فى ى هنا كاملا . وانظره (ص ١٢٥ من هذا الجزء) .

(٣) الدبة : ظرف للزيت .

عمر بن الخطاب وجرير بن عبد الله ورجل صوت فى المسجد

العتبى عن أبيه قال : صوّت رجل عند عمر بن الخطاب فى المسجد ، فلما كانت الصلاة قال عمر : عَزَمتُ على صاحب الصوت إلا قام فتوضأ] ؛ فلم يَقُم أحدٌ . فقال جريرُ بن عبد الله : ياأميرَ المؤمنين ، اعزم علينا كلّنا أن نقوم فنتوضأ ؛ قال : صدقتَ ، ولا عَلِمْتُك إلا سيدا فى الجاهلية ، فقيها فى الإسلام ، قُوموا فتوضئوا[١] .

مثل من أدب الحسن مع عثمان الشحام

٢٧٤/١ الرياشى عن الأصمعى قال : حدّثنى عثمان[٢] الشحّام ، قال : قلتُ للحسن : يا أبا سعيد ، قال : لبَّيك ؛ قلتُ : أتقول لى لبَّيك ؟ قال : إنى أقولها لخادمى .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر[٣] :

يا حبّذا حين تُمسى الريحُ باردةً وادِى أُشَيٍّ[٤] وفِتْيانٌ به هُضُمُ[٥]
مُخَدَّمون كِرامٌ فى مجالسهم وفى الرِّحال إذا جرَّبْتَهم[٦] خَدَم
وما أُصاحب من قوم فأذْكُرهم[٧] إلا يَزِيدُهم حُبّـا إلىَّ هُمُ

(١) ورد هذا الخبر فى عيون الأخبار (ج ١ ص ٣٣٥) وفيه بعض الاختلاف .
(٢) فى ى : « عمر » .
(٣) نسب هذا الشعر فى معجم البلدان عند الكلام على « أشى » وفى لسان العرب (مادتى هضم وأشى) لزياد بن منقذ التميمى ، أخو المرار . ونسب فى الشعر والشعراء للمرار بن منقذ .
(٤) كذا فى ا ، ى ولسان العرب (مادتى أشى وهضم) ومعجم البلدان . ووادى أشى : موضع بالوشم باليمامة . والذى فى سائر الأصول : « زدى انس » . وهو تحريف .
(٥) هضم : جمع هضيم ، وهو الضامر اللطيف الكشح . يعنى أنهم يجودون فى وقت الجدب وضيق العيش ، وأضيق ما كان عيشهم فى زمن الشتاء .
(٦) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول . « رافقتهم » . والذى فى الشعر والشعراء : « لاقيتهم » .
(٧) رواية هذا الشطر فى معجم البلدان :
لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم

الأدب فى الحديث والاستماع

للحكماء فى رأس الأدب

وقالت الحُكماء : رأسُ الأدب كلِّه حُسنُ الفَهم والتفهّم والإصغاء للمتكلِّم .

للشعبى فى قوم

وذكر الشّعبى قوما فقال : ما رأيتُ مثلَهم أسدَّ تناوبًا[1] فى مجلس ، ولا أحسن فهما من مُحدِّث .

للشعبى فى وصف عبد الملك

وقال الشعبى ، فيما يَصِف به عبدَ الملك بن مروان : والله ما علمتُه إلا آخذًا بثلاث ، تاركا لثلاث آخذًا بحُسن الحديث إذا حَدَّث ، وبحُسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيْسر المؤونة إذا خُولف ، تاركا لمجاوبة اللئيم ، ومماراة السَّفيه ، ومُنازعة اللجُوج .

لبعض الحكماء يوصى ابنه

وقال بعض الحُكماء لابنه : يا بُنى ، تعلَّم حُسن الاستماع كما تتعلّم حُسن الحديث ، وليعلم الناسُ أنك أحرصُ على أن تَسمع منك على أن تقول ، فاحذرْ أن تُسرع فى القَوْل فيما تُحِبّ عنه الرُّجوع بالفِعْل ، حتى يعلم الناسُ أنك على فِعْل ما لم تَقُل أقربُ منك إلى قَوْل ما لم تَفْعل .

من حسن الأدب فى الحديث

وقالوا : من حُسن الأدب أن لا تُغالب أحدًا على كلامه ، وإذا سُئِل غيرُك فلا تُجِب عنه ، وإذا حَدَّث بحديث فلا تُنازعه إياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا تُره أنك تعلمه ، وإذا كلّمت صاحبك فأخذته حُجّتك فحسِّن مخرج ذلك عليه ، ولا تُظهر الظَّفر به ، وتعلَّم حُسنَ الاستماع ، كما تعلم حُسنَ الكلام .

للحسن البصرى

وقال الحسنُ البَصرىّ : حَدِّثوا الناسَ ما أقبلوا عليكم بوجُوههم .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . يريد : تناوب الحديث . والذى فى ا ، ى : « تنابذا »

لأبى عباد الكاتب فيما يعامل به سيئ الاستماع

وقال أبو عبّاد [الكاتب] : إذا أنكر المتكلّم عين[١] السامع فليسأله عن مَقاطع حديثه ، والسبَب الذى أجرى[٢] ذلك له ؛ فإن وَجده يقف على الحق[٣] أتم له الحديث ، وإلّا قطعه عنه وحَرمه مؤانسته ، وعرّفه ما فى سُوء الاستماع من الفُسُولة[٤] والحِرْمان للفائدة .

الأدب فى المجالسة

للنبى صلى الله عليه وسلم فى توسيع الجالس للقادم

ومن حديث أبى بكر بن أبى شَيْبة : أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال : لا يَقم الرجلُ [للرجل] عن مجلسه ولكن لِيُوسِّع له .

لعبد الله بن عمر فى مثل ذلك

وكان عبدُ الله بن عمر إذا قام له الرجلُ عن مجلسه لم يجلس فيه ؛ وقال : لا يقم أحد لأحد عن مجلسه ، ولكن افسَحوا يَفسح الله لكم .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى النهى عن القيام للقادم

أبو أمامة قال : خرج إلينا النبىُّ صلى الله عليه وسلم فقمنا إليه ؛ فقال : لا تقوموا كما يقوم العجم لعُظمائها . فما قام إليه أحد منّا بعد ذلك .

ومن حديث ابن عمر : أن النبى صلى الله عليه وسلّم قال : إن خرجتُ عليكم وأنتم جُلوس فلا يقومنّ أحدٌ منكم فى وجهى ، وإن قمت فكما أنتم ، وإن جلست فكما أنتم ، فإنّ ذلك خُلق من أخلاق المشركين .

وقال صلى الله عليه وسلم : الرّجل أحقُّ بصَدْر دابّته وصَدْر مجلسه وصَدْر فراشه ، ومن قام عن مجلسه وَرَجع إليه فهو أحقّ به .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى استئذان الجليس

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا جلس إليك أحدٌ فلا تَقم حتى تستأذنه .

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « مخبر » .
(٢) أجرى ذلك ، أى أجرى ذلك الحديث له .
(٣) فى بعض الأصول : « عليه » مكان « على الحق » .
(٤) الفسولة : عدم المروءة .

من أدب الحسن مع جليس له

وجلس رجلٌ إلى الحسن بن علىّ عليهما الرِّضوانُ ، فقال له : إنك جلستَ إلينا ، ونحن نريد القيام ؛ أتأذَنُ ؟

من أدب سعيد ابن العاص مع جليسه

وقال سعيدُ بنُ العاص : ما مددتُ رجْلى قطُّ بين يدَى جليسى ، ولا قمتُ [عن مجلسى] حتى يقوم .

لإبراهيم النخعى فى أدب المجلس

وقال إبراهيمُ النَّخَعىّ : إذا دخل أحدُكم بيتاً فَلْيَجْلس حيثُ أجلسه أهلُه .

من أبى قلابة وجليس رد عليه وسادة

وطَرح أبو قِلابة لِرَجُل جَلَس إليه وسادةً فردّها ؛ فقال : أَمَا سمِعتَ الحديثَ : لا تَرُدَّ على أخيك كرامته ؟

لعلى بن أبى طالب فيمن يأبى الكرامة

٢٧٥/١ وقال علىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه : لا يأبى الكرامةَ إلا حِمار .

لسعيد بن العاص فى حق الجليس على جليسه

وقال سَعيد بنُ العاص : لجليسى عَلَىَّ ثلاثٌ : إذا دنا رَحَّبْتُ به ، وإذا جَلَس وَسَّعتُ له ، وإذا حَدَّث أقبلْتُ عليه . وقال : إنى لأَكره[1] أن يمرّ الذُّباب بجليسى مخافةَ أن يُؤْذِيه .

من أدب الأحنف ابن قيس فى مجلس معاوية

الهيثمُ بن عدىّ [عن عامر الشّعبى] قال : دَخل الأحنفُ بنُ قيس على مُعاوية فأشار إليه إلى وِسادة فلم يجْلس عليها ، فقال له : ما منَعك يا أحنف أن تَجْلِس على الوسادة ؟ فقال : يا أمير المُؤمنين ، إنَّ فيما أوصى به قَيسُ بن عاصم ولدَه أن قال : لا تَسْع للسُّلطان[2] حتى يَملّك ، ولا تَقطعه حتى يَنساك ، ولا تَجْلِس له على فراش ولا وِسادة ، واجعل بَينك وبينه مَجْلِسَ رجل أو رجلين[3] .

(١) كذا فى ا ، ى : والذى فى سائر الأصول « لأعاف » .

(٢) فى ا ، ى : « لا تغش السلطان » .

(٣) وردت هذه القصة فى بعض المراجع وفيها زيادة على ما هنا بعد قوله « أو رجلين » : « فإنه ربما أتى من هو أولى منك بهذا المجلس فتقام ، فيكون قيامك هذا زيادة له ونقصا عليك ، حسبى بهذا المجلس يا أمير المؤمنين » .

الحسن فى التعارف بين الجليسين

وقال الحسنُ : مُجالسةُ الرّجل من غير أن يُسأل عن اسمه واسم أبيه مُجالسةُ النَّوْكى .

بين شبيب بن شبة وأبى جعفر فى معنى ما سبق

ولذلك قال شَبيب بن شَيْبة لأبى جعفر ، ولَقِيه فى الطَّواف وهو لا يَعرفه ، فأعجبه حُسن هَيْئته وسَمته : أصلحك الله ، إنى أحب المعرفةَ ، وأُجلّك عن المسألة[1] ؛ فقال : أنا فُلان بنُ فلان .

من وصايا زياد فى أدب المجلس

قال زياد : ما أتيتُ مجلساً قطّ إلا تركتُ منه ما لو جلستُ فيه لكان لى ، وتَرْكُ ما لى أحبُّ إلىَّ من أخذ ما ليس لى .

وقال : إيّاكَ وصُدورَ المَجالس وإن صَدَّرك صاحبُها ، فإنها مجالس قُلْعَة[2] .

الشعبى

وقال [الشعبى] : لأن أُدْعَى مِن بُعْد إلى قُرْب أحبُّ إلىَّ من أُقصى من قُرْب إلى بُعد .

تأديب عبد الله لأبى السمراء فى مجلس

وذكروا أنه كان يوما أبو السَّمراء عند عبد الله بن طاهر ، وعنده إسحاقُ ابن إبراهيم ، فاستدنَى عبدُ الله[3] إسحاقَ فناجاه بشىء ، وطالت النَّجوى بينهما . قال : فاعترَتْنى حَيْرَةٌ فيما بين القُعود على ما هما عليه والقيام ، حتى انقطع ما بينهما وتنحَّى إسحاق إلى مَوْقفه ، ونظر عبدُ الله إلىّ ، فقال : [يا أبا السَّمراء]

إذا النَّجيَّانِ سَرّا عنك أمرَهما   فارزَحْ[4] بِسَمْعك تَجْهلْ ما يَقُولانِ
ولا تُحَمِّلْهما ثِقْلاً لخوفهما   على تَناجيهما بالمجلس الدّانى

فما رأيتُ أكرَم منه ، ولا أرفق أدبا ، ترك مُطالبتى فى هَفْوتى بحق الأمراء ، وأدّبنى أدبَ النُّظراء .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى التناصح بين الإخوان

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إنما أحدُكم مِرآة أخيه ، فإذا رأى

(١) فى ى : « السؤال » . (٢) أى لا يثبت صاحبها فيها .
(٣) فى الأصول : « عبد الله بن إسحاق » . وظاهر أن كلمة « بن » مقحمة .
(٤) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « فابرح » .

عليه أذًى فَلْيُمِطْه عنه ، وإذا أخذ أحدُكم على أخيه شيئاً فليقل : لا بك السُّوء ، وصَرَف الله عنك السُّوء .

في اجتماع الحرمتين للمهلب في الجليس الممتع

وقالوا : إذا اجتمعت حُرْمتان ، أسقطت الكبرى الصُّغرى :

وقال المُهلَّب بن أبى صُفرة : العيشُ كلّه فى الجَليس المُمْتع .

الأدب فى المماشاة

بين هشام بن عبد الملك وولده وابن أخ له في معنى هذا العنوان

وَجَّه هِشامُ بن عبد الملك ابنَه على الصّائفة ، ووجَّه معه ابنَ أخيه ، وأوصى كلَّ واحد منهما بصاحبه ؛ فلما قَدِما عليه ، قال لابن أخيه : كيف رأيتَ ابنَ عمّك ؟ فقال : إن شئتَ أجملتُ ، وإن شئتَ فسّرْتُ ؛ قال : بل أجمل ؛ قال : عرضتْ بيننا جادَّة فتركها كلٌّ واحدٍ منّا لصاحبه ، فما رَكِبناها حتى رَجِعنا إليك .

بين المأمون ويحيى بن أكثم في بستان مؤنسة

وقال يحيى بن أكثم : ما شيتُ المأمون يوماً من الأيام فى بُستان مُؤْنسة بنت المَهدىّ ، فكنتُ من الجانب الذى يَستُره من الشَّمس ، فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع ، وأردتُ أن أدور إلى الجانب الذى يَسْتُره من الشمس ، فقال : لا تفعل ، ولكن كُنْ بحالك حتى أسترك كما سَتَرْتنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو قدرتُ أن أقيك حرَّ النار لفعلتُ فكيف الشمسُ ؟ فقال : ليس هذا من كرم الصُّحبة ، ومَشى ساتراً لى من الشَّمس كما سترتُه .

لعمر بن ذر في بر ابنه به

وقيل لعُمَر بن ذرّ : كيف برُّ ابنك بك ؟ قال : مامشيتُ نهاراً قط إلامَشى خَلفى ، ولا ليلاً إلا مشى أمامى ، ولا رَقِى سَطحاً وأنا تحته .

لزياد في وصف حارثة بن بدر

وقيل لزياد : إنك تَستخلص حارثة بن بَدْر[1] وهو يُواقع الشَّراب ؛ فقال :

---

(١) كذا فى ا ، ى هنا وفيما سيأتى فى جميع الأصول عند الكلام على « من صحب من ليس من نظرائه » . والذى فى سائر الأصول هنا : « حارثة بن زيد » . وهو تحريف . (انظر الكامل والاشتقاق لابن دريد) .

وكيف لا أستخلصه وما سألته عن شيء قط إلا وجدتُ عنده منه عِلما ، ولا استودعتُه سِرًّا قطُّ فضيّعه ، ولا راكبنى قطُّ فسبَّت رُكبتى رُكبته .

بين موسى الهادى ومحمد بن يزيد ابن عمر فى سفر

٢٧٦ / ١ محمد بن يزيد بن عُمر بن عبد العزيز قال : خرجتُ مع موسى الهادى أمير المُؤمنين من جُرجان ؛ فقال لى : إمّا أن تحملنى ، وإمّا أن أحملك ، فعلمتُ ما أراد ، فأنشدته أبياتَ ابن صِرْمة[1] :

أُوصيكم باللهِ أولَ وَهْـلةٍ ... وأحسابكم والبرُّ بالله أوّلُ
وإنْ قومُكم سادُوا فلا تَحْسُدوهم ... وإن كُنتم أهلَ السّيادة فاعْدِلوا
وإن أنتمُ أعْوَزْتمُ فتعفَّفُوا ... وإن كان فضلُ المال فيكم فأفضِلوا
وإنْ نزلتْ إحدى الدّواهى بقَوْمكم ... فأنفُسَكم دون العَشيرة فاجعلوا
وإنْ طلبوا عُرْفًا فلا تحرموهمُ ... وما حمَّلوكم فى المُلمّات فاحملوا

قال : فأمر لى بعشرين ألف دِرْهم .

بين موسى الهادى وسعيد بن سلم وعبد الله بن مالك

وقيل : إن سعيد بن سَلْم[2] راكب موسى الهادى ، والحَرْبةُ بيد عبد الله بن مالك ، وكانت الريح تَسْفى التراب ، وعبدُ الله يَلْحظ موضع مَسير مُوسى ، فيتكلّف أن يسير على مُحاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبلَ على سَعيد بن سَلْم ، فقال : أما ترى ما نَلقى[3] من هذا الخائن ؟ قال : والله يا أميرَ المؤمنين ما قصّر فى الاجتهاد ، ولكن حُرِم التوفيق .

---

(١) انظر الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٢٦٦) . فقد تقدم بعض هذه الأبيات ومعها تعريف بابن صرمة .

(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « سالم » وهو تحريف . (انظر المعارف لابن قتيبة والجزء الأول من هذه الطبعة ص ٣٢٩) .

(٣) فى ى . « ما بلق » مكان « ما تلق من » .

باب السلام والإذن

للنبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا العنوان

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أطِيبوا الـكلام ، وأفْشُوا السلام ، وأطعِموا الأيتام ، وَصَلُّوا بالليل والناسُ نيام .

وقال صلى الله عليه وسلم : إنّ أبخل الناس الذى يَبخل بالسلام .

النبى صلى الله عليه وسلم يعلم رجلا السلام

وأتى رجلٌ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : عليك السلامُ يا رسول الله ؛ فقال : لا تقُل : عليك السلام ، فإنها تحيَّةُ الموتى ، وقل : السّلام عليك .

عمر بن عبد العزيز وجماعة قاموا إليه ليسلموا عليه

وقال صاحبُ حَرَس عمر بن عبد العزيز : خرج علينا عمرُ فى يوم عِيد وعليه قميصُ كَتّان وعِمامة على قلنسوة لاطئة ، فقُمْنا[1] إليه وسلّمنا عليه ؛ فقال : مَه ، أنا واحدٌ وأنتم جماعة ، السلامُ علىّ والردُّ عليكم . ثم سلّم ورَددنا عليه ومشى ، فمشينا معه إلى المسجد .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى آداب السلام

قال النبىّ صلى الله عليه وسلّم : يُسلّمُ الماشى على القاعد ، والرّاكب على الراجل ، والصّغير على الـكبير .

بين النبى صلى الله عليه وسلم ورجل حمل إليه سلام أبيه

ودخل رجلٌ على النبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال له : أبى يُقرِئك السلام ؛ فقال : عليك وعلى أبيك السلام .

بين الأسود وعبد الله بن مسعود وعمر فى مثل ما تقدم

إبراهيم عن[2] الأسود قال قال [لى] عبدُ الله بن مسعود : إذا لقيتَ عُمَرَ فاقرأ عليه السلام[3] . قال : فلقيتهُ فأقرأْته السلام ؛ فقال : عليك وعليه السلام .

بين سليمان بن هشام وميمون ابن مهران

دخل مَيْمون بن مِهْران على سُليمان بن هِشام ، وهو والى الجزيرة ، فقال :

---

(١) فى بعض الأصول : « قمت ... وسلمت » . وهو تحريف .

(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : إبراهيم بن الأسود » .

(٣) فى ا ، ى : « فأقرئه السلام » .

السلام عليكم ؛ فقال له سليمان : ما منعك أن تُسَلِّم بالإمرة ؟ فقال : إنما يُسلَّم على الوالى بالإمرة إذا كان عنده الناس .

ما كان يكرهه الحسن وإبراهيم وميمون بن مهران فى تقديم التحية

أبو بكر بن أبى شَيْبة قال : كان الحَسن وإبراهيم ومَيمون بن مِهران يَكرهون أن يقول الرجلُ : حيَّاكَ الله حتى يقول السَّلام .

لعبد الله بن عمر فيما يقال عند دخول المكان ليس فيه أحد

وسُئل عبد الله بن عُمر عن الرجل يَدْخل المَسجدَ أو البيتَ ليس فيه أحد ؛ قال يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

إباء النبى صلى الله عليه وسلم رد السلام وقت قضاء الحاجة

ومرّ رجل بالنبىّ صلّى الله عليه وسلم وهو يبول ، فسلّم عليه ، فلم يرد عليه السلام .

لعائشة فى الرد على سائل عن حالها

وقال رجلٌ لعائشة [رضى الله عنها] : كيف أصبحت [يا أم المؤمنين] ؟ قالت : بنِعْمة من الله .

بين شريح ورجل فى مثله

وقال رجل لشُرَيح : كيف أصبحتَ ؟ [قال : بنعمة ، ومَدَّ إصبعه السَّبابة إلى السماء .

بين محمد بن وكيع وآخر فى مثله

وقيل لمحمد بن وكيع : كيف أصبحت ؟] قال : أصبحتُ طويلاً أملى ، قصيراً أجلى ، سيئاً عملى .

بين سفيان الثورى وآخر فى مثل ذلك

وقيل لسُفْيان الثَّوْرىّ : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحتُ فى دار حارتْ فيها الأدِلاَّء .

بين النبى صلى الله عليه وسلم ورجل فى أدب الاستئذان

واستأذن رجلٌ من بنى عامر على النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت ، فقال : أَلِجُ ؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرُج إلى هذا فعَلِّمه الاستئذان ، وقُل له يقول : السَّلام عليكم ، أَدْخُل ؟ ٢٧٧ / ١

بين النبى صلى الله عليه وسلم و جابر ابن عبد الله فى مثل ما تقدم

جابر بن عبد الله قال : استأذنتُ على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَن أنت ؟ فقلت : أنا ؛ قال : أنا أنا(١) .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى عدد الاستئذان

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثة ، فإن أُذن لك وإلا فارجع .

لعلى بن أبى طالب فى مراتب الإذن

وقال علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الأولى إذْن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عزيمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يردّوا .

باب فى تأديب الصغير

للحكماء فى معنى هذا العنوان

قالت الحُكماء : مَن أدّب ولدَه صغيراً سُرّ به كبيراً .

لبعضهم فى مثله

وقالوا : اطْبَعِ الطِّين ما كان رَطْبا ، واغمِزِ العُود ما كان لَدْنا .

وقالوا : مَن أدّب ولدَه غمّ حاسدَه .

لابن عباس فى فضل التأديب فى الصغر

وقال ابنُ عبّاس : مَن لم يَجْلِس فى الصِّغر حيثُ يَكْره لم يَجْلِس فى الكِبَر حيثُ يُحبّ .

لبعض الشعراء فى مثله

قال الشاعر :

إذا المرء أعْيَتْه المُروءةُ ناشِئاً فمَطْلَبُها كَهْلاً عليه شديدُ

فى صعوبة رياضة الكبير

وقالوا : ما أشدَّ فِطامَ الكبير وأعسرَ رياضةَ الهَرم .

لبعض الشعراء فى معنى ما سبق

قال الشاعر :

وترُوض عِرْسَك بعد ما هَرِمت ومِنَ العَناء رياضةُ الهَرِمِ

شعر شريح إلى معلم ولده يوصيه به

وكتب شُرَيح إلى معلّم ولده :

تَرَكَ الصلاةَ لأكْلُبٍ يَسعى بها يَبْغِى الهِرَاشَ مع الغُواة الرُّجَّسِ

(١) «أنا» الثانية تأكيد لسابقتها كأنه كرهها . (انظر شرح البخارى ج ٩ س ١٧٣) .

[فَلَيأتِينَّكَ غُـدوةً بصحيفة كُتِبَت له كصحيفة المُتَلمِّس[(١)]]
فإذا أتاكَ فَعَضَّـــه بملامة وعِظَنْه مَوْعِظة الأديب الكَيِّس
فإذا هَمَمْتَ بضَرْبه فبـدِرَّةٍ وإذا بلغتَ بها ثلاثاً[(٢)] فاحْبِس
واعلم بأنك ما أتيتَ فنفسُــه مع ما تُجرِّعنى أعزُّ الأنفس

شعر لصالح بن عبد القدوس فى التأديب فى الصغر

وقال صالح بن عبد القدّوس :

وإنّ مَن أدّبتَــه فى الصِّبا كالعُود يُسقَى الماء فى غَرْسِه
حتى تَراه مُــــورِقاً ناضِراً بَعد الذى أبصرتَ من يُبْسِه
والشَّــيخُ لا يَترُك أخلاقَه حتى يُوارَى فى ثَرى رَمْسِــه
إذا ارْعوى عادَ له جَهْــلُهُ كذى الضَّنَى[(٣)] عاد إلى نُكْسِه
ما يَبْلغ الأعداء من جاهل ما يَبْلغ الجاهلُ من نَفْسِــه

من عمرو بن عتبة لمعلم ولده فيما يعلمهم إياه

وقال عمرو بن عُتبة لمعلِّم ولده[(٤)] : ليكُن أوّلَ إصلاحك لولدى إصلاحُك لنفسك ، فإنّ عُيونهم مَعْقودة بعَيْنك ، فالحَسن عندهم ما صَنعتَ ، والقبيح عندهم ما تركت . علِّمهم كتابَ الله ولا تُكرِهم عليه فيَملّوه[(٥)] ، ولا تترُكهم منه فيهجروه ؛ رَوِّهم من الحديث أشرفَه ، ومن الشعر أعفَّه ، ولا تَنقُلهم من عِلم إلى علم حتى يُحْكِموه ، فإنّ ازدحام الكلام فى القَلْب[(٦)] مَشْغلة للفهم ، وعَلِّمهم

(١) صحيفة المتلمس : تضرب لمن يحمل كتابا فيه حتفه . وذلك أن عمرو بن المنذر حمل المتلمس وطرفة كتابين إلى أحد عماله يأمره فيهما بقتلهما ؛ فأما المتلمس فعرف ما فيه فلم يذهب . وذهب طرفة بالكتاب فقتل . (انظر مايعول عليه) .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « ثلاثة لك » مكان « بها ثلاثا » .
(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « الصبا » . وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى ميزان الاعتدال للذهبى فى ترجمة صالح هذا مختلفا فى ترتيب أبياته .
(٤) فى عيون الأخبار (ج ٢ س ١٦٦) والبيان والتبيين (ج ٢ص ٣٥) : « وقال عتبة بن أبى سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده » . وفيهما غير هذا خلاف فى بعض الألفاظ فارجع إليهما . (٥) فى بعض الأصول : « ولا تملهم فيه فيتركوه » .
(٦) فى ى : «فى السمع» .

سُنَن الحكماء ، وجَنِّبهم مُحادثة النِّساء ، ولا تتَّكل على عُذْر منّى لك ، فقد اتكلتُ على كِفاية منك .

باب فى حب الولد

بين معاوية والأحنف بن قيس فى الولد

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس ، فقال : يا أبا بحر ، ما تقول فى الولد ؟ قال : [يا أمير المؤمنين] ، ثمار قُلوبنا ، وعماد ظهورنا ؛ ونحن لهم أرضٌ ذَليلة ، وسماء ظَليلة ؛ فإن طلبوا فأعْطِهم ، وإن غَضبوا فأرْضهم ؛ يمنحوك وُدّهم ، ويُحبوك جَهْدهم ؛ ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملّوا حياتك ، ويُحبُّوا وفاتك . فقال : لله أنت ٢٧٨/١ يا أحنف ، لقد دخلتَ علىّ وإنى لمملوء غَضبا على يزيدَ فسَلَلتَه من قلبى . فلما خرج الأحنفُ مِن عنده ، بعث مُعاوية إلى يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب ، فبعث يزيدُ إلى الأحنف بمائة ألف دِرْهم ومائة ثوب ، شاطره إياها[1] .

لعبد الله بن عمر فى ابنه سالم

وكان عبدُ الله بن عُمر يذهب بولده سالم كلَّ مَذهب ، حتى لامه الناسُ فيه ، فقال :

يَلُومونَنى فى سالم وألُومهم ... وجِلْدةُ بين العَيْن والأنف سالمُ

وقال : إن أبنى سالماً ليُحِبّ الله حُبًّا لو لم يَخَفْه لم يَعْصه .

ليحيى بن اليمان فى ولده داود

وكان يحيى بن اليمان يَذهب بولده داود كلَّ مَذْهب ، حتى قال يوما : أئمة الحَدِيث أربعة ، كان عبد الله ، ثم كان عَلْقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .

وقال تزوجْتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شىء ألُفّه فيه ، حتى اشتريتُ له كسوة[2] بدانِق[3] .

---

(١) فى بعض الأصول : « البعثة » « مكان إياها » . (٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « شكوة » . وهو تحريف . (٣) الدانق (كصاحب) : سدس الدرهم .

من زيد إلى ابنه

وقال زَيدُ بنُ علىّ لابنه : يا بُنىّ ، إن الله لم يَرْضك لى فأوصاك بى ، ورَضينى لك فحذَّرنيك ؛ واعلم أنّ خيرَ الآباء للأبناء مَن لم تدْعه المودّةُ إلى التّفريط ، وخيرَ الأبناء للآباء مَن لم يدْعه التّقصير إلى العُقوق .

من الحديث المرفوع فى الولد

وفى الحديث المَرْفوع : ريح الوَلد من ريح الجنَّة .

وفيه أيضاً : الأولاد من رَيْحان الله .

للنبى صلى الله عليه وسلم حين بشر بفاطمة

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم لمَّا بُشِّر بفاطمة : رَيحانة أشمّها ورِزْقها على الله .

بين معاوية وعمرو ابن العاص فى ذم البنات ومدحهن

ودخل عمرو بن العاص على مُعاوية وبين يديه بنته عائشة ، فقال : مَن هذه يا [أمير المؤمنين] ؟ فقال : هـذه تُفَّاحة القَلْب ؛ فقال له : انبذُوها عنك [يا أمير المؤمنين] فوالله إنّهن لَيلِدْنَ الأعداء ، ويُقرِّبن البُعداء ، ويُورِّثن الضّغائن . قال : لا تقُل ذاك يا عمرو ، فوالله ما مَرّض المَرْضى ، ولا ندَب الموْتى ، ولا أعان على الأحزان مِثلهن ، ورُبَّ ابن أخت قد نفعَ خاله .

شعر للمعلى الطائى فى بنياته

وقال المُعلّى الطائىّ(١) :

لولا بُنيّات كزُغْب القطا ... حُطِطْن من بعْض إلى بعْضِ(٢)
لكان لى مُضطَرَب واسعٌ ... فى الأرض ذاتِ الطُّول والعَرْض
وإنما أولادُنا بَيْننـــا ... أكبادُنا تمشى على الأرض
إنْ هبّت الريحُ على بعْضهم ... لم تَشبع العينُ من الغَمْض

لعبد الله بن أبى بكرة فى فقد الولد

وقال عبدُ الله بن أبى بَكْرة : مَوْت الوَلد صَدْع فى الكَبِد ، لا ينجبر آخرَ الأبد .

---

(١) فى ى : « ابن المعلى الطائى » . وفى شرح الحماسة : « حطان بن المعلى » . وفى عيون الأخبار (ج ٣ ص ٩٥) : « وقال أعرابى » . (٢) جاء هذا الشعر فى عيون الأخبار والحماسة والأمالى (ج ٢ ص ١٨٩) مختلفاً فى بعض ألفاظ وترتيب أبياته .

بين عمر بن الخطاب ورجل يحمل طفله

ونظر عمرُ بن الخطَّاب رضى الله عنـــه إلى رجل يحمل طِفْلاً على عُنقه ، فقال : ماهذا منك ؟ قال : ابنى يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : أمَا إنه إن عاش فَتَنَك ، وإن مات حَزَنَك .

لفاطمة وهى ترقص الحسين

وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تُرَقِّص الحُسين بن على رضى الله عنهما وتقول :

إنَّ بُنىَّ(١) شِبْه النبىّ   ليس شَبيهاً بِعَلىّ

للزبير وهو يرقص ولده عروة

وكان الزُّبير يُرَقِّص [ولده] عُرْوَة ويقول :

أبْيَضُ من آل أبى عَتِيقِ   مُبارَكٌ مِن وَلَد الصِّدِّيقِ

أَلَذُّه كما أَلَذُّ رِيقى

لبعض الأعراب وهو يرقص ولده

وقال أعرابىٌّ وهو يُرَقِّص ولده :

أُحِبُّه حُبَّ الشَّحِيح مالَهْ   قد كان ذاقَ الفَقْرَ ثم نالَهْ

إذا يُرِيد بذلَه بدالَهْ

لشاعر فى مثل ما سبق

وقال آخر وهو يُرَقِّص ولده :

أَعْرِف منه قِلَّةَ النُّعاسِ   وخِفَّةً فى رَأْسه(٢) من راسى

لامرأة من طيئ

وكان رجلٌ من طيِّئٍ يَقطع الطَّريق ، فمات وتَرَك بُنيًّا رضيعاً ، فجعلت أمه تُرَقِّصه وتقول :

٢٧٩/١ يا ليتَه قد قطع الطَّريقا   ولم يُرِد فى أمره رَفيقا

وقد أخاف الفجَّ والمضيقا   فقَلَّ أن كان به شَفِيقا

لعبد الملك يشكو تفريطه فى تربية الوليد

وقال عبدُ الملك بن مروان : أضرَّ بنا فى الوليد حُبُّنا له فلم نُؤَدِّبه ، وكأنَّ الوليدَ أَدَّبنا .

---

(١) كذا فى ا ، ى والذى فى سائر الأصول : « وأبأبى » مكان « إن بنى » .
(٢) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « من رأسه فى » .

الرشيد وبغض ابنه المعتصم الكتاب

وقال هارون الرشيد لابنه المعتصم : ما فعل وصيفك [فلان] ؟ قال : مات فاستراح من الكُتّاب ؛ قال أو بلغ منك الكتّاب هذا المبلغ ! والله لا حضرتَه أبداً ، ووجّهه إلى البادية ، فتعلّم الفصاحة ، وكان أُمّيًّا ، وهو المعروف بابن مارِدة .

إبراهيم عليه السلام وولده ملك الموت

وفى بعض الحديث أنّ إبراهيم خليل الرّحمن صلوات الله عليه كان من أغْيَر النّاس ، فلما حضَرَتْه الوفاة ، دخل عليه ملك الموت فى صُورة رجل أنكره فقال له : مَن أدخلك دارى ؟ قال الذى أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة ؛ قال : ومَن أنت ؛ قال : أنا ملك الموت ، جئت لقبض رُوحك ؛ قال : أتارِكى أنت حتى أودّع ابنى إسحاق ؟ قال : نعم ، فأرسل إلى إسحاق ، فلما أتاه أخبره ، فتعلّق إسحاق بأبيه إبراهيم وجعل يتقطّع عليه بُكاء ؛ فخرج عنهما ملك الموت ، وقال : يا ربّ ذبيحُك إسحاق متعلّق بخليلك ؛ فقال له الله : قل له إنى قد أمهلتك ، ففعل . وانحلّ إسحاق عن أبيه ، ودخل إبراهيم بيتاً ينام فيه ، فقبض ملك الموت روحَه وهو نائم .

باب الاعتضاد بالولد

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عَبْدِه زكريّا ودُعائه إليه فى الولد : (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) . وقال : (وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) . والمَوالِى هاهنا بنو العم .

لبعض الشعراء فى معنى هذا العنوان

وقال الشاعر :

مَن كان ذا عَضُد يُدرِكْ[1] ظُلامتَه ... إنّ الذّليل الذى لَيستْ له عَضُدُ

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : عزمت » .

تَنْبو يدَاه إذا ما قَلّ ناصرُه ... وَيأنَفُ الضَّيْمَ إنْ أثْرَى له عدد

شعر لأبى براء حين أسن وضعفه بنو أخيه

العُتبى قال : لمّا أسنّ أبو بَراء عامرُ بن مالك وضَعّفه بنو أخيه وخرّفوه ولم يكن له ولد يَحْميه ، أنشأ يقول :

دَفعتُكم عنِّى وما دَفْع راحةٍ ... بشىء إذا لم تَسْتَعِن بالأناملِ

يُضَعّفنى حِلْمى وكثرةُ جهلكم ... علىّ وأنى لا أصُول[1] بجاهل

لبعض الشعراء

وقال آخر :

تَعْدُو الذّئاب عَلى من لا كِلابَ له ... وتَتّقى سَوْرَةَ المُستنفِر الحامِى

باب فى التجارب والتأدب بالزمان

الحكماء

قالت الحُكماء : كَفى بالتّجارب تأديباً ، و بتقلب الأيام عِظَة .

فى الدهر والعقل

وقالوا : كَفى بالدّهر مُؤدِّباً ، و بالعقل مُرْشدا .

شعر لحبيب

وقال حبيب :

أحاولتَ إرشادى فعَقلى مُرْشِدى ... أم استَمْتَ[2] تأديبى فدَهْرى مُؤدِّبى

شعر لإبراهيم ابن شكلة

وقال ابراهيم بن شَكلة :

مَن لم يؤدِّبه والداه ... أدَّبه الليلُ والنّهارُ

٢٨٠/١ كم قد أذلاّ كَريمَ قوْم ... ليس له منهما انتصار

مَن ذا يَدُ[3] الدهرِ لم تَنَله ... أو اطمأنّت به الدّيار

كُلّ عن الحادِثات مُغْضٍ ... وعِنده للزّمان ثار

(١) فى بعض الأصول : « لا أعضد » . وهو تحريف .

(٢) استمت : أردت .

(٣) فى الأصول : « زايد » . وهو تحريف .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وما أبقت لك الأيامُ عُذْراً وبالأيّام يتّعظ اللبيب

فى نفع تجارب الأيام

وقالوا : كفَى بالدهر مُخبراً بما مَضى عما بَقِى .

وقالوا : كفَى[1] مخبراً لذوى الألباب ما جرّبوا .

لعيسى فيمن أدبه

وقالوا لعيسى بن مَرْيم عليهما السلام : مَن أدّبك ؟ قال : ما أدّبنى أحد ، رأيتُ الجَهل قبيحاً فاجتنبتُه .

باب فى صحبة الأيام بالموادعة

الحكماء فى معنى هذا العنوان

قالت الحُكَماء : أصحب الأيام بالمُوادعة ولا تُسابق الدهرَ فتَكْبُو .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر[2] :

مَن سابَق الدهرَ كَبا كَبْوةً لم يَسْتَقِلها من خُطا الدَّهرِ
فاخطُ مع الدّهر إذ ما خَطا واجرِ مع الدهر كما يَجْرى

شعر لبشار

وقال بشّار العُقَيلى :

أعاذِل إنّ العُسْر سَوف يُفِيق وإنّ يَسارا من غدٍ لخَلِيقُ
وما كُنتُ إلا كالزّمان إذا صَحا صحوتُ وإن ماقَ الزّمان أموق[3]

لبعض الشعراء

وقال آخر :

تحامَق مع الحَمْقى إذا ما لَقيتَهم ولاقِهمُ بالجهل فِعْل ذوى الجَهْلِ

---

(١) فى بعض الأصول : « كفى الزمان مخبراً » . وظاهر أن كلمة « الزمان » زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٠٥) : « قال : وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد ابن عرفة » .

(٣) ماق : حمق .

وَخَلِّط إذا لاقيتَ يوماً مُخَلِّطاً يُخَلِّط فى قولٍ صحيح وفى هَزْل
فإنى رأيتُ المَرْء يَشْقى بعقله كما كان قبلَ اليوم يَسْعد بالعقل

وقال آخر :

إنّ المَقادِيرَ إذا ساعَدَتْ أَلحقت العاجِزَ بالحازِمِ

وقال الآخر :

والسَّبب المانعُ حظَّ العاقل هو الذى سَبَّب حظَّ الجاهِلِ

ومن أمثالهم فى ذلك [قولهم] : تطامن لها تَخْطُك . — فى التطامن

ومن قولنا فى هذا المعنى : — شعر لابن عبد ربه فى معنى ما سبق

وتطامنْ للزَّمان يَجْزْكَ عفواً وإن قالوا ذَليلٌ قُلْ ذليلُ

وقال حَبيب : — شعر لحبيب

وكانت لَوْعَةً[1] ثم اطمأنَّتْ كذاك لكلِّ سائلةٍ[2] قَرارُ

وقال آخر : — لبعض الشعراء

ماذا يُريك الدَّهرُ من هَوانِهِ أَزْفِن[3] لِقرْد السَّوْء[4] فى زَمانِهِ

ولآخر :

الدَّهرُ لا يبقى على حالةٍ لا بُدَّ أن يُقبِلَ أو يُدْبِرْ[5] ٢٨١/١
فإن تلقَّاكَ بمكْرُوهه فاصبِر فإنَّ الدَّهرَ لا يَصْبِر

ولآخر :

(١) كذا فى ديوان أبى تمام . والذى فى الأصول : « روعة » .
(٢) كذا فى ا ، ى والديوان . والذى فى سائر الأصول : « سالبة » .
(٣) زفن (من باب ضرب) : رقص .
(٤) فى بعض الأصول : « السوق » . وهو تحريف .
(٥) سكنت القافية للضرورة تخلصا من اختلاف حركة الروى فى البيتين .

أُصْبِرْ لِدَهْرٍ نال مِنْـ ـكَ فهكذا مَضَتْ الدُّهورُ
فَرَحًا وحُـزْنًا مرّةً لا الحُزن دام ولا السُّرورُ

ولآخر :

عفَا اللهُ عمّن صَبّر الهمّ واحداً وأيقن أنّ الدّائرات تَدُورُ
تَرُوح لنا الدُّنيا بغير الذى غَدَت وتَحْدُث مِن بعد الأمور أُمورُ
وتَجْرِى الليالى باجتماع وفُرْقة وتَطْلُع فيهـا أنجمٌ وتغور
وتَطْمع أن يَبْقى السُّرُور لأهله وهذا مُحال أن يَدُوم سُرُور

ولآخر :

سأنتظرُ[1] الأيّامَ فيك لعلّها تَعود إلى الوَصل الذى هو أَجْمَلُ

باب التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا

الحكماء فى معنى هذا العنوان

قالت الحكماء : إيّاك وما يُعتذر منه .

لبعضهم فى مثله

وقالوا : مَن عرّض نفسه للتُّهم فلا يأمَن مِن إساءة الظّن .

وقالوا : حَسْبك من شرٍّ سماعُه .

وقالوا : كفى بالقَوْل عارًا وإن كان باطلاً .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

ومَن دعا الناسَ إلى ذَمّه ذَمُّوه بالحقّ وبالباطلِ
مَقالة السُّوء إلى أهلها أسرعُ من مُنْحدِرٍ سائل

وقال آخر :

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « ما تنظر » . وهو تحريف .

قد قِيل ذلك إن حقًّا وإن كَذِبًا   فما اعتذارُك من قَوْلٍ(١) إذا قِيلا

نصيحة أرسطاليس للإسكندر

وقال أرِسْططاليس للإسكندر : إنّ الناس إذا قَدروا أن يقُولوا قدروا أن يفعلوا ، فاحترِس من أن يقولوا تَسْلم من أن يفعلوا

لامرئ القيس

وقال امرؤ القيس : * وجُرْح اللّسان كجُـرْحِ اليَد *

للأخطل

وقال الأخطــل : * والقول يَنفُذ مالا تَنفذ الإبَرُ(٢) *

ليعقوب الحمدونى

وقال يعقوب الحَمْدونىّ(٣) :

وقد يُرْجَى لجُرْح السَّيف بُرْءٌ   ولا بُرْءٌ لما جَرح اللّسانُ

ولآخر :

قالوا ولَوْ صَحّ(٤) ما قالُوا لفُزْتَ به   مَن لى بتصْدِيق ما قالوا وتَكْذِيبى

باب الأدب فى تشميت العاطس

للنبى صلى الله عليه وسلم فى معنى هذا العنوان

ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تُشَمِّت العاطس حتى يحمد الله ، فإن لم يَحمده فلا تُشَمِّته .

وقال : إذا عَطَس أحدُكم فحمِد الله فشمِّتوه ، وإن لم يحمد فلا تُشمِّتوه .

لعلى بن أبى طالب فى نصاب التشميت

٢٨٢/١ وقال علىّ رضى الله عنه : يُشَمَّت العاطس إلى ثلاث ، فإن زاد فهو داء يَخرج من رأسه .

---

(١) فى بعض الأصول : « شىء » .

(٢) فى بعض الأصول : « الأيدى » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « المحمدى » .

(٤) فى ى : « كان » مكان « صح » .

لابن عمر فى الرد على مشمت

عَطَس ابن عمر، فقالوا له: يَرْحمك الله؛ فقال: يَهديكم الله ويُصْلح بالكم.

لعلى فى مثله

وعَطَس علىُّ بن أبى طالب فحمِد الله، فقيل له: يَرْحمك الله؛ فقال: يَغفر الله لنا ولكم.

لعمر بن الخطاب فيما يشمت فيه العاطس

وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه: إذا عَطَس أحدُكم فشَمِّتوه ثلاثاً؛ فإن زاد فقولوا: إنك مَضْنوك.

لبعضهم فى مثله

وقال بعضُهم: التَّشْميت مرّة واحدة.

باب الإذن فى القبلة[1]

فى تقبيل يد النبى صلى الله عليه وسلم

عبدُ الرحمن بن أبى لَيلى عن عبد الله بن عُمر قال: كنّا نُقبِّل يدَ النبىّ صلى الله عليه وسلم.

فى تقبيل يد عمر ابن الخطاب

وكيع عن سُفيان قال: قبّل أبو عُبيدة يدَ عمر بن الخطّاب.

فى تقبيل النبى صلى الله عليه وسلم لجعفر

ومن حديث الشعبىّ قال: لَقِىَ النبىّ صلى الله عليه وسلم جعفرَ بن أبى طالب فالتزمه[2] وقبّل بين عينيه.

فى تقبيل أبى نضرة للحسن

وقال إياسُ بن دَغْفل: رأيتُ أبا نَضْرة[3] يُقبِّل خدَّ الحسن[4].

الشَّيبانى عن أبى الحسن عن مُصعب قال: رأيتُ رجلاً دخل عَلَى علىّ ابن الحسين رضى الله عنهما فى المسجد فقبّل يدَه ووَضعها على عيْنَيه فلم يَنْهه.

(١) يلاحظ أن هذا الباب كله مر عند الكلام على «قبلة اليد» و «من كره من الملوك تقبيل يده» (ص ١٢٦ — ١٢٨ من هذا الجزء) كما يلاحظ أنه لم يرد هنا فى ى.

(٢) كذا فى ا، ى. والذى فى سائر الأصول: «ومن حديث الشعبى عن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر بن أبى طالب فالتزمه ... الخ».

(٣) هو المنذر بن مالك العبدى.

(٤) كذا فى جميع الأصول هنا وتهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٣٨٨). وفيما مر من هذا الجزء (ص ١٢٦): «الحسين».

بين هشام ورجل قبل يده

العُتبى قال : دخل رجلٌ على هِشام بن عبد الملك فقبّل يدَه ، فقال : أُفٍّ له[1] ! إنّ العرَب ما قبّلت الأيدى إلا هُلوعاً ، ولا قبّلتها العجم إلا خُضوعاً .

بين المأمون ورجل فى مثله

واستأذن رجلٌ المأمون فى تَقْبيل يده ، فقال : إنّ القُبلة من المؤمن[2] ذِلّة ، ومن الذِّمى خديعة ، ولا حاجةَ بك أن تَذِلّ ، ولا حاجةَ بنا أن نُخْدَع .

بين المهدى وأبى دلامة فى مثله

واستأذن أبو دُلامة المهدىَّ فى تَقْبيل يده فمنَعه ، فقال : ما مَنَعْتَنى شيئاً أيسر على عِيالى فَقْدًا مِنْهُ .

بين المنصور وأبى بكر الهجرى فى نحو ما سبق

الأصمعىُّ قال : دخل أبو بكر الهَجرىّ على المنصور ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، نَغَض فى[3] ، وأنتم أهل بيت بركة ، فلو أذِنت لى فقبّلت رأسَك لعلّ الله كان يُمسك علىَّ ما بقى من أسنانى ؟ قال : اختَر بينها و بين الجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أهونَ من ذهاب درهم من الجائزة أن لا يبقى فى فمى حاكّة[4] . فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

فى أنواع القبل

وقالوا : قُبلة الإمام فى اليد ، وقُبلة الأب فى الرأس ، وقُبلة الأخ فى الخدّ ، وقبلة الأخت فى الصدر ، وقبلة الزّوجة فى الفمِ[5] .

باب الأدب فى العيادة[6]

بين أبى عمرو بن العلاء فى مرضه ورجل أراد أن يساهره

مَرِض أبو عمرو بن العَلاء ، فدَخَل عليه رجلٌ من أصحابه ، فقال له :

(١) فى بعض الأصول هنا « آفة » . وانظر الحاشية (رقم ١ ص ١٢٨) من هذا الجزء .
(٢) فى ا هنا وفيما مر من هذا الجزء (ص ١٢٨) : « المسلم » .
(٣) نغض فى ، أى تحركت أسنانه وقلقت .
(٤) الحاكّة : السن ، لأنها تحك صاحبتها أو تحك ما تأكله . صفة غالبة .
(٥) جاء فى ا بعد هذا : « تم الجزء السابع من كتاب العقد والثانى من كتاب الياقوتة فى العلم والأدب . ويتلوه فى الثالث بقية الجزء : باب الأدب فى العيادة . والحمد لله وحده وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليما » .
(٦) زيد فى ا قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

أريد أن أساهرَك الليلةَ ؛ قال له : أنت مُعافًى وأنا مُبتَلًى ، فالعافية لا تَدَعك أن تَسهر ، والبلاء لا يَدَعنى أن أنام ، وأسأل الله أن يَهب لأهل العافية الشُّكر ، ولأهل البلاء الصَّبر .

بين عبد العزيز ابن مروان فى مرضه وكثير عزة

ودَخل كُثيِّر عزَّة على عبد العزيز بن مَرْوان[1] وهو مريض ، فقال : لو أنَّ سُرورك لا يتمّ إلا بأن تَسلم وأسْقَم لدعوتُ ربِّي أن يَصرِف ما بك إلىّ ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ، ولى فى كَنفك النِّعمة . فضحِك وأمر له بجائزة ، فخرج وهو يقول :

وَنعودُ سيِّدَنا وسيِّدَ غَيْرِنا ليتَ التشكِّى كان بالعُوَّادِ
لو كان يُقبَل فِدْيةٌ لفَدَيتُه بالمُصْطفَى مِن طارفٍ وتِلادِى

شعر أديب إلى عليل

وكتب رجلٌ من أهل الأدب إلى عَليل :

نُبِّئتُ أنكَ مُعْتَلٌّ فقلتُ لهم نَفسى الفِداء له من كلّ مَحذورِ
يا ليتَ عِلّته بى ثمّ كان له[2] أجرُ العَليل وأنّى غيرُ مأجورِ

لشاعر آخر فى مثله

٢٨٣/١ وكتب آخر إلى عليل :

وَقَيْناكَ لو نُعْطَى الهوى فيك والمُنَى لَكان بنا الشَّكْوى وكان لك الأجْرُ

عتاب شاعر ليحيى بن خالد فى علة لم يعده فيها يحيى

وكان شاعرٌ يختلف إلى يحيى بن خالد بن بَرمك ويمتدحه ، فغاب عنه أيامًا لعلّة عرضت له ، فلم يَفْتقده يحيى ولم يَسأل عنه ، فلما أفاق الرجلُ من عِلّته كتب إليه :

أيهذا الأمير أكرمك اللّـ ـه وأبقاكَ لى بَقاء طَوِيلا
أَجمِيلاً تَراه أصلحك اللّـ ـه لكيما أراه أيضًا جَمِيلا

---

(١) فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ٥٠) : « عبد الملك بن مروان » مكان « عبد العزيز ابن مروان » .

(٢) فى ى : « غير أن له » مكان « ثم كان له » .

أنني قد أقمتُ عنك قليلاً لا ترى مُنفذاً إليّ[1] رسولا
ألذنب فما علمتُ سوى الشكـر لما قد أوليتنيه جزيلا
أم ملالاً فما علمتُك للحا فظ مِثْلى على الزمان ملولا
قد أتى اللهُ بالصلاح فما أنكرتُ مما عهدتُ إلاّ قليلا
وأكلتُ الدرّاج وهو غذاء أفلت عِلّتى عليه أفولا
وكأنّى قدِمتُ قبلك آتيـك غداً إن أجدْ إليك سبيلا

فكتب إليه الوزير يعتذر :

دفعَ اللهُ عنكَ نائبةَ الدهـر وحاشاك أن تكون عليلاً
أشهدُ اللهَ ما علمتُ وما ذا ك من العُذر جائزاً مقبولا
ولعلّى لو قد علمتُ لعاودْ تُكَ شهراً وكان ذاك قليلا
فاجعلنْ لى إلى التعلّق بالعذ ر سبيلاً إن لم أجد لى سبيلا
فقديماً ما جاء ذو الفضل بالفضـل وما سامحَ الخليلُ خليلاً

شعر المعتصم إلى عبد الله بن طاهر فى علته

وكتب المُعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

أعززْ علىّ بأن أراك عليلا أو أن يكون بك السَّقامُ نزيلاً
فوددتُ أنّى مالكٌ لسلامتى فأعيرَها لك بُكرةً وأصيلا
فتكونَ تبقى سالما بسلامتى وأكونَ مما قد عراك بديلا
هذا أخٌ لك يشتكى ما تشتكى وكذا الخليل إذا أحبَّ خليلاً

من أدب إسماعيل ابن صبيح فى عيادة يحيى بن خالد

ومرض يحيى بن خالد فكان إسماعيل بن صُبيح الكاتب إذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ، ثم يخرج فيسأل الحاجبَ عن منامه وشرابه

(١) فى بعض الأصول : « إليك » . وهو تحريف .

وطَعامه ، فلما أفاق ، قال يحيى بنُ خالد : ما عادنى فى مرضى هذا إلا إسماعيلُ أبن صُبَيح .

لشاعر فى أدب العيادة

وقال الشاعر :

عِيادة المَرْء يومٌ بين يَوْمين ... وجَلسةٌ لك مِثْل اللَّحظ بالعين
لا تُبْرِمَنَّ مَرِيضاً فى مُساءلة ... يكفيك من ذاكَ تَسْآل بحرفين

لبكر بن عبدالله فى قوم عادوه فى مرضه فأطالوا

وقال بكر بنُ عبد الله لقوم عادوه فى مرضه فأطالوا الجلوسَ عنده : المريض يُعاد والصحيح يُزار .

لسفيان الثورى فى العواد يطيلون الجلوس

وقال سُفيان الثَّوْرى : حُمْق العُوّاد[1] أشدُّ على المَرْضى من أمراضهم[2] ، يجيئون فى غير وقت ويُطيلون الجلوس .

بين عمر بن عبدالعزيز وأحد عواده

ودخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يَعوده فى مرضه ، فسأله عن علّته ، فلما أخبره قال : مِن هذه العلة مات فلان ومات فلان . فقال له عمر : إذا عُدت المَرْضى فلا تَنْعَ إليهم الموْتى ، وإذا خرجتَ عنّا فلا تَعُد إلينا .

لابن عباس فى أدب العيادة

وقال ابن عبّاس : إذا دخلتم على الرّجل وهو فى الموت فبشِّرُوه ليلقى ربّه وهو حَسن الظن ، ولقِّنُوه الشهادة ولا تُضْجِروه .

بين الأعمش وعواده فى علته

ومَرِض الأعمش فأبرمه الناس بالسُّؤال عن حاله ، فكتب قصّته فى كِتاب وجعله عند رأسه ، فإذا سأله أحدٌ ، قال : عندك القِصّة فى الكتاب فاقْرأها .

لبعض الشعراء

ولبعضهم :

مَرِض الحبيبُ فعُدْتُه ... فمَرِضْتُ من حَذَرى عليه
وأَتَى إلىَّ يَعُودنى ... فبرِئْتُ من نظرى إليه

---

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « القراء » .
(٢) فى ى : « أشد على أهل المريض من مرضهم » .

بين محمد بن عبيدالله بن طاهر فى مرضه وأخيه عبد الله

ومَرِض محمدُ بن عبد الله بن طاهر ، فكتبَ إلى أخيه عُبيد الله بن عبدالله :

إنّى وجدتُ عَلَى جَفَا ... ئك من فِعالكَ شاهِدَا
إنى اعتللت فما فَقَدْ ... تُ سِوى رَسولك عائدا
ولو اُعتللتَ فلم أجِدْ ... سَبَبًا إليك مُساعدا
لاُستشعرتْ عينى الكَرَى ... حتى أعُودك راقدا

فأجابه :

كُحِلت مُقْلَتِى بشَوْك القَتاد ... لم أذق مُذْ حُمِمْتَ[1] طَعْمَ الرُّقادِ
يا أخى الباذل[2] المودّة والنا ... زلَ من مُقلتى مكانَ السواد
مَنَعَتْنى عليك[3] رِقّةُ قلبى ... من دُخولى إليك فى العُوّاد
لوْ بِأذْنى سمعتُ منك أنينا ... لتفرّى[4] مع الأنين فؤادى

شعر لمحمد بن يزيد فى الاعتذار الى عليل

ولمحمد بن يزيد :

يا عَليلاً أفديك من ألم العِلّة هل لى إلى اللّقاء سبيلُ
إن يَحُل دونك الحجابُ فما يُحْجَب عنى بك الضَّنَى[5] والعَوِيل

شعر لأبى دهمان وقد دخل على أمير يعوده

وأنشد محمدُ بنُ يزيد قال أنشدنى أبو دُهْمان[6] لنفسه وقد دَخل على بعض الأمراء يعوده :

بأنفُسنا لا بالطَّوارِف والتُّلْدِ ... نَقِيك الذى تُخْفِى من السُّقم أو تُبْدِى
بنا مَعشرَ العُوّاد ما بك من أذى ... فإن أشفقوا مما أقول فَبِى وَحْدِى

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « لم أذق حرمة لطعم » .
(٢) فى ى : « الحافظ » . (٣) فى بعض الأصول : « عنك » . وهو تحريف .
(٤) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « لتفق » .
(٥) فى ى : « البكا » .
(٦) انظر الحاشية (رقم ٥ س ٨٤) من الجزء الأول من هذه الطبعة .

شعر أبى تمام إلى مالك بن طوق فى مرضه

وكتب أبو تمام الطائى إلى مالك بن طوق فى شكاة له :

كم لوعة للندى وكم قلق ... للمجد والمكرمات فى(١) قلقك
ألبسك الله منه عافية ... فى نومك المعترى وفى أرقك
تخرج عن جسمك السقام كما ... أخرج ذم الفعال من عنقك(٢)

شعر محمد بن عبد الله المتوكل فى شكاة له

ودخل محمد بن عبد الله على المتوكل فى شكاة له يعوده ، فقال :

الله يدفع عن نفس الإمام لنا ... وكلنا للمنايا دونه غرض
فليت أن الذى يعروه من مرض ... العائدين جميعا لا به المرض
فبالإمام لنا من غيرنا عوض ... وليس فى غيره منه لنا عوض
فما أبالى إذا ما نفسه سلمت ... لو باد كل عباد الله وانقرضوا

لبعض الشعراء فى بعض الأمراء

وقال آخر فى بعض الأمراء :

واعتل فاعتلت الدنيا لعلته ... واعتل فاعتل فيه البأس والكرم
لما استقل أنار المجد وانقشعت ... عنه الضبابة والأحزان والسقم

للمجنون وقد بلغه مرض ليلى بالعراق

وبلغ قيسا مجنون بنى عامر أن ليلى بالعراق مريضة ، فقال :

يقولون ليلى بالعراق مريضة ... فما لك تجفوها وأنت صديق
شفى الله مرضى بالعراق فإننى ... على كل شاك بالعراق شفيق

شعر لمحمد بن عبد الله بن طاهر

ولمحمد بن عبد الله بن طاهر :

ألبسك الله منه عافية ... تغنيك عن دعوتى وعن جلدك
سقمك ذا لا لعلة عرضت ... بل سقم عينيك رد(٣) فى جسدك
[فيا مريض الجفون أحيى فتى ... قتلته بالجفون لا بيدك]

(١) كذا فى ى وديوان أبى تمام . والذى فى سائر الأصول : « للحمد ... من » .
(٢) كذا فى الديوان . والذى فى الأصول : « خلقك » .
(٣) فى ى : « دب » مكان قوله « رد » .

وقال غيره :

يا أمَلى كيف أنتَ من ألَمِكْ(١) وكيف ما تَشْتَكيه من سَقَمِكْ
هذان يومان لى أعُدُّهما مُذ لم تَلُح لى بُرُوق مُبْتسمك
حَسدتُ حُمّاك حين قِيل لنا(٢) بأنها قَبَّلَتْكَ فوق فَمِكْ

شعر لعبد بنى الحسحاس

واسُحَيم عبد بنى الحَسحاس :

تَجَمّعن شتّى من ثلاث(٣) وأربع وواحدةٍ حتى كَمُلن ثمانيا
وأقبلن من أقصى(٤) الخِيام يَعُدْننى ألاَ إنما بعضُ العوائد دائيا

شعر لابن الأحنف

وللعباس بن الأحنف :

قالت مَرِضْتُ فعُدْتها فتبرّمت وهى الصحيحةُ والمريضُ العائدُ
والله لو قَسَت القلوبُ كقلبها(٥) ما رَقّ للوَلد الضعيف الوالدُ

شعر للواثق فى مريض

وقال الواثق :

لا بكَ السُّقْم ولكنْ كان بى وبنفسى وبأمّى وأبِى
قيل لى إنك صُدِّعتَ فما خالطتْ سمعىَ حتى دِيرَ بى

شعر لعلية بنت المهدى

وأنشد محمدُ بن يزيد المُبرِّد لعُلَيَّة بنت المهدى(٦) :

تمارضتِ(٧) كى أشجى وما بكِ عِلّة تُريدين قتْلى قد ظَفِرْتِ بذلكِ
وقَوْلُكِ للعُوّاد كيف تَرَوْنه فقالوا قتيلاً قلتِ أهونُ هالكِ

(١) فى بعض الأصول : « ملك » . وهو تحريف . (٢) فى بعض الأصول : « لها » .
(٣) فى ى : « تجمعن من شتى ثلاث ... الخ » . (٤) فى ى : « بعض » مكان قوله « أقصى » . (٥) فى ى : « تالله لو أن القلوب كقلبها » .
(٦) فى الأمالى (ج ١ ص ٣٠) : « أنشدنى عبد الصمد بن المعذل لمرة » . والمعروف أن هذا الشعر من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :
قفى يا أميم القلب نقضى لبانة ونشك الهوى ثم افعلى ما بدا لك
(٧) فى شواهد التلخيص : « تعاللت » .

لئن سـاءنى أن نِلتِنى بمَساءةٍ ... لقد سَرّنى أنى خَطـرتُ ببالكِ

شعر للمؤلف

ومن قولنا فى هذا المعنى :

رُوح النّدى بين أثواب العُلا وَصِب[1] ... يَعتَنُّ[2] فى جسد المجْد مَوْصوبِ
ما أنتَ وحدَك مَكْسُوًّا شُحوبَ ضَنًى ... بل كلّنا بك[3] من مُضنًى ومشحوب
يا مَن عليه حِجَابٌ من جَلالته ... وإن بدا لك[4] يومًا غير مَحْجوب
ألقَى عليك يداً للضُرّ كاشـفةً ... كشّـافُ ضُرّ نبىّ الله أيُّوبِ

ومثله من قولنا :

لا غرْوَ إن نال منك السُّقْمُ والضررُ ... قد تُكْسَف الشمسُ لا بل يُخْسَف القمرُ
يا غُرّة القمر[5] الذاوى[6] غَضارتُها ... فِدًا لنُورِك[7] منّى السّمعُ والبَصر
إن يُمسِ جسمك موعوكا بصالية[8] ... فهكذا يُوعَكُ الضّرغامة الهَصِر
أنتَ الحُسام فإن تُفلَل مَضاربُه ... فقبله ما يُفَلّ الصّـارمِ الذّكَر
رُوح من المَجْد فى جُثمان مَكرُمة ... كأنما[9] الصُّبح من خَدَّيه يَنفجر
لو غال مَجْلودَه شىءٌ سِـوَى قدَرٍ ... أكبرتُ ذاك ولكن غالَه القَـدرُ

ومن قولنا فى هذا المعنى :

لا غرْوَ إن نال منك السُّقْمُ ما سألاَ ... قد يُكْسَفُ البدرُ أحياناً إذا كَمُلاَ
ما تَشْتَكى عِلّةً فى الدهر واحدةً ... إلا اشتكى الجُود من وَجْدٍ بها عِلَلا[10]

(١) فى ى : « وضت » . (٢) يعتن : يعترض . وفى بعض الأصول : « يفتن » .
(٣) فى بعض الأصول : « منك » مكان « بك » .
(٤) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « وباب بذلك » . وهو تحريف .
(٥) فى ى : « الكرم » مكان « القمر » . (٦) كذا فى ى والذى فى سائر الأصول : « للروى » . (٧) فى أكثر الأصول : « لتربك » . والذى فى ى : « لبردك » . وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .
(٨) يريد بالصالية : الحمى ، لما فيها من حرارة وسخونة . (٩) فى بعض الأصول : « كأنها » . وهو تحريف . (١٠) فى بعض الأصول : « به » مكان قوله « بها » .

الأدب فى الاعتنـــــاق

بين مالك بن أنس وسفيان بن عيينة فى معنى هذا العنوان

أبو بكر بن محمد قال : حدّثنا سعيد بن [إسحاق عن علىّ بن يونس المَدينىّ] قال : كنتُ جالسًا عند مالك [بن أنس] فإذا سُفيان بن عُيينة يستأذن بالباب ، فقال مالك : رجلٌ صالح صاحب سُنّة ، أدْخِلوه ؛ فدخل فقال : السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ، فردَّ السلام ؛ فقال : سلامٌ خاصٌ وعامٌ عليك يا أبا عبد الله ورحمةُ الله ؛ فقال مالك : وعليك السلامُ يا أبا محمد ورحمةُ الله ، فصافَحه مالك ، وقال : يا أبا محمد ، لولا أنها بِدْعة لعانَقْتُك ؛ فقال سُفيان : قد عانق مَن هو خيرٌ منَّا ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال مالك : جعفراً ؟ قال : نعم ؛ فقال مالك : ذاك حديثٌ خاصٌ يا أبا محمد ليس بعامّ ؛ فقال سفيان : ما عمّ جعفراً يَعُمّنا وما خصّه يخصّنا إذا كنّا صالحين ، أفتأذن لى أن أحدّث فى مجلسك ؟ قال : نعم يا أبا محمد ؛ فقال : حدّثنى عبدُ الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس ، أنه لما قَدِم جعفرٌ من أرض الحَبَشة اعتنقه النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، وقَبَّـل بين عينيه ، وقال : جعفر أشبه الناس بى خَلْقاً وخُلُقاً(١) .

باب الأدب فى إصلاح المعيشة

لبعضهم فى معنى هذا العنوان

قالوا : مَن أشبع أرضَه عملاً أشبعت [بيته] خُبزاً .

وقالوا : يقول الثّوب لصاحبه : أكْرِمْنى داخلاً أكْرِمْك خارجًا .

لعائشة فى فضل المغزل فى يد المرأة

وقالت عائشة : المَغزَل بيد المرأة أحسنُ من الرُّمح بيد المُجَاهد فى سبيل الله .

---

(١) ورد هـذا الخبر فى ميزان الاعتدال للذهبى (ج ٢ س ٢٤١) . وفيه بعض اختلاف فى الألفاظ .

وصايا لعمر بن الخطاب فى الاستثمار

وقال عمرُ بن الخطاب : لا تَنْهَكوا وجهَ الأرض ، فإن شَحمها فى وَجْهها .

وقال : فَرِّقوا بين المَنايا(١) واجعلوا من الرأسِ رَأْسين .

وقال : أملِكوا العَجِين فإنه أحد الرَّيعين(٢) .

وصية أبى بكر لغلام له كان يتجر بالثياب

وقال أبو بكر لغُلام له كان يتَّجر بالثياب : إذا كان الثوبُ سابغاً فانشُره وأنت قائم ، وإذا كان قَصيراً فانشُره وأنت جالس ، وإنما البَيْع مِكَاس(٣) .

لعبد الملك فى إصلاح ما فى اليد

وقال عبد الملك بن مَرْوَان : مَن كان فى يده شىء فليُصْلِحه ، فإنه فى زمان إن أُحتاج فيه فأوّل ما يَبْذُل دينهُ .

باب الأدب فى المؤاكلة

للنبى صلى الله عليه وسلم فى الأكل والشرب باليمين

قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : إذا أكل أحدُكم فليأكل بيمينه وليَشْرَب بيمينه ، فإنّ الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .

وصف الجارود عبد الأعلى بن عبد الله لبلال بن أبى بردة

محمد بن سلّام الجُمحى قال : قال بلال بن أبى بُردة وهو أمير على البَصرة للجارود بن أبى سَبْرة الهُذلىّ : أتحضُر طعامَ هذا الشيخ ؟ — يعنى عبد الأعلى ابن عبد الله بن عامر — قال : نعم ؛ قال : فصِفه لى ؛ قال : نأتيه فنجده مُنْبطحًا — يعنى نائمًا — فنجلس حتى يستيقظ ، فيأذن فنُساقطه الحديث ، فإن حدّثناه أحسنَ الاستماع ، وإن حدّثنا أحسنَ الحديث ، ثم يدعو بمائدته وقد تقدّم الى جواريه وأُمهات أولاده أن لا تُلطفه(٤) واحدةٌ منهن [إلاّ] إذا وُضعت مائدته ، ثم يُقبل خَبّازه فيَمْثُل بين يديه قائما ، فيقول له : ما عِندك ؟ فيقول : عِندى

(١) فى ى هنا : « المياه » . (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٩ من هذا الجزء) .
(٢) ربع العجين (بالفتح) : فضله وزيادته .
(٣) المكاس فى البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه ، والمنابذة بين المتبايعين .
(٤) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « تلفظ » . وهو تحريف .

كذا وكذا ، فيعدِّد ما عنده — يريد بذلك أن يَحْبِس كلُّ رجل نفسَه وشهوتَه على ما يُريد من الطعام ، وتُقبِل الألوان[1] من هاهنا ومن هاهنا ، فتوضع على المائدة ، ثم يُؤتى بثَريدة شَهباء من الفُلفل ، رَقْطَاء من الحِمَّص ، ذاتِ حِفافَيْن من العُرَاق[2] ، فيأكل مُعْذِرًا[3] ، حتى إذا ظنّ أن القوم قد كادوا يمتلئون جثَا على رُكْبتيه ، ثم استأنف الأكل معهم . قال ابنُ أبى بُردة : لله درُّ عبد الأعلى ، ما أربطَ جأشَه على وقع الأضراس[4] .

بين هشام بن عبد الملك وأعرابى كان يؤاكله

وحضر[5] أعرابىٌّ سُفرةَ هشام بن عبد الملك ، فبَيْنا هو يأكل معه إذ تعلقت شَعرةٌ فى لُقمة الأعرابىّ . فقال له هشام : عندك شعرة فى لُقمتك يا أعرابىّ ؛ فقال : وإنك لتلاحظنى مُلاحظةَ من يرى الشَّعرة فى لُقمتى ، والله لا أكلتُ عندك أبداً . ثم خرج وهو يقول :

وللمَوتُ خـيرٌ من زيارة باخلٍ ... يُلاحظ أطرافَ الأكيل على عَمْدِ

بين المنصور وأعرابى فى مثل ما سبق

محمد بن يزيد[6] قال : أكل قائدٌ لأبى جعفر المنصور معه يوماً ، وكان على المائدة محمدٌ المهدىّ وصالحٌ ابناه ، فبينا الرجلُ يأكل من ثَريدة بين أيديهم إذ سَقط بعضُ الطعام من فيه فى الغَضَارة[7] ، وكأن المهدىّ وأخاه عافا الأكل معه ، فأخذ أبوجعفر الطّعام الذى سَقط من فم الرجل فأكله . فالتفتَ إليه الرجلُ ،

(١) فى ى : « الألطاف » . (٢) الحفافان : الجانبان . والعراق : العظم بلحمه .
(٣) كذا فى ا ، ى . ومعذرا ، أى مقصرا غير مبالغ . والذى فى سائر الأصول : « مفردا » . وهو تحريف .
(٤) وردت هذه القصة فى عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢١٥) والتاج للجاحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) والبخلاء (ص ١٩٤ طبعة أوربة) وهى تختلف عنها هنا فى كثير من ألفاظها وأساليبها .
(٥) وردت هذه القصة فى البخلاء (ص ٧٤ طبعة أوربة) بين معاوية وبعض مؤاكليه ، مع اختلاف يسير . (٦) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « زيد » .
(٧) الغضارة : الصحفة .

فقال : يا أميرَ المؤمنين أمّا الدُّنيا فهى أقلُّ وأيسر من أن أتركها لك ، لكن والله لأتركن فى مرضاتك الدُّنيا والآخرة .

الربيع وهاشمى دعاه المنصور للغداء فاعتذر

وحدّث إبراهيمُ بن السِّندىّ قال : كان فتًى من بنى هاشم يَدْخل على المنصور كثيراً ، [يُسلِّم من بعيد ويَنْصرف] . فأتاه يوماً فأدناه ، ثم دعاه إلى الغَداء ، فقال : قد تغدّيتُ . فأمهله الربيعُ حاجبُ المنصور حتى ظنَّ أنه لم يفهم الخطيئة ، فلما انصرف وصار وراء السِّتر دَفع فى قَفاه . فلما رأى من الحاجب دَفْعه فى قَفاه شَكا الفتى حالَته وما ناله إلى عُمومته ، فأقبلوا من غد إلى أبى جعفر ، وقالوا : إنّ الرَّبيع نال من هذا الفتى كذا وكذا ؛ فقال لهم أبو جعفر : إنّ الرَّبيع لا يُقدم على مثل هذا إلا وفى يده حُجَّة ، فإن شئتم أمْسكنا عن ذلك وأغضينا ، وإن شِئتم سألْته وأسمعتكم ؛ قالوا : بل يَسأله أميرُ المؤمنين ونسمع . فدعاه فسأله فقال : إنّ هذا الفتى كان يأتى فيُسلِّم ويَنصرف من بعيد ، فلما كان أمس أدْناه أميرُ المؤمنين حتى سلَّم من قُرْب ، وتبذَّل بين يديه ودعاه إلى غدائه ، فبلغ من جهله بحق المَرْتبة التى أحلّه فيها أن قال : قد تغدّيتُ ، وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه فى يده إلا سدُّ خَلّة الجوع ، ومثل هذا لا يُقوِّمه القولُ دون الفعل . فسكت القومُ وانصرفوا .

لبكر بن عبيد الله فى المتطفلين

وقال بكرُ بن عُبيد الله[1] : أحقُّ الناس بلَطْمة مَن أتى طعاماً لم يُدْعَ إليه ؛ وأحقُّ الناس بلَطْمتين من يقول له صاحب البيت اجلس ها هنا ، فيقول : لا ، ها هنا ؛ وأحقُّ الناس بثلاث لطمات من دُعى إلى طعام فقال لصاحب المنزل : ادعُ رَبّةَ البيت تأكل معنا .

الجاحظ فى أنواع من أدب المؤاكلة

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : لا ينبغى للفتى أن يكون مُكْحلا

(١) فى ى : « بكر بن عبد الله » .

ولا مُقَبِّبًا ولا مُكوكبًا ولا شُكامداً ولا حرامداً ولا نُقامداً ، ثم فسّره فقال : أما المُكحل فالذى يتعرّق العظم حتى يَدَعه كأنه مُكْحُلة عاج . والمُقبِّب فالذى يُركّب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قُبّة . والمُكَوكب : الذى يَبْصق فى الطَّست ويتنخّم فيها حتى يصير بُصاقه كأنه الكواكب فى الطَّست . والحرامد[1] : الذى يأتى فى وقت الغَداء والعَشاء فيقول : ما تأكلون ؟ فيقولون من بُغْضه : سُمّا ، فيُدخل يدَه ويقول فى حِرامَ[2] العيش بعدكم . والشُّكامد[3] : الذى يُتبع اللقمة بأخرى قبل أن يُسيغها فيَختنق كأنه ديك قد ابتلع فأرة . والنُّقامد : الذى يضع الطعامَ بين يديه ويأكل من بين يدى غيره .

في غسل اليد قبل الطعام وبعده

ومن الأدب : أن يبدأ صاحبُ الطعام بغَسْل يده قبل الطعام ، ثم يقول لجلسائه : من شاء منكم فليغسل ، فإذا غُسلَ بعد الطعام فَلْيُقدِّمْهم ويتأخّر .

أدب الملوك

للعلماء فى معنى هذا العنوان

وقال العلماء : لا يُؤم ذو سُلطان فى سُلطانه ، ولا يُجلس على تَكرِمته إلا بإذنه .

لزياد فى السلام على القادم بين يدى أمير المؤمنين وقصته مع ابن عباس عند معاوية فى ذلك

وقال زِياد : لا يُسَلَّمُ على قادمٍ بين يَدى أميرِ المؤمنين :

ودخل عبدُ الله بن عبّاس على مُعاوية وعنده زياد ، فرحّب به مُعاوية ، ووسّع له إلى جَنْبه ، وأقبل عليه يُسائله ويُحادثه ، وزياد ساكت ، فقال له ابن عبّاس : كيف حالُك أبا المُغيرة ، كأنك أردت أن تُحْدث بيننا وبينك هِجْرة ؟ فقال : لا ، ولكنه لا يُسلّم على قادم بين يدى أمير المؤمنين . قال ابن عبّاس :

(١) فى الأصول : « حدامد » وهو خطأ ، صوابه ما أثبتناه ، كما تقتضيه الجملة المنحوت منها هذه الكلمة وهى : « فى حرام العيش بعدكم » .

(٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « فى حرم » .

(٣) كذا فى الأصول ، ولم نتبين وجه النحت فيه .

ما أدركْتُ الناس إلا وهم يُسلمون على إخوانهم بين يدى أمرائهم . فقال له مُعاوية : كُفَّ عنه يابن عبّاس ، فإنك لا تَشاء أن تَغلِبَ إلاّ غُلبت .

لابن مروان فيمن لا يستحى من خدمتهم

الشّيبانىّ قال : بَصق ابنُ مَرْوان فقصَّر فى بَصْقته ، فوقعت فى طَرَف البِساط ؛ فقام رجلٌ من المجلس فَمسحه بكُمّه . فقال عبدُ الملك بن مَرْوان : أرْبعة لا يُستحى من خِدْمتهم : الإمام والعالِم والوالد والضيف .

ليحيى بن خالد فى تحية الملوك

وقال يحيى بن خالد : مُساءلة المُلوكِ عن حالها من تحيَّة النَّوْكَى ، فإذا أردتَ أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقُل : صَبَّح الله الأميرَ بالنِّعمة والكرامة ؛ وإن كان عليلاً فأردتَ أن تَسأله عن حاله ، فقُل : أنزل اللهُ على الأمير الشِّفاء والرَّحمة .

فى الأدب مع الملوك

وقالوا : إذا زادك المَلِكُ إكرامًا فزِدْه إعظامًا ، وإذا جعلك عَبْداً فاجعله ربًّا ، ولا تُديمن النظر إليه ، ولا تُكثِرْ من الدُّعاء له فى كلّ كلمة . ولا تتغيَّر له إذا سَخِط ، ولا تغترَّ به إذا رَضِىَ ، ولا تُلحِف فى مسألته .

وقالوا : الملوك لا تُسأل ولا تُشمَّت ولا تُكيَّف . وقال الشاعر :

إنَّ المُلوكَ لا يُخاطَبُونا ولا إذا مَلُّوا يُعاتَبُونا
وفى المَقال لا يُنازَعُونا وفى العُطاس لا يُشمَّتُونا
وفى الخطاب لا يُكيَّفُونا يُثْنى عليهم ويُبَجَّلونا
* فافهَم وَصاتى لا تكن مجنُونا *

وقالوا : من تمام خِدْمة الملوك أن يُقرِّب الخادمَ إليه نَعْليه ، ولا يَدعه يَمشى إليهما ، ويجعل النعلَ اليُمنى قُبالة الرِّجل اليُمنى ، واليُسرى قُبالة الرِّجل اليُسرى ، وإذا رأى مُتَّكأً يحتاج إلى إصلاح أصْلَحه ، ولا يَنْتظر فيه أمرَه ، ويَتفقد الدَّواة قبلَ أن يَأمره ، ويَنفُض عنها الغبار إذا قرَّبها إليه ، وإن رأى بين يديه قِرْطاسًا قد تباعد عنه قرَّبه إليه ووَضَعه بين يديه على كِسْره .

بين معاوية وأصحابه

وقال أصحابُ معاوية لمُعاوية : إنّا ربما جَلَسنا عندك فوقَ مِقْدار شَهْوتك ، فأنت تَكْرَه أن تَستخِفَّنا فتَأمرنا بالقيام ، ونحن نكره أن نُثْقِل عليك فى الجُلوس ، فلو جعلتَ لنا علامةً نَعرِف بها ذلك ؟ فقال : علامةُ ذلك أن أقولَ : إذا شئتم .

بين يزيد وآخرين فى مثله

وقيل مثلُ ذلك ليزيدَ بنِ مُعاوية . فقال : إذا قلتُ على بَرَكة الله .

بين عبد الملك وغيرهم فى مثله

وقيل مثلُ ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال . إذا وضعتُ الخَيْزُرانة .

أدب شبيب بن شيبة فى سؤال له لأبى جعفر عن اسمه

وما سمعتُ بألطف مَعنى ، ولا أكملَ أدباً ، ولا أحسنَ مَذْهباً فى مُساءلة الملوك من شَبيب بن شَيْبة ، وقوله لأبى جَعْفَر : أصْلَحَكَ الله إنى أُحِبُّ المعرفة ، وأُجِلّك عن السُّؤال . فقال له : فُلان بن فُلان .

باب الكناية والتعريض

لعمر بن عبد العزيز فى دمل تحت خصيتيه

ومن أحسن الكِناية اللَّطيفة عن المعنى الذى يَقْبحُ ظاهرُه : قيل لعُمَر بن عبد العزيز وقد نَبت له حِبْنٌ[1] تحت أُنثَيَيْه[2] : أين نبتَ بك هذا الحِبْن ؟ قال بين الرانفة والصَّفْن[3] .

لآخر فى مثله

وقال آخر ونَبت به حِبْن فى إبطه : أين نبت بك هذا الحِبْن ؟ قال : تحت مَنْكِبِى .

بعض ما جاء فى القرآن الكريم من الكنايات

وقد كَنَى الله تعالى فى كِتابه عن الجِماع بالمُلامَسة ، وعن الحَدَث بالغائط فقال : (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) ، والغائط : الفَحْص ، [وهو المُطْمئن من الأرض] ؛ وجمعه : غِيطان . (وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ) . وإنما كَنَى

---

(١) الحبن (بالكسر) : الدمل .

(٢) الأنثيان : الخصيتان .

(٣) الرانفة : أسفل الألية إذا كنت قائما : والصفن (بالفتح ويحرك) : وعاء الخصية .

[به] عن الحَدث . وقال تعالى : (واضْمُمْ يدَكَ إلى جناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء) . فكنى [بالسوء] عن البرَص .

بين الربيع بن زياد والنعمان بن المنذر فى وضح كان به

ودخل الرّبيع بن زياد على النّعمان بن المُنذر وبه وضَح ، فقال : ما هذا البَياض بك ؟ فقال : سيف الله جلاه .

بين زياد وحارثة ابن بدر فى أثر كان فى وجه حارثة

ودخل حارثةُ بن بَدْر على زياد وفى وَجهه أثر ، فقال له زياد : ماهذا الأثر الذى فى وَجْهك ؟ قال : رَكِبت فرَسى الأشقر فجمح بى ، فقال : أما إنك لو رَكِبْت الأشهبَ لما فعل ذلك . فكنّى حارثة بالأشقر عن النّبيذ ، وكنّى زياد بالأشهب عن اللبن (١) .

بين معاوية والأحنف فى الشىء الملفف فى البجاد

وقال معاوية للأحنف بن قيس : أخبِرْني عن قول الشاعر :

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم وسرّكَ أن يَعيشَ فجِئْ بزَادِ
بخُبز أو بتَمْرٍ أو بِسَمْنٍ أو الشىء المُلَفَّفِ فى البِجَاد
تراه يَطُوفُ فى الآفاق حِرْصًا ليأكل رأس لُقمان بن عاد

ما هذا الشىء الملفّف فى البِجاد ؟ قال الأحنف : السّخينة يا أميرَ المؤمنين . قال معاوية : واحدةٌ بأخرى والبادى أظلم — والسّخينة طعام كانت تعمله قريش من دقيق ، وهو الخَزِيرة ، فكانت تُسَب به ، وفيه يقول حسّان بن ثابت :

زَعمتْ سَخينة أن ستَغْلِب ربّها وليُغلبنّ مُغالِب الغَلّاب

وقال آخر : * تَمشوا من خَزِيرتهم فناموا *

بين عثمان بن عفان وعمرو بن العاص بعد أن عزله عثمان عن مصر

ولما عَزل عثمانُ بن عفان عمرو بنَ العاص عن مِصر وولّاها ابنَ أبى سَرْح ، دخل عمرو على عُثمان وعليه جُبّة محشوّة ، فقال له عُثمان : ما حَشْو جُبّتك يا عمرو ؟ قال : أنا ؛ قال : قد علمتُ أنك فيها . ثم قال له ياعمرو : أشعرت أن اللِّقاح دَرّت

(١) رويت هذه القصة فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٠) مع اختلاف يسير ، بين الوليد بن عبد الملك والبراء بن قبيصة .

بعدك ألبانُها ؟ فقال : لأنكم أجحفتم أولادَها . فكنى عثمان عن خَراجِ مصر باللقاح ، وكنّى عمرو عن جَوْر الوالى بعده ، وأنه حَرم الرزق أهلَ العطاء ووفّره على السلطان(١) .

تعريض شاعر بجعدة ونفى عمر له

وكان فى المَدِينة رجلٌ يُسَمَّى جَعْدة يُرجِّل شعره ويتعرَّض للنساء المِغْزَبات(٢) ، فكتب رجلٌ من الأنصار كان فى الغَزْو إلى عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه :

ألاَ أبلغ أبا حَفْص رسولاً فِدًى لك من أخى ثِقَةٍ إزَارِى
قَلاَئِصَنا هداكَ الله إنّا شُغِلنا عنكمُ زمنَ الحصارِ
يُعقِّلُهن جَعْد شَيْظَمِىّ وبِئْسَ مُعقِّلُ الذَّوْد الظُّؤار(٣)

فكنَّى بالقلائص عن النّساء . وعَرَّض برجل يقال له جَعْدَة . فسأل عنه عمرُ ، فَدُلّ عليه ، فجزّ شَعره ، ونفاه عن المدينة .

بين عمر ورجل عرضت به امرأته

وسمع عمرُ بن الخطاب امرأة فى الطّواف تقول :

فمِنْهُنَّ من تُسْقَى بعَذْب مُبرَّد نُقاخ فتِلْكم عند ذلك قَرّتِ
ومنهنّ من تُسْقَى بأخضرَ آجن أُجاجٌ ولولا خشيةُ الله فَرّتِ

ففهم شكواها ، فبَعث إلى زَوْجها ، فوجده متغيِّرَ الفم . فخيَّره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقِها(٤) . فاختار الدَّراهم ، فأعطاه وطَلّقها .

بين زياد وشريف من أشراف البصرة كنى عن مسكنه وولده

ودخل على زياد رجلٌ من أشراف البصرة فقال له زياد : أين مَسكنك من

(١) يلاحظ أنه لم يذكر المكنى به هنا وهو إجحاف الأولاد . ولعله قد سقط من الناسخ .
(٢) كذا فى أكثر الأصول . والمغزبات : جمع مغزبة (كمغرفة) وهى الأمة . والذى فى ى : « المزبات » والمزبات : جمع عزبة : وهى من لا أهل لها .
(٣) الشيظمى : الفتى من الإبل . والذود : من ثلاثة أبعرة إلى العشرة ؛ وقيل غير ذلك . والظؤار : جمع ظئر ، وهو العاطفة على ولد غيرها . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى اللسان (مادة ظأر) : يعقلهن جعدة من سليم .
(٤) المنتخب من الكنايات للجرجانى « فخيره بين خمسمائة درهم أو جارية من الفىء على أن يطلقها » .

البَصرة ؟ قال : فى وَسطها ، قال له : كم لك من الولد ؟ قال : تِسْعة ، فلما خرج من عنده قيل له : إنه ليس كذلك فى كل ما سألته ، وليس له من الوَلد إلا واحدٌ ، وهو ساكن فى طَرَف البَصْرة . فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك ، فقال له : ما كذبتُك ، لى تسعة من الولد قَدّمْت منهم ثمانية فهم لى ، وبقى معى واحد ، فلا أدرى ألِيَ يكون أم علىّ ، ومنزلى بين المدينة والجَبّانة ، فأنا بين الأحياء والأموات ، فمنزِلى فى وَسط البَصرة ؛ قال : صدقت .

الكناية يورى بها عن الكذب والكفر

الحجاج والشعبى ومطرف وابن جبير

لما هَزم الحجاجُ عبدَ الرحمن بن الأشعث وقَتل أصحابَه وأسَرَ بعضهم ، كتب إليه عبدُ الملك بن مَرْوان أن يَعْرِض الأسرى على السَّيف ، فمن أقرّ منهم بالكفر خلّى سبيلَه ، ومَن أبَى يَقْتله . فأُتى منهم بعامر الشَّعبى ومطرِّف ابن عبد الله بن الشِّخّير وسعيد بن جُبَير ؛ فأما الشعبى ومطرِّف فذَهبا إلى التعريض والكناية ولم يُصرِّحا بالكفر ، فَقبِل كلامهما وعفا عنهما ؛ وأما سعيد ابن جُبير فأبى ذلك فقتل .

وكان مما عرّض به الشعبى ، فقال : أصلح الله الأمير ، نَبا المنزل ، وأحْزَنَ[1] بنا الجَناب ، واستحلَسْنا[2] الخوفَ ، واكتَحلنا السهرَ ، وخَبطتنا فتنةٌ لم نكن فيها بَرَرَةً أتقياء ، ولا فَجَرةً أقوياء . قال : صدقَ والله ، ما بَرّوا بخروجهم علينا ولا قَوُوا ، خَلّيا عنه . ثم قَدِّم [إليه] مُطرِّف بن عبد الله ، فقال له الحجّاج : أتُقِرّ على نفسِك بالكفر ؟ قال : إنّ مَن شقّ العصا ، وسَفَك الدماء ، ونكث البَيْعة ، وأخاف المسلمين لجديرٌ بالكفر ؛ قال : خلّيا عنه . ثم قُدّم إليه سعيد بن

(١) أحزن : غلظ .

(٢) استحلسنا الخوف : نفارقه .

جُبير ، فقال له : أتقِرّ على نفسك بالكُفر ؟ قال : ما كفرتُ بالله مذ آمنت به ؛ قال : اُضربوا عُنقه .

الواثق والحارث ابن مسكين وأحمد ابن نصر وخلق القرآن

ولما وَلِى الواثقُ وأقعد للناس أحمدَ بن أبى دُوَاد المحنة فى القُرآن ودعا إليه الفُقهاء(١) ، أُتى فيهم بالحارث بن مِسْكين ، فقيل له : أتشهد أنّ القرآن مخلوق ؟ قال : أشهدُ أنّ التوراة والإنجيل والزّبور والقرآن ، هذه الأربعة مخلوقة ، ومَدّ أصابعه الأربع ، فعرّض بها وكَنّى عن خلق القرآن وخَلّص مُهْجَته من القَتْل : وعَجز أحمدُ بن نَصر فقيهُ بغداد عن الكِناية فأباها ، فقُتِل وَصُلِب .

بين بعض الأمراء وناسك

ودَخل بعضُ النُسّاك على بعض الخُلفاء فدعاه إلى طَعامه ، فقال له : الصائم لا يأكل يا أميرَ المؤمنين ، وما أُزَكّى نفسى بل الله يُزَكّى مَن يشاء ؛ وإنما كره طعامه .

ابن عرباض والخوارج

الأصمعىُّ عن عيسى بن عمر قال : بينما ابنُ عِرْباض(٢) يَمشى مُقْدِمًا لِطِيَّتِه(٣) ، إذ استقبلته الخوارج يَجزُون الناسَ بسيوفهم ؛ فقال لهم : هل خَرج إليكم فى اليهود شىء ؟ قالوا : لا ؛ قال : فامضُوا راشِدين ، فمضَوْا وتركوه .

بين شيطان الطاق وخارجى

ولقى شيطانُ الطاق(٥) رجلاً من الخوارج وبيده سيفٌ ، فقال له الخارجى : والله لأقتلنّك أو تبرأ من علىّ ؛ فقال له : أنا من علىّ ، ومن عثمان برىء [يريد أنه من علىّ ، وبرىء من عثمان](٦) .

بين الوليد ورجل سماه أشعر بركا

أبو بكر بن أبى شَيْبة قال : قال الوليد [بن عُقْبة] على المِنْبر بالكوفة :

(١) فى بعض الأصول : « الفقراء » . وهو تحريف .
(٢) فى ى : « عرباض بن عبد الله » .
(٣) الطية : النية . والذى فى الأصول : « بطنه » . وهو تحريف .
(٤) فى ا « يجزرون » .
(٥) الطاق : حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق ، وإليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة .
(٦) التكملة عن عيون الأخبار .

أُنشِدُ على مَن سمّانى أشعرَ بَرْكًا[١] إلا قام [فخرج عنّى] ، فقام إليه رجل[٢] من أهل الكوفة ، فقال له : ومَن هذا الذى يقوم بين يديك[٣] فيقول : أنا الذى سمّيتك أشعر بركا ؟ [قال] : وكان هو الذى سمّاه [بذلك] .

بين معاوية وصعصعة بن صوحان

[وقال معاويةُ لصَعْصعة بن صُوحان : أَصْعَد المنبرَ فالْعَن عليًّا ؛ فامتنع من ذلك وقال : أو تُعْفِينى ؟ قال : لا . فصَعد المنبر فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : معاشر الناس ، إنّ معاوية أمرنى أن ألعن عليًّا ، فالعَنُوه لعنه الله] .

الكناية عن الكذب فى طريق المدح

بين العريان بن الهيثم وابن باقلانى

المدائنىّ قال : أُتى العُرْيان بن الهَيْثم بغلام سكران ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال :

أنا ابنُ الذى لا ينزلُ الدّهرَ[٤] قِدْرُه ... وإن نزلت يومًا فسوف تعودُ
ترى الناسَ أفواجاً إلى ضَوْء ناره ... فمنهم قِيامٌ حولها[٥] وقُعود

فظنّه ولداً لبعض الأشراف ، فأمر بتخليته . فلما كُشف عنه ، قيل له : إنه ابن باقلّانى .

ابن شبرمة وسؤال عيسى ابن موسى له عن رجل لا يعرفه

ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شُبْرُمة [القاضى] ، فقال له : أتعرف هذا الرجل ؟ — وكان رُمى عنده بريبة — فقال [نعم] ، إن له بيتاً وقَدماً وشرَفاً ، فخلّى سبيلَه . فلما انصرف ابن شبرمة قال له [أصحابُه] : أ كنت تعرف

(١) أشعر بركا ، أى كثير شعر الصدر . والبرك : الصدر .
(٢) هو عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى . (انظر نهاية الأرب ج ٣ ص ١٥٧) .
(٣) فى بعض الأصول : « إليك » مكان « بين يديك » .
(٤) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « الأرض » .
(٥) فى بعض الأصول : « عندها » .

هذا الرجل ؟ قال : لا ، ولكنى عرفتُ أنّ له بيتاً يأوى إليه ، وقدماً يمشى عليها ، وشرفُه أُذناه ومَنْكباه .

من خطب لبائع سنانير على أنه نخاس دواب

وخطب رجل لرجل إلى قوم ، فسألوه : ما حِرْفته ؟ فقال : هو نخّاس الدوّاب ، فزوّجوه ، فلما كُشف عنه وجدوه يبيع السّنانير ، فلما عنّفوه فى ذلك قال : أوَ ما السنانير دواب ؟ ما كذبتكم فى شيء .

للمعلى الطائى وقد دخل على ابن السرى يعوده

ودخل مُعلَى الطائى على ابن السَّرِىّ يعوده فى مرضه ، فأنشده شعراً يقول فيه :

فأقسم إن منّ الإله بصحّة ونال السَّرِىُّ بنُ السَّرِىّ شفاء
لأرتحِلَنّ العِيسَ شهراً بحِجّة وأعتق[(1)] شُكراً سالما وصَفاء[(2)]

فلما خرج من عنده قال له أصحابُه : والله ما نعلم عبدَك سالما ولا عبدك صَفاء ، فمن أردت أن تُعتق ؟ قال : هما هِرّتان عندى ، والحجّ فريضة واجبة ، فما عَلَىّ فى قولى شيء إن شاء الله تعالى .

باب فى الكناية والتعريض فى طريق الدعابة

بين ابن سيرين ورجل سأله عن آخر فادعى موته

سُئل ابن سيرين عن رجل ، فقال : تُوفّى البارحة ، فلما رأى جزَع السائل ، قال : (الله يَتوفّى الأنفسَ حين مَوْتها والتى لم تَمُتْ فى مَنامها) وإنما أردتُ بالوَفاة النوم .

بين مسروق وشريح فى مرض زياد

ومَرِض زيادٌ فدخَل عليه شُريح القاضى يَعوده . فلما خَرج بعث إليه مَسْرُوقُ بن الأجْدَع يسأله : كيف تركتَ الأمير ؟ قال : تركتُه يأمر وينهى ؛ فقال مَسْروق : إن شُرَيحاً صاحبُ تعريض [عَوِيص] فاسألوه ، فسألوه فقال : تركتُه يَأمر بالوصيّة ويَنْهى عن البُكاء .

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « ويعتق » .
(٢) فى بعض الأصول : « خفاء » .

بين عمر بن هبيرة وهو يساير سنان بن مكمل على بغلة

وكان سِنان بن مُكمَّل النُّميرىّ[(١)] يُساير عُمر بن هُبيرة الفَزارىّ يوماً على بَغلة، فقال له ابن هُبيرة: غُضّ من عِنان بَغلتك؛ فقال: إنها مكتوبة، أصلح الله الأمير. أراد ابن هُبيرة قولَ جرير:

فغُضّ الطَّرْفَ إنك من نُمير فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كلابا

وأراد سِنَان قولَ الشاعر[(٢)]:

لا تأمنَنّ فَزاريًّا خَلوتَ به على قَلوصك واكتُبْها بأسْيارِ[(٣)]

بين تميمى ونميرى على يده باز

ومرّ رجلٌ من بنى تَميم برجل[(٤)] من بنى نُمير على يده بازى، فقال التَّميمىُّ للنُّميرىّ: هذا البازى لك؟ فقال له النُّميرى: نعم، وهو أهدَى من[(٥)] القطا.

أراد التميمىُّ قولَ جرير:

أنا البازى المُطِلّ[(٦)] على نُمَيْر أُتِحْتُ لها من الجوّ انصبابا[(٧)]

وأراد النميرى قول الطِّرِمّاح:

تَميم بطُرْق اللُّؤم أهدَى من القَطَا ولو سَلَكت سُبْل المكارم ضَلّتِ

بين عبد الله بن يزيد الهلالى ومحاربى وقريب منهما غدير ضفادع

ودخل رجلٌ من مُحارب على عبد الله[(٨)] بن يَزيد الهلالىّ، وهو والى أرْمينيّة وقريبٌ منه غَدير فيه ضَفادع، فقال عبدُ الله بنُ يزيد: ما تركتنا شيوخ مُحارب

(١) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦١): «أيوب بن ظبيان النميرى». وفى كتاب الكنايات للثعالبى (ص ٢٠٧ طبعة الجوائب): «شريك بن محمد النميرى».
(٢) هو ابن دارة. (انظر المنتخب من كنايات الأدباء للجرجانى ص ٧٤).
(٣) يشير إلى ما كانت تعير به بنو فزارة من إتيانها الإبل.
(٤) اسم هذا الرجل شريك النميرى. (انظر كتاب الكنايات للجرجانى ص ٧٢ طبعة السعادة). والكامل للمبرد. وقد جاءت هذه القصة فيهما وفى نهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦١) مع بعض الاختلاف.
(٥) فى بعض الأصول: «يصيد» مكان «أهدى من».
(٦) فى الديوان: «المدل».
(٧) فى الديوان: «أتحت من السماء لها انصبابا».
(٨) الكنايات للجرجانى: «عبد الملك بن يزيد الهلالى».

نَنام الليلة ؛ فقال له المُحاربىّ : أصلح الله الأمير ، أوتدْرى لم ذلك ؟ قال : ولم ؟ قال : لأنها أضلّت بُرْقُعها لها ؛ قال : قَبّحك الله وقَبّح ما جئتَ به . أراد ابنُ يزيد الهِلالىّ قولَ الأخطل :

تَنِقّ بلا شىء شُيوخُ مُحاربٍ وما خِلْتُها كانت تَريش ولا تَبرِى
ضَفادع فى ظَلْماء ليلٍ تَجاوبتْ فدلّ عليها صوتُها حَيّـةَ البَحر

وأراد المُحاربىُّ قولَ الشاعر :

لكلّ هِلالىّ من اللُّؤم بُرْقُع ولابن يزيد[1] بُرقعٌ وقميصُ

بين معاوية وعبد الرحمن ابن الحكم

وقال مُعاوية لعبد الرحمن بن الحَكم : أستفرِض لى هذين الفَرَسين ؛ فقال : أحدُهما أَجَشُّ والآخر هَزِيم ، يعنى قولَ النَّجاشىّ[2] :

ونَجّى ابنَ هِنْد سابحٌ[3] ذو عُلالةٍ أجشُّ هَزِيم والرِّماح دَوانى[4]

فقال مُعاوية : أما إنّ صاحبَهما على ما فيه [لا] يُشبِّب بكَنائنه[5] .

وكان عبدُ الرحمن يُرْمى بكَنَّتِه .

بين زياد ورجل شاوره زياد فى امرأة يتزوجها

وشاور[6] زيادٌ رجلاً من ثِقاته فى امرأة يتزوّجها ، فقال : لاخير لك فيها ،

---

(١) كذا فى الـكنايات للجرجانى . والذى فى الأصول : « ولابن هلال » .

(٢) هو قيس بن عمرو بن مالك ، من بنى الحارث .

(٣) فى اللسان (مادة جش) وعيون الأخبار : « ابن حرب » وبهما يكنى معاوية .

(٤) العلالة : بقية جرى الفرس . والأجش الغليظ الصهيل . والهزيم : الشديد الصوت .

(٥) كذا فى ى . والـكنائن : جمع كنة (بالفتح) ، وهى امرأة الابن أو الأخ . والذى فى سائر الأصول : « بكنانة » . والذى فى الشعر والشعراء ص (٨٩) طبعة أوربة : « فلما بلغ معاوية أن النجاشى قال فيه هـذا البيت رفع ثندوتيه (مثنى ثندوة . والثندوة للرجل بمكان الثدى للمرأة) وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بمثلى ، فكيف قال هذا » .

(٦) وردت هذه القصة فى عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٠٠) مع اختلاف يسير منسوبة إلى المغيرة بن شعبة .

إنى رأيتُ رجلاً يُقبِّلها ، فتركها[1] ؛ وخالفه الرجل إليها وتزوَّجها . فلما بلغ زياداً خبرُه أرسل إليه وقال له : أما قلتَ لى إنك رأيت رجلاً يُقبِّلها ؟ قال : نعم ، رأيتُ أباها يُقبِّلها .

بين عمر بن الخطاب وأعرابى سأله أن يحمله

وقال أعرابىٌ لعمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه : يا أميرَ المؤمنين ، أحمِلْنى[2] وسُحَيما[3] على جمل ؛ فقال : نَشدتك الله يا أعرابىّ ، أسُحيم هذا زِق[4] ؟ قال : نعم ؛ ثم قال : مَن لم يَنْفعه ظنه لم يَنْفعه يَقينُه .

بين رجل وآخر ودعه

وودَّع رجلٌ رجلاً كان يُبْغِضُه ، فقال : امضِ فى سرٍّ مِن حِفْظ الله ، وحِجاب من كلاءته[5] . ففَطِن له الرجل ، فقال : رَفع الله مكانك ، وشَدَّ ظهرك ، وجَعلك مَنظوراً إليك[6] .

ابن أبى عتيق وشعر غنته جاريته وعبد الله ابن عمر

الشَّيبانى قال : كان ابنُ أبى عَتيق صاحبَ هَزْل ولهو ، واسمُه عبد الله بن محمد بن أبى بَكر [الصدِّيق ، رضى الله عنهم] ، وكانت له أمرأة من أشراف قُريش ، وكان لها فتياتٌ يُغنِّين فى الأعراس والمآتم ، فأمرت جاريةً منهن أن تُغنِّى بشعر لها قالتْه فى زَوْجها ، فتغنَّت الجاريةُ وهو يسمع :

---

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « فتركه » . وهو تحريف .

(٢) فى ا ، ى : « أعطنى وأعط سحيما » مكان « احملنى وسحيما على جمل » . وفى الكنايات للجرجانى : « وقسم عمر رضى الله عنه مرة الغنيمة فقال له رجل : أعطنى ولأخى الحبشى » ويريد بالحبشى : الزق . وقد ورد تشبيه الزق بالحبشى فى الشعر ، من ذلك قول بعض الشعراء :

عجبت من حبشى لا حراك به ... لا يدرك الثأر إلا وهو مذبوح

(٣) كذا فى الأصول واللسان « مادة سحم » . قال : « وسحيم تصغير أسحم ، أراد به الزق لأنه أسود ، وأوهمه أنه اسم رجل » .

(٤) فى ا ، ى : « رق » . وهو تصحيف .

(٥) يدعو عليه بالبعد من حفظ الله وكلاءته ، بأن يكون فى الخفاء دونهما خفاء السر والشىء المحجوب .

(٦) يدعو عليه بالصلب ، إذ المصلوب يكون على شىء مرتفع ، مشدود الظهر إليه ، منظوراً إليه من الناس .

ذَهب الإله بما تَعيش به وقرتَ[1] لُبّكَ[2] أيمّا قَمْرِ
أنفقت مالك غير مُحْتشم فى كلّ زانية وفى الخمر

فقال للجارية : لمن هذا الشِّعر ؟ قالت : لمولاى . فأخذ قِرْطاسًا فكتبه وخرج به ، فإذا هو بعبد الله بن عُمر بن الخطاب ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، قِفْ قليلاً أُكلّمك ، فوقف عبدُ الله بن عمر ؛ فقال : ما ترَى فيمن هجانى بهذا الشعر ؟ وأنشد البيتين ؛ قال : أرى أن تَعفو وتَصْفح ؛ قال : أما والله لئن لقيتُه لأنيكنّه ، فأخذ ابن عُمر يَنكُله ويَزْجره ، وقال : قبّحك الله . ثم لَقِيه بعد ذلك بأيام ، فلما أبصره ابنُ عُمر أعرض عنه بوَجْهه ، فاستقبله ابنُ أبى عَتيق ؛ فقال له : سألتُك بالقبر ومَن فيه إلاّ سمعتَ منّى حرفين ؟ فولاّه قفاه وأنصت له ، قال : علمتَ أبا عبد الرحمن أنى لقيتُ قائل ذلك الشعر ونِكْته ؟ فصُعِق عبد الله ولُبِط[3] به ؛ فلما رأى ما نَزَل به دنا من أُذنه ، وقال : أصلحك الله ، إنها امرأتى [فلانة] . فقام ابن عمر ، وقبّل ما بين عَيْنيه [وتبسّم ضاحكًا] .

باب فى الصمت

بين لقمان وداود عليه السلام فى معنى هذا العنوان

كان لُقمان الحكيم يجلس إلى داود صلى الله عليه وسلم [مُقْتَبِسا] ، وكان عبدًا أسود ، فوجده وهو يَعمل دِرْعًا من حديد ؛ فعجب منه ولم يرَ دِرْعًا قبل ذلك ، فلم يسأله لُقمان عما يَعمل ولم يُخبره داود ، حتى تمّت الدِّرع بعد سنة ، فقاسها داودُ على نَفسه ، وقال : زِرْد طاقا ليوم قِرَاقا . تفسيره : درع حَصينة ليوم قِتال . فقال لُقمان : الصّمت حُكم وقَليل فاعلُه .

(١) قرت : غلبت .
(٢) فى بعض الأصول : « رأيك » .
(٣) لبط به : صرع .

لأبى عبيد الله كاتب المهدى

وقال أبو عُبيد الله كاتبُ المهدىّ : كُن على التماس الحظّ بالسكوتِ أحرصَ منك على التماسه بالكلام ، إنّ البلاء مُوكَّلٌ بالمنطق .

لأبى الدرداء فى أنصاف الأذن من الفم

وقال أبو الدّرداء : أنصِف أُذنيك مِن فِيك ، فإنما جُعل لك أُذنان اثنتان وفَم واحد لِتسمع أكثرَ مما تقول .

بين معاوية والأحنف وقد سكت والناس يتكلمون

ابن عَوْف عن الحسن ، قال : جلسوا عند مُعاوية فتكلّموا وسكت الأحنف ؛ فقال مُعاوية : ما لك لا تتكلّم أبا بَحْر ؟ قال : أخافُك إن صدقتُ ، وأخاف اللهَ إن كذبتُ .

المهلب فى رجحان العقل على اللسان

وقال المُهلّب بن أبى صُفْرة : لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه أحبُّ إلىّ من أن أرى للسانه فضلاً على عقله .

لسالم بن عبد الملك فى مثله

وقال سالم[1] بنُ عبد الملك : فضلُ العقل عَلَى اللسان مُرُوءة ، وفضل اللسان عَلَى العقل هُجْنة .

لبعضهم

وقالوا : مَن ضاق صدرُه اتسع لسانُه ، ومَن كثُر كلامُه كثُر سَقَطه ، ومَن ساء خُلقه قلّ صديقُه .

لهرم بن حيان فى صاحب الكلام

وقال هَرِم[2] ابن حيّان : صاحبُ الكلام بين إحدى مَنْزلتين ، إن قصَّر فيه خُصِم[3] ، وإن أغرق فيه أثِم .

لشبيب بن شيبة فى السكوت على الكلمة المكروهة

وقال شَبيب بن شَيْبة : مَن سمع الكلمة يَكرهها فسكتَ عنها انقطع ضَرُّها عنه .

لأكثم بن صيفى

وقال أكثمُ بن صَيْفىّ : مَقْتل الرجل بين فَكّيه .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . ولعله : سالم مولى عبد الملك بن مروان ، كما سيأتى فيما بعد . وفى ا : « وقال سليمن بن عبد الملك » . وفى ى : « وقال لسليمن بن عبد الملك » .

(٢) فى ا : « بيرم » . (٣) خصم ، أى غلبه الخصم .

شعر لجعفر بن محمد فى عثرة اللسان

وقال جعفر بن محمد بن علىّ بن الحُسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم :

يَموت الفتَى من عَثْرة بِلسانِه ... وليس يموتُ المرء من عَثْرة الرِّجْلِ
فعثْرَتُه مِن فِيه تَرْمِى برأسه ... وعثرته بالرِّجْل تَبرا على مَهْلِ

لبعض الشعراء فى الحلم والسكوت

وقال الشاعر :

اَلحِلم زَيْنٌ والسُّكوتُ سَلامةٌ ... فإذا نَطقتَ فلا تَكُنْ مِكْثارَا
ما إن نَدِمْتُ على سُكُوتى مَرّةً ... لكن نَدِمْتُ على الكلام مِرارا

شعر للحسن بن هانىء فى فضل الصمت

وقال الحسن بن هانئٍ :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرامِى ... وامضِ عنه بسَلامِ
مُتْ بداء الصَّمت خيرٌ ... لك من داء الكلامِ
ربَّ لفظٍ ساق آجا ... لَ فِئامٍ وفئامِ(1)
إنما السالمُ من أَلْـ ... ـجَمَ فاهُ بِلجامِ

لبعض الحكماء فى حظ المرء من الصمت والكلام

وقال بعض الحكماء : حَظّى من الصَّمت لى ونَفْعُه مَقْصورٌ علَىّ ، وحظّى من الكلام لغيرى وَوَباله راجع عَلَىّ .

فى الحث على الصمت

وقالوا : إذا أعجبك الكلامُ فاصمُت .

بين عمر بن عبد العزيز ورجل فى الكلام والصمت

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز : متى أتكلم ؟ قال : إذا اشتهيتَ أن تصْمُت ؛ قال : فمتى أصمُت ؟ قال : إذا اشتهيتَ أن تتكلّم .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى طلاقة اللسان

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : ما أُعْطى العبدُ شرًّا مِن طَلاقة اللّسان .

لعبد الله بن الأهتم فى رجل يتكلم ويخطىء

وسَمِع عبدُ الله بن الأهتم رجلاً يتكلم فيُخطئ ، فقال : بكلامك رُزِق الصمتُ المحبةَ .

(1) كذا فى أكثر الأصول . والفئام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه . والذى فى ى : « قيام ونيام » .

باب فى المنطـــق

فى تفضيل المنطق

قال الذين فَضَّلوا المنطقَ : إنما بُعِثَت الأنبياء بالكلام ولم يُبْعَثوا بالسُّكوت . وبالكلام وُصِف فَضْل الصَّمت ، ولم يُوصف القولُ بالصَّمت ، وبالكلام يُؤْمر بالمعروف ويُنْهى عن المُنْكر [ويُعظَّم الله ويُسبَّح بحمده] ، والبيان من الكلام هو الذى مَنَّ اللهُ به على عِباده ، فقال : (خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ) . والعِلْم كلُّه لا يُؤدِّيه إلى أوْعية القُلوب إلاّ اللسان ، فنَفْع المنطق عام لقائله وسامعه [ومن بلَّغه] ، ونَفْع الصمتِ خاص بفاعله .

فى الصمت والمنطق

وأعْدلُ شىء قِيل[1] فى الصمت والمَنْطق قولُهم : الكلامُ فى الخير كلّه أفضلُ من الصمت ، والصمت فى الشرّ كلّه أفضلُ من الكلام .

لابن المبارك يرثى مالك بن أنس

وقال عبدُ الله بن المُبارك صاحبُ الرَّقائق[2] يَرْثى مالكَ بن أنس المَدَنىّ :

صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيَّنَ أهلَه ... وفَتَّاق أبكار الكلام المُخَتَّمِ
وَعَى ماوَعَى القرآنُ من كلّ حِكْمة ... وسِيطَتْ[3] له الآدابُ باللحم والدَّمِ

لعمر بن الخطاب

وقال عمرُ بن الخطّاب : تَرْكُ الحركة غَفْلة . ٢٩٤/١

لبكر المزنى

وقال بكرُ بن عبد الله المُزنىّ : طُول الصمت حُبْسة[4] .

لبعضهم

وقالوا : الصمتُ نَوْم ، والكلام يَقَظة .

---

(١) فى ا ، ى : « وأعدل ما قيل » .
(٢) فى فهرست الكتب العربية لمكتبة موسكو : « كتاب الزهد والرقائق » . وفى كشف الظنون : « دقائق الرقائق » . وفى فهرست مكتبة القسطنطينية : « دقائق فى الرقائق » .
(٣) كذا فى ا ، ى . وسيطت : خلطت . والذى فى سائر الأصول : « ونيطت » .
(٤) كذا فى ى وعيون الأخبار (ج ٢ س ١٧٦) والبيان والتبيين (ج ١ س ١٥٠) . والذى فى سائر الأصول : « خرسة » .

وقالوا : ما شىء ثُنِى إلا قَصُر ، إلا الكلام فإنه كلما ثُنِى طال .

لبعض الشعراء

[وقال الشاعر :

الصَّمتُ شِيمتُه فإنْ أَبدَى مَقالاً كان فَضلا
أبدَى السكوتَ فإن تَكَلَّمَ لم يَدَعْ فى القول فَضْلا]

باب فى الفصاحة

لابن سيرين

محمدُ بن سِيرِين قال[1] : ما رأيتُ عَلَى امرأة أجملَ من شَحم ، ولا رأيتُ عَلَى رَجُل أجمل من فصاحة .

وقال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن نبيّه موسى صلى الله عليه وسلم واستيحاشه بعدم الفصاحة : (وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) .

[آفات المنطق

وصف أعرابى بين يدى معاوية أفصح العرب

تكلّمَ ابنُ السَّمّاك يوماً وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامى ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تردّده ؛ قال : أردّده ليفهمه من لم يفهمه ؛ قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يملّه من فَهِمَه .

[الأصمعى قال] : قال مُعاوية يوماً لجلسائه : أىّ الناسِ أفصح ؟ فقال رجلٌ من السِّماط : يا أميرَ المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رُتّة العراق ، وتياسَرُوا عن كَشْكَشة بكر ، وتيامَنُوا عن : شَنْشَنة[2] تَغْلب ، ليس فيهم غَمْغَمة قُضاعة ،

(١) فى ى : « قال ابن شبرمة » .
(٢) كذا فى ى . والشنشنة : جعل الكاف شيناً مطلقاً . والذى فى سائر الأصول : « نشفشة » . وهو تحريف .

ولا طُمطانية حِمْير . قال : مَن هم ؟ قال : قومُك يا أميرَ المؤمنين قُريش ؛ قال : صدقتَ ، فمن أنت ؟ قال : مِن جَرْم . قال الأصمعىّ : جَرْم فُصحَى الناس . وهذا الحديث قد وقع فى فضائل قُريش ، وهذا مَوْضعه أيضاً فأعدناه[1] .

لأبى العباس فى تفسير كلمات لغوية

قال أبو العباس محمد بن يزيد النّحوىّ . التَّمتمة فى المَنْطق : التردُّد فى التاء ، والعُقْلة : هى التواء اللسان عنـد إرادة الكلام ؛ والحُبْسة : تعذُّر الكلام عند إرادته ؛ واللَّفف : إدخالُ حَرْف فى حَرْف ؛ والرُّتة : كالرَّتَج تمنَع أول الكلام ، فإذا جاء منه شىء اتصل به] . والغَمْغمة : أن تسمع الصوت ولا يَبِين لك تقطيعُ الحروف . وأما الرُّتة : فإنها تكون غريزية ، وقال الراجز :

* يأيُّها المُخلّط الأرَتّ *

ويقال إنها تكثر فى الأشراف . وأما الغَمْغمة : فإنها قد تكون من الكلام وغيره . لأنها صَوتُ من لا يُفهم تقطيع حُروفه[2] .

قال عنترة :

[وصاحبٍ ناديتـه فغَمْغما يُريدُ لبَّيك وما تكلّما
قد صار من خوف الكلام أعْجما]

والطَّمْطمة : أن يكون الـكلام مُشْبِهًا لـكلام العجم ؛ واللُّـكنة : أن تعترض فى الكلام اللغةُ الأعجمية — وسنفسّر هذا حرفاً حرفاً ، وما قيل فيه إن شاء الله — واللَّثغة : أن يُعدَل بحَرْف إلى حَرْف ؛ والغُنّة : أن يُشْرَب الحرفُ صوتَ الخَيْشوم ؛ والخُنّـة : أشد منها ؛ والترخيم : حَذْف الكلام ؛ والفأفأة : التردد فى الفاء ؛ يقال : رجل فأفاء ، تقـديره فاعال[3] ، ونظيره

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « وهذا كان موضعه فذكرناه » .
(٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « لأنها صورة لا يفهم تقطيع حروفها » .
(٣) الصواب « فعلال » وعلى هذا فالتنظير بساباط وخاتام غير صحيح .

من الكلام ساباط[١] وخاتام ، قال الراجز :

يا مىُّ[٢] ذات الجَوْرب المُنْشَقّ أخذتِ خاتامى[٣] بغير حَقّ

وقال آخر :

ليس بفأفاء ولا تَمْتام ولا مُحِبٍّ سَقَطَ الكلام

وأما كشكشة تميم : فإن بنى عمرو بن تميم إذا ذكرتْ كاف المؤنث فوقفتْ عليها أبدلت منها شينا ، لقُرب الشين من الكاف فى المخرج ، وقال راجزُهم :

هل لكِ أن تَنتفعى وأنفعش فتُدْخلين اللَّذْ معى فى اللَّذْ مَعَش

وأما كسكسة بكر : فقوم منهم يُبدلون من الكاف سينا كما فعل التميميون فى الشين . وأما طُمطمانية حِمْير : ففيها يقول عَنترة :

تأوى له قُلُصُ النَّعام كما أوَتْ[٤] حِزَقٌ يمانيَةٌ لأعجمَ طِمْطِمِ[٥]

وكان صُهيب أبو يحيى رحمه الله يَرْتضخ لُكْنة روميّة .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : صُهيب سابق الروم .

وكان عُبيد الله بن زياد يرتضخُ لكنة فارسية مِن قِبل زوج أمه شيرويه الأسوارىّ .

---

(١) الساباط : سقيفة بين حائطين ، أو بين دارين ، من تحتها طريق نافذ .

(٢) فى اللسان (مادة ختم) : « يا هند » .

(٣) فى اللسان : « خيتامى » . قال : « ويروى ، خاتامى » .

(٤) فى بعض الأصول : « تأوى له حزق النعام كأنها » .

(٥) قال الفراء : سمعت المفضل يقول : سألت رجلا من أعلم الناس عن قول عنترة (وساق هذا البيت) فقال : يكون باليمن من السحاب مالا يكون لغيره من البلدان فى السماء ، قال : وربما نشأت سحابة فى وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه من جميع السماء ، فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ، فالحزق اليمانية تلك السحائب . والأعجم الطمطم : صوت الرعد . (انظر اللسان مادة طم) .

وكان زياد الأعجم ، وهو رجل من بنى عبد القيس . يَرْتَضخ لـكنة أعجمية ، وأنشد المُهلّبَ فى مَدْحه إياه : ٢٩٥/١

فتى زاده السُّلتان فى الحمد رغبةً إذا غيَّر السُّلْتان كلَّ خليـلِ

يريد السلطان — وذلك أن بين التاء والطاء نسباً ، لأن التاء من مخرج الطاء .

وأما الغُنة فتُستحسن من الجارية الحديثة السن . قال ابن الرّقاع [فى الظبية] :

تُزْجِى أغَنّ كأن إبرةَ رَوْقه⁽¹⁾ قلمٌ أصابَ من الدَّواة مِدادها

وقال ابن المُقَفّع : إذا كثر تَقْلِيب اللِّسان رقّت حواشيه ولانت عَذَبته .

وقال العتّابى : إذا حُبس اللسانُ عن⁽²⁾ الاستعمال اشتدّت عليه مخارج الحروف .

وقال الراجز :

كأن فيـه لَفَفًا إذا نطق من طُول تَحْبِيس وهَمّ وأرَقْ

باب فى الإعراب واللحن

الشعبى وموالى يتذاكرون النحـو

أبو عُبَيدة⁽³⁾ قال : مَرّ الشّعبىُّ بقَوْم من الموالى يتذاكرون النحوَ ، فقال لهم : لئن أصْلحتموه إنكم لأوّل من أفسده .

قال أبو عُبيدة : ليته سَمِـع لحنَ صَفْوانَ وخالد بن صَفْوان وخاقان والفتح ابن خاقان والوليدِ بن عبد الملك .

لعبد الملك بن مروان فى اللحن

وقال عبد الملك بن مروان : اللحنُ فى الـكلام أقبح من التَّفتيق فى الثوب والجُدَرِىّ فى الوجه .

---

(١) تزجى : تسوق . والأغن من الظباء : ما فى صوته غنة : والروق : القرن .

(٢) فى بعض الأصول : « إذا أكثر اللسان من ... الخ » . وهو تبديل من الناسخ مفسد للمعنى . (٣) فى ى : « أبو عبيد » .

وقيل له : لقد عَجِل عليك الشيبُ يا أميرَ المؤمنين ، قال : شَيَّبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن .

بين الحجاج وابن يعمر

وقال الحجّاج لابن يَعْمَر : أتسمعنى ألحن ؟ قال : لا ، إلاّ أنه ربما سَبَقَكَ لسانُك ببعضه فى آنٍ وآن ؛ قال : فإذا كان ذلك فعرِّفنى .

بين المأمون وأبى يعلى المنقرى

وقال المأمون لأبى علىّ المعروف بأبى يَعْلَى المِنْقرىّ : بلغنى أنك أُمّىّ ، وأنك لا تُقيم الشِّعر ، وأنك تَلْحن فى كلامك ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أمّا اللّحن فربما سَبَقَنى لسانى بالشىء منه ، وأما الأُمّيّة وكَسْر الشعر فقد كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أُمّيا وكان لا يُنشد الشعر ؛ قال المأمون : سألتُك عن ثلاثة عيوب فيك فزدْتنى عَيباً رابعاً ، وهو الجهل ، يا جاهل ، إنّ ذلك فى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فضيلة ، وفيك وفى أمثالك نَقيصة ، وإنما مُنع ذلك النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لنَفْى الظِّنّة عنه ، لا لِعَيب فى الشّعر والكتاب ، وقد قال تبارك وتعالى : (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) .

لعبد الملك فى الإعراب واللحن

وقال عبدُ الملك بن مروان : الإعراب جمالٌ للوَضِيع ، واللحن هُجْنة على الشَّريف .

وقال[1] : تعلّموا النحوَ كما تتعلّمون السُّنن والفرائض .

بين الحسن وبعضهم فى إمام يلحن

وقال رجلٌ للحسن : إنّ لنا إماماً يلحن ؛ قال : أَمِيطوه [عنكم ، فإن الإعراب حِلية الكلام] .

لبعض الشعراء فى النحو

وقال الشاعر :

النّحوُ يَبْسُط من لسان الألْكن ... والمرء تُكرمه إذا لم يلحَنِ

(١) فى ا : « وقال عمر » .

فإذا طلبتَ من العُلوم أجلَّها ... فأَجلُّها منهـا مُقيم الألسن

وقال آخر :

النّحو[(١)] صَعْب[(٢)] وطويلٌ سُلَّمُه ... إذا ارتقى فيـه الذى لا يَعْـلَمُه[(٣)]

زَلَّتْ به إلى الحَضِيض قَدَمُه ... يُرِيدُ أن يُعْرِبه فَيُعْجِمُـه

بين الحسن ورجل لحانة

وقال رجل للحسن : يا أبو سَعِيد ؛ فقال : أَحْسَبُ أنّ الدَّوانِق[(٤)] شَغَلَتْك عن أن تقول : يا أبا سعيد .

من لحن الوليد ابن عبد الملك

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد لَحّاناً ، فقال : ياغلام ، ادعُ لى صالح ؛ فقال الغلام : ياصالحا ؛ قال له الوليد : انقُص ألفاً ؛ فقال عمر : وأنت يا أميرَ المؤمنين فزِدْ ألفاً .

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشراف قُرَيش ، فقال له الوليد : من خَتَنَك ؟ قال له : فلانٌ اليهودى ؛ فقال : ما تقول ؟ ويحك ! قال : لعلّك إنما تَسْأل عن خَتَنِى[(٥)] يا أمير المؤمنين ، هو فلان بن فلان .

لعبد الملك فى ابن الوليد

وقال عبدُ الملك بن مروان : أَضرّ بنا فى الوليد حُبُّنا له ، فلم نُلْزِمه البادية .

وقد يَستثقل الإعرابُ فى بعض المواضع كما يستخفّ اللحنُ فى بعضها .

شعر لأسماء بن خارجة فى جارية له

وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفَزارىّ :

منطقٌ بارعٌ وتَلحنُ أحيا ... ناً وخيرُ الحـديث ما كان لحنا

---

(١) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول والمعروف أيضاً : « الشعر » . وينسب هذا الشعر إلى الحطيئة . (٢) فى ى : « علم » . (٣) فى ى : « لا يفهمه » .

(٤) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : « دوانيق » . قيل فى اللسان : (مادة دنق) : « الدانق » (بفتح النون وكسرها) : سدس الدينار والدرهم ، والجمع دوانق ودوانيق ، الأخيرة شاذة .

(٥) الختن (بالتحريك) : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

وذلك أنه من حكى نادرةً مُضحكة ، وأراد أن يُوفِّى حروفها حظَّها من الإعراب ، طَمس حُسنها ، وأخرجها عن مِقدارها ، ألا ترى أن مُزَبِّدًا المَدِينى[(١)] أكل طعاماً فكظَّه ، فقيل له : ألا تَقِى ؟ قال : وما أَقِى ؟ خبز نقى ولحم طَرِى[(٢)] ؟ مَرَتى طالق ، لو وَجدتُ هذا قيئاً لأكلته .

من غلو ابن هبيرة فى النحو

قال : وكذلك يُستقبح الإعراب فى غير موضعه كما استُقبح من عيسى بن عمر إذ قال وابن هُبيرة يَضرب به بالسِّياط[(٣)] : والله إن كانت إلا أُثَيَّابا فى أُسَيْفاط قَبضها عَشَّاروك[(٤)] .

وحُكى عن بعض المُغربين فى اللَّحن أن جارية له غنّته :

إذا ما سَمعتُ اللومَ فيها رفضتُه فيَدْخل من أُذْنٍ ويَخرج مِن أخرَى

فقال لها : مِن أخرِى يا فاعلة ، أما علِمتِك أن (من) تَخفض[(٥)] ؟ .

بين شريح وبعض اللحانين

وقال رجل لشُرَيح : ما تقول فى رجل تُوفى وترك أباه وأخيه ؟ فقال له : أباه وأخاه ؛ فقال : كم لأباه وأخاه ؟ قال لأبيه وأخيه ؛ قال : أنت علمتنى فما أصْنَع ؟

بين بعض الشعراء ومتتبع له فى شعره

وقال بعضُ الشعراء ، وأدرك عليه رجل من المُتفصّحين[(٦)] يقال له حَفْص لحناً فى شِعْره ، وكان حَفْص به اختلاف فى عَينيه وتَشويه فى وجهه ، فقال فيه :

لقد كان فى عَينيك ياحَفْصُ شاغلٌ وأنفٌ كمِثْل الطَّود[(٧)] عما تَتَبَّعُ

---

(١) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « من » مكان « مزبدا اليمنى » .
(٢) كذا فى ى . والذى فى سائر الأصول : « جدى مرق » مكان « مارى مرتى » .
(٣) وكان ذلك فى وديعة أودعها إنسان عيسى ثم طلبها . (انظر عيون الأخبار) .
(٤) أثياب : تصغير أثواب . وأسيفاط : تصغير أسفاط . وأسفاط : جمع سفط (بالتحريك) وهو الذى يعبى فيه الطيب وما أشبه من أدوات النساء . وعشاروك : جمع عشار . والعشار : من يقبض عشر الأموال ويجبيها . (٥) كأنه يريدها أن تكسر الراء فى « أخرى » . (٦) كذا فى ا ، ى . والذى فى سائر الأصول : « المستفصحين » . (٧) فى بعض الأصول : « العود » .

تَتَبَّع لحناً من كلامٍ مُرَقَّش وخَلْقك مبنىٌّ من اللَّحْن أجمع
فعينُك إقْواء وأنفك مُكْفأ ووَجْهك إبطاء[١] فما فيك مَرْقَع[٢]

باب فى اللحن والتصحيف

من لحن أبى حنيفة

وكان أبو حَنيفة لَحَّاناً، على أنه كان فى الفُتيا ولُطف النَّظر واحدَ زمانه. وسأله رجلٌ يوماً فقال له: ما تقول فى رجل تناول صَخْرة فضرب بها رأسَ رجل فقتله، أتقيده به؟ قال: لا، ولو ضربه بأبا قُبيس.

من لحن بشر المريسى

وكان بِشْر المَرِيسىّ يقول لجلسائه: قَضى الله لكم الحوائج على أحسن الوُجوه وأهنؤها. فسمع قاسم التَّمّار قوماً يَضْحكون، فقال: هذا كما قال الشاعر:

إنّ سُليمَى واللهُ يَكْلؤها ضنَّت بشىء ما كان يَرْزَؤها

و بِشْر المَرِيسىّ رأس فى الرأى، وقاسم التَّمّار مُتقدم فى أصحاب الكلام، واحتجاجُه لبِشر أعجبُ من لَحْن بِشْر[٣].

بين شبيب بن شبة وإسحاق ابن عيسى وهو يعزيه

ودخل شَبِيب بن شَيبة على إسحاق بن عيسى يُعزِّيه عن طِفْل أُصيب به، فقال فى بعض كلامه: أصْلح الله الأمير، إنّ الطفل لا يزال مُحْبنطيا على باب الجنة يقول: لا أدْخل حتى يَدخل أبواى، قال إسحاق بن عيسى: سبحان الله! ماذا جئتَ به؟ إنما هو مُحْبنطئ، أما سمعتَ قول الراجز:

(١) الإقواء: اختلاف حركة الروى. وبذلك شبه الاختلاف بين عينى من يهجوه. والإكفاء: والمخالفة بين إعراب القوافى أو بين هجائها، وقيل هو أن تفسد فى آخر البيت أى إفساد كان. والإبطاء: تكرير القافية لفظا ومعنى. ويريد تكرر نوع القبح فى صفحتى وجهه.

(٢) كذا فى ا. ومرقع، أى شىء يصلح للرقع. والذى فى سائر الأصول: «مرتع».

(٣) عبارة المحاسن والأضداد (ص ٩ طبعة ليدن) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠): «فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر».

إنى إذا أنشدتُ لا أَحْبَنْطِى ولاَ أُحِبُّ كثرةَ التمطِّى

قال شَبيب : أَلِي يقال مثل هذا وما بين لا بتَيها أعلم منى بها ؟ فقال له إسحاق : وهذه أيضاً ، أَللبصرة لا بتان يالُكع ؟ فأبان بتَقْريعه عَوَاره ، فأخجله فسكت .

قوله المُحبنطى : المُمتنع امتناع طلب لا امتناع إباء[1] ، وهو بالطاء غير معجمة ، ورواه شبيب بالظاء المعجمة . وقوله ما بين لا بَتَيْها ، خطأ ، إذ ليس ٢٩٧/١ للبصرة لا بتان ، وإنما اللابة المدينة والكوفة . واللابة : الحرّة ، وهى الأرض ذات الحجارة السُّود .

نوادر من الكلام

في أنواع الماء

يقال : ماء نُقاخ ، الماء العذب ؛ وماء فُرات ، وهو أعذب العذب ؛ وماء قُعَاع ، وهو شديد المُلوحة ؛ وماء حُراق ، وهو الذى يَحرق من مُلوحته ؛ وماء شَرُوب ، وهو دون العَذب قليلا ؛ وماء مَسُوس ، وهو دون الشَّرُوب ؛ وماء شَرِيب ، وهو العذب[2] .

بين المفضل والأصمعى

اجتمع المُفَضَّل الضَّبى وعبدُ الملك بن قرَيب الأصمعى ، فأنشد المُفضل :

* تُصْمت بالماء تَوْلبًا جَدَعا[3] *

---

(١) كذا فى ى واللسان والنهاية (مادة حبط) . والذى فى سائر الأصول : «فى ظلال» مكان « امتناع طلب لا امتناع إباء » .

(٢) فى معنى الشروب والشريب خلاف . (انظر اللسان مادة شرب وفقه اللغة للثعالبى عند الكلام على تفصيل كمية المياه وكيفيتها) .

(٣) التولب : الجحش ، ويستعمل للإنسان . وهذا عجز بيت لأوس بن حجر ، يصف صبيا ، وصدره :

* وذات هدم عار نواشرها *

والهدم (بالكسر) : الثوب الخلق المرقع . والنواشر : عصب الذراع من داخل .

فقال له الأصمعى : تولبًا جَدِعًا ، والجَدِع : السيِّئ الغذاء . فضَجَّ[1] المفضل وأكثر ؛ فقال له الأصمعى : لو نفخت فى الشَّبُّور[2] ما نفعك ، تكلَّم بكلام النَّمل وأصِب[3] .

شعر لمروان بن أبى حفصة فى بعض الرواة

وقال مروان بن أبى حَفْصة فى قوم من رُواة الشعر لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته :

زَوامل[4] للأشعار لا عِلْمَ عندهم بجيِّدها إلَّا كعِلْم الأباعِرِ
لعمرك ما يَدْرى البَعير إذا غدا بأوْساقه أو راح ما فى الغرائر

باب نوادر من النحو

بين الخليل وأعرابى فى معنى هذا العنوان

قال الخليل بن أحمد : أنشدنى أعرابىّ :

وإنَّ كِلَابًا هذه عَشْر أبطُنٍ وأنت بَرِىء من قَبائلها العَشْرِ[5]

قال : فجعلتُ أعجب من قوله عَشْرَ أبطُن [حيث أنث ، لأنه عَنَى القبيلة][6] ، فلما رأى عَجبى ، قال : أليس هكذا قولُ الآخر[7] :

وكان مِجَنِّى دون من كنتُ أتَّقِى ثلاثُ شُخوص كاعبان ومُعْصِرُ

بين أبى زيد والخليل

وقال أبو زيد قلتُ للخليل : لم قالوا فى تَصْغير واصل : أو يصل ، ولم يقولوا : وُوَيصل ؟ قال : كرهوا أن يُشبه كلامُهم بنبح الكلاب .

(١) فى بعض الأصول : « فصاح » .
(٢) الشبور (كتنور) : البوق .
(٣) للقصة بقية ذكرت فى اللسان (مادة جدع) .
(٤) الزوامل : جمع زاملة ، وهى ما يحمل عليها من الإبل .
(٥) البيت للنواح ، أحد بنى كلاب . (انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٤٨٤) .
(٦) التكملة عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ١٥٨) .
(٧) هو عمر بن أبى ربيعة .

لأبى الأسود الدؤلى

وقال أبو الأسود الدُّؤَلى : من العرب من يقول : لولاى لـكان كذا وكذا . وقال الشاعر[(١)] :

وكم مَوطنٍ لولاى طِحْتَ كما هَوى بأجْرامه من قُنّةِ[(٢)] النّيق[(٣)] مُنْهوِى

وكذلك لولا أنتم ولولاكم[(٤)] ، ابتداء وخبره محذوف .

لأبى زيد

وقال أبو زيد : وراء وقُدّام لا يصرفان لأنهما مؤنثان ، وتصغير قدّام قُدَيْدِمة[(٥)] ، وتصغير وراء وُرَيِّئة ، وقُدّام خمسة أحرف ، لأن الدال مشدّدة : فأسقطوا الألف لأنها زائدة ، ولئلا يُصغر اسم على خمسة أحرف .

أبو حاتم قال : يقال أمٌّ بيِّنة الأمومة : وعمٌّ بين العُمومة . ويقال : مَأموم ، إذا شُج أم رأسه[(٦)] . ورجل مَمُوم : إذا أصابه المُوم[(٧)] .

المازنى

وقال المازنىّ : يقال فى حَسب الرجل أُرْفة[(٨)] ووَصْمة وأُبنة ، وكذلك يقال للعصا إذا كان فيها عيب . ويقال : قَذِيَت عينُه ، إذا أصابها الرَّمد . وقد يقال فى التقديم والتأخير مثلُ قول الشاعر :

---

(١) الشاعر هو يزيد بن الحكم الثقفى ، وهو ممن أسلم مع ثقيف يوم فتح الطائف . وهذا البيت من شعر له يعاتب به ابن عمه .

(٢) فى الكامل « قلة » . وهما بمعنى . (٣) النيق : أعلى الجبل .

(٤) فى لسان العرب عند الكلام على لولا : « قال ابن كيسان : » المكنى بعد لولا وجهان ، إن شئت جئت بمكنى المرفوع فقلت : لولا هو ، ولولا هم ، ولولا هى ، ولولا أنت ؛ وإن شئت وصلت المكنى بها فكان كمكنى الخفض ، والبصريون يقولون هو خفض ، والفراء يقول : وإن كان فى لفظ الخفض فهو فى موضع رفع . قال : وهو أقيس القولين تقول : لولاك ولولاى ولولاه ولولاها ولولاهم ، والأجود لولا أنت كما قال عزوجل : « لولا أنتم لكنا مؤمنين » . ثم ساق البيت السابق .

(٥) فى بعض الأصول : « قد يديمة » . وهو صحيح ؛ ويقال فى تصغيرها أيضاً : « قد يديم » . (انظر اللسان مادة قدم) .

(٦) فى بعض الأصول : « مأمومة » مكان : « أم رأسه » ولعل صواب العبارة : « شجت مأمومته » . والمأمومة : أم الدماغ ، كما قال المبرد .

(٧) الموم : الحمى ؛ وقيل هو الجدرى الكثير المتراكب .

(٨) كذا فى ى . والأرفة : العقدة . والذى فى سائر الأصول : « أصاة » .

شرَّ يومَيْهـا وأغواه[1] لهـا   رَكِبتْ عَنْزٌ[2] بحِدْجٍ[3] جملا

يريد : ركبت عَنز بحِدْج جملا فى شرّ يوميها : نصب لأنه ظرف .

وقد يُسمى الشىء باسم الشىء إذا جاوره . قال الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم   لنا قَمراها والنجومُ الطَّوالعُ

قوله : لنا قَمراها : يريد الشمس والقمر .

وكذلك قولُ الناس فى العُمرين : أبى بكر وعمر .

الرياشى

الرِّياشى : يقال أخذ قِضَّتها وكُعْبتها ، إذا أخذ عُذرتها .

لأبى عبيدة

قال أبو عُبيدة : المَميون . الذى ليس له منظر ولا مخبر ، والمَعين : الذى قد أصيب بالعين . والمعين : الماء الظاهر .

٢٩٨/١ أبو عُبيدة قال : سمعت رُؤْبة يقول : أباريق[4] ، يريد على الريق .

بين أبى عمرو وعيسى بن عمر

الأصمعى قال : لقى أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر . فقال له : كيف رَحْلك ؟ قال : ما تزداد إلا مثالة ؛ قال : فما هذه المَعيوراء التى تَرْكض ، يريد ما هذه الحمير التى تركب .

يقال : مَعيوراء ومَشْيوخاء ومَعْبوداء .

الأصمعى

قال الأصمعى : إنما يُقال : اقرأ عليه السلام . وأنشد :

اقرأ على عَصْر الشَّباب تحيـة   وإذا لقيتَ دَدًا فقَطْنى من دَدِ[5]

(١) كذا فى اللسان (مادتى حدج وعنز) : والذى فى الأصول : « وأخزاه » .

(٢) كذا فى اللسان . وعنز : امرأة من طسم أخذت سبية فحملوها فى هودج وألطفوها بالقول والفعل ، فعند ذلك قالت هذا البيت ، وقيل غير ذلك . (انظر اللسان مادة عنز) . والذى فى الأصول : « هند » .

(٣) الحدج (بالكسر) : مركب من مراكب النساء نحو الهودج .

(٤) كذا فى جميع الأصول . (٥) الدد : اللهو واللعب .

وقال الفرزدق :

وما سُبِق القيسىُّ من ضَعف عقله[1] ... ولٰـكن طَفَت عَـلْماء قُلْفة[2] خالدِ

[أراد : على الماء ، فحذف] . وهذا آخر كتاب سيبويه . وقال بعض الورّاقين :

رأيتُ ياحمّاد فى الصَّيد ... أرانباً تُؤخَـذ بالأيْدِى

إن ذَوى النّحو لهم أنفسٌ ... مَعروفة بالمَـكْر والـكيد

يَضرب عبدُ الله زيداً وما ... يُريد عبدُ الله من زيد ؟

وأنشد أبو زيد الأنصارى[3] :

يا قُرطَ قُرْطَ[4] حُيَىّ[5] لا أبا لـكمُ ... يا قُرطُ إنّى عليكم خائفٌ حَذِرُ

قُلتُم له[6] اهجُ تَميماً لا أبا لـكم ... فى فَمِ قائل هذا التُّربُ والحَجَر

فإنَّ بيتَ تَمِيم ذو سَمعتَ به ... بيتٌ به رَأَست فى عِزِّها مُضر[7]

ذو هنا فى مكان الذى ، لا يتغيّر من حاله فى جميع الإعراب . وهـذه لغة طيّئ تجعل ذو فى مكان الذى .

وقال الحسن بن هانئ :

حُبُّ المُدَامة ذو سمعتَ به ... لم يُبقِ فىّ لغـيرها فضْلاَ

وبعضُ العرب يقول : لا أباكَ فى مكان لا أبا لك ، [ولأن أبا لك] مضاف . لذلك بقيت الألف ، ولو كانت غير مُعربة لقلت : لا أبَ لك ، بغير

---

(١) فى الـكامل للمبرد : « حيلة » . (٢) فى ى « غرلة » . وهى بمعناها .
(٣) الشعر لرجل من طيّ . (انظر الـكامل للمبرد) .
(٤) يريد : يابنى قرط . وهو قرط بن أبى حارثة بن حي ، من بنى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيّء . (٥) فى بعض الأصول : « طيّ » ، وهو تحريف .
(٦) كذا فى الـكامل للمبرد : وقبل هذا البيت :

أآن روى صارقش واصطاف أعنزه ... من التلاع التى قد جادها المطر

والذى فى الأصول : « لى » . (٧) رواية هذا الشطر فى الـكامل :

* فيه تنمت وأرست عزها مضر *

ألف : وليس فى الإضافة شىء يُشبه هـذا لأنه حالَ بين المُضاف والمضاف إليه وقال الشاعر[١] :

أبالموت الذى لا بدّ أنى مُلاقٍ لا أباكِ تُخوّفينى

وقال آخر :

وقد مات شمّاخ ومات مُزرِّد[٢] وأىّ كريم لا أباكِ يُخلَّدُ[٣]

شعر المعقبلى

وأنشد الفرّاء لابن[٤] مالك العُقيلىّ :

إذا أنا لم أومَن عليك ولم يَكُن لقاؤُكَ إلا من وراءُ وراءُ

هذا مثل قولهم : بين بين .

لمحمود الوراق

وقال محمود الوراق :

مزَجَ الصدودُ وصالَهُـــنّ فكان أمراً بَيْنَ بَيْنَ

للفرزدق

وقال الفرزدق :

وإذا الرّجال رأوا يزيدَ رأيتهم خُضُعَ الرّقاب نواكسَ الأبصارِ

قال أبو العبّاس محمد بن يزيد النّحوىّ : فى هـذا البيت شىء مُستطرف عند أهل النّحو . وذلك أنه جمع فاعل على فواعل ، وإذا كان هكذا لم يكن بين المُذكر والمُؤنث فَرْق ، لأنك تقول : ضاربة وضوارب ، ولا يقال فى المذكّر فواعل إلا فى موضعين ، وذلك قولهم : فوارس وهوالك ، ولـكنّه اضطر فى الشّعر فأخرجه عن الأصل ولولا الضرورة ما جاز له .

٢٩٩/١ وقال أبو غسّان [رَفيع بن سَلَمة] تلميذ أبى عُبيدة[٥] [المعروف بدَماذ ، يخاطب أبا عثمان النحوىّ المازنىّ] :

(١) هو أبو حية النميرى .) انظر لسان العرب مادة أبو) .
(٢) هو مزرد بن ضرار ، أخو الشماخ . (٣) فى ا « يخالد » .
(٤) هو عق بن مالك . (انظر لسان العرب مادة ورى) .
(٥) فى الأصول : « أبى عبيد » والتصويب عن فهرست ابن النديم .

تَفَكَّرْتُ فى النَّحو حتى مَلِلْـ ـتُ وأتعبتُ نفسى له والبَدَنْ
وأتعبْت بَكْرًا[١] وأصحـابَه … بكلِّ[٢] المسائل فى كلِّ فَنْ
سِوَى أنَّ بابًا عليـه العَفا … ءِ لِلْفَـاء يا ليتَهُ لم يَكُن
فَكنتُ بظـاهره عالمـاً … وكنتُ بباطِنِـه ذا فطَن
وللواو بابٌ إلى جَنْبِـه … من المَقْت أحسبُهُ قد لُعِن
إذا قلتُ هاتُوا لماذا يُقا[٣] … ل استُ بآتيك أو تأتِين
[أجِيبُوا لما قِيلَ هذا كذا … على النَّصب قالُوا لإضمار أن
وما إنْ رأيتُ لها مَوْضِعًا … فأعْرِفَ ما قِيلَ إلاَّ بظَن
فقد خِفْتُ يا بَكْرُ من طُولِ ما … أفكِّرُ فى أمْر « أن » أو أجَن]

باب فى الغريب والتقعيب[٤]

بين أبى علقمة وأعين الطبيب

دخل أبو عَلْقمة على أعْيَن الطبيب ، فقال : أصلحك الله ، أكلتُ من لُحُوم هذه الجَوازل[٥] وطَسِئْتُ[٦] طَسْأة فأصابنى وَجَعٌ بين الوابلة[٧] ودأية[٨]

(١) يعنى ببكر : أبا عثمان المازنى . فبلغ ذلك المازنى فقال : والله ما أحسب أنه سألنى قط فكيف أتعبنى .
(٢) فى بعض الأصول : « بطول » .
(٣) كذا فى عيون الأخبار . والذى فى الأمالى (ج ٣ ص ١٨٦) :
* إذا قلت هاتو لما قيل ذا *
(٤) كذا فى ا . وفى ى : « والتقعير » . وتقعيب الكلام وتقعيره : بلوغ غوره . والذى فى سائر الأصول : « والتعقيب » . وهو تحريف .
(٥) كذا فى الأصول وعيون الأخبار . والجوازل : فراخ الحمام . والذى فى المحاسن والأضداد (ص ١٤ طبعة ليدن) والمحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٤٧٠) : « الجوازئ » . والجوازئ : البقر والظباء التى جزأت بالرطب عن الماء .
(٦) طسئ : تخم من الطعام .
(٧) الوابلة : طرف العضد فى الكتف .
(٨) الدأية : فقرة العنق .

العُنق ، فلم يزل يَنمو ويَرْبُو حتى خالَطَ الخِلْبَ[١] والشَّراسيفَ[٢] ، فهل عندك دواء ؟ قال : نعم ، خذ خَرْبَقًا[٣] وسلفقًا[٤] وشِبْرِقًا[٥] فزَهْزِقه [وزَقْزِقه][٦] واغسله بماء ذَوْب[٧] واشرب به ؛ فقال له أبو عَلقمة : لم أفهمك ؛ فقال : ما أفهمتُك إلاّ كما أفهمتنى .

ويبنهما أيضا

وقال له مرّة أخرى : إنى أجد مَعْمعة وقَرْقرة ؛ فقال : أمّا معمعة فلا أعرفها ، وأما القرقرة : فضُراط لم يَنْضَج .

بين أبى الأسود الدؤلى وأبى علقمة

وقال[٨] أبو الأسود الدُّؤلى لأبى عَلْقمة : ما حال ابنك ؟ قال : أخذته الحُمّى فطَبَختْه طبخا ، ورَضَخته[٩] رَضْخًا ، [وفتَخته فَتْخًا][١٠] فتركته فَرْخًا[١١] ؛ قال : فما فعلت زوجتُه التى كانت تُشارّه وتُهارّه وتُمارّه وتُزارّه[١٢] ؟ قال : طلّقها .

---

(١) كذا فى عيون الأخبار . والخلب : حجاب بين القلب وسواد البطن . والذى فى الأصول : « الجالب » .

(٢) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو رأس الضلع مما يلى البطن

(٣) الخربق (كجعفر) : ضرب من الأدوية ، ونبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله ، وقيل : هو نبات كلسان الحمل أبيض وأسود ينفع الصرع والجنون والبهق والفالج .

(٤) كذا فى أكثر الأصول والمحاسن والمساوى . والذى فى ا وعيون الأخبار : « شلفقا » . والذى فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) : « سفلقا » . ولم نقف لها على معنى . (٥) الشبرق (كزبرج) : نبت من جنس الشوك ، فإذا كان رطبا فهو الشبرق ، وإذا يبس فهو الضريع . (٦) الزهزقة والزقزقة : ترقيص الأم للصبي . ولعله يريد هنا حركة الغربال ونحوه بما يوضع فيه لغربلته .

(٧) كذا فى ا ، ى . والذوب : العسل ، أو ما فى أبيات النحل ، أو ما خلص من شمعه . والذى فى سائر الأصول : « روب » . والروب : ما خثر من اللبن ، أو هو ما يمخض منه . والذى فى عيون الأخبار « رُوث » .

(٨) ورد هذا الخبر مع اختلاف يسير فى عيون الأخبار والبيان (ج ١ ص ٢٠١) بين أبى الأسود الدؤلى وغلام يقعر فى كلامه . (٩) كذا فى الأصول . والرضخ : الكسر . والذى فى عيون الأخبار والبيان والتبيين : « فضخته فضخا » . والفضخ : الدق . (١٠) التكملة عن عيون الأخبار والبيان . وفتخته : أوهنته وأضعفته . (١١) الفرخ : الضعيف المنهوك . (١٢) تشاره : تخاصمه . وتهاره : تهر فى وجهه كما يهر الكلب . وتماره : تجادله . وتزاره : تعضه .

فتزوجت بعده فَحَظِيت وبَظِيت[1] ؛ فقال له : قد عَرفنا « حَظِيت » فما « بَظِيت » ؟ قال : حرف من الغريب لم يَبْلغك ؛ فقال : يا بن أخى ، كل حَرْف لا يعرفه عمُّك فاستُره كما تَستر السِّنَّور خُرْأها .

بين أبى علقمة وحجام

ودعا أبو عَلقمة بحجّام يَحْجِمُه فقال له : أَنْقِ غَسْلَ المحاجم ، واشْدُدْ قَصب المَلازم[2] ، وأرْهف ظُبات المشَارط ، وأسْرع[3] الوضْع ، وعجِّل النَّزع ، وليكُن شَرْطُك وَخزا ، ومَصُّك نَهْزا ، ولا تَرُدَّن آتيا ، ولا تُكْرِهن آبيا . فوضع الحجّام محاجمه فى جُونته[4] ومضى عنه .

بين أعربى وأبى السكنون

وسَمِع أعرابىٌّ أبا المَكْنون النَّحوى [فى حَلْقته] وهو يقول فى دعاء الأستسقاء : اللهم ربّنا وإلهنا ومولانا فصلِّ على محمد نبيّنا ، [اللهم] ومن أراد بنا سُوءا فأحِطْ ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق[5] الولائد ، ثم أرْسخه على هامَتِه ، كرُسوخ السِّجِّيل[6] على هام أصحاب الفِيل ، اللهم اسقنا غَيْثاً مُغيثا [مَرِيئا] مَرِيعا مُجلْجِلا[7] مُسْحَنفرا[8] [هَزِجا][9] سَحًّا سفُوحا طَبَقا[10] غَدقا[11] مُثْعَنْجرا[12] ، نافعا لعامَّتنا ، وغيرَ ضار لخاصَّتنا . فقال الأعرابىّ :

---

(١) « بظيت » إتباع « لحظيت » مثل : حسن بسن . لأنه ليس فى كلامهم « بظى » . (انظر لسان العرب مادة بظى) .

(٢) الملازم : جمع ملزم (بكسر الميم) : خشبتان مشدود أوساطهما بحديد تجعل فى طرفها قُنَّاحة (مفتاح معوج طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع الصياقلة والأباربن وعلى الكتب وغيرهم . (٣) فى المحاسن والأضداد (ص ١٥) والمحاسن والمساوىء (ج ٣ ص ٤٧١) : « وخفف » .

(٤) الجونة (بضم الجيم) : سلة مغشاة أدما تكون مع العطارين .

(٥) فى عيون الأخبار : « بترائب » . (٦) السجيل : حجارة كالمدر ، معرب (سنك وكل) ، أى حجارة وطين . (٧) المجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد . (٨) المسحنفر : الكثير الصب الواسع .

(٩) الهزج : الذى به صوت . (١٠) طبقا : عاما واسعا .

(١١) الغدق : الكثير . (١٢) المثعنجر : السحاب الممتلىء .

يا خليفة نُوح هذا الطُّوفان وربِّ الكعبة ، دعنى حتى آوى إلى جَبَل يَعْصمنى من الماء .

وبينهما أيضا

وسمعه مرة أخرى يقول فى يوم برد : إن هذا يوم بلَّة[1] عَصَبْصب[2] بارد هِلَّوْف[3] ، فارتعد الأعرابىّ وقال : والله هذا مما يَزيدنى بردا .

بين أبى بكر المنكور وحنش

وخطب أبو بكر المَنْكور[4] فأغرب فى خُطبته وتقعَّر فى كلامه ، وعند أصل المِنبر رجلٌ من أهل الكوفة يقال له حَنَش[5] ، فقال لرجل إلى جنبه : إنى لأبغض الخطيب يكون فصيحا بليغا مُتَقعِّرا . وسمعه أبو بكر المنكور الخطيبُ ، فقال له : ما أحوجك يا حَنش إلى مُدَحْرج[6] مَفتول ايِّن الجِلاز[7] لَدْن المهزّة عظيم الثّمرة[8] ، تُوخذ به من مَغْرِز العُنق إلى عَجْب الذَّنب[9] [فتُعْلَى به فيَكْثُر له رقصانُك من غير جَذل .

شعر لحبيب فى الغريب

وقال حبيب الطائى :

فما لك بالغريب يدٌ ولكن تعاطيكَ الغَريبَ من الغَرِيبِ
أمَا لو أنّ جهلك عاد عِلما إذاً لرسختَ[10] فى عِلْم الغُيوب

شعر المؤلف يمدح رجلا بسهولة اللفظ

ومن قولنا نَمدح رجلا باستسهال اللفظ وحُسن الكلام :

قولٌ كأنّ فَرِيدَه سِحْر على ذِهْن اللّبيب

---

(١) البلة (بالكسر وبالضم) : الندوة . والبلة (بالفتح) : البلل .
(٢) عصبصب : شديد . (٣) كذا فى جميع الأصول . والهلوف : الثقيل البطىء الذى لا غناء عنده ، ولعله يشبه به اليوم البارد فى ثقل وطأته وطوله على النفس وقلة خيره . (٤) فى ا : « أبو المنكور » . وفى ى : « أبو المكنون » .
(٥) فى ا ، ى : « حنيش » .
(٦) المدحرج : المدور ، يصف سوطا .
(٧) كذا فى ا ، ى . والجلاز : العقب المشدود فى طرف السوط . والذى فى سائر الأصول : « الجلاد » . وهو تحريف .
(٨) ثمرة السوط : طرفه . (٩) مغرز العنق وعجب الذنب : أصلاها .
(١٠) فى عيون الأخبار : « كان ... لنفذت » مكان « عاد ... لرسخت » .

لا يَشْمَئِزّ على القسا ن ولا يَشِذّ عن القُلوب
لم يَغْلُ فى شَنِع اللُّغا تِ ولا توحّش بالغريب
سيف تَقَلَّد مثله عَطْفَ القَضيب على القَضيب
هذا تُجَذّ به الرِّقا بُ وذا تُجَذّ به الخُطُوب

تم الجزء الثانى من العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى
حسب تجزئتنا ، ويليه الجزء الثالث وأوله « باب فى تكليف الرجل ما ليس من طبعه » .
ولله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهـــرس

الجزء الثانى من العقد الفريد

فهرس رجال السند

(ا)

---

(١) فى الأصول : « ابن عوف » . وهو تحريف . وابن عون هذا ممن يروون عن الحسن البصرى . (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٦٤) .

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(١) في س ١١٥ (عمر مكان عمرو)

فهرس الشعراء

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(١) ذكر بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(١) لعله هو مؤمن بن سعيد الآتى ذكره بعد .

فهرس الأعـــلام

(١) فى الأصول : « ابن بيهس » . وهو تحريف . والتصويب عن الكامل . وهو هضيم بن جابر الضبعى أبو بيهس .

(ب)

(ت)

(١) ورد هذا الاسم مضطربا بين عبد الله وعبيد الله .

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(١) فى ص ٢٥٢ : « الحسين » . وهو تحريف .

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(١) فى ص ١٧٠ : ٢٠ « المختار بن عبيد » وهو تحريف .

(ن)

(و)

فهرس الموضوعات

صفحة

فرش كتاب الجمانة فى الوفود

صفحة

صفحة

فرش كتاب المرجانة
فى مخاطبة الملوك

فرش كتاب الياقوتة
فى العلم والأدب

باب جامع الآداب

يلاحظ أننا اكتفينا فى هذا الجزء وفيما سيأتى من الأجزاء الآتية بأنواع أربعة من الفهارس وهى : رجال السند والشعراء والأعلام والموضوعات . على أن نذكر بقية أنواع الفهارس فى آخر جزء من هذا الكتاب شاملة جميع أجزائه .

